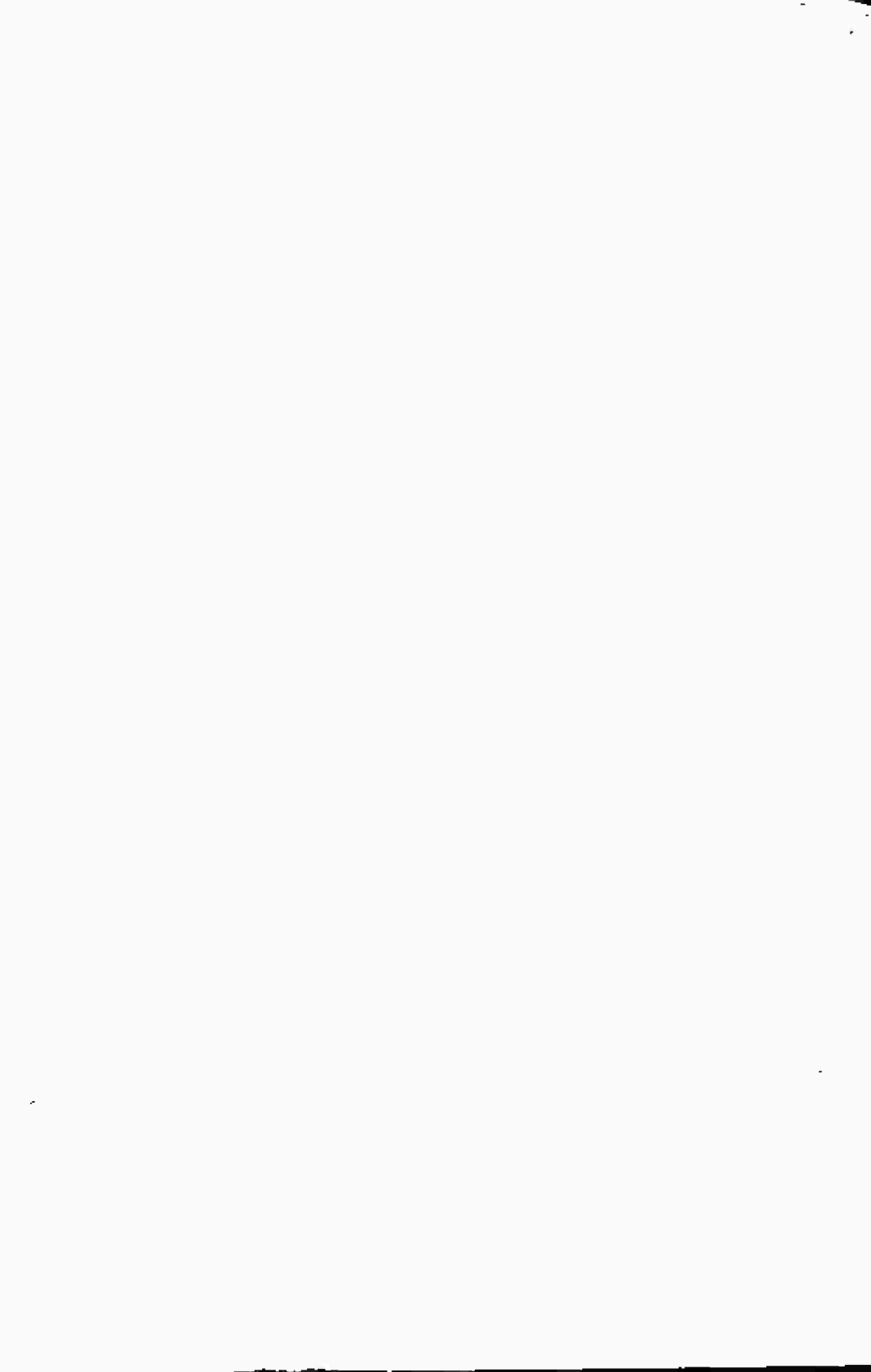


عبد الرحمن
+
Syada Mohamed Rachad

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مجلة
كلية الآداب



مجلة كلية الآداب

الجزء الأول

المجلد الثامن والثلاثون

١٩٩٠

تطلب هذه المجلة من مكتبة كلية الآداب بجامعة الاسكندرية بالشاطبي
وترجى المكتبات الخاصة بالناحية العلمية الى
كلية الآداب

الشنون الفنية - وحدة الأوفعت

كلية الآداب

مجلة سنوية محكمة تصدر أو أكتوبر
هيئة التحرير

رئيس مجلس الإدارة

الأستاذ الدكتور عمر عبد العزيز عمر

رئيس التحرير

الأستاذ الدكتور محمد خيس الزوكه

هيئة التحرير

الأستاذ الدكتور عبده علي ابراهيم الراجحي

الأستاذ الدكتور نادية يشاي

الأستاذ الدكتور نادية محمود عبدالله

الأستاذ الدكتور محمد مرسى الشيخ

الأستاذ الدكتور فتحي محمد أحمد ابراهيم

الأستاذ الدكتور علي عبد المعطي

الأستاذ الدكتور محمد أحمد بيرمي

الأستاذ الدكتور عزيزة سعيد محمود

الأستاذ الأستاذ محمد عبده محبوب

سكرتارية التحرير والتحكيم

الأستاذ الدكتور عثمان سليمان موافى

الأستاذ الدكتور أحمد محمد عبد الخالق

السيد / شمس الدين ابراهيم الكنانى

المشرف على المکتبات

توجه المراسلات والأبحاث إلى

الأستاذ الدكتور وكيل الكلية للدراسات العليا والبحوث - كلية الآداب - الشاطبي -

ع. ٢٠٤

هاتف ٤٩٢٥٧٣٧ - ٤٩٢٥٧٣٥

تلكس 54467 UNIVY LN

فهرس الجزء الأول

رقم الصفحة	القسم	اسم الدكتور	عنوان البحث	الصفحة
٢	اللغة العربية	محمود عبدالله جبر	النون بين علم التجويد وعلم التشكيل	
٢٧	اللغة العربية	محمود فراج عبد الحافظ	الفكر الصوفي عند الفارابي	
٦٩	التاريخ	السيد عبد العزيز سالم	العلاء بن مغيث الجزامي الناصر على دولة بني أمية في الأندلس	
٧٩	التاريخ	أحمد أمين سليم	المكتبة المصرية فيما قبل مكتبة الاسكندرية	
١١٩	التاريخ	حسن عبد الوهاب حسين	المحاولات التفسيرية في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية	
١٤٧	التاريخ	سحر السيد عبد العزيز	القبائل اليمينية في الاسكندرية والبحيرة	
١٩٢	التاريخ	محمود ابراهيم حسين	الابنية الصحراوية في بادية الشام	
٢٢٢	التاريخ	محمد علي سعدالله	الاقواس التسعة من خلال مقابر الاسرة الثامنة عشرة في مصر القديمة	
٢٥٢	التاريخ	حسين محمد عطية	المراسلات المتبادلة بين بابوات روما وسلاطين مصر من بني ايوب	
٣٢٥	الجغرافيا	أحمد أحمد مصطفى	التحليل الرمزي لبعض القوافر الجيومورفولوجية في انشاء الخريطة الكنتورية بالحاسب الالى	
٣٤٥	الجغرافيا	أحمد أحمد مصطفى	نظم البيانات الجغرافية المكانية باستخدام الحاسب الالى	

فهرس الجزء الثانى

رقم سلسلة	عنوان البحث	اسم الدكتور	القسم	رقم الصفحة
١٢	التحليل الجغرافى لشبكة الطرق في منطقة الرياض	محمد الفتحي بكير	الجغرافيا	٤١٥
١٣	قرية السباع دراسة في جغرافية التنمية الريفية	عيسى على ابراهيم	الجغرافيا	٤٧٣
١٤	المراكز الصناعية في مصر	محمد ابراهيم رمضان	الجغرافيا	٥١٥
١٥	الوساوس القهرية وعلاقتها بكل من التلق والخاوف والإكتئاب	أحمد محمد عبد الخالق مايسة أحمد النبال	علم النفس	٥٤٣
١٦	منهج دراسة الحالة في علم النفس والعلوم المتصلة به	عبد الفتاح محمد بويدار	علم النفس	٥٧٧
١٧	الحكايات الشعبية	فاروق أحمد مصطفى	الانثروبولوجيا	٦١٩
١٨	وثائق لتبني من مصر .. العصر البطلمي والروماني	نادية أبو بكر	الأثار والدراسات اليونانية والرومانية	٦٩١
١٩	ثيوفراستوس ونباتات شبه الجزيرة العربية	مهدي زكي بسيوني	الأثار والدراسات اليونانية والرومانية	٧٢٦



قسم

اللغة العربية

النـوـء
بين علم التجويد
وعلم التشكيل الصوتي (الفونولوجيا)

دكتور
محمد عبد الله جبر

علم الأصوات اللغوية هو العلم الذى يدرس الصوت الانسانى فى نشاطه
اللفوى^(١) ، فيحلل السلسلة الكلامية الى العناصر التى يمكن تجزئتها . ثم يقدم
وصفاً للطريقة التى يتكون بها كل عنصر من هذه العناصر ، والخصائص
المميزة لكل عنصر ، ويصنف العناصر جميعاً على أسس معينة^(٢) ، فتصنف
الأصوات الى : مهموسة ومجهورة ، وتدرس الأصوات بحسب طريقة النطق ،
ثم بحسب موضع النطق ، وتبين الخصائص التى تلحق الصوت نتيجة لاتصاله
بغيره فى الكلمة وفى الكلام^(٣) .

وهذا التعبير اللفوى الذى شاع استعماله حديثاً « علم الأصوات اللغوية »
يضم مجالين من الدرس هما : إنتاج الأصوات المنطوقة Phonetics ، والتشكيل
الصوتى Phonology فالأول يتناول وصف الخطوات والأوضاع التى تتخذها
أعضاء النطق لدى الإنسان لإنتاج كل صوت لفظى . والآخر يتناول وصف
كيفية اختلاف كل مجموعة من أصوات اللغة وما يطرأ على بعضها من تعديل فى
كيفية صدوره وما يصحب ذلك من مميزات إضافية .

وهذا العلم يدرس أصوات اللغات جميعاً ، ويقدم وصف ما فى كل لغة من
أصوات خاصة بها ، ويفصل فى ذكر الخصائص المشار إليها آنفاً .

وعلم التجويد يلتقى فى مجموعه مع علم الأصوات اللغوية ، ولكنه يختص
بدراسة أصوات اللغة العربية متحقة فى تلاوة القرآن ، ذلك لأن التجويد
بمفهومه الذى يتبادر عند إطلاقه ينصب على الأداء القرآنى . والقرآن عربى
اللغة ، فأصوات العربية فى تلاوة القرآن هى موضوع الدرس فى علم
التجويد .

والتجويد فى الاصطلاح إعطاء الحروف (= الأصوات) حقها من
الصفات اللازمة لها ، ومستحقها من الأحكام التى تنشأ عن تلك الصفات ،
فإن للحرف (= الصوت) حالتين : حالة الانفراد ، وحالة التركيب : وله فى

(١) (٣٧٢، ١) د محمود السمران : علم اللغة - مقدمة القارئ العربى - دار المعارف - الإسكندرية ١٩٦٢

ص ١٩١ ، ١٩٠ ، ١٨٧

كل منها أحكام ، فأول أحكامه منفرداً : تحديد مخرجه ، ثم تحقيق الصفات اللازمة له كالهَمْز والجر ... وعندما يتركب مع غيره تنشأ أحكام التثنية والتثنية ، والإظهار والإدغام ...

والغاية من علم التجويد إتقان قراءة القرآن بالنطق بحروفه (= أصواته) مشكلة الأحكام والصفات ومحققة المخارج ... وحيث يكون الغارِى قد قرأ القرآن على الطريقة النبوية واللهجة العربية المعصية التي أنزل بها^(١) .

وعلم التجويد يدرس مخارج الحروف (= مواضع نطق الأصوات العربية) ثم صفات الحروف (= خصائص الأصوات العربية) ، ثم أحكام بعض الحروف (= خصائص بعض الأصوات) كالراء واللام والهمزة ، وأطوال كل صوت من أصوات المد بحسب السياق الذى يقع فيه ، ثم يدرس كذلك أحكام النون الساكنة والتنوين ، وأحكام الميم الساكنة . وهذه الجوانب المذكورة آخرها ، أعنى أحكام المد وأحكام النون والميم الساكنتين ، أهم ما يعنى به علم التجويد مما يدخل ضمن التشكيل الصوتى Phonology .

ولاشك فى أن جهود علماء التجويد تمثل الحرص المخلص على حفظ الصورة المتحققة لتلاوة القرآن ، ولاشك أن الدافع الدينى هو أساس هذا الالتزام الدقيق طوال القرون التى بدأت بتزول الوحي .

وعلم التجويد يعتمد على ما تقدمه علماء العربية القدامى من دراسة لأصوات اللغة العربية ، ويطبق نتائج تلك الدراسة على الأداء القرآنى ، فيضيف إلى ما فى المادة النظرية الموثقة فى كتب النحو والصرف - من مثل الكتاب لسيبويه ، وسر صناعة الإعراب لابن جنى - الجانب العمل الذى يتمثل فى تلقين الأستاذ لتلاميذه كيفية التلاوة ، ويأمره لها بياناً عملياً ، ولتت انتباههم إلى طريقة نطق الأصوات ، ثم استماعه إلى كل واحد منهم وهو يحاكي أداءه ، وتصحيحه لما قد يكون فى هذا الأداء من نقص فى الدقة والإتقان ، وهذا ما يُعرف بالتلقى والعرض على الشيخ .

(١) الشيخ أبو عاصم عبد العزيز بن عبد الله بن قيس بن الربيع - دار الحديث ١٤٠٤ هـ

وقد درج المختصون هذا الفن على ذلك حتى يومنا هذا وحظي علم التجويد من كثير من العلماء بمؤلفات تعرض لمبادئه ، تفاوتت أحجامها بحسب الغرض منها ، وبحسب من توجه إليه ، فكانت بعضها ملخصاً ، وكان منها المنظوم وغير المنظوم ، ومنها ما هو مخصص للصغار وما هو لغيرهم ، غير أن المادة في معظمها وفي أغلب الأحوال ظلت ثابتة دون إضافات إلا ما قد يجد المؤلف أنه في حاجة إلى شيء من زيادة التوضيح ونظراً إلى أن المادة الصوتية التي قدمها علماء العربية قد توقفت عند حدٍّ معين فإن كتابات علماء التجويد قد انحصرت في حدود تلك المادة .

وقد شعر بعض العلماء المشتغلين بهذا الفن في أيامنا هذه بأن « الأمر يحتاج إلى مزيد من الدراسات الدقيقة ، والجهود المخلصة ، والإمكانيات والوسائل الحديثة لتستخدم في هذه الدراسات »^(٩) . بل لقد قيل في شأن علم التجويد إن « المعاصرين كثيراً ما يتحفظون فيه ، وكذا أهل الأداء ، ومن انتسب إليهم ، فإن العناية اليوم بالتحقيق ضعيفة خاصة في هذا الميدان حتى صار من الصعب الوثوق بمجرد بقرّر حكماً حتى يثبت مرجعه واتصال منته »^(١٠) .

وقد أشرت آنفاً إلى أن أهم الظاهرات الصوتية التي تحظى بعناية فائقة في علم التجويد ما أطلق عليه في كتب هذا العلم « أحكام النون الساكنة والتنوين » و« أحكام الميم الساكنة » ، وأظنني لا أجد عن الصواب إذا قلت إن علم التجويد يقوم على درس صوتي عام ودرس خاص لصوت النون والميم وتنوعاتها Allophones في السياقات الصوتية المختلفة ، ثم تفصيل لمقادير المد لأصوات العلة الطوال في سياقات مختلفة كذلك

ولقد دفعني إلى أن أتناول بالبحث موضوع النون بين علم التجويد وعلم التشكيل الصوتي Phonology ملاحظته في الأعرام الخمسة الأخيرة من اختلاف أداء قراء القرآن لهذا الصوت في بعض تشكيلاته ، وبصفة خاصة ما أسماه علماء التجويد بالقلب وبالإخفاء ، ثم مائسته من خلال مناقشة بعض دارسي التجويد بمعانيه من أنهم يفهمون الإخفاء فهماً لفظياً يبعد به عن معناه الفني ، وما

عانيته من غموض تعريفه الاصطلاحي في الكتب المتوارثة من حيث المادة والعرض والصياغة ، بالإضافة إلى النقصور البالغ في تناول هذا الموضوع ، وملاحظته من وجود اختلاف بين أداء القراء الحاليين وأداء القراء الكبار منذ خمس وعشرين سنة فما فوقها ؛ بل إن الاختلاف ملحوظ بين أداء القارئ الواحد في نحو تلك الفترة التي أشرت إليها وأدائه في الوقت الحالي ، وبين أدائه فيما يُعرف « بالترتيل » وأدائه فيما يُعرف « بالتجويد » فيما يخص ذلك الصوت اللغوي^(٦) .

الوصف الصوتي للنون :

حدد مسيريه موضع نطق النون في حديثه عن مخارج الحروف قال : « ومن طرف اللسان بينه وبين ما تؤولق الشايبا مُخرج النون »^(٧) . وذكر أهم خصائص النون في موضع آخر . قال : « ومنها - أي الحروف - حرف شديد يجرى معه الصوت لأن ذلك الصوت غُثَّة من الأنف ؛ فإنما تخرجه من أنفك واللسان لازم لموضع الحرف ، لأنك لو أمسكت بأنفك لم يُجرِ معه الصوت ، وهو النون ، وكذلك الميم »^(٨) وأشار في موضع آخر إلى وجود الفتنه مع النون والميم^(٩) .

ونجد مثل هذا لدى الرضوي ولكن بصورة أوضح ، قال : « والحق أن

(٦) يمكن ملاحظة ذلك بمقارنة تسجيلات القراء محمد رفعت - عبد العظيم زاهر - عبد الفتاح العثماني - منصور الشامي الدمشقي - محمد هريد الشاذلي - هل حرمي - عبد الرحمن النجدي - كامل يوسف النجدي ، وكل هؤلاء من كبار القراء المصريين وقد تولوا مدائحهم عديدة ، بتسجيلات بعض القراء الحاليين من مثل : أحمد بديع - عبد العاطي زائف الشحات محمد أنور . ومقارنة التسجيلات التي ترفع يد ماقبل ظهور المصحف مرضى بما بعد ظهوره لكل من : محمود خليل المصري ، ومحمد صادق الشاذلي ومقارنة التسجيلات المنقولة بالنزلة للقارئ محمود علي البنا .

(٧) سيوه - الكتاب ١٠٥/٢ ط بولاق

(٨) السابق : ١٠٦/٢

(٩) السابق ١٠٥/٢

يقال : إن لتون مخرجين : أحدهما في الفم ، والآخر في الخيشوم ؛ إذ لا بُدَّ فيها من الغُنة»^(١٠) .

هذا الوصف الذي قرره لغويو العربية القديمة هو نفسه عند علماء التجويد ، فهم يحددون موضع نطق التون بأنه « طرف اللسان مع التصاقه بأصول الثنايا العليا »^(١١) ويضيفون إلى ذلك « صفة » راجعة إلى مخرج آخر للتون وتشاركها فيها الميم ، هذه الصفة هي « الغُنة » ومخرجها الخيشوم ، وهي صفة لازمة للتون وللميم ؛ تحركتا أو مكنتا ، ظاهرتين أو مخففتين أو مدغمتين»^(١٢) .

ولا يعد هذا الوصف عما نجده في كتب الدرس الصوتي الحديث من وصف التون ؛ فالتون : صامت مجهور لثوي أنفي Voiced alveolar nasal consonant^(١٣) وهذا يمثل الوصف العام لتون الرئيسي .

تنوعات التون Allophones .

أما وصف تنوعات صوت التون في السياقات المختلفة أي الصور التي يتشكل بها حين يجاور أصواتاً لغوية بأعيانها فإننا نجد شيئاً من ذلك لدى علماء اللغة العربية - وخصوصاً في كتب الصرف - إذ ترد إشارة إلى « الحروف التي هي فروع وأصلها من التسعة والعشرين حرفاً التي هي أصوات العربية ، وهذه الحروف الفروع كثيرة يؤخذ بها وتشتغل في قراءة القرآن والأشعار » ويُذكر من بينها « التون الخفية وهي التي تليها أصوات الفم »^(١٤) .

(١٠) الرضى : شرح الشافية تحقيق نور الحسن وزميله - التجارية ١٩٣٩ ج ٣/ص ٢٧٢ .

(١١) عبد العزيز بن عبد الفتاح القاري : قواعد التجويد ص ٣٣ .

(١٢) شلاط القاري : الشح الفكرية شرح المقدمة الجوزية ط المجلس ١٩٤٨ ص ٤٤ .

(١٣) طالعرج : علم الأصوات تعريب د. عبد الصبور شاهين مكتبة الشب القاهرة ١٩٨٦ ص

١٢٣ ، د. أحمد محار مصر : دراسة الصوت للقرى الطبعة الأولى ١٩٧٦ ص ٢٧٠ Daniel

Jones : An outline of English Phonetics, Cambridge University Press, 1980, p.169.

(١٤) سيويه ١٠٤/٢ ، الرضى شرح الشافية ٢٥٤/٣ .

وترد إشارة أخرى إلى إبدال النون أو قلبها ميماً « والميم تكون بدلاً من النون في غير وثناء إذ سُكِّتَ وبعدها باء »^(١٦٦).

وتذكر صورة ثالثة هي حمة الإدغام إذا تلاها صوت من الأصوات الآتية : الراء ، واللام ، والواو ، والياء ويكون إدغام النون في هذه الأصوات بعثة أو بغير عثة^(١٦٧).

وتدغم في الميم بعد أن تقبب النون ميماً ، وتدغم النون مثلها ، ولا تفك الغنة حينئذ بالطبع . وإن وجدت بضع كلمات لم تُدغم فيها النون في الواو أو الياء أو الميم من أجل أمن اللبس كما في : صَيَّوَان ، بَيَّان ، رُثَمَاء^(١٦٨).

والصورة الرابعة في واقع الأمر تمثل الصورة الأساسية لقوانين النون « وتكون مع المهمزة والهاء ، والعين والحاء ، والغين والخاء بينة ، موضعها من الميم »^(١٦٩).

هذه التووعات الأربعة Allophones التي يتحقق فيها صوت النون تبعاً للسياقات المختلفة التي يرد فيها تناولها علماء التجريد بالشرح والسط ، وأفردوا لها في كتبهم باباً خاصاً هو أحكام النون الساكنة والتنوين ، ويوضح فيما كتبوا أنهم عالجوا المادة الصوتية المتحققة في الواقع العمل علاجاً لغوياً مماثلاً لما قدمه الفريسيون الأوائل ، وربما كان مرد هذا التماثل إلى أن المشهورين من القراء كانوا علماء بالعربية ، وأن المفويين الأوائل كانوا على معرفة جيدة بالأداء القرآني ، فمن الفريق الأول : أبو عمرو بن العلاء ، والكسائي ، ومن الفريق الآخر : أبو الأسود الدؤلي ، وأبو علي الفارسي ، وأبو الفتح ابن جني .

لذلك وجدنا كتابات علماء التجريد تناول تلك التفصيحات الأربعة التي تمثل تنوعات صوت النون بما يشبه شيئاً قوياً تناول كتب علماء العربية للقفازة نفسها واستخدم فيها معظم المصطلحات التي وردت لدى علماء العربية :

(١٥) سبويه : ٣١٤/٢ ، ٤١٢ ، ٤٢٧ ، شرح الشافعي للرضي ٢١٥/٣ - ٢١٦

(١٦) سبويه ٤١١/٢ .

(١٧) سبويه : ٤١٥/٢ ، قلان : صَيَّوَان ، من وَاو ، رُثَمَاء ، إلخ .

(١٨) سبويه : ٤١٥/٢ .

الإدغام ، وقلب ، والإخفاء . ولعل مصطلح الإظهار وحده من استعمال علماء التجويد خاصة ليحل محل مصطلح « الياء » لدى نجدده عند سيويه^(١٩) ، ولعله قد روعي فيه أن يكون مقابلاً للإخفاء .

النون الساكنة والتنوين عند علماء التجويد

كتب التجويد - عل وجه الإجمال - لا تقدم تعريفاً واضحاً لكل مصطلح من المصطلحات الأربعة المذكورة آنفاً : الإظهار - الإدغام - القلب - الإخفاء ، ولعل ذلك يرجع إلى أن المؤلفين قد اعتمدوا على أن قراء كتبه يدركون المقصود بتلك المصطلحات الفنية بصورة ما .

١ - الإظهار :

الإظهار عند علماء التجويد : « إخراج الحرف من مخرجه بنبر غنة (٢) ، أى النطق بالنون وتحقيقها من مخرجها وبحرف الإظهار من مخرجه (٢) مع الفصل بينهما وإيضاح كل منهما مع الاحتراس من الغنة في النون (٢) »^(٢٠) . فتجب الغنة في هذا التعريف أمر مستغرب ، ولكن يمكن تفسيره بأن المقصود بالغنة التي يُحترس منها هنا إنما هو إطالة زمن الرنين الأنفي المصاحب لنطق النون^(٢١) .

وقد اخترت هذا التعريف من بين تعريفات كتب التجويد لما فيه من زيادة وتفصيل بالنص على « النطق بالنون وتحقيقها من مخرجها (= طرف اللسان مع أصول الشايب العليا) وبحرف الإظهار (= الصوت التالى للنون وهو من أصوات الحلق الستة) مع الفصل بينهما » (وهذا هو الجديد في تعريف الإظهار لدى كتب التجويد) .

(١٩) سيويه : ٤١٥/٢ .

(٢٠) عبد العزيز عبد الفتاح القارى . قواعد التجويد ص ٦٠ .

(٢١) د . إبراهيم أنيس : الأصوات النغمية مكتبة الأنجلو ط ١٩٨٧ ص ٧٣ .

٢ - الإدغام :

والإدغام عندهم هو « إدخال حرف الأول في حرف ثاني حيث يصير حرفاً واحداً مشدداً »^(٢٢) . أو هو « نطق بالحرفين كأنهما مشدداً »^(٢٣) .

والشريفان في رأيي يقتصران على الدقة ، فالإدغام ليس إدخال صوت في صوت ، وليس نطق صوتين ، وإنما هو إطالة الزمن الذي يستغرقه نطق صوت بعينه مصحوباً بالفتحة أو غير مصحوب بها وهو في معظم الأحوال الصوت التالي للنون فهو الراء أو اللام يغير الفتحة ، والواو أو الياء مع الفتحة ، ثم هو الميم ولانفارتها الفتحة طبعاً ، أما نطق نونين متواليين فهو كذلك امتداد زمني أو مضاعفة ، وهذا الأخير يمكن أن أخصه بالتضعيف Gemination دون الإدغام Incorporation ، إذ الإدغام في رأيي يتميز أن موضع النطق فيه إنما هو موضع نطق الصوت التالي للنون ، والتضعيف إنما هو نطق النون من موضعه في زمن أطول^(٢٤) ، ويندرج هذا تحت ماسماه علماء التجويد إدغام المتأخرين^(٢٥) .

وقد ميز علماء التجويد صورتين من الإدغام :

أ - إدغام كامل بغير فتحة ، وهذا يتحقق إذا ولّى النون صوت الراء أو صوت اللام ، وهذا يعني نطق كل صوت منهما من موضعه في زمن أطول من زمن نطقه في غير حالة الإدغام ، دون أن يصحب نطقه زين أنفي ، أي أن سقف الحنك اللين يكون مرتفعاً فلا يمر الهواء داخل تجويف الأنف = الخيشوم .

ب - إدغام ناقص أي مصحوب بفتحة ، وهذا يتحقق إذا تلا النون صوت الواو أو الياء (في غير الكلمات المستثناة) ، وفي هذه الحالة ينطق الواو أو الياء وقد انخفض سقف الحنك اللين بحيث يسمح بمرور جانب من تيار

(٢٢) عبد العزيز القاري : قواعد التجويد ص ٦١ .

(٢٣) د. عل محمد توفيق سحاس : الوجوه في أحكام تلاوة كتاب العزيز مكتبة الآداب ص ١٢ .

(٢٤) د. إبراهيم أنيس : الأصوات الشعرية ص ٦٤ .

(٢٥) عبد العزيز القاري : قواعد التجويد ص ٦٢ .

الهواء في تجويف الأنف فيسمع الرنين الأنفي مصاحباً لصدور صوت الواو أو الياء^(٢٦) . وقد عبر د. إبراهيم أنيس عن ذلك بأن الصوت الصادر حينئذ هو « ياء أنفية ، أو واو أنفية »^(٢٧) ، ورمز لها د. محمود السمران بهذين الرمزين $\tilde{w}$ و $\tilde{a}$ ^(٢٨) .

وأدرج علماء التجويد تحت الإدغام الناقص حالة ورود صوت الميم تالياً لصوت النون ، ولابد من إيضاح حدوث أمرين :
الأول : هو عدم نطق صوت النون من موضعه المعتاد .
الثاني : هو عمل الشفتين المتوط بهما صوت الميم ، بأن يحدث إغلاق تام للشفتين مع هبوط سقف الحنك اللين ومرور تيار الهواء في تجويف الأنف ، وهنا يكون صوت الميم ، ويُلاحظ مع هذا إطالة زمن النطق .
فكأن الأمر تضمن قلباً للنون إلى ميم أو بدلاً ، ثم تضعيفاً للميم .
ولا ينفك الرنين الصادر من التجويف الأنفي من هذا الصوت .

والملاحظ أنه لم يرد في العربية في كلمة واحدة نون ساكنة بعدها لام أو راء . وأنه إذا ورد في كلمة واحدة نون ساكنة بعدها واو أو ياء لم تطبق قاعدة الإدغام . وفي بعض الكلمات التي التقى فيها نون ساكنة بعدها ميم طبقت قاعدة الإدغام كما في صيغة « انفعل » من م ح و ، ومن م ي ر ، وأظهرت النون فيها سواها ، كإف : عنوان ، ألوال ، ألوار ، ألور ، يتوال ، صنوان ، قنوان ، دُنيا ، بُيان ، أعمار ، أنماط ، رُثماء ، رُثم .

٣ - القلب

القلب عند علماء التجويد مصطلح خاص بحالة واحدة ، ويطلقون عليه في بعض الأحيان الإقلاب . ويتناول علماء الصرف ضمن الإبدال . وهذه الحالة

(٢٦) ابن القاصح - سراج القاري - فنندى ط مصطفى فهمي ١٣٢١ هـ القاهرة ص ٩٨

(٢٧) د. إبراهيم أنيس - الأصوات اللغوية ص ٧٢

(٢٨) د. محمود السمران - رسالة دكتوراه بالآلة الكاتبة ص ٨٢ Critical Study قدمت إلى معهد

الدراسات الشرقية والإفريقية بجامعة لندن بولن ١٩٥١

تمثل في أن على النون باء ، فقلب النون حينئذ « ميم » خالصة من غير إدغام ، ولابد من إظهار العُنة مع ذلك ، فيصير في الحقيقة إخفاء للميم المقلوبة «^(٢٩)» . وهذا يتضمن عدة خطوات :

الأولى : عدم نطق النون من موضعها .

الثانية : إغلاق الشفتين إغلاقاً تاماً مع هبوط سقف الحنك اللين ، ومرور تيار الهواء من تحريف الأنف ، وهذا يتج الميم بما يميزها من عُنة .

الثالثة : استمرار إغلاق الشفتين مع ارتفاع سقف الحنك اللين ، وهذا استعداد لإنتاج صوت الباء فور إزالة إغلاق الشفتين واندفاع تيار الهواء من تحريف الفم إلى الخارج .

والخطوتان الثانية والثالثة تمثلان اتصالاً مستمراً لإنتاج صوتي الميم والباء وهذا يشمل القلب والإخفاء ، والمقصود بالإخفاء عدم الفصل بين مرحلتى إنتاج الميم والباء بإغلاق الشفتين ، فهاتان المرحلتان يتصل فيهما إغلاق الشفتين تماماً ، وهذا ملوح به والد ابن الباذن فيهم الإخفاء فهو يراه « انطباق الشفتين على الحرفين انطباقاً واحداً »^(٣٠) بل لقد سمى بعض القراء هذا الأداء إظهاراً^(٣١) وهو اختلاف في العبارة ليس غير . قال ابن الباذن : « وقال لي أبو الحسن ابن شَرِيح فيه بالأظهار ولفظ لي به فأطبق شفتي على الحرفين إطباقاً واحداً »^(٣٢) . وأشار إلى إجماع القراء على « إبدال النون والتنوين ميماً قبل الباء ... قلباً صحيحاً »^(٣٣) ولكننا نجد من يحلر من إطباق الشفتين عند النطق بالميم حال إخفائها^(٣٤) .

(٢٩) السفاهي : غيث الفصح جاش : ابن القاصح : سراج القاري ص ٢٩ .

(٣٠) ابن الباذن : الإقناع في القراءات السبع تحقيق عبد المهد لطاش ط : جامعة أم القرى مكة ١٤٠٣ هـ - ١٩٨١ م .

(٣١) ملا علي القاري : المنح الفكرية ص ٤٤ .

(٣٢) ابن الباذن : الإقناع ج ١ ص ١٨٠ .

(٣٣) ابن الباذن : الإقناع ج ١ ص ٢٥٢ .

(٣٤) الشيخ عامر السيد هلال : كيف نزل القرآن - دار ابن بطون بيروت - ١٩٨٦ م ص ٦٣ - ٦٤ .

هذا هو المصطلح الذي عجزت عبارات علماء التجريد عجزاً تاماً عن إيضاح المقصود منه ، فتحريفه الذي يتردد في معظم كتبهم أنه : « حال بين الإظهار والإدغام »^(٣٦) ، أو هو « النطق بالنون والتنوين بصفة بين الإظهار والإدغام ، بلا تشديد ، مع بقاء اللّنة »^(٣٧) ، أو هو « إخفاء الحرف الأول في الحرف الثاني مع بقاء صفة اللّنة »^(٣٨) .

وقالوا إن الإخفاء إنما يقع للنون والتنوين قبل خمسة عشر حرفاً (= صوتاً) هي أصوات الفم واللسان^(٣٩) : ت ، ث ، ج ، د ، ذ ، ز ، س ، ش ، ص ، ض ، ط ، ظ ، ي ، ك ، ثم صوت تشترك فيه الشفة السفلى مع الشاهما العليا وهو الفاء .

وقد حاول مؤلف معاصر إيضاح أداء الإخفاء بقوله : « خلطنا بعض النون (٩) في الحرف الذي بعدها ، وأبقينا بعضها ظاهراً في النطق (٩) وحرصنا على إظهار صفتها التي هي اللّنة ، ولذلك فإنك إذا نطقت بالنون الخفأة فإنك تنطق بها من الخيشوم ، فلا يرتفع اللسان بمخرجها ، ولا يلتصق بأصول الشاهما »^(٤٠) .

وكل هذه التعريفات في واقع الأمر لا تجدي في تحديد معنى الإخفاء تحديداً علمياً ، فالصفة أو الحال التي بين الإظهار والإدغام ، وخلط بعض النون بما بعدها ونطق بعضها الآخر ، هذه البعوضة وتلك البنية مما يوصف بأنه غير دقيق ، وليس له معيار ولاضابط .

بل إن الإخفاء الذي يشيرون إليه فيما يخص النون والتنوين في هذه الحالة

(٣٥) ابن الجوزي : النشر ٢٧٠٢ التجويد - القاهرة - السقايش : تحت الفج يهمل سراج القاري ص ٩٩ .

(٣٦) ص ٢٢ ، ابن القاصح : سراج القاري ص ٩٩ .

(٣٦) د. حل محمد توفيق نحاس : الوحي ص ١٤ .

(٣٧) الفج عبد العزيز القاري : لمعة التجويد ص ٦٤ .

(٣٨) سبويه ١ : ١٠٤ ، ١ : ١٠٣ : لزمى : شرح الشاهما ٢٥١/٣ .

(٣٩) عبد العزيز القاري : لمعة التجويد ص ٦٥ .

الرابعة يبدو وكأنه إخفاء غير الندى يتحدثون عنه حين يذكرون إخفاء الميم المتقلبة عنهما في الحالة الثالثة (انقلب) وإخفاء الميم غير المتقلبة عنهما قبل الباء .

خلاصة ما عرضته هنا أن تعريفات تلك الأحوال عند علماء التجويد - وكذلك عند علماء الصرف - تعريفات غامضة . وأرى أن فهم مقصودهم إنما يكون بالتمام فيما يقدمه علم التشكيل الصوتي Phonology من وصف الصور المتنوعة التي تكون عليها الأصوات اللغوية .

النون في علم التشكيل الصوتي Phonology

يتناول علم التشكيل الصوتي وصف النظام الذي تتحقق عليه أشكال الأصوات اللغوية عندما تتجمع في صورة مجموعة كلامية ، وهذا النظام يمثل ارتباطات من نوع معين بين الأصوات Allophones المتخارجة في الوجود في الموقع الواحد إذا كانت تنتمي إلى صوت واحد Phoneme ، وغير المتخارجة إذا كانت تنتمي إلى صوتين أو أصوات مختلفة^(١٠) .

والمقصود بالأصوات المتخارجة أنه إذا وجد في لغة واحدة صنوان متقاربان فيما بينهما من الناحية السمعية أو النطقية ولا يتحققان مطلقاً في إطار صوتي واحد فإنهما يُعدّان تنوعين تركيبين لوحدة أصواتية واحدة^(١١) . وهذا ما يُعبّر عنه بمصطلح Allophone ، وهذا ما يهيم في هذا البحث ، ففي العربية « نونات » تتحقق بأشكال متقاربة ولكنها مختلفة، ولا يخلّ شكل منها محل شكل آخر في إطار صوتي واحد ، ولو حدث هذا قسراً - كأن تُنطق النون الساكنة قبل الباء مظهرة ولا تُقلب ميماً - لم يتغير المعنى وإن حُكِم على هذا الأداء بأنه مجازب للصواب ، وكل هذه النونات ماهي إلا تنوعات أو أعضاء في عائلة صوت النون^(١٢) .

(١٠) د. حلم حسان : منابع البحث في اللغة بشرة دار الثقافة - القاهرة - ١٩٧٩ ، ص ٦٥ .

٦٦

(١١) برنيل هالبرج : علم الأصوات تعريب د. عبد الصبور شاهين ص ٢٣٩ - ٢٤٠ .

بهذا التصور يمكن فهم الحالات الأربع من رصدها علماء العربية بعامة وعلماء الصرف بخاصة وسجلها علماء التجويد وأطلقوا عليها اسم أحكام النون الساكنة والتنوين ويمكن أن تنضم إليها حالة من حالات الميم الساكنة .

والفكرة الأساسية التي يمكن في ضوءها فهم الأحكام السابقة هي ما يسمى ظاهرة المماثلة Assimilation ، وقد عرّفها بعض علماء اللغة من الأوربيين المحدثين بأنها « التعديلات التكميلية للصوت بسبب مجاورته لأصوات أخرى »^(٢١) ، وعرّفها آخرون بأنها « تحول القويمات المتخالفة الى مماثلة ؛ إما تماثلاً جزئياً ، وإما تماثلاً كلياً »^(٢٢) .

وهذه الظاهرة تفسر ثلاث حالات هي : الإدغام - والإخفاء - والقلب أما الإظهار فلا يحتاج في تفسيره إلى هذه الظاهرة ؛ فإن اجتماع النون الساكنة أو التنوين وأصوات الحلق لا يؤدي بالضرورة إلى حدوث ظاهرة المماثلة .

وظاهرة المماثلة أحكام عامة يمكن أن تنطبق على أية لغة على وجه الأرض^(٢٣) ، والذي يهم من هذه الأحكام أن المماثلة قد تكون من حيث موضع النطق ، وقد تكون من حيث طريقة النطق^(٢٤) ، وقد تكون من الجهتين معاً :

فالإدغام التام مع صوتي الراء واللام مماثلة من الجهتين ؛ ففيه يحدث تغير في موضع النطق بأن ينتقل موضع النطق للصوت المضاعف إلى موضع نطق الراء أو اللام ، فهذه مماثلة من حيث موضع النطق ، وفيه تختفي الصفة المميزة لصوت النون وهي الغنة ، فهذه مماثلة من حيث طريقة النطق .

والإدغام الناقص مع صوتي الواو والياء هو مماثلة من حيث موضع النطق ، ففيه تبقى الغنة وينتقل موضع نطق النون الى موضع نطق كل من هذين الصوتين .

(٢١) Brosnahan, L.F. & Malmberg, B.: Introduction to Phonetics, Cambridge, 1970 p.132

نقلا عن : د. أحمد مختار عمر : دراسة الصوت النحوي ص ٢٢٤ .

(٢٢) نقلا عن : د. أحمد مختار عمر : السابق ص ٢٢٤ Nida, E.A.: Morphology, p. 23

(٢٣) د. أحمد مختار عمر : دراسة الصوت النحوي ٢٢٥ الحاشية ١ .

(٢٤) السابق ٢٢٥

والإدغام مع الميم مماثلة من حيث موضع النطق ، ومثله القلب قبل الباء ؛
ففيهما ينتقل موضع نطق النون إلى الشفتين بإعلانهما مع بقاء الغنة ؛ فتصير
النون مماثلة للميم ويمتد زمن النطق بالميم فيصير ذلك إدغاماً ، أو تحذف الغنة بعد
نطق الميم ليبدأ نطق الباء فيصير ذلك قلباً . وقد أطلق على تواصل عمليه نطق
الميم ثم الباء دون إرالة إغلاق الشفتين بين الصوتين اسم « الإخفاء الشفوي
للميم » قبل الباء ؛ وهذه التسمية ههنا في واقع الأمر تحصيل حاصل أو هي
زيادة في الحرص على دقة الوصف .

أما الإخفاء الذي يُطلق عليه اسم « الإخفاء الحقيقي » فهو مماثلة من حيث
موضع النطق ؛ فإن الغنة باقية ، ولكن ينتقل موضع نطق النون إلى موضع
نطق الصوت التالي لها .

وقد أشار علماء التجويد إلى أن للإخفاء مراتب ، وأن إخفاء النون الساكنة
والتوئين على قدر قرب مخرجهما من مخرج الصوت التالي لهما^(١٦) .

فأبعد مراتب الإخفاء مع القاف والكاف ، وأقربها مع الطاء والذال والراء ،
وماعداً ذلك ففي مرتبة متوسطة مع ملاحظة أن الإخفاء مع بعض أصوات
تلك المرتبة يكون أقرب منه مع غيرها^(١٧) .

وواضح من الإشارتين الأخيرتين أن موضع نطق النون المخففة ينتقل إلى
موضع نطق الصوت الذي يليها ، بل إن الأمر يتجاوز الانتقال في موضع النطق
إلى أن يصير صوت النون المخففة وقد اكتسب صفات الصوت التالي
وخصائصه ؛ فإذا تلاه صوت من الأصوات المفخمة صار صوت النون المخففة
مفخماً ، وهذه الأصوات هي : ص - ض - ط - ظ - ق^(١٨) ، ولا يدخل
الحاء والغين لأن النون معهما حكمه الإظهار .

وهذا الذي أذهب إليه إنما هو مثال لتحقيق إحدى قواعد علم الفونولوجيا ،
وهي التي تتضمن أن السواكن الثغائية تتخذ موضع النطق الخاص بالسواكن

(١٦) السقاوي : ثبت التمع بياض : مراج القاري المندى لأبي الفاضل من ٢٣

(١٧) الشيخ جبر طرمة : رسالة سعد وسعد في أحكام التجويد من ١٥ - الإسكندرية دون تاريخ

(١٨) د. علي محمد توفيق النحاس : الوجر من ١٥

تتلى عليها ، وهذا نوع من المعاملة ، وقد سميت هذه القاعدة « قاعدة بطن الساكن الأغصن من موضع بطن الساكن مثل »^(٥٠) وهي في العربية تنطبق على بطن النون الساكنة وحدها ، مع استثناء الحركات التي يكون فيها الصوت التالي للنون صوتاً حلقياً^(٥١) . ومع تطبيق القاعدة على معظم مواقع النون سواء أكانت في داخل الكلمة أم في نهايتها أم في صورة نون ، وإخراج الألفاظ المذكورة آنفاً من مثل : الدنيا - البنيان - الأنوار - الصوان .

ول الحق أن علماء العربية القدماء وعلماء التجويد كانوا يصلحون عن وعي وإدراك لصورة من فهم هذه القاعدة في تلويحهم لأحكام النون الساكنة والتنوين ، ولكن جاءت تعريفاتهم اللفظية قاصرة عن أن تنفي بامضاح ملوثر في معرفتهم وطبقوه أداء وتلقياً وتدريباً لتلامذتهم .

ونج من قصور التعريف اللفظي أن فهم بعض المتأخرين وبعض المعاصرين الإخفاء فهماً مخالفاً لما يعنيه المصطلح ، وقد اتضح هذا في موقعين :
الأول : مانه إليه الشيخ البنا الديماطي صاحب كتاب « إتحاف فضلاء البشر في قراءات الأربعة عشر » وهو من علماء القرنين الحادي عشر والثاني عشر للهجرة (توفي عام ١١١٧ هـ) من وجوب احتراز القلوي « من إلصاق اللسان فوق الثنايا عند إخفاء النون ؛ فهو خطأ ، وطريق الخلاص منه نفاي اللسان قليلاً عند ذلك »^(٥٢) دون تعيين الأصوات التي يلزم معها هذا .

الثاني : ماذهب إليه بعض مدرسي التجويد المعاصرين من التحذير من إغلاق الشفتين عند النطق بالهم قبل الباء سواء أكانت الهم مفتحة عن النون أم لم تكن كذلك^(٥٣) .

(٥٠) "Within a word, a nasal consonant assumes the same place of articulation as a following consonant."

Fromkin, V.&Rodman, R. An Introduction to Louguege, 2nd.ed Holt, Rinehart, & Winston, 1978, p.119.

(٥١) الديماطي : إتحاف ص ٢٠ .

(٥٢) السابق ص ٢١ .

(٥٣) الشيخ عامر السيد عثمان : كيف تلى القرآن ص ٦٣ - ٦٤ ، حسن شيخ عثمان : من التلاوة ص ١٠٥ ، الدكتور علي محمد توفيق الحارس : الوجه ص ٣ .

وقد جاء هذا فيما أرى - من فهم لغظى للإخفاء وتعريفه ، فقد ضل هؤلاء جميعاً أن الإخفاء يعنى إبطال عمل أعضاء النطق التى تشارك في إصدار صوت النون أو الميم أعنى اللسان والشففتين .

وأرى أن ما ينتج بهذه الصورة يكون أقرب إلى أصوات الغنة الغشاء nasalized vowels منه إلى الساكن الأخرى nasal consonant إذ إن تمرير الهواء من الأنف والقم يكونان بغير عائق أو تضيق في موقع معين في تجويف القم أو الشفتين ، وهذا هو عين ما حذر منه الشيخ البنا الدمياطى نفسه حيث قال : « يجب على القارئ أن يحرص من المدة عند إخفاء النون في نحو : كنتم ... وكثيراً ما يتساهل في ذلك من يبالغ في الغنة فيقول منها واو وباء فيصير اللفظ كونتم ... وهو خطأ قبيح ونحريف » (٥٣) .

والذى يصحح فهمهم ذلك ويرد التحذيرين المذكورين قبل إلى الصواب هو فهم ظاهرة المماثلة التى تتحقق عند نطق أصوات الغنة غير المتلوة بحركة (أى : الساكنة) فقاعدة المماثلة - كما قدمت - تقوم على أن موضع نطق الصوت الأخرى ينتقل إلى موضع الصوت الساكن التالى له . وتشمل هذه المماثلة ماسمى علماء التجويد إخفاءً وإدغاماً وقلباً .

وعلى هذا أرى أن يُقيد الاحتراز الذى نه عليه الشيخ الدمياطى بأن الحالات التى يتجاف فيها طرف اللسان عن أن يتصل بموضع نطق النون من اللثة والثنائيا العليا لتشمل الحالات التى يكون فيها الصوت التالى للنون أحد أربعة أصوات : التاء والذال ، ونظيريهما المطبقين الطاء والضاد (في صورتها المعاصرة) إذ لا بعيد عن اتصال طرف اللسان بموضع نطق كل واحد من هذه الأصوات الأربعة حال إخفاء النون . وقد سبقت الإشارة إلى أن النون المخففة تكتسب الإطباق بتأثير الأصوات المطبقة التالية ، وبدون اتصال طرف اللسان بموضع نطق الطاء أو الضاد يتعسر - بل يتعذر - إنتاج صوت النون المخففة متلوة على الفور بأحدهما ، إلا إذا تكلف القارئ وأجهد عضلات الفك السفلى

(٥٣) البنا الدمياطى : الإخفاء ص ٢١

واللسان أيهما إجهاد ، وليس كذلك الهدف فتوحى من مماثلة ، ولا من علم التجويد نفسه . وأزعم أن ما يسمع من الغراء المحلّية ليس هو الإخفاء المقصود .

وأرى كذلك أن ما ذهب إليه الشيخ عامر عثمان والدكتور محمد على توفيق النحاس وغيرهما من عدم إغلاق الشفتين عند نطق الميم قبل الباء لا يتج عن قلب النون ميماً ، ولا تحقق الميم ، ولا كونها غمقة ، أى أن إبقاء الشفتين متباعدتين ينفوت كل ذلك فلا يكون ما نصّ عليه علماء العربية وعلماء التجويد مما عُرف باسم القلب أو الإبدال .

بقي أن أعرض للجهود من أمكنى الاطلاع على أعمالهم من الأساتذة المعاصرين الذين درسوا وتحصصوا في جوانب من علم اللغة وأفادوا من المعطيات الحديثة لفروع علم اللغة الحديث ، وبخاصة علم الأصوات اللغوية ، فقدموا شيئاً من ملاحظاتهم تتعلق بالظاهرة التي تناولتها هنا .

١ - منهم الأستاذ الدكتور إبراهيم أنيس في كتابه « الأصوات اللغوية »^(٥٢) ، وأرى أنه قد فصل القول في هذا الموضوع وكاد ينص على أن الإخفاء والقلب يمثلان صورتين من صور المماثلة ، فقد أشار إلى أن الإخفاء هو إطالة غنة النون مع « ميل النون إلى مخرج الصوت المجاور لها »^(٥٣) ، وإلى أن القلب هو « انتقال النون من مخرجها إلى مخرج الباء » ، « فاستبدل بالنون صوت نظير لها في المخرج الجديد ... هو الميم »^(٥٤) . وأما حديثه عن الإدغام فإنه لا يتضح منه أنه يراه مماثلة ، ولقد كان تفسيره له حرياً بأن يؤدي إلى تلك النتيجة ، لكنه لم يفعل^(٥٥) .

٢ - والدراسة التالية لملاحظات الدكتور إبراهيم أنيس هي الدراسة القيمة التي كتبها الدكتور محمود السمران في بحثه الذي نال به درجة الدكتوراه من

(٥٢) د. إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، ط ٢ ، نشر مكتبة النهضة مصر ١٩٥٠ .

(٥٣) السابق ، ص ٦٧ ، ٦٨ .

(٥٤) السابق ، ص ١٢١ .

(٥٥) السابق ، ص ٦٨ .

جامعة لندن عام ١٩٥١ وفيها بصرح أن الإخفاء إنما هو انتقال موضع نطق النون إلى موضع نطق النصوص التالي ، واستعمل لهذه الظاهرة كلمة "homorganic" ، وقدم اثني عشر رمزاً كتابياً تمثل فونيمات النون المخففة بحسب موقعيتها^(٥٨) ، وانتهى كذلك إلى أن القلب يمكن أن يدخل تحت الإخفاء لصور النون في صورة الميم عندما تليها الياء ، وأشار إلى أن بعض علماء التجويد قد استعملوا كلمة « الإخفاء » للتعبير عن « القلب أيضاً »^(٥٩) لكنه لم يشر إلى أن ذلك كله صور من المجاننة ، بل إنه في تناوله لإدغام النون استخدم كلمة "incorporation" وكلمة "doubling"^(٦٠) .

٣ - وتناول الأستاذ الدكتور تمام حسان تنوعات نطق صوت النون تناولاً متفرقاً في كتابه « مناهج البحث في اللغة » (طبعته الأولى في عام ١٩٥٥) ، دون أن يربط بتفصيل وإيضاح بين تناول الصوت الحديث وماقدمه علماء اللغة وعلماء التجويد في التراث العربي ، بل لقد كان في تقسيمه لمواقع النون بعض خلاف لما في كتبهم ؛ فقد قدم الوصف الأصواتي (الفونولوجي) لسبعة من تنوعات النون Allophones تتوزعها ظاهرة الإخفاء ، ووقع في تناوله للظاهرة بعض خلط بين الإخفاء والإدغام بغنة ، وفي التمثيل لذلك ، وفي ضم بعض الأصوات إلى بعض حيث كان الأفضل تناول كل طائفة على حدة ؛ إذ إنه ضم الياء إلى الشين والجيم^(٦١) ، في حين أن للنون قبل الياء تشكلاً صوتياً غير ماها مع الشين والجيم . وسوى بين صوتي النون والميم إذا تليهما الفاء وقال إن الصوت الناتج في الحائتين « يسمى القراء إدغاماً

Mahmoud El-Saaran: A Critical Study of the Phonetic Observations of the Arab (٥٨) Grammarians. p67,84.

رسالة دكتوراه غير منشورة - قدمت إلى معهد الدراسات الشرقية والأفريقية عام ١٩٥١ . وهي مخرطة بكتابة كلية الآداب جامعة الإسكندرية برقم ٧٩س .

(٥٩) السابق ص ٦٧ .

(٦٠) السابق ص ٦١ ، ٦٣ ، ٦٧ .

(٦١) د. تمام حسان : مناهج البحث في اللغة : ط ٢ دار الثقافة - الدار البيضاء - ١٩٧٩ ص

بغية «^(١٢١)»، والأمر ليس كذلك ، فهم يوحون بظهور الحرف قبل الفاء ،
وحدروا من إخفائها ، ويسمونها بـ «تتول قبل الفاء إخفاء» .

٤ وتناول هذه الظاهرة كذلك الأستاذ الدكتور أحمد مختار عمر بإيجاز
شديد وفي عجلة أفقدت مداوله شيئاً من الدقة ؛ فقد تناول أحكام التول
المساكنة تحت عنوان «المساكنة الكاملة (الإدغام) : Complete Assimilation»^(١٢٢) وحدد التول بكونها متطرفة (ومثلها التوسين)^(١٢٣) .
ولاشك في أنه على صواب حين جعل العنوان يتضمن كلمة «المساكنة» ،
ولكن تقيدها «بالكاملة» وتسميها «بالإدغام» لا ينطبق إلا على بعض
أحكامها ، وكذلك تقيده التول بالمساكنة بكونها «متطرفة» في غير ضرورة
فإن الأحكام أو الدراسة تتناول التول بالمساكنة متطرفة وغير متطرفة . وفي
عرضه لظاهرة الإخفاء (وهو في سطرين) عبّر عن ذلك بأن التول «تطول» ،
وتميل إلى مخرج الصوت الذي بعدها «^(١٢٤)» وهذه عبارة الدكتور إبراهيم أنيس
مع فارق الزمن وهو قريب من ٢٨ عاماً ، وماتزال في حاجة إلى تدقيق .

أما الوصف الذي قدمه الأستاذ الدكتور عبد الصبور شاهين للأصوات
العربية فهو عرض موفق جمع فيه بين الوصف الفونولوجي الحديث والتفصيل
الذي قدمه علماء التجويد ، وخاصة في تعريف الإخفاء وتسميه ، ففيه
وضوح علمي وتحديد وبيان لكيفية أداء التول الخفية ، فالإخفاء هو نطق التول
«أنفية مع وضع اللسان موضع الحرف التالي لها بشكل متزامن»^(١٢٥) ، ولولا
أنه خص «اللسان» لكأن التعريف تام الدقة والكمال ؛ وقد كان يحسن أن
يقول : «مع اتخاذ أعضاء النطق الوضع الملازم لإصدار الصوت التالي» ، فإن
الفاء وحدها من بين الأصوات التي تُخفى قبلها التول لا يشترك اللسان في

(١٢١) السابق : ص ١٣٣ .

(١٢٢) د. أحمد مختار عمر ، دراسة الصوت الثنوي النغمية الأولى نودع عالم الكتب - القاهرة ١٩٧٦
ص ٣٣٢ .

(١٢٣) السابق : ص ٢٣٤ .

إصدارها . أما ماشرح به كيف يكون الإقلاّب فنرى جانب منه توقّف ، فإنه قال : « تحفى التون مع النطق بما يقرب الميم . (١) أو مع النطق بها ميماً ، ومع غة مصاحبة » (٢) . والتعبير « عما يقرب الميم » - على عده وضوحه - متأثر بتحدير بعض معلمى التجويد من أن يطلق القارى شفتيه عند القلب (٣) ، وصوت الميم لا ينتج بغير إغلاق الشفتين إغلاقاً محكماً .

-
- (٦٥) د. عبد الصبور شاهين (مترجم) : علم الأصوات تأليف : برتل ماليرج الفصل الخامس بوصف الأصوات العربية من ١٢٤ - نشر مكتبة الشباب القاهرة ١٩٨٦ .
- (٦٦) الشيخ عامر السيد عثمان : كيف يتلى القرآن ، من ٦٣ - ٦٤ .
والدكتور على محمد نوفل النحاس : الوحي من ١٣ ،
وحسنى شيخ عثمان : حلّ التلاوة من ١٠٥ .

? x : m : b : x : ?

? x : b : x : ?



كان ما انتهت إليه فيما سبق نتيجة لبحث النظرى فى علمى التجويد
 وتشكيل الصوت ، على أن معطيات كلا العنمين فى صورتها النظرية مستمدة
 من الملاحظات القائمة على الأداء العملى . وقد أضفت إلى ذلك تجربة عملية
 استخدمت فيها جهاز السونوغراف Sonagraph سعياً إلى الكشف عن الصورة
 المشاهدة الناتجة من أداء النون الساكنة المتنوعة بالياء (ظاهرة القلب) بشكلين
 مختلفين ، أحدهما : تُغلق فيه الشفتان إغلاقاً تاماً لطق الميم وتطلان كذلك إلى
 أن يتم نطق الباء بانفراجهما دفعة ، والآخر : لا تُغلق فيه الشفتان فى أول
 الأمر ؛ بل تصدر اللُغة من خلال التجويف الأنفى والشفتان غير مغلفتين ،
 ولكنهما تُغلقان لإنتاج الباء ثم تنفرجان .

وقد كانت صورتان مختلفتين للكلمة واحدة هي « آباء » ؛ إذ أظهرت
 صورة الأداء الأول تمثيلاً لصوت صامت Consonant (وهو هنا الميم) يسبقه
 ما يمثل فتحة الهزة ، ويلوه انقطاع يمثل وقفة الصوت الصامت الاحتباسى
 Stop (وهو هنا الباء) فى حين أظهرت صورة الأداء الآخر تمثيلاً بطابق ما ينتج
 من أداء صوت صامت vowel (وهو هنا يمثل أداء اللُغة والشفتان غير
 مغلفتين) لى اتصال بغير تميز بما يمثل فتحة الهزة ثم يلوه الانقطاع الذى يمثل
 وقفة الباء كما فى صورة الأداء الأول .

وبذلك صارت اللُغة ممثلة لحرف المذ (الألف) . والصورتان فى نهاية
 البحث .

وإذ أثبتت التجربة العملية وجود خلاف فى تغطى الأداء لظاهرة القلب ؛
 أذهب إلى أن الأداء الأول - بإغلاق الشفتين إغلاقاً تاماً فى أثناء نطق اللُغة ثم
 الباء - هو الأداء الصحيح ؛ فذلك ما انتهت إليه آنفاً ، وأن الأداء الآخر
 خطأ وأنه هو الذى عناه المدققون من علماء التجويد حين حذروا من

« المبالغة في إخفاء الحروف بحيث يشبه نطق » ، وعُدوا ذلك من « مبتدعات القراء » .

ومن التيجتين النظرية والعملية أطمئن إلى الحكم بأن الأداء الذي شاع في خلال الأعوام الخمسة الأخيرة ينطق الميم الساكنة قبل الباء بغير إغلاق الشفتين إغلاقاً تاماً يجب أن يتحلى عنه القراء ، وأن يلتزموا بالأداء الأقدم بناءً على ماقدمت من أسباب .

والله الهادي إلى سواء السبيل .

(٦٧) الشيخ علي محمد الصباغ : مبتدعات القراء في قراءة القرآن الكريم ، محم « كور » الخوفات « عدد ربيع الأول ١٣٩٨ هـ .

(نقل عن د. ليث السعيد : جميع تصويقات الخرافات ص ٩ ، دار المعارف ١٩٧٨ ، ص ٢٧٤) ومن قبل حشر الباء الضعيفة من المبالغة في الغنة حتى يتولد منها إم أو ياء ، وعنده خطأ والمحرقة ، الإعراف : ص ٢١ .

والقلب يتم معه إخفاء أي : العال ينطق بصوت آخر حتى يصعد ك السقام ، فإن الصوت الملقى يتخذ منه أعضاء النطق الوضع الذي أصبح الصوت الذي

الفكر الصوتي عند الفارابي

(ت ٣٣٩ هـ)

دكتور / محمود فراج عبد الحافظ
ماجستير وبكثراء في العلوم اللغوية
وشهادات إجازة التجويد وعالية القراءات وتخصص القراءات
مدرس العلوم اللغوية
كلية الآداب - جامعة الاسكندرية.

مدخل البحث

الصوت قضية من القضايا التي شغلت طوائف عدة من الدارسين ، فرس الفيزيائيون واللغويون والأدباء وأهل الألحان ، وكان لكل فريق غايته ، ولكل طائفة منهجها الذي يحقق لها ما ترجوه ، وما تأمل من نتائج .

ودراسة اللغويين العرب للأصوات تجلت فيما قدمه الخليل بن أحمد وتلميذه الفدسيه ، لكن البحث الصوتي لم يتوقف عندهما ، بل نما وتطور على أيدي الباحثين في مختلف العلوم والفنون ، ومن هؤلاء الفارابي الذي وجه الدراسة الصوتية نحو فهم الألحان ، حيث تمثل الدراسة الصوتية القاعدة الأساسية التي ترتكز عليها .

ولقد اطلعت على كتاب الفارابي (الموسيقى الكبير) ونظرت فيه ، هادفاً إلى جمع ما به في ثنايا كتابه من ملاحظات وأفكار صوتية ، يمكن ضمها إلى مارصنة اللغويين من ملاحظاتهم الصوتية حتى يكتمل التصور العرفي للمسألة الصوتية ، وهو جانب مهم من جوانب الدراسة اللغوية .

والفارابي (فيلسوف الإسلام والمعلم الثاني) من أعلام القرن الرابع الهجري وكتابه سطر ضخيم يزيد على ألف صفحة ، وتتميز لغته بالسهولة ، والعلوية ، وهذا مما ساعدني ، وهون على الجهد في جمع مادة هذا البحث ، والصير على مطالعة هذا الكم الهائل من الصفحات .

ولما انتهيت من جمع المادة ، تبين لي أن هذه المادة ، تمثل أفكاراً متنوعة في كثير من جوانب الدرس الصوتي ، فسهل على تقسيمها ، حسب تعارف الدارسون عليه في دراسة الأصوات ، إلى الموضوعات التالية :

- مفهوم الصوت اللغوي .
- في علم الأصوات النطق .
- في علم الأصوات الفيزيائي .
- في علم الأصوات السمعي .

ولقد اقتضى هذا البحث عرض أفكار الفارائى الصوتية على ماذكره اللغويون القدماء ، وعلى ما يذكره الدارسون المحدثون فى علم الأصوات الحديث ، ومناقشة آراء الفارائى من خلال ذلك كله ، ومحاولة معرفة مدى تميز فكرة الفارائى أو تطابقها مع التراث اللغوى ، أو تطابقها مع الدرس الحديث ، ثم محاولة تتبع الجديد فى فكر الفارائى فى الدرس الصوتى .

مفهوم الصوت اللغوى :

لا ينبى عن بال أحد أن الصوت يملأ الكون من حولنا ، فيصدر عن الإنسان أو الحيوان ، أو الطيعة عامة ، والصوت الذى يخضع للدراسة اللغوية له خصائص حتى يخضع للبحث والتحليل ، وتحديد مفهوم الصوت اللغوى من أوليات مسائل علم اللغة ، ويحدد الباحثون فى هذا العلم مفهوم الصوت موضع الدراسة وتخصيصه ، فيفرون بين الأصوات الإنسانية والضوضاء ، وأصوات الحيوانات ، وقد استقر فى علم الأصوات Phonetics أن المقصود من هذا العلم هو دراسة أصوات اللغة الإنسانية المنطوقة التى تكون ضمن رسالة لمخاطب واتصال بين بنى البشر ^(١) أى دراسة الأصوات الإنسانية التى لها وظيفة اجتماعية فى الاتصال . وبناء على ذلك تسجد التأوهات والأصوات التى لا معنى لها الصادرة من الإنسان ، التى لا تدخل لها فى عملية الاتصال ، فليس لها وظيفة ، فالحاجب الوظيفى للأصوات هو الذى يخضعها للبحث والدراسة .

وإذا تأملنا ما ذكره الفارائى فى هذا الصدد ، وجدناه يحدد الأصوات التى تخضع للدراسة بأنها مادلت على المعانى ، فيقول : « جماعة نغم يمكن أن تقتون بها الحروف التى تتركب منها ألفاظ دالة على معانٍ ، وهذه هى الأصوات الإنسانية التى تستعمل فى الدلالة على المعانى المعقولة وبها تقع المخاطبات » ^(٢) فخصائص الأصوات الإنسانية التى تخضع للدراسة هى أنها ذات دلالات أو دالة على المعانى ، ويتم بها الاتصال والمخاطب بين الناس ، ولا يخلو اتفاق الدراسة الحديثة مع ماذكره الفارائى من نصه على وظيفة اللغة فى عملية الاتصال والمخاطب .

J.D.O' Connor, Phonetics, p. 9. Penguin book. Eng land, 1976.

(١)

(٢) الفارائى . التوسى الكبير ، ص ٤٧ ، تحقيق وشرح قطاس عبد الملك حشبة . دار الكتاب العربى للطباعة والنشر القاهرة

كما به الفارابي على التفرقة بين الأصوات الإنسانية وأصوات الحيوانات ، في أن الأول هي التي تخضع للدراسة ، وأن الثانية لا نصيب لها في علم الأصوات يقول الفارابي : « فإن الإنسان وسائر الحيوان المصوتة لها بالطباع في كل حال من أحوالها اللذيذة ، أو المؤذيّة نغم تستعملها ، وهذه سوى الأصوات التي يستعملها الحيوان علامات يؤذن بها بعضها بعضاً بأمر من الأمور ، وأكثر هذه هي ل الإنسان ، وهي الأصوات التي يركب الإنسان منها الألفاظ ، وهذه خاصة بالإنسان » (١) . فكل الرغم من نص الفارابي على وظيفة اللغة والأصوات ، وهي التخاطب والاتصال فقد أشار إلى أن أصوات الحيوانات ، وإن كان من وظائفها الاتصال ، فإنها ليست محل دراسة ، لقلتها شرطاً مهماً من شروط الدراسة الصوتية أشار إليه الفارابي ، وهو تركيب الألفاظ من الأصوات ، وهي عملية خاصة بالإنسان ، فاللغة الإنسانية والأصوات الإنسانية التي تؤدي إلى تكوين الألفاظ ذوات المعاني هي التي محل الدراسة والتحليل .

كما أشار الفارابي بوضوح إلى جانب مهم من جوانب الأصوات اللغوية ، وهو استبعاد ما يصدر عن الإنسان من أصوات غير لفظية أو لا تؤدي إلى تكوين الألفاظ ذوات المعاني كالتوجعجات والتأوهات ، وأصوات الطرب ، فهذا عنده بمنزلة أصوات الحيوانات ، يخرج من الدراسة اللغوية ، يقول : « والأصوات والنغم التي يستعملها الإنسان علامات في الدلالة على الأمور ، أما تلك فهي بمنزلة الأصوات والنغم التي تسمع من الحيوان والإنسان عند طربها ، فإن في طباع الحيوانات والإنسان ، إذا طربت أن تصوت نحوه من التصويت ، وكذلك إذا لحقها خوف صوت صنف آخر من التصويت ، والإنسان إذا لحقه أسف أو رحمة ، أو غضب ، أو غير ذلك من الانفعالات صوت أحماء من الأصوات مختلفة » (٢) .

على أن ذلك لا يعنى عنده إهمال الانفعالات الإنسانية ، والإنسان كائن حي يعثره من الانفعالات التي تثير وتظهر في أدائه اللغوي ومن ثم بتشكيل التعبير

(١) المرجع السابق ، ص ٦٣

(٢) نفسه ، ص ٦٣ - ٦٤

اللغوى بما يتناسب مع انفعالات النفس ، وتسمى هذه اللغة : اللغة الانفعالية .

وقد سمي الفارائى (اللغة الانفعالية) بأنها شيء آخر خارج عن ذلك القول ومثل لذلك بعض الأدوات اللغوية مثل : ألا الاستفتاحية وما جاسه مما جرت به عادة أهل ذلك اللسان أن يجعلوه لى افتتاح المحاطبات (١) .

كما أشار إلى دور هاء السكت ، فى التعبير عن انفعالات النفس (٢) .

• لى علم الأصوات النطقى Articulatory Phonetics

أولاً : الجهاز الصوتى :

يولى هذا العلم أهمية كبيرة لدراسة الجهاز الصوتى وعناجرج الأصوات وصفاتها ، وفى تحديد الجهاز الصوتى بشر المحدثون إلى امتداده من الشفتين إلى الرئتين والحنجاب الحاجز ، وأن معظم الأصوات اللغوية تنتج عن التنفس الخارج من الرئتين (٣) باعتبار الرئتين المنفاخ الذى يدفع الهواء إلى الخارج (٤) .

ويشير د. كما بشر إلى أهمية الرئتين فى عملية النطق فيقول : « فالرئتان لا تنقل أهميتهما عن أهمية أى عضو من أعضاء النطق ، بل إنها أهم منها جميعاً ، فغير الرئتين لا تتم عملية التنفس ، ومن ثم لا تتم عملية النطق بل لا تكون الحياة ذاتها (٥) » فالكلام نتاج العملية الفسيولوجية اللازمة وهى التنفس ، فتنتج معظم أصوات الكلام بتأثير الزفير ، حيث تتردد الرئتان الهواء عبر الفم أو الأنف .

وعند الفارائى نجد المفهوم نفسه ، فللرئتين دور كبير فى عملية النطق ، وقد أوصل الفارائى الجهاز الصوتى إلى ما يجاوز الصلبر من الأعضاء . الخواصر ، ونص على تفاوت أجزاء الجهاز الصوتى لى أهميته ودوره ، فيقول :

(١) نفسه ، ص ١١٦١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١١٦٦ — ١١٦٧ .

(٣) Derül Malmberg, Phonetics, p. 21, New York, 1963, J.D.O'Connor, Phonetics, p. 22.

(٤) جان كاتيفو . دروس لى علم أصوات العربية ، ص ١٩ ، ترجمة صالح القرعادى ، تونس ١٩٦٦ .
فندريس . النطق ، ص ٤٤ ، تهريب عبد الحميد القواصل ، وعمد القصاص . الناشر مكتبة الأنجلو المصرية ، ط لجنة اليان العربى ١٣٧٠ هـ . ١٩٥٠ م .

(٥) د. كان محمد بشر . الأصوات ، ص ٧٣ . ط ٧ دار المعارف ١٩٨٠ م .

١ وكل واحد من هذه الأحوان التي هي أسباب للحدة والثقل ، إنما تحصل في أعضاء الصوت بمعونة أعضاء من أعضاء الصدر ، وبمعونة كثير من أجزاء الأعضاء التي تجاور الصدر من تحت ، مثل الأضلاع والخواص وبمعونة أجزاء من أجزاء الأعضاء التي تجاور الحلق والتهوات والأنف من أعلى جسم الإنسان .^(١)

وما أشبه ما ذكره الفارابي بما يذكره المحدثون من تقسيم أجزاء الجهاز الصوتي ، وأعضاء النطق إلى التقسيم الثلاثي الآتي :

— المزمار Glottis .

— ما تحت المزمار Subglottal ويشمل ذلك الرئتين وعضلات الصدر وأضلاع القفص الصدري والحجاب الحاجز .

— ما فوق المزمار Supraglottal ويشمل ذلك البلعوم وأجزاء الفم والتجويف الأنفي .^(٢)

ويستطرد الفارابي مبيهاً تفلوت أجزاء الجهاز الصوتي في أهميته ودوره في عملية النطق فيقول : « لبعض هذه أكثر معرفة وبعضها أقل ، وبعضها معرنة ضرورية ، وبعضها معرنة ليست ضرورية ، لكن يكون بها النغم والأصوات الإنسانية أبهى وأجود ، وبعض هذه إنما معرنته أن يسهل به على الإنسان فعل بعض هذه »^(٣) ولم يفت الفارابي بيان كيفية حدوث التصويت للإنسان ، وقد أشار إلى ذلك بأنه يحدث بسلك الهواء الحلقى ، وقرعه مقعرات أجزاء الحلق وأجزاء سائر الأعضاء ، التي يسلك فيها مثل أجزاء الفم ، وأجزاء الأنف .^(٤)

وبدرك الفارابي مصدر الهواء الذي يخرج من الرئتين ، ويشير إلى أنه الهواء الذي « يجلبه الإنسان إلى رئتيه ودخل صدره من خارج ليروح به عن القلب ثم يدفعه منها إذا سخن إلى خارج »^(٥) مشيراً بذلك إلى عملية الشهيق التي

(١) الفارابي ، الموسلى الكبير ، ص ١٠٦٨ .

(٢) Philip Lieberman, Speech Physiology and Acoustic Phonetics pp. 3 - 9. U.S.A. 1977 .

Bertil Malmberg, Phonetics, p. 21.

(٣) الفارابي ، الموسلى الكبير ، ص ١٠٦٨ .

(٤) نفسه ، ص ١٠٦٩ .

(٥) نفسه والصفحة

بلجاً إليها الإنسان ، ويتم فيها داخل الرئتين تبادل الغازات بين الدم ، وهواء الشهيق ، ثم يعقب ذلك الزفير حيث يخرج بخار الماء وثاني أكسيد الكربون . وما ذكره الفارابي فيما سبق في التصويت الإنساني من قرع الهواء مقعرات أجزاء الخلق ، يشير إلى ما يعرف في الدرس الصوق بمخارج الأصوات ، التي يسميها مقعرات ، وهذا القرع شرط لإحداث التصويت ، فلو مر الهواء دون قرع أو اصطدام بمخرج لم يحدث التصويت .

ويتردد هذا المفهوم بين المحدثين ، « وأنه يمكن أن يمر الهواء إلى الرئتين وخارجاً منها دون أن يحدث صوت بالمرّة ، ويحدث الصوت بالتدخل في مسار الهواء بطرق متعددة تتمكن بها من الحصول على أصوات مسموعة » (١) . وإذا لم يتحرك الهواء لم يحدث الصوت » (٢) .

أما الفارابي فقد سبق أن أشار إلى ذلك في قوله : « فإذا دفع الإنسان هواء النفس إلى خارج جملة واحدة ، وترفق لم يحدث صوت محسوس ، وإذا حصر الإنسان هذا الهواء في رئتيه وما حوالها من أسفل الخلق ، وسرب أجزاءه إلى خارج شيئاً شيئاً على اتصال ، وزحم به مقعر الخلق ، وصدم أجزائه حدثت حينئذ نغم » (٣) .

فهذا النص من الفارابي يشير إلى أن التصويت لا بد فيه من أمرين :
أولهما : تسرب الهواء شيئاً شيئاً .

ثانيهما : إعاقة سريان الهواء ، ويفهم ذلك من قوله « وزحم به مقعر الخلق وصدم أجزائه » ، وهذا يعنيه ما يجده عند المحدثين ، ويتردد بينهم يقول شاذ : « إن الأصوات اللغوية هي ظواهر سمعية تحدث بأن تيار النفس الخارج من الرلة يمرض له في المنجرة أو في الفم أو بين الشفتين عارض يضيّق طريقه أو يقطعه فلا يحدث صوت إلا بموامل : أحدهما النفس ، وثانيهما : العارض » (٤) .

J. D. O' Connor, Phonetics, p. 25.

(١)

J. C. Wells, Greta cokuu, practical phonetics, p. 1, London 1978.

(٢)

(٣) الفارابي ، الموسهل الكبر ، ص ١٠٦٦

(٤) شاذة . علم الأصوات عند سبويه وهذا ص ٦ ، صحيفة الجامعة المصرية . السنة الثانية ،

م ١٩٣١

كما يشير الفارائى فى هذا النص إلى اتجاه مسار الهواء وهو د إلى خارج .
وهذا يعنى عند دراسة الصوت الناتج عن اعتراض مسار الهواء الخارج ، وليس
الهواء الداخل ، لأنه من المعلوم لدى الدارسين المحدثين (١) أن الهواء يمرى فى
الكلام المعتاد من الداخل إلى الخارج ، ويسمى الطرد الرئوى Pulmonic
Egressive ومن ثم تم دراسة الصوت اللغوى الناتج ، أما الهواء الداخل فى
الشهيق فيسمى السحب الرئوى Pulmonic Engressive ونادراً مايحدث منه
أصوات ، وفى كلتا الحالتين يكون سريان الهواء بتأثير الرئتين ، ولهذا تم دراسة
الصوت الناتج عن الطرد الرئوى ، الذى أشار إليه الفارائى فى نصه بقوله (إلى
خارج) .

والمزاحة لمقعر الحلق ، والاصطدام بأجزائه ، تدخل فى مسار الهواء وتغير
للعמוד الهوائى مما يؤدى إلى حدوث الصوت وتنوعه ، وهو بعينه مايحدث فى
الآلة الموسيقية من تغيير لعمود الهواء بوضع الأصابع على فتحات المزمار أو
الضغط على أوتار العود .

وقد ألح المحدثون إلى زيادة ابن جنى اللغوى المشهور فى إدراكه التشابه بين
الجهاز الصوتى الإنسانى والآلة (٢) .

ومن الأفضل العودة إلى نص ابن جنى مباشرة ، لاستيضاح الأمر ،
ومناقشة مافيه . يقول ابن جنى : ولأجل ماذكرناه من اختلاف الأجراس ل
حروف المعجم باختلاف مقاطعتها ، التى هى أسباب تباين أصداكها ، ماشبه
بعضهم الحلق والقمم بالناى ، فإن الصوت يخرج فيه مستطيلاً أملس بغير صفة
فإذا وضع الزامر أنامله على عروق الناي المنسوفة وراوح بين أنامله ، اختلفت
الأصوات ، وسمع لكل عرق منها صوت لايشبه صاحبه ، فكذاك إذا قطع
الصوت فى الحلق والقمم باعتماد على جهات مختلفة ، كان سبب امتناعها هذه

1. C. Wells, Greta colson. Practical phonetics, p. 2. R.H. Robins, General Linguistics (١)
pp. 67, 71

(٢) انظر ابن جنى - سر صناعة الإعراب ٩١١ - ١٠ ، تحقيق مصطفى السقا ، ومحمد الوتراف .
وإبراهيم مصطفى وعبد الله أمين ، ط ١ مصطفى الخليلى ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٤ م . د . كان بشر
الأصوات ، ص ٨٠ - ٨١ . هدى قنبر . التفكير الصوتى عند العرب ص ٦٤ هامش (٢) . د .
د أحمد محمد عبد . البحث اللغوى عند العرب . ص ٨ . ط ٢ ، ١٩٧٦ م

الأصوات مختلفة ، ونظير ذلك وتر العود فإن الضارب إذا ضربه وهو مرسل سمعت له صوتاً فإن حصر آخر الوتر ببعض أصابع يسميه أذى صوتاً آخر ، فإن أدناها قليلاً سمعت غير الاثنين ، ثم كذلك كلما أدنى أصبعه من أول الوتر تشككت لك أصداء مختلفة ، إلا أن الصوت الذى يؤديه الوتر غفلاً غير محصور تجده بالإضافة إلى ما أداه وهو مضغوط محصور أملس مهترأ ،
 بقلر قوة الوتر وصلابته ، وضعفه ورخاوته ، فالوتر فى هذا التحليل كالخلق ، والخفقة بالمضرب عليه كأول الصوت من أقصى الخلق وجريان الصوت فيه غفلاً غير محصور كجريان الصوت فى الألف الساكنة ، وما يعترضه من الضغط والحصر بالأصابع ، كالذى يعرض للصوت فى مخارج الحروف من المقاطع ، واختلاف الأصوات هناك كاختلافها هنا ، وإنما أردنا بهذا التحليل الإصابة والتقريب ، وإن لم يكن هذا الفن مما لنا ولا لهذا الكتاب به تعلق .
 ولكن هذا القبيل من هذا العلم أعنى علم الأصوات والحروف ، له تعلق ومشاركة للموسيقى ، لما فيه من صنعة الأصوات والنغم ، (١) . وقد نقلنا هذا النص برغم طوله لأهميته ، حيث تلوح عليه أمارات ودلائل على أن هذه الفكرة التى أشاد بها المحدثون ليست لابن جنى وإنما نقلها عن غيره دون تحديد منه حيث قال : بعضهم . . .

والذى نرجحه فى هذا المقام أن ابن جنى نقل مفهوم المشابهة بين الجهاز الصوتى الإنسان والآلة ، عن الفارابى ولنا على ذلك الأدلة التالية :

١ — ذكره : ما شبه بعضهم الخلق والنغم بالنى ، ولنا على هذا دليل على أنه ناقل لابتدع .

٢ — ذكر ابن جنى للنى والعود ووصفه شيئاً من استعمالها وهو ما يختص به أهل الموسيقى وهو ما تجده عند الفارابى حيث تكلم عن النى والعود حيث يقول : وأجزاء مقرر الخلق التى تقرب من القوة الدافعة للهواء إلى خارج ، تقوم فى الخلق مقام الدساتين (٢) التى تبعد من اليد القارعة

(١) ابن جنى ، سر صناعة الإعراب ، ١ / ١ - ١٠ .

(٢) جمع دستان وهو العلامة التى تستعمل عند العود وماجانسه من الآلات ليعين أماكن النغم والغرب بسموها : العقب . . . نظر الفارابى : الموسيقى الكبير فتمش من ٥٢ .

لأوتار العيذان والطناير ، أو مقام ثقب المزامر التى تقرب من فم النافع وأجزاءه التى تبعد عنها تقوم مقام الدساتين التى تقرب من اليد القارعة لأوتار العيذان والطناير ، أو مقام ثقب المزامر التى تبعد عن فم الزامر^(١) وله عبارة صريحة جداً تبين مدى التشابه بين الجهاز الصوتى الإنسان والآلة ، وهى قوله « فإن الحلوى كأنها مزامر طبيعية ، والمزامر كأنها حلوى صناعية »^(٢) .

٣ — ذكر ابن جنى العوامل التى تؤثر فى اختلاف النغم فى العود ، وذكر أنها قوة الوتر ، وصلابته ، وضعف الوتر ورخاوته وهو ما أشار إليه الفارابى بتوسيع^(٣) .

٤ — نص ابن جنى على أن مذكره من وصف جهاز الصوتى بالآلة له تعلق ومشاركة بالموسيقى لما فيه من صنعة الأصوات والنغم ، وكتاب الفارابى مخصص لدراسة الموسيقى ، والفارابى كما هو معلوم أسبق من ابن جنى بحوالى ستين عاماً .

٥ — ملاحظة أسلوبية فى قول ابن جنى (التى هى أسباب تبين أصداؤها) وتقاربها مع عبارة الفارابى (التى هى أسباب للحدة والثقل) فى النص الذى نقلناه آنفاً^(٤) .

من كل ما سبق يتضح مدى أسبقية الفارابى لابن جنى لهذه المشابهة بين الجهاز الصوتى الإنسان والآلة ، وهذا ما فات المحدثين حيث نسبوا هذه الحقيقة لابن جنى ، ولم يسمروا إلى مذكره الفارابى السابق عليه .

والتصويت بعامة ينتج عن القرع ، وقد يقرع الإنسان يده ، أو بشئ فى يده ، وفى التصويت بالفم يكون القارح هو العضو الذى يدفع بالهواء من داخل الصدر إلى خارج الفم ، وهذا العضو يقرع بالهواء الذى يدفعه وفى ذلك يقول الفارابى « والعضو القارح إما يد الإنسان ، وإما العضو الذى يدفع هواء

(١) الفارابى . الموسيقى الكبير . ص ١٠٦٧ .

(٢) نفسه . ص ١٠٦٦ .

(٣) نفسه . ص ٢١٧ ، ص ٢٢٢ ، ص ٢٢٤ .

(٤) نفسه . ص ١٠٦٨ .

التنفس من داخل الصدر إلى خارج الفم ، واليد إما أن تفرع بنفسها أو بحجم آخر ، وأما الذى يدفع هواء التنفس فهو إما يفرع بالهواء الذى يدفعه (١٢) .

وإلى جانب هذه النصوص الكثيرة التى يشبه فيها الفارائى الجهاز الصوتى الإنسانى بالآلة ، نص الفارائى على تفوق الجهاز الإنسانى عن الآلة ، وعلى كماله ونقصاتها ، « وليس ما هنا ما هو أكمل من الخلق ، فإنها تجمع جل فعول الأصوات ، ومائر ما توجد فيه النغم من آلات تنقص عنها نقصاناً كثيراً (١٣) » .

لأنياً : فى الصوامت والصرائت :

يقسم علماء الأصوات ما يصدر عن الجهاز الصوتى الإنسانى من أصوات إلى أصوات صامتة Consonants وأصوات صائتة أو مصوتة Vowels ويقصدون بالأول الأصوات الناتجة عن اعتراض مسار الهواء كالباء والميم واللام وغير ذلك حيث يقوم حاجز لى جهاز تصويت ، ثم يجتاز الهواء والنفس ذلك الحاجز ، والنوع الثانى يقصدون به الحركات بأنواعها القصيرة منها والطويلة حيث لا يقوم حاجز لى جهاز التصويت فيجرى النفس حراً طبقاً (١٤) ذلك لأن الحركات لا يصحبها إغلاق أو احتكاك أو التصاق للسان أو الشفتين ، وليس ثمة انحباس للتيار الهوائى المستمر (١٥) .

وقد عبر القدماء من علماء العربية عن نوع الأول بالحروف أو الأصوات الساكنة ، وعن النوع الثانى بالحركات (١٦) .

ومن علماء العربية القدامى من استعمل مصطلحات تلاحظ فيها إدراكهم لخواص الحركات ومنها قوة الرضوح السمعى Sonority ، وقد أشار إلى ذلك د. كمال بشر (١٧) ، وذكر ابن جنى الذى كان يسمى الحركات الطويلة

(١) نفسه . ص ٥٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٧٩ — ٨٠ .

(٣) جان كاتيه . دروس لى علم أصوات العربية ص ٢٠ — ٢١ ، ص ١٤٣ . ترجمة صالح الرمادى تونس ١٩٦٦ م .

(٤) R. H. Robins, General Linguistics, An introductory, Survey p. 70, 3 rd edition, London, 1980.

(٥) سبويه . الكتاب ٤/٢ ، ٤٠٧ . ط بولاق ١٣١٨ هـ .

(٦) د. كمال بشر . الأصوات ، ص ٧٣ (حاشية)

بالمصوتات أو بحروف المصوتة^(١٦) وقد ذكر ابن جني مصطلحي صامت
، مصوت^(١٧).

كما ذكر د. بشر أن شمس لدين أحمد المعروف بالسكنو وهو من علماء
القرن التاسع الهجري استعمل مصطلح (صامت) ويقصد به الحرف الساكن
(Consonant) ولا شك أن د. بشر يرى في مصطلح ابن جني ، وكذلك في
مصطلح صاحب شرح المرح توفيقاً بعيداً . وسبقاً صريحاً في فهم القدماء
لخواص الأصوات حسب المنهج الصوتي الحديث ، لكننا بالعودة إلى الفارابي ،
والبحت فيما قدم من فكر صوتي ، وجدنا أنه قد نص على مصطلح (مُصَوِّت)
ومصطلح (مُصَوِّنَات) أكثر من مرة في كتابه ، وكان الفارابي يقصد من
هذين المصطلحين الحركات ، وما أحسن تحديده لهذه القضية حيث يقول :
« والحروف منها مصوِّت ومنها غير مصوِّت »^(١٨) ، وقسم الفارابي بعد ذلك ،
الأصوات الصائتة أو المصوتة إلى قصيرة وطويلة فقال : « والمصوتات منها
قصيرة ، ومنها طويلة ، والمصوتات القصيرة هي التي تسميها العرب
الحركات »^(١٩).

فليس لأبن جني إذن سبق في هذا المصطلح إذ سبقه إليه الفارابي ، الذي
كان له سبق على جني حوالي مئتي عام ، وهذا مما يجعل البحث يميل إلى أن ابن
جني أخذَه عن الفارابي وأطلع على كتبه .

أما الصوامت فيسميها الفارابي « غير المصوتات » على حين يسميها صاحب
شرح مراح الأرواح « الصوامت » وهذا المصطلح الذي ذكره صاحب شرح
المراح ونقله د. بشر في كتابه لا يعد سبقاً له ، وإنما سبقه إليه من قبله ابن سينا
(٣٧٥ — ٣٢٨ هـ) الذي ذكره في رسالته « أسباب حدوث الحروف » إذ
ذكر مصطلح (صامت) عند كلامه عن الواو والياء اللينتين فسمى الواو
الصائتة والياء الصامتة ، وفرق بينهما وبين « المصوتة والياء المصوتة »^(٢٠).

(١٦) ابن جني - المعاني ١٢٤/٣ - ١٢٥ .

(١٧) ابن جني - سر صناعة الإعراب ، ١١/١ .

(١٨) الفارابي - الموسيقى الكبير ، ص ١٠٧٢ .

(١٩) نفس الصفحة .

(٢٠) ابن سينا - أسباب حدوث الحروف ص ١٣ - ١٤ - ثم ما ألاح - الهمجي لومس شهرنموس
مجموعة طبرستان .

على أنه تجدر الإشارة إلى أن مصطلح (مصوت) قد ورد عند الفراء ، ولكن بمفهوم آخر غير مفهوم الفاراني ، فقد ذكر السراي : « أن الفراء سمي بعض الحروف مصوتاً ، وذكر من المصوت الصاد والضاد ، وسمى بعضها أخرس ، وذكر منها التاء والتاء ، وأظنه أراد بالمصوت ما جرى فيه من الصوت نحو الصاد والضاد والراء والطاء والذال والتاء ونحو ذلك ، وأراد بالأخرس الحروف الشديدة التي يلزم اللسان فيه مكاناً » هي التائية الأحرف الشديدة التي يجمعها قولك أجذك قطيت » (١) .

وواضح من النص أن الفراء سمي الصوت الرخو (مصوتاً) وسمى الصوت الشديد (الأخرس) وبهذا يتبين اختلاف موقف الفاراني عن موقف الفراء .

وللفاراني نحات طيبة عن الصوامت أو كما يسميها « غير المصوتات » تنبئ عن حسن فهم ، وعمق وعي لخصائصها ، فهو يقسمها بالنسبة للنغم وامتداد الصوت ، إلى « ممتدة » و « غير ممتدة » فيقول : « والحروف المصوتة منها ما يمتد بامتداد النغم ، ومنها ما لا يمتد بامتدادها ، والممتدة مع النغم هي مثل اللام والميم والنون والهمزة والعين والراء ، وما أشبه ذلك ، وغير الممتدة مثل « التاء » و « الدال » و « الكاف » وما جازى ذلك . والحروف الممتدة بامتداد النغم منها ما يشع مسموع النغم إذا اقترنت بها ، مثل « العين » و « الحاء » و « الطاء » وما أشبه ذلك ، ومنها ما لا يشع وهي هذه الثلاثة « اللام » و « الميم » و « النون » ، فاللام من بينها تمتد وإن لم يسلك الهواء في مقعر الأنف . و « الميم » ، و « النون » لا يمتدان إلا أن يسلك الهواء في الأنف .

وجل النغم الإنسانية فإنما تسمع مقترنة ببعض المصوتات أو بعض ما هو ممتد من غير المصوتات ، ولرفض من الممتدة التي هي غير مصوتة . ما يشع مسموع النغم ، ولا نستعملها مقرونة بنغمة أصلاً ، ولأخذ منها « اللام » و « الميم » ، « النون فقط » (٢) .

(١) أبو سعيد السراي : مذكرو الكوفيين من الإغلام بتحقيق صبح حمود الشال . مجلة المورد . جلد ١٢ ، عدد ٢ ، وزارة الثقافة والإعلام بالفرات ، ١٤٠٣ هـ . ١٩٨٣ م .

(٢) الفاراني : الموسقى الكبير . ص ١٠٧٢ - ص ١٠٧٣ .

و هذا النص من أهم ما وقفنا عليه من آراء الفارائى المهمة التى تتفق اتفاقاً عجباً مع أقوال المحدثين فى علم اللغة الحديث ، ولنا على هذا النص الملاحظات التالية :

١ - أشار الفارائى إلى مصطلحي « ممتدة » ، و « غير ممتدة » ولعله يقصد بهما مايقابل مصطلح « احتكاكية » Fricatives فى الدرس الصوتى الحديث ، وهذه المجموعة الصوتية تتميز عن مجموعة أخرى « وقفية » Stops أو انفجارية Plosives ، بالأصو - لاحتكاكية مثل الفاء والطاء والسين ، وغيرها .

ونجد عند سيويه مصطلح « الشدة » وعكسه « الرخاوة » ، ويقصد بالأول ما يمكن أن يلتقى مع مصطلح « وقفى أو انفجارى » ويقصد بالثانى مايلتقى مع مصطلح « احتكاكى » وظاهرة امتداد الصوت أشار إليها سيويه لى مثل قوله عن الشدة : « وذلك أنك لو قلت الحج ثم مددت صوتك لم يجر » (١) .

وفى علم اللغة الحديث يستخدم مصطلح يكاد يتطابق مع مصطلح الفارائى بل نترجمه بمصطلحه وهو Continuant ويقابل (ممتد) (٢) . أما اللام فهو صوت جانبي ، ويسمى عند علماء العربية بالحرف المنحرف (٣) .

وأما الميم والنون فهما الصوتان الأعنان Nasals ، وفى رأى أن مدلول مصطلح الفارائى « ممتدة » و « غير ممتدة » أشمل وأوسع من مدلول « احتكاكى » و « انفجارى » فالمتد عنده يشمل الاحتكاكى والمنحرف والأغن .

٢ - وضع الفارائى ضمن الأصوات الممتدة الحمزة ، وهى عند علماء العربية ضمن الأصوات الشديدة « أجذك قطبت » التى تقابل الأصوات (١) سيويه . الكتاب ٤٠٦/٢ .

(٢) برجنتراسر . التطور لىجوى ، ص ٨ ، وانظر .

R. H. Robins, General Linguistics, p. 108, Philip Lieberman, Speech Physiology and Acoustic Phonetics, p. 155

(٣) سيويه . الكتاب ٤٠٦/٢ .

الانفجارية أو الوقفات ، فوضعها ضمن الأصوات الممتدة عند الفارابي غريب ، ويؤول العجب عندما نعلم أن الفارابي يقصد بامتداد الحمزة ، هو مجيئها في بداية النغم ، مقترنة به ممتدة معه ، ومن ثم تأتي متحركة وليست ساكنة ، فهو يقول عن اقتران الأصوات بالنغم « والتي تفرز بدايتها فهي الحمزة »^(١).

٣ — يتفق الفارابي مع علماء العربية ، في عد التاء والذال والكاف ضمن الأصوات الشديدة أو الانفجارية ، كما يتفق معهم في عد الزاي والعين ضمن الأصوات الاحتكاكية ، بيد أن علماء العربية يضرعون العين ضمن المجموعة المتوسطة بين الشدة والرخاوة ، يقول سيبويه « وأما العين فيين الرخوة والشديدة »^(٢) وهذه المجموعة هي « لن عمر ».

٤ — يعد الفارابي اللام والميم والنون ضمن الأصوات الممتدة ، وهذه الأصوات في الواقع لها قفلة من الاحتكاك ، أو الإعاقة لمسار الهواء عند إصدارها فاللام عند أدائه ينحرف الهواء إلى جانبي الفم مع امتداد الصوت أو احتكاكه . أما الميم والنون فيحدث عند أدائها أن يُفتح الحنك الرخو Soft Palate ويمر الهواء حينئذ من التجويف الأنفي Nasal Cavity ، بالإضافة إلى مساره في الفم ومرور الهواء من التجويف الأنفي عند أدائهما يعطى الغنة المميزة لهما ، مما يؤدي إلى امتداد الصوت بالإضافة إلى ضيق مجرى الفم عند أداء النون ، وانطباق الشفتين عند أداء الميم ، ويتفق ذلك مع تصور علماء العربية للأصوات ، ويتفق أيضاً مع التصور الحديث في علم الأصوات حيث يُشار إلى ازدواجية مسار الهواء في حالة نطق النون ويسمونها في علم اللغة Nasalization أو Nasality التي يمكن أن يطلق عليها التأنيف أو Nasal Articulation أي المخرج الأنفي^(٣).

٥ — قسم الفارابي الأصوات الممتدة أو الاحتكاكية قسمين قسمين

(١) الفارابي . الموسى الكو . ص ١١٦٥

(٢) سيبويه . الكتاب ١ - ٤٠٦

R. H. Robins, General Linguistics, p. 69.

(٣)

لنغم ومن ذلك العين والحاء والطاء فهذه الأصوات عندما تسمع اغ ،
 نج ، اظ تعطى في النغم بشاعة ونفوراً ، والقسم الثاني لا يستشع صوته
 ولا يؤدي سماعه إلى نفور ، وإرنضي الفاراني ثلاثة أصوات وهي اللام ،
 والنون والميم ، وعند سماعها أل ، ان ، أم تعطى نغمة مقبولة مختلفة عن
 نغمة القسم الأول .

ولعل في اختصار الفاراني على هذه الأصوات الثلاثة ما يتفق مع ما أشار إليه
 علماء العربية من إدراج اللام والميم والنون في المجموعة الصوتية المتوسطة ،
 وهي وسط بين الانفجارية والاحتكاكية ، وتسمى هذه المجموعة الصوتية
 « الأصوات المائعة أو الياالة أو السائلة في مقابل المصطلح الصوتي
 Liquids ^(١) .

وهذه الأصوات عند المحدثين تمثل أكثر الأصوات الصائتة وضوحاً في
 السمع وأقربها إلى طبيعة الأصوات الصائتة ، فقد وضعها المبرج في مجموعة
 صوتية واحدة (م/أن/ل) وجعلها أقرب إلى الصوائت ^(٢) ، ويسمينا د. أنيس
 (أشباه أصوات كين) ^(٣) .

ولما كانت هذه الأصوات (ل — م — ن) على هذه الدرجة من التأثير
 السمعي ، أشار الفاراني إلى أنها لم تحمل منها لغة من اللغات ، أو على حد تعبيره
 « لا يعبري منها لسان أصلاً » ^(٤) . ثم يستطرد الفاراني مبيحاً ما تستع به هذه
 الأصوات عن غيرها بأنها « لما أتق في السمع ليس لغزها ، فنتى أهدلنا مكانها
 حرفاً آخر أهدلنا مكان الأفضل ما هو دونه » ^(٥) .

وأبعد من ذلك ، تحديد الفاراني للمكان الأمثل لهذه الأصوات ، كي تكون
أبسي وأجود وأفعل في التأثير السمعي ، فذكر أن الميم والنون الساكنتين تفتقران
 (١) فخرس . اللغة من ٥٢ — ٥٣ . د. مالمبرج . محاضرات في علم اللغة الحديث من ٣٠ — ٣١ .
 جان كاتنير . دروس في علم أصوات العربية من ٣٧ ، وتقرر مجموعة التصنيفات العلمية ولغوية
 لجمع اللغة مجلد ٣ من ١٤١ .

(٢) B. Malmberg, Phonetics, p. 17.

(٣) د. إبراهيم أنيس . بحث في اشتغال حروف اللغة . من ١٠٤ . مجلة كلية الآداب ، مجلد ٢ .

(٤) الفاراني . الموسىمى الكبير ، من ١١١٩ .

(٥) نفسه . من ١١٢٠ .

بالنغمة بأسرها أى تمتدان فترة زمنية هي فترة امتداد النغمة^(١) وذكر في موضع آخر استحسان اقتران نهاية النغمات بالنون الساكنة^(٢).

ورأى الفارابي هذا يتفق مع النون العري ، إذ تأتي القوال الشعرية من اللام والميم والنون أكثر مما تحيىء من العين والحاء والظاء وقد ذكر د. حسين نصار أن النون أسهل القوال والميم واللام أحلاها^(٣).

أما الفواصل القرآنية فيكثر فيها اللام والميم والنون كثرة واضحة ، عل حين تندر فواصل الحاء والعين والظاء ، وهذا من الحسن اللغوي العري ، والنون الذي يراعى الأداء والوقع أو التأثير السمعي .

والدليل على ما نقول هو ما قلنا به من إحصاء للفواصل القرآنية ، فقد وجدنا أن الفواصل التي تنتهي بالنون تبلغ (٣١٠٢) ثلاثة آلاف فاصلة ومائة فاصلة وفاصلتين بما في ذلك النون التي تلها الألف المقصورة ، وبذلك تكون فواصل النون حوالي نصف فواصل القرآن كله حيث يبلغ مجموع فواصل القرآن (٣٢٣٦) ثلاثة آلاف ومائتين وست وثلاثين فاصلة حسب رواية حفص عن عاصم (المصحف الكولي) ، وأما فواصل الميم فتبلغ (٧٨٦) سبع مائة وستاً وثمانين فاصلة ، وأما فواصل الراء فتبلغ (٧٥٠) سبع مائة وخمسين فاصلة ، وأما فواصل اللام فتبلغ (٢٤٩) مائتين وتسعاً وأربعين فاصلة .

وأما العين فتبلغ (٤٣) ثلاثاً وأربعين فاصلة .

وأما الحاء فتبلغ بضع فواصل .

وأما الظاء فتبلغ تسع عشرة فاصلة .

وللفارابي إشارات لبعض صفات الأصوات ، فقد ذكر مصطلح الغنة ومصطلح الزم وشرح هذين المصطلحين شرحاً ينبيء عن دقة في الفهم ، وحسن فهم لأداء الأجزاء المختلفة من الجهاز الصوتي الإنساني ، فيقول عن هذين المصطلحين : وهذان متقاربان ، فالزم هي الحالة الحادثة لها عند سلوك الهواء بأسره في الأنف ، وذلك متى أُطِيقَت الشفتان ، ونفذ الهواء كله في

(١) نفسه . ص ١١٦٥ .

(٢) نفسه . ص ١١٧٤ .

(٣) د. حسين نصار . المقالة في العروض والأدب . ص ٥٥ - ٥٦ . التعريف بمصر

الأنف ، واللغة مانع عن عند منقوع بعض أجزاء الهواء في الأنف ، وبعض أجزاء بين الشفتين ، وذلك عندما ينقسم النفس فيسلك بعضه في الأنف وبعضه على ما بين الشفتين .

وفي هذا النص إدراك من الفارابي لأزدواجية مسار الهواء عند أداء الغنة ، وهي الظاهرة الصوتية المصاحبة لأداء النون والميم ، وهذا ما استقر عند النحاة والقراء ، كما يبين النص عن فهم الفارابي للنور الحنك الرخو Soft Palat وتحركه عند أداء هذين الصوتين الميم والنون ، فعند أداء النون يتحرك الحنك الرخو لأسفل فيصل تحريف القم بالتجويف الأنفي فينقسم الهواء الخارج من الرئتين قسمين : قسم يمر في التجويف الأنفي ، وقسم يمر في تجويف القم ، ومرور الهواء في التجويف الأنفي يحدث الغنة المميزة لهذين الصوتين الميم والنون .

لكن الفارابي لا يكتفي باطلاق وصف واحد على هذين الصوتين ، كما فعل النحاة ، بل يفرق بين الصوتين نتيجة اختلافهما فيما يعرض لهما عند أجزاء أخرى في الجهاز الصوتي .

فأما في النون فيحدث أن تفتح الشفتان ، فيسلك الهواء من مسلكين : القم والأنف ، ويمتنع مرور الهواء من تحريف القم مع الميم ، ومن ثم لا يجد الهواء مسلكاً سوى التجويف الأنفي ، فيسلك الهواء كله منه .

ولما كانت الحالتان مختلفتين عند أداء النون حيث ينقسم الهواء ، وعند أداء الميم حيث لا انقسام له ، بل يمر بأكمله من الأنف ، أفرد الفارابي لكل حالة مصطلحاً خاصاً بها ، وهذا ما لا نجد عند أحد سبقه من النحاة أو القراء ، فالصوت الحادث من الأنف عند أداء الميم هو « الزم » ، فمصطلح « الزم » عند الفارابي جديد لم يسبق إليه ، أحدثه ليعرف بين حالتين مختلفتين وإن تشابها في مرور الهواء بالأنف فانقسام الهواء يتم مع .. النون ، وسريانه كاملاً من الأنف يتم مع الميم .

أما الصوائت عند الفارابي ، والتي يسميها المصوتات ، فيقسمها كما أسلفنا إلى قصيرة وطويلة .

(١٦) الفارابي - توفيق الكيم ، ص ١٧٠ .

والمصونات القصيرة لا تعتمد مع نغم مادامت على فصرها ، وهي حركات الحروف غير الممتدة ، ولكنها إذ اقترنت بالنغم ضالت فلا يعرف بها وبين الطويلة (١) .

والمصونات الطويلة ، عنده يقسمها أقساماً دقيقة ، فيبين أنها تنقسم إلى أطراف ، ويقصد بها الصوائت الطويلة الصريحة ، وهي ثلاثة صوائت : الألف مسبوقة بالفتح ، والواو مسبوقة بالضم والياء مسبوقة بالكسر .

والقسم الثانى : غير الأطراف هو الصوائت المترجئة أو المزوجة حسب تعبيره والمصونات الطويلة منها أطراف ، ومنها مترجئة عن الأطراف (٢) .

وتتضح دقة الفارائى وحسن فهمه ، من جعله الألف ضمن الحركات أو الصوائت ، مخالفاً بذلك سيويه الذى جعل الألف بعد الهزة ضمن الصوائت (٣) وجرى العمل بين المحدثين على اعتبار الألف صائناً طويلاً .

كما فرق الفارائى بين الحركة الصريحة ، والحركة المترجئة غير الصريحة . وقد راح الفارائى يبين الفروق بين هذه الصوائت الصريحة ، فذكر أن هذه الأطراف تنقسم إلى : طرف عال وهو الألف ، وطرف متوسط وهو الواو وطرف منخفض وهو الياء (٤) .

وهذا من عجيب الانفاخ بين آراء الفارائى ، والدرس الصوق الحديث ، فعند المحدثين تنقسم الصوائت حسب الحركات المعيارية التى وضع أسسها دانيال جونز حيث وزع الصوائت على شكل مربع ، تظهر عليه الصوائت متميزة بالنسبة لأجزاء اللسان ونحوه الفم ، فمنها الأمامية ومنها الخلفية ، ومنها العلوية ومنها السفلية ، وإذا تأملنا الشكل التالى (٥) ووزعنا عليه الصوائت لاحظنا أن :

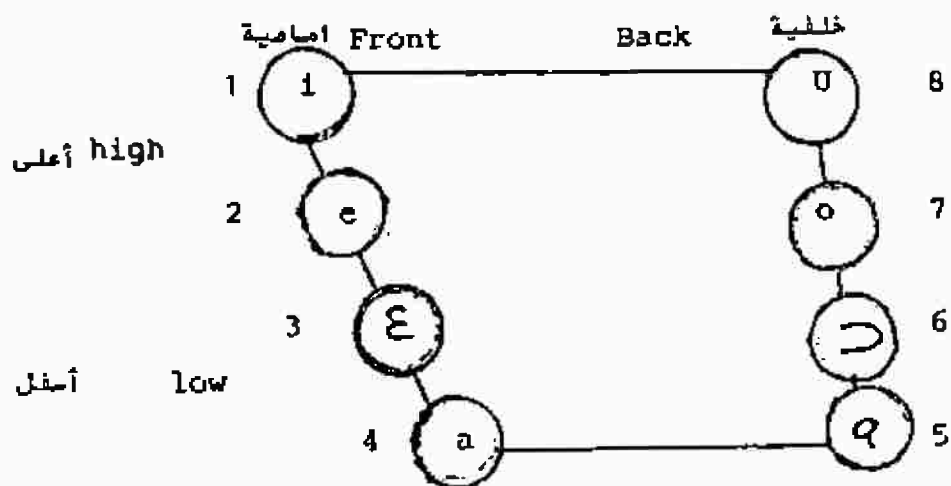
(١) الفارائى : الموصى الكير ، ص ١٠٧٤ - ١٠٧٥ .

(٢) نفسه ، ص ١٠٧٣ .

(٣) سيويه : الكتاب ٢ : ٤٠٤ .

(٤) الفارائى : الموصى الكير ، ص ١٠٧٣ .

(٥) Phillip Lieberman, Speech and Hearing in Phonetics, p. 119, J. C. Well, Greta Coken, Practical Phonetics, p. 89 .



(أ) الحركات النهائية يمكن توضيحها كما يلي

١ - هي الكسرة الصريحة مثل كسرة الميم في من أو كسرة الباء في يبيع .

٢ - يمكن أن تقابل حركة الإمامة الشديدة مثل إمالة ، ألف الضحى نحو الباء .

٣ - يمكن أن تقابل حركة الإمامة المتوسطة مثل تقليل ألف الضحى بن الفتح والإمالة .

٤ - أقرب ما تكون إلى الفتحة المرفقة مثل فتحة الميم في من أو نال .

٥ - أقرب إلى الفتحة المنخفضة مثل فتحة القاف في قد أو فتحة الطاء في طأل .

٦ - يمكن أن تقابل حركة الإمامة المتوسطة للألف نحو الواو ، ويحدث ذلك في تفخيم اللام في الصلوة ، فيؤدي ذلك إلى استدارة الشفتين وارتفاع مؤخر اللسان فتقرب من الواو .

٧ - مثل حركة إمالة الفتحة نحو الضمة في مثل النطق العامي لكلمة تخوف ← تخوف .

٨ - تمثل الضمة الصريحة ويمكن مقابلتها بضمة القاف في يقوم أو ضمة العين في يعوم .

(ب) الحركات على الخط (١ - ٤) تمثل الحركات الأمامية وتم بحركة مقدم اللسان .

(ج) الحركات على الخط (٥ - ٨) تمثل الحركات الخلفية ، وتم بحركة مؤخرة اللسان .

(د) الحركات على الخط (١ - ٨) تمثل الحركات العلوية ، وفيها يرتفع اللسان نحو سقف الحنك ، فيضيق مجرى الهواء ولذلك تسمى حركات مضيقة .

(هـ) الحركات على الخط (٤ - ٥) تمثل الحركات السفلية حيث لا يرتفع اللسان عند أدائها ، بل يستقر اللسان في قاع الفم ، ويتسع مجرى الهواء وتسمى حركات متسعة .

(و) الحركات التي عند الزوايا وهي حركات (١ ، ٤ ، ٨) حركات مريجة وماعداها ممتزجة (غير صريحة)

(ر) الحركة (١١) هي الكسرة تقريباً وفيها يرتفع مقدم اللسان فهي حركة ضيقة ، عن حين تكون الحركة (٤) الفتحة وهي حركة متسعة ، ثم تأتي الحركة (٨) ممثلة تقريباً للضممة وهي حركة علوية خلفية فهي مضيقة .

هذا هو تصور المحدثين عن الصوائت أو الحركات ، الواو والياء على سطر واحد وهو السطر العلوى ، والفتحة على السطر المقابل ، وهو السطر السفلى . وإذا انتقلنا إلى تصور الفارابى للصوائت الصريحة وجدناه قد وصف الألف بأنها طرف عالٍ ، ووصف الياء على التقبض من ذلك بأنها طرف منخفض ، ووصف الواو بأنها طرف متوسط .

ولعل هذا التقسيم من الفارابى مبنى على الخواص السمعية أو التأثير السمعى لهذه الصوائت ، ففى حالة الألف ينسج مجرى هواء مع تخرج لتسفتين . وفى حالة الياء يعلو طرف اللسان فيضيق مجرى الهواء ، فالتأثير السمعى للألف أعلى من تأثير الياء بناء على درجة اتساع مجرى الهواء .

أما التوسط عند أداء الواو فيمكن تفسيره بأن مؤخر اللسان يرتفع نحو سقف الحنك ، ولكن بدرجة أقل من درجة ارتفاع مقدم اللسان عند أداء الكسرة أو الياء ، وهذا التصور يمكن قبوله بناء على أن مقدم اللسان حُرٌّ فى حركته ، وأسهل فى ارتفاعه من مؤخر اللسان ، لأن المؤخر مثبت إلى أسفل الفم بروابط تحدد من حركته ، فحركة المؤخر أصعب من حركة المقدم ، وهذا يتفق مع مقولة القدماء « إن الضمة أصعب الحركات » فهذه الصعوبة تأتي من أمرين :

- ١ — حركة عضلة اللسان إلى أعلى نحو سقف الحنك ، وهو جهد عضلى .
- ٢ — حركة الجزء الخلفى للسان وهو الجزء المثبت ، وحركة المثبت أصعب من حركة الطليق .

وبهذا يمكن استنتاج أن الضمة أو الواو فى تصور الفارابى لا ترتفع إلى درجة ارتفاع الكسرة أو الياء ، فالواو دون الياء فى الارتفاع ، وبناء على ذلك يكون

يجرى الهواء أكثر اتساعاً عنه في الياء ، ومن ثم أطلق الفارابي على الواو صفة التوسط ، أي التوسط في درجة التأثير السمعي والوضوح .

فتقسيم الفارابي يبنى على أساس التأثير السمعي للصوائت ، وتقسيم المحدثين يبنى على أساس حركة اللسان ، ونصوّران يتفقان في فهم طبيعة الصوائت ، وإن اختلفتا في الزاوية التي ينظر منها كل منهما .

وأما الصوائت المترجة فعنده ثلاثة أقسام ، يقول الفارابي : « والممزوجة إما بمزوجة من الألف والياء ، وإما من « ياء وواو » ، وأما من « ألف وواو » (١) . ثم يعود الفارابي فيفرع كل قسم إلى ثلاثة فروع ، فيقول « وكل واحد من هذه الثلاثة المترجة إما مائلة إلى أحد الطرفين ، أو متوسطة غير مائلة ، والمائلة إما إلى هذا وإما إلى ذلك » (٢) .

ونتيجة لهذا التفرع للأقسام الثلاثة ، صارت جملة الأصوات المترجة تسعة (٣) ويكتفى الفارابي بهذا التفرع على الرغم من قبول هذه الفروع لانقسامات أخرى ، وذلك لأن مسوعات أقسامها تتقارب تقارباً لا يميز السمع بين فصولها (٤) .

ولذلك يرى الفارابي « أن يقتصر منها على هذه التسعة ، ويجمع إليها الأطراف الثلاثة فنصر أصناف المصوتات الطويلة المنفصلة بفصول ينة في السمع اثني عشر مصوتاً ، ويجمع إلى هذه من غير المصوتات المستدة ، تلك الثلاثة التي لا تبشع مسموع النغم فتكون جميع الحروف التي تساقق النغم ، وتقترن بها ، ولا تنفك منها بغمة إنسانية ، وتعمل استعمالاً سلساً وتبين بياناً غير مستكره ، ونغم حساً غير مستبشع خمسة عشر حرفاً » (٥) .

فجميع الأصوات النغمية عنده ، ثلاثة من الصوائت المستدة ، وهي اللام والميم والنون ، والثلاثة الصوائت الصريحة ، والتسعة المترجة فتكون جملة ثمانية عشر صوتاً .

(١) الفارابي الموسيقى الكبير ، ص ١٠٧٣ .

(٢) نفسه ، ص ١٠٧٤ .

(٣) الفارابي . الموسيقى الكبير ، ص ١٠٧٤ .

(٤) نفسه والصفحة

(٥) نفسه والصفحة .

ويمكن تمثيل المصوتات عند الفارابي على الشكل التالي :

الثالث : المقاطع

ويعتقد المحدثون أن العرب لم يتحدثوا عن المقطع ، أو لم يعرفوه ، ومنهم هنري فليش الذي يقول : « والغريب أن هؤلاء الذين كانوا يفكرون في الحروف والحركة في هذا الإطار المقطعي لم يمكنهم أن يستخرجوا فكرة المقطع الذي لم يكن له اسم في مجموعة مصطلحاتهم » (١) .

ومنهم من نسب إلى القدماء إهمال المقاطع الصوتية وأشكالها وأجزائها إهمالاً تاماً (٢) .

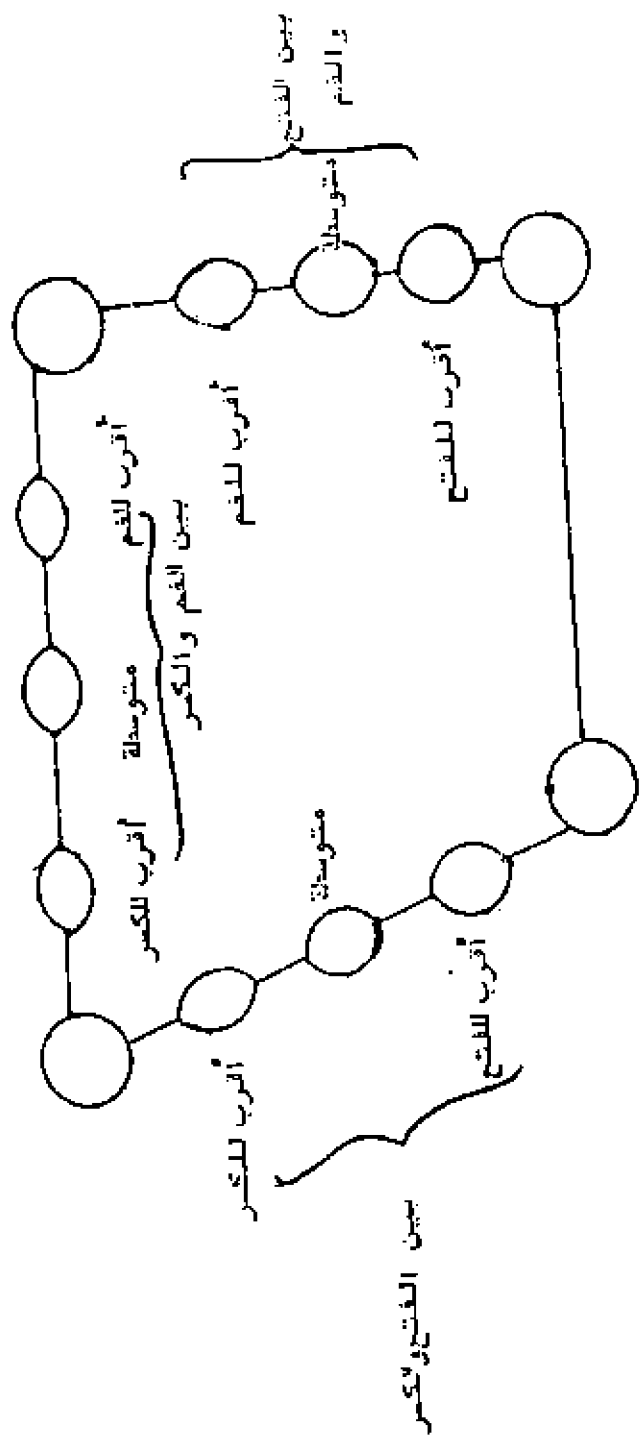
وقد فات هؤلاء الباحثين أن يعودوا إلى ما عرضه الفارابي من تصور لفكرة المقاطع الصوتية ، حيث تحدث عنها بوضوح ، وعرف : « وحدد أقسامها ، إلى مقطع قصير ومقطع طويل ، وإذا تأملنا عبارته كل حرف غير مصوت أتبع بمصوتات قصير قرن به ، فإنه يسمى « المقطع القصير » والعرب يسمونه « الحرف المتحرك » من قبل أنهم يسمون المصوتات القصيرة حركات ، وكل حرف غير مصوت قرن به مصوت طويل ، فإننا نسميه « المقطع الطويل » (٣) . وإذا أمعنا فيها النظر ، لآح لنا إدراكه لفكرة المقطع ، كما يتصورها المحدثون ، وقد ظهر في هذا النص احتراز من الفارابي وقبود لتوضيح فكرته ، فأشار إلى مايقصده من مصطلح المقطع ، وهو مايقابل الحرف المتحرك عند النحاة العرب وهي عين الفكرة في الدرس الحديث .

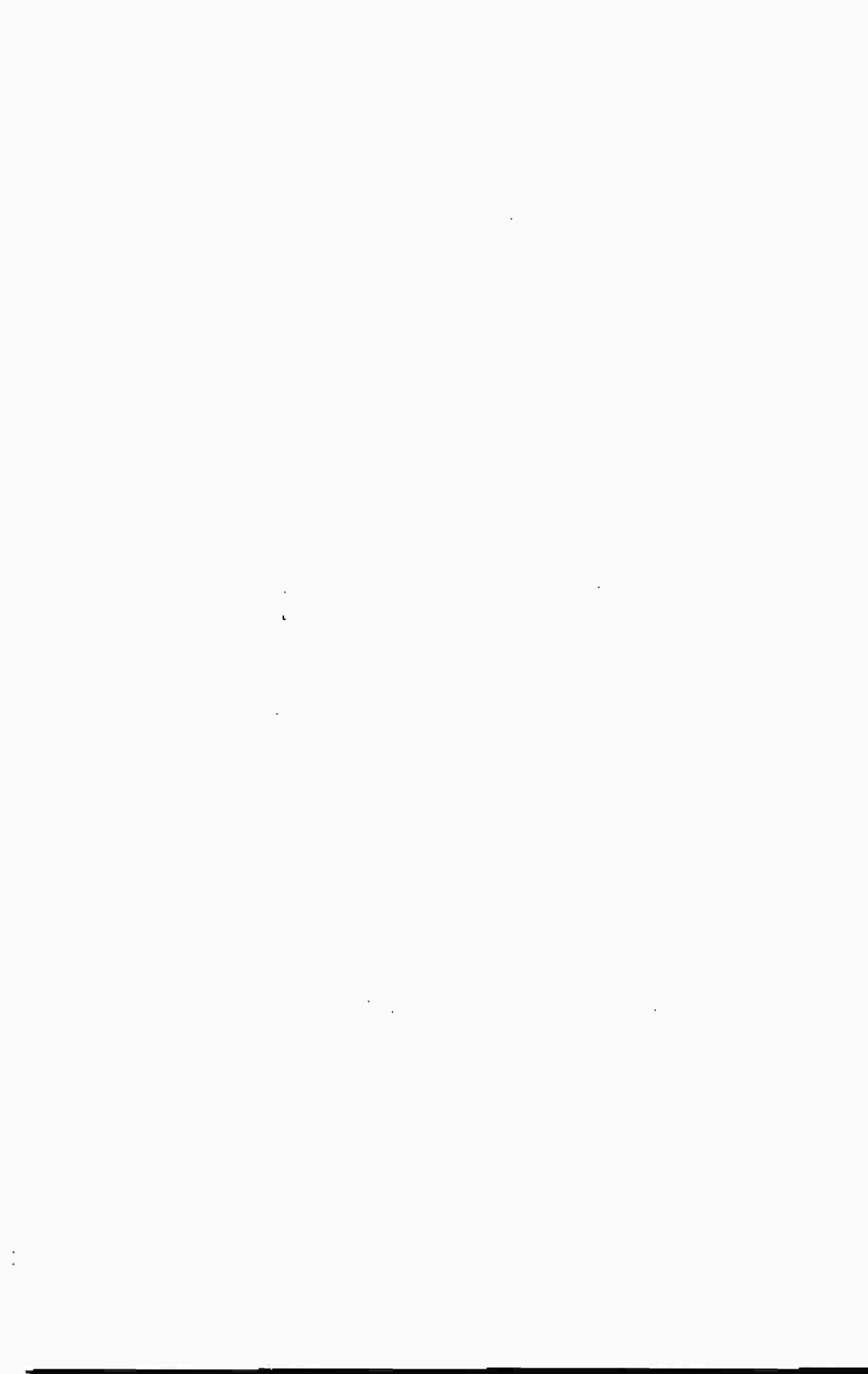
كما ظهر في النص استعمال الفارابي للمصطلحات التي نألفها الآن في علم اللغة الحديث ، وثبت ذلك بأن المقطع يتكون من حرف غير مصوت أي صوت صامت يتبعه مصوت قصير أو طويل ، وطول المقطع يتحدد بطول الصامت الذي يتبع الصامت .

(١) هنري فليش : التفكير الصوتي عند العرب ، ص ٨٣ ، ص ٨٨ .

(٢) د أحمد مختار عمر : نهج اللغوي عند العرب ص ٨٤ ، ط ٢ ، ١٩٧٦ م .

(٣) الفارابي : التوسل الكبير ، ص ٢٥ - ١ .





ونعل الفارائى أوس من ذكر هذا المصطلح ، وتكنم عنه ، بكل هذا التحدد
وتفهم الواضح ، والتصور الذى يتطابق مع فهم المحدثين لفكرة المقطع ، حيث
تردد هذه الأفكار بعينها بينهم ، وهى مستفيضة فى كتبهم^(١) .

وقول الفارائى « فإننا نسميه » دليل على سبقه لهذا المصطلح . ويفهم من
عبارة الفارائى فى العلاقة بين الصامت والصائت ، أن الصائت أو المصوت هو
التالى بدليل قوله « أتبع » فالحرف أسبق من الحركة ، والحركة تالية للحرف ،
وهو كلام رده ابن جنى ، وناقشه فى بعض كتبه^(٢) ، وسبقه الفارائى إلى
حسم هذه القضية بأن الحركة تالية للحرف أو أن الصائت تال للصامت .

ل علم الأصوات الفيزيائى Acoustic Phonetics

يختص هذا العلم بدراسة الصوت اللغوى بعد خروجه من للجهاز الصوتى ثم
مساره فى الهواء حتى يصل إلى أذن المستمع ، فيدرس هذا العلم التردد الصوتى
وطول الموجة الصوتية ، وسعتها ، وسرعة الصوت والرنين ، والصدى الصوتى
وعوامل الخدلة والتقل فى الأصوات ، وغير ذلك مما يختص بالظواهر الفيزيائية
للمصوت .

وقد كان للفارائى جهود طيبة فى هذا المجال ، وأدلى بدلوه فى قضايا هذا
الجانب المهم من علم الأصوات ، وأشار إليها فى ثنايا كتابه .

ولاشك أن كثيراً من هذه المعلومات التى يبحثها اللغويون فى هذا المجال
مأخوذة عن دراسات الفيزيائيين ، ولم يفت الفارائى التنبه على أهمية هذه
المعلومات المتعلقة بالأجسام المصوتة ، وأسباب حدوث الصوت ، وعوامل
الخدلة والتقل ، وأكد الفارائى على أن هذه الأمور يحتاجها أصحاب علم اللغة
من أهل كل لسان ، وصناعة البلاغة ، وصناعة الشعر^(٣) .

(١) جان كاسينو . دروس ل علم أصوات العربية ، ص ١٩١ تحقيق صالح القرمادى ، تونس ١٩٦٦ .
د كال بشر . الأصوات ص ١٦٢ . وانظر : Mainzurg Phonetics, p. 65 .

(٢) ابن جنى . سر صناعة الإعراب ، ١ : ٣٧ .

(٣) الفارائى . الموسيقى التكم . ص ١٠٠ .

١ - الأجسام المصوتة :

من أوائل الموضوعات الفيزيائية الصوتية ، موضوع الأجسام المصوتة ، ويقصد بها الأجسام التي تنتقل بواسطتها الأصوات ، أو التي يمكن مرور الأصوات من خلالها ، وهي وسائل ، يتم بها انتقال الصوت من مصدره إلى حيث يراد توصيله ، واستماعه .

وقد ثبت أن الأجسام التي تنقل الأصوات قد تكون الأجسام الصلبة أو الأجسام السائلة أو الغازات ، فلا بد للصوت من وسط ينتقل خلاله الصوت ، وتسمى الأجسام المصوتة ، أو الأوساط التي يمر فيها الصوت ، ومعلوم أن الهواء هو الوسط العادي لانتقال الصوت ، ولكن يمكن مرور الصوت خلال الماء والزجاج (١) .

أما عند الفارابي ، فإننا نجد بياناً واضحاً متخيفاً عن تقييدات الأجسام التي ينتقل خلالها الصوت ، وعصائصها ، فقد قسمها إلى مايلي (٢) :

(١) أجسام لا تقاوم : وهي بدورها تنقسم إلى مايلي :

* أجسام لا تقاوم وتنفذ للجسم الزاحم أو المصطدم ، وذلك بالاندفاع إلى عمق نفسه ، أو بمعنى آخر ينضغط في نفسه ، وذلك كالأجسام اللينة ، ويقصد الفارابي بها مثل الصلصال ، والمطاط وما شاكلهما من الأجسام اللينة .

* أجسام تنخرق للجسم المصطدم مثل الأجسام الرطبة ، ويقصد بها السوائل .

* أجسام تنحى إلى الجهة التي إليها كانت حركة الزاحم أو الجسم المصطدم من غير مقاومة أصلاً ، ولعله يقصد بذلك الهواء أو الغازات .

(ب) أجسام تقاوم : وهي الأجسام التي تقاوم الجسم المصطدم أو الزاحم ، فلا تنخرق ولا تندفع إلى عمق نفسها ، ولا إلى الجهة التي إليها حركة الزاحم ، وذلك مثل جميع الأجسام الصلبة ، فهذه الأجسام متى قرعت حصل الصوت .

H. D. O'connor, Phonetics. p. 71

(١)

(٢) الفارابي . الموسيقى الكبر . ص ٢١٢ .

فالقسمه عند الفارابى رباعية :

- * المواد الصلبة وهى التى يمكن حدوث الصوت معها ، وانتقاله من خلالها .
- * المواد بين الصلبة والسائلة ، وهى المواد اللينة أو اللدنة .
- * المواد السائلة .
- * المواد الغازية .

والثلاثة الأخيرة لاتقاوم ، ولذلك لا يحصل معها الصوت إلا فى ظروف خاصة ، فشرط حدوث الصوت عند الفارابى هو المقاومة بين الجسمين المتصادمين .

ونلاحظ فى عبارات الفارابى مصطلح « القرع » الذى يعرفه الفارابى قائلاً : « والقرع هو مماسة الجسم الصلب جسماً آخر صلباً ومزاحماً له عن حركة »^(١) .

فالقرع عنده اذن مصادمة جسم بجسم آخر ، أى يتجه جسم ما نحو جسم آخر فيصطدم به ، فتحدث مقاومة بينها فيحصل صوت بينهما ، نتيجة هذا الاصطدام أو القرع .

وهناك مصطلح آخر لم يرد عند الفارابى ، لكنه ورد عند ابن سينا ، فأشار إليه فى رسالته « أسباب حدوث الحروف » وهذا المصطلح هو « القلع » وهى عملية مقابلة أو عكسية لما يحدث لى القرع ، يقول ابن سينا فى تعريف القلع : « تبعد جرم ما عن جرم آخر مماس له منطبق أحدهما على الآخر تبعداً ينقلع عن مماسته انقلاعاً عيماً لسرعة حركة التباعد »^(٢) . فالقلع عكس القرع ، فيما يحدث لى القرع تقرب الجسمين المتصادمين يحدث تبعد الجسمين لى حالة القلع .

ويلتقى مصطلح القلع عند ابن سينا مع ما يعرف لى الدراسات الفيزيائية بمصطلح (التخلخل) Rarefaction حيث يندفع الهواء لملأ الفراغ الناشئ عن

(١) الفارابى . الموسيقى الكبير . ص ٢١٢ .
(٢) ابن سينا . أسباب حدوث الحروف ، ص ٣ . ينظرها الأب تيموتى لومس شيخو فى مجموعة ط . . .

تبعد الجسمين . يقول ابن سينا : وأما في القلع فلا يضطرار القالع الهواء إلى أن يندفع إلى المكان الذي أخلاه المقلوع منها دفعة بعنف وشدة (١٥) .

وإذا كان القرع في الاتجاه الموجب نحو الجسم الآخر ، فإن القلع عملية عكسية ، تكون في الاتجاه السالب بعيداً عن الجسم المتناس مع الجسم المتعاقد .

٢ - تصور تصويت القرع :

يقرر الفارابي أن التصويت الناتج عن القرع يتم بأن أجزاء الهواء الذي بين الجسمين المتصادمين ، منها ما قد يتخرق للجسم المضطدم ، ويبقى من الهواء أجزاء لا تتخرق ، لكن تندفع بين يديه ، فيضطره القارح إلى أن ينضغط بينه وبين الجسم المقروح ، فينقلب من بينهما ثانياً ، كما يعرض للخزرة إذا ضغطت بين أصبعين أن تنقلب من بينهما (١٦) .

فصوت القرع ناتج عن انضغاط هواء بين الجسمين المتصادمين . ويعلل الفارابي لتباين الصوت الناتج عن تصادم الأجسام الصلبة عن الصوت الناتج عن تصادم الأجسام اللينة ، فيبين أن أجزاء الهواء في الحالة الأولى تكون متصلة الأجزاء ، وأشد اجتماعاً عنها في الحالة الثانية فيقول : « ومتى نأى الهواء من بين القارح والمقروح مجتمعاً متصل الأجزاء ، حدث حشد صوت ، وكلما كان الهواء النأي من بينهما أشد اجتماعاً فحدثت الصوت فيه أمكن ، وأجود ، وذلك مثل ما يهب متى قرعت الأجسام الصلبة الملس المترامية الأجزاء مثل النحاس والحديد ، ومتى كان المقروح خشناً أو متجسجس الأجزاء كان ذلك فيه أقل إمكاناً ، وأقل ذلك إمكاناً الصوف والاسفنج » (١٧) .

وهل الرغم من ذكر الفارابي آنفاً أن الصوت لا يصدر عن الهواء أو السائل لأنها تتخرق ، فقد عُدّ وقرر بعد ذلك أن الهواء قد يصدر عنه صوت وذلك إذا فرغ بالسياسة لمقاومة الجزء من الهواء الذي يفرغ ، للوسط ولا يتخرق له ، بل يبقى مجتمع الأجزاء متصلاً ، فيقوم ذلك مقام النحاس ، وما أشبهه .

(١٥) نفسه والصفحة

(١٦) الفارابي . الموسيقى الكبر . ص ٢١٣

(١٧) نفسه والصفحة .

وكذلك ذكر الفارابي أنه قد يسمع للماء صوت متى قاوم القارع ، فإذا انخرق ، ولم يقاوم لم يكن له صوت أصلاً^(٢١) .

وخرير الماء ، ماهر إلا صوت ناتج عن مقاومة الماء لجسم مصطدم به وهو القارع .

٣ - الرنين :

تعرض الفارابي للحديث عن (النغمة) وعرفها بأنها صوت لايت زماناً واحداً محسوساً ذا قدر في الجسم الذي فيه يوجد^(٢٢) .

وقد بين الفارابي الأجسام التي تصدر عنها النغمة وهي :

★ الأجسام المهتزة مثل الأوتار ، حيث تبقى فيها الحركة بعد مفارقة المحرك ، ويعلل الفارابي لحدوث النغمة في هذه الأوتار ، أن الحركة الباقية في الوتر ، ينفض بها الوتر ، الهواء عن نفسه ، فتحدث في الهواء قرعات متصلة ، فتدوم مادامت تلك الحركة فيه باقية إلى أن يسكن ، فينقطع الصوت حينئذ ويقصد الفارابي أن الصوت سوف يتضاءل نتيجة لنقص طاقة الحركة في الجسم المتحرك أو المهتز بمرور الوقت ، إلى أن تصل الطاقة للصفر ، فيتوقف الجسم عن الحركة ومن لم يتوقف الصوت .

★ الهواء الذي يسرب شيئاً شيئاً يدفع شديد في جسم مجوف مقروع فيقرع الهواء جوانب باطن الجسم أو يقرع الهواء نفسه بعضه بعضاً على اتصال زماناً ما فتحدث النغمة كما في المزمار وأشباهاها . أي أن أجزاء الهواء تصطدم بجوانب اسطوانة المزمار من الداخل فيحدث الصوت ، وكذلك تصطدم أجزاء الهواء بعضها ببعض .

★ تدحرج الهواء المقروع على جسم أملس ، ولعله يقصد رنين المعادن والأخشاب كما يحدث مع الشوكة الرنانة .

(٢١) نفسه ، ص ٢١٤ .

(٢٢) الفارابي . الموسيقى الكبير ، ص ٢١٥ - ٢١٦ .

* أن يصدم الهواء بعد مفارقتها للجسم المقروء ، جسماً آخر فينبو عنه أيضاً ، ثم يعود فيصدم جسماً آخر ، ولا يزال هذا التداول حتى تسكن حركة الهواء ، وهذا ما يعرف في الترامات الفيزيائية بالصدى الصوتى . والنغمة التى تناوذا القارائى ، وقصد إليها ، هو ما يعرف بالرنين عند الفيزيائيين .

٤ — الحدة والظلل فى الأصوات :

تأول القارائى مع شىء من التوسع ، وإفاضة اليان ، ظاهرة الحدة والظلل ، فذكر أن حدة الصوت تكون متى كان الهواء الثانى شديد الاجتماع ^(١) ، ويقصد بذلك زيادة التردد الصوتى ، ومن المعلوم فى الفيزياء أن سرعة الصوت = التردد $\times$ طول الموجة . فيكون التردد متناسباً عكسياً مع طول الموجة ، فمع زيادة التردد الذى هو عدد الموجات فى وحدة الزمن يقل طول الموجة وهذا معنى كلام القارائى (أن يكون الهواء شديد الاجتماع) .

وذكر القارائى أن ثقل الصوت يكون إذا كان الهواء الثانى فى الحال اللين ^(٢) ويقصد أن يكون الهواء أقل اجتماعاً ، ذا تردد منخفض ويكون طول موجته طويلاً ، فارتفاع التردد يؤدى إلى حدة الصوت ، عل حين يؤدى انخفاض التردد إلى ثقل الصوت .

كما ذكر القارائى أن العوامل التى تؤدى إلى حدة الصوت هى التى تؤدى إلى شدة اجتماع الهواء والعكس صحيح . وعن عوامل حدة الأصوات ذكر القارائى ^(٣) :

* سرعة الصوت :

ذكر القارائى أن سرعة حركة الهواء وسرعة نبوه تؤدى إلى حدة الصوت ، وأن الهواء بسرعة حركته ، يسابق بشدته فيصل إلى السمع مجتمعاً .

ولاشك أن ذلك يتفق مع ما ذكره الفيزيائيون فى القانون الصوتى المشهور الذى أشرنا إليه سابقاً ، ومنه نعلم أن سرعة الصوت تناسب تناسباً طردياً مع

(١) القارائى . الموسى الكبير . ص ٢١٦

(٢) نفسه والصفحة

(٣) نفسه ص ٢١٧ — ٢٢٢ وانظر أيضاً ص ٢٢٤

التردد الصوتي ، فكلما زادت سرعة الصوت زاد التردد ، وكان الصوت حاداً وكما قلت سرعة الصوت ، قل تردده ، وكان الصوت أثقل .

* زخم القارح :

فمضى كان زخم القارح أشد كان الصوت أحد ، من قبل أنه يفعل في الهواء الناي اجتماعاً أشد ، ومتى كان زخمه أقل كان الصوت أثقل .

* صلادة وملاسة الجسم المقروع :

متى كان الجسم المقروع أكثر صلادة وملاسة وصلابة كان الصوت أحد ، من قبل أن الهواء متى نجا عن جسم بهذه الحال ، كان اجتماعه أشد . وهنا يشير الفارابي إلى العلاقة بين التردد الصوتي الناتج عن جسم ما ، وكثافة مادة هذا الجسم ، والعلاقة بينهما عكسية (١) .

* القوة الدافعة للهواء :

فمضى كان الهواء المدفوع أكثر ، وكانت قوة الذي دفعه أضعف ، كان الهواء أبطأ حركة ، ويكون من الاجتماع بالحال اللين ، فيكون الصوت أثقل ، ومتى كان الهواء قليلاً ، والقوة الدافعة أقوى ، كانت حركة الهواء أسرع ، وكان أشد اجتماعاً ، فكان الصوت أحد . وهنا يشير الفارابي إلى طاقة الحركة للهواء المدفوع فكلما زادت طاقة حركة الهواء ، زاد تردده ، وصار الصوت أحد والعكس صحيح .

* الطول والقصير :

يرى الفارابي أن من أين الأشياء التي يوقف بها على مقادير النغم بعضها من بعض ، وإذا اتفق وتران في كل الصفات ، واختلفا في الطول كان الأطول يعطى التردد الأقل ، والأقصر هو الذي يعطى التردد الأعلى ، فيتناسب التردد عكسياً مع طول الوتر .

(١) يناسب التردد تناسباً عكسياً مع الحد التريبي لكثافة المادة . الفارابي الموسيقي الكبير ،

* سعة نفوس الزمار :

فإذا اتفق مرماران في الخصائص كلها ، واختلفا في سعة الثقب ، كان الثقب الأضيق ، هو الذى يعطى النغمة الأحد أو التردد الأعلى والعكس صحيح .

ويطبق الفارابى نظريته تلك عن عوامل الحدة والقل في الآلات ، فيرى^(١) أن حدة النغم وثقلها تحدان في الآلات :

— إما بقرب الهواء السالك من القوة التى دفعته ، فتعذته في الجيوب ، أو ببعده عنها .

— وإما لضيق التجويف الذى هو مجاز الهواء ولسعة .

— وإما لضيق متخلصات الهواء من تحريفات هذه الآلات إلى خارج ، ولسعتها .

— وإما للامسة التجويف أو المتخلصات ، وخشونتها .

— وإما لضعف القوة التى نفذ بها الهواء في التجويف ، أو في المتخلصات وإما لزيادة في القوة .

وأشار الفارابى^(٢) إلى أنه ربما زاد سبب الحدة زيادة ما ، ولكن لا يكسب ذلك حدة ، ويزيد سبب الثقل زيادة ما ، فلا يكسب ثقلاً ، فزيادة التردد غير تابعة لزيادة أسبابها على الإطلاق ، ولكن إذا قل التردد ، عظم أنه لزيادة سبب الثقل ، فزيادة التردد وقتته يوجب أن يكون قبلها ضرورة زيادة في السبب وليس كل زيادة في السبب ينتجها زيادة في التردد .

والفارابى يرى أن أسهل ما يمكن أن يوقف به على مقادير تفاضل الحدة والنقل (أو التردد) هو طول الأوتار وقصرها ، وعنده أن الثقل يتبع الطول ، والحدة تتبع القصر ، متى كانت الأطوال غير مختلفة في سائر أسباب الحدة في الثقل^(٣) .

(١) الفارابى . الموسيقى الكبير . من ١٧٢ — ١٧٣ .

(٢) الفارابى . الموسيقى الكبير . من ١٧٠ — ١٧١ .

(٣) نفسه ، من ١٧١ .

ومن هنا يتبين لنا أن التردد يتناسب تناسباً عكسياً مع طول الوتر المهتز كما هو الحال عند الفيزيائيين ، ويتضح من النص فهم الفارابي للنهج العلمي المتبع في قياس تأثير عامل من العوامل المؤثرة في شيء ما ، فتجب مراعاة تثبيت بقية العوامل ، فإذا كان التردد يتوقف على عدة عوامل منها طول الوتر وأردنا معرفة علاقة التردد بطول الوتر ، أتينا بوترين يختلفان في الطول ، ويتفقان في كل العوامل المتبقية ، التي يتوقف عليها التردد ، وهذا ملاحظ في قول الفارابي : « متى كانت الأطوال غير مختلفة في سائر أسباب الحدة والنقل » ويقصد الفارابي مساحة مقطع الوتر وكثافة الوتر ، وقوة شده .

ودراسة أسباب تفاوت الترددات في الآلات مفيدة في دراسة الترددات الصوتية الناتجة عن الجهاز الصوتي الإنساني ، وقد قرر الفارابي أن : « أسباب الحدة والنقل في النغمة الإنسانية هي بأعينها أسباب الحدة والنقل في النغمة المسبوغة عن المزمار » (١) .

★ علم الأصوات السمعي Auditory Phonetics

للفارابي بعض الآراء الجيدة فيما يتعلق بأثر الأصوات في السمع ، ومن المعلوم أن علم الأصوات السمعي يختص بدراسة الصوت عندما يؤثر في الأذن ويصل عن طريق أعصاب السمع ، إلى مراكز السمع في المخ .

والأذن البشرية لها قدرة محدودة على التقاط الأصوات ، وليست للأذن البشرية قدرة مطلقة على التقاط كل الترددات الصوتية ، فلها حد أدنى من التردد ولها حد أقصى .

وإلى ذلك أشار الفارابي ، فذكر أن « في طبقات الحدة ، طبقات ليست طبيعية للسمع ، وكذلك في النقل وطبقاته ، ونجد فيها طبقات للسمع فالنغمة التي هي في طبقات من الحدة والنقل طبيعية للإنسان هي بين أول طبقة من الحدة غير طبيعية ، وبين أول طبقة من النقل غير طبيعية » (٢) .

(١) الفارابي : التوسيع الكبير . ص ١٠٦ .

(٢) نفسه ، ص ١١٢ - ١١٣ .

والترددات الطبيعية للأذن البشرية ، قاسها العلماء الفيزيائيون في العصر الحديث ، وقدروها بين ٢٠ — ٢٠,٠٠٠ ذبذبة/ ثانية ، وهذا يسمى بالمدى المسموع ، أما الموجات التي يقل ترددها عن ٢٠ ذبذبة/ثانية (أو سنكل/ ثانية) فتسمى موجات تحت الصوتية (Subsonic) Infrasonic waves والموجات التي يزيد ترددها عن ٢٠,٠٠٠ ذبذبة/ ثانية تسمى موجات فوق الصوتية (Ultrasonic waves) (١).

والترددات الصوتية لانهاية لها ، ولكن الطبقات الصوتية المسموعة بالأذن البشرية محدودة ، يقول الفارابي في هذا الصدد : « فين أن النغمة المختلفة الطبقات ، أما في أنفسها ، فإنها يمكن أن تتزيد تزيهاً بلا نهاية ، وأما بحسب قياسها إلى سمع الإنسان فهي متناهية » (٢) أي لها تردد محدود بالنسبة للقدرة السمعية للأذن البشرية .

وأشار الفارابي (٣) إلى عملية حصول السمع في الأذن ، فذكر أن الهواء الذي ينبو من الجسم المقروء هو الذي يحمله الصوت فيحرك بمثله جزء الهواء الذي يليه فينتقل إليه الصوت ، ويقصد الفارابي انتقال الموجات الصوتية . ويستطرد الفارابي مبيناً أن الثاني يحرك ثالثاً يليه فيقبل ما قبله الثاني من الموجات الصوتية ، والثالث رابعاً يليه ، وهكذا حتى تصل الموجات الصوتية إلى الهواء الموجود في الصماخين . ومن ثم فإن هواء الصماخ ملاق للعضو الذي فيه القوة التي بها يسمع ، فيتأدى ذلك إلى القوة فيسمعه الإنسان ، وهذا التصور من الفارابي لعملية السمع ، هو عين ما تقولاه الدراسات الحديثة (٤) .

وواضح أن الفارابي يقصد « بالقوة التي بها يسمع » أعصاب السمع التي تصلها الموجات الصوتية عن طريق اهتزاز طبلة الأذن التي يقصدها بقوله « للعضو الذي فيه القوة التي بها يسمع » .

(١) د. إبراهيم إبراهيم شريف ، خواص المادة والصوت . ط ٤ دار المعارف بمصر ١٩٧٥ ، وانظر : Jacob & Lieberman, Speech Physiology and Acoustics, p. 24, U. S. A. 1977; G. R. Jones and others, Acoustics, p. 100, London 1967; R. H. Robins, General Linguistics, p. 81.

(٢) الفارابي . الموسيقى الكبير . ص ١١٣ .

(٣) نفسه . ص ٢١١ .

J. D. O'Connor, Phonetics, p. 96.

(٤)

ومعلوم أن طبلة الأذن Ear Drum تهتز لاهتزازات هواء الصماخ فتنتقل الاهتزازات الصوتية من طبلة الأذن ، إلى الأذن الوسطى التى بها العظيـمات الثلاث ، وهى مرتكزة على السطح الداخلى لطبلة الأذن ، وتتصل هذه العظيـمات من الداخلى بالأذن الداخلية التى توجد بها أعصاب السمع ، وتنقل الاهتزازات المتعلقة بالرسالة الصوتية عبر أعصاب السمع إلى المخ ، حيث توجد مراكز السمع العليا ، فيدرك الإنسان الصوت ويسمعه .

ومن هنا يتبين مدى إدراك الفارائى بدقة لمراحل مسار الرسالة الصوتية أو الاهتزازات من فم المتكلم ، حتى تصل إلى أذن المستمع ثم إدراك الإنسان عن طريق الجهاز العصبى السمعى لدى المستمع ، وهذا عين التصور الحديث فى علم اللغة والتشريح ووظائف الأعضاء .

الخلاصة

لاشك بعد هذا التطواف في عقل وفكر الفارابي في المجال الصوتي ، في برور عدة حقائق جليلة واضحة ، شاهدة على مدى تقدم العرب في مجال البحث الصوتي ، وأولى هذه الحقائق أن الفارابي مصدر مهم من مصادر المعرفة اللغوية وخاصة في المستوى الصوتي ، حيث قدم دراسة وفكرة في غاية الوضوح والعسق ، لم تفقد قيمتها وأهميتها برغم ما مر عليها من قرون طويلة .

تميز فكر الفارابي الصوتي بالشمول ، إذ كان يترك بتصور واضح المراحل المختلفة التي يمر بها الصوت ، من لحظة إنتاجه حتى لحظة إدراكه ، وهنا يمزج الفارابي بين التصور النظري للفكر الصوتي ، والملاحظة العملية ، وكانت مصادر الفارابي في استيعابه لهذا الفكر متنوعة ، فقد نص على أن ذلك يؤخذ من علم اللغة والشعر وعلم الطبيعة ، وكان الفارابي فيما يعرض من فكر صوتي مبدعاً ، ولم يك مجرد ناقل أو مردد لأقوال من سبقه .

وآراء الفارابي التي بحثناها تتوافق مع ما وصل إليه علم اللغة في العصر الحديث ، بل تكاد تتطابق معه ، وفي الوقت نفسه ، كان الفارابي مجدداً لأراء اللغويين القدماء ، وله ملاحظات جديدة لم ترد عند سيبويه أو النحاة من بعده فالصوت اللغوي يجب أن يكون بشرياً يؤدي إلى تكوين ألفاظ لها معنى ، وعند كلامه على الجهاز الصوتي لم يقصره على الفم والأنف ، بل أوصله إلى الصدر وماحوله من أضلاع وخواصر ، وما فيه من رئتين ، وتشبيهه الجهاز الصوتي الإنساني بالآلة فكرة جديدة له لم يسبق إليها ، وما ذكره ابن جني في هذه المسألة نقله من الفارابي ، ولم يأت ابن جني في ذلك بمجديد .

كما جاء عند الفارابي مصطلح (مصوت) ويقصد به الصائت أو الحركة ، وهو أول من أشار إلى ذلك من القدماء ، وما ذكره ابن جني عن المصوتات نقله عن الفارابي دون إشارة ، كما لاح لنا نص الفارابي وإشارته إلى مجيء الحركة بعد الحرف ، أو الصائت بعد الصامت ، ومن المعلوم أن ابن جني ناقش هذه القضية بعد الفارابي ولم يشر إليه .

وتقسيم الفارائى للأصوات إلى مصوت ، وغير مصوت سبق فريده منه لى علم الأصوات عند العرب ، إذ تعد الفكرة من أسس علم الأصوات الحديث ، وكان الفارائى مبدعاً عندما فطن إليها ، كما ذكر الفارائى ملاحظات قيمة عن الصوامت ، وذكره لمصطلح (مختدة) يتطابق مع التصور الحديث .

وللفارائى مصطلحات صوتية جديدة مثل مصطلح (الزم) الذى لم يسبق إليه ليفرق بين صوتى الميم والنون ، كما أن تصور الفارائى عن الصوائت (الحركات) تصور دقيق يتفق لى محمله مع البحث الحديث .

وقد فطن الفارائى لفكرة المقاطع ، وهو أمر لم نجده عند أحد من المتقدمين وقد قسمها إلى طويلة وقصيرة ، والفارائى بذلك ينهى انهماج المحدثين للقدماء بعدم معرفتهم بالمقاطع .

ول الجانب الفيزيائى للصوت نجلى فكر الفارائى لى التمييز بين الأجسام المصوتة وغير المصوتة ، وأن الأجسام تتفاوت فيما بينها لى نقل الصوت ، مع دقة فهم لنظرية انتقال الموجات الصوتية عبر الأجسام ، كما أدرك الفارائى العوامل التى تؤثر لى اختلاف التردد الصوتى ، وقام بقياس تأثير كل عامل منها .

ول الجانب السمعى كان الفارائى مدركاً لكيفية حصول عملية السمع لى الأذن وكذلك للمدى الذى تستطيع الأذن البشرية إدراكه من الترددات المختلفة للصوت ، كما كان الفارائى على وعى بأن الأذن البشرية تستقبل الصوت ثم يصل إلى المخ عبر أعصاب السمع ، فيترك الإنسان الصوت .

إن هذه الأفكار التى طالعناها عند الفارائى ، هى الأفكار السائدة الآن عند الدارسين لى علم اللغة ، وعلم الفيزياء ، وهى تمثل حجر الزاوية لى الدرس الصوتى الحديث ، ومن ثم ينبغى دراسة اللغة لى مستوياتها المختلفة ليس عند اللغويين فحسب ، بل عند كل من له صلة بجانب من جوانبها كالقراء ، والأدباء والبلاغيين والمتكلمين والفلاسفة ، ومن ثم تتضح لنا رؤية لغوية عربية شاملة تهى بمطالبات الدرس اللغوى الحديث ، وهما هودا الفارائى مثال صادق على مانقول .

والله الموفق لى أهدى سبيل ،،،

المصادر والمراجع

أولاً : الكتب العربية :

- إبراهيم إبراهيم شريف (دكتور) :
خواص المادة والصوت ط ٤ . دار المعارف ١٩٧٥ م .
- إبراهيم أنيس (دكتور) :
بحث في اشتقاق حروف العلة . مجلة كلية الآداب — جامعة
الاسكندرية مجلد ٢ .
- أحمد مختار عمر (دكتور) :
البحث اللغوي عند العرب . ط ٢ ١٩٧٦ م .
- برجستراسر :
التطور النحوي . ط السماح — ١٩٢٩ م .
- جان كاتينو :
دروس في علم أصوات العربية . ترجمة د. صالح الرمادي . تونس
١٩٦٦ م .
- ابن جني :
الخصائص تحقيق الشيخ محمد علي النجار . م . دار الكتب —
١٣٧٤ هـ / ١٩٥٥ م .
- ابن جني :
سر صناعة الإعراب . ط تحقيق مصطفى السقا ومحمد الزغلاف ،
إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين ، ط ١ . — مصطفى الحلبي
١٣٧٤ هـ / ١٩٥٤ م .
- حسن نصار (دكتور) :
الثقافة في العروض والأدب . دار المعارف د . ت .

- ميبوه :
الكتاب ، ط بولاق ١٣١٨ هـ
- السمرال (أبو سعيد) :
مأذكرة الكوفيين من الإدغام . تحقيق صبيح حمود الشاذلي ، مجلة المورد
مجلد ١٢ ، عدد ٢ ، وزارة الثقافة والاعلام ، العراق ١٤٠٣ هـ /
١٩٨٣ م .
- ابن سينا :
أسباب حدوث الحروف . نشرها الأب اليسوعي لويس شيخو ضمن
مجموعة . ط بيروت . د . ت ،
- أ. شاذلي :
علم الأصوات عند ميبوه وعندنا . صحيفة الجامعة المصرية . السنة
الثانية ١٩٣١ م .
- عابدين (عبد المجيد / دكتور) :
محاضرات في علم اللغة الحديث — الإسكندرية ١٩٨٦ .
- الفارابي :
الموسيقى الكبير تحقيق وشرح غطاس عبد الملك خشبة ، دار الكاتب
العربي للطباعة والنشر القاهرة .
- فندريس :
اللغة ، مع — عبد الحميد الدواخل ، ومحمد القصاص . الناشر مكتبة
الأنجلو المصرية ، ط . لجنة البيان العربي ١٣٧٠ هـ / ١٩٥٠ م .
- كمال بشر (دكتور) :
علم اللغة العام ، الأصوات . ط ٧ — دار المعارف — ١٩٨٠ م .
- مجمع اللغة العربية .
مجموعة المصطلحات العلمية والفنية للمجمع اللغوي دورة المؤتمر ٢٧ ،
القاهرة مجلد ٣ — ١٩٦٢ م

— هنرى فليش :

التفكير الصوتى عند العرب ، ترجمة د. عبد الصبور شاهين . مجلة مجمع
اللغة العربية ، الجزء ٢٣ .

لانياً : الكتب الأجنبية :

— Bertil Malmberg, Phonetics, New York, 1963.

— G. R. Jones and others, Acoustics, London, 1967.

— J. D. O Connor, Phonetics, Penguin book, England, 1976.

— Philip Lieberman, Speech Physiology and Acoustic Phonetics, U.S.A,
1977.

— R. H. Robins, General Linguistics. An introductory Survey, London,
1960.

— J. C. Wells, Greta Colson, Pactical Phonetics, London, 1978.

قسم التاريخ

1950 年 10 月 1 日

1950 年 10 月 1 日

العلماء بن مخيث الجذامي التأثير علي دولة بني
أمية في الأندلس
هل هو يمني من جنح مصر؟

الدكتور

السيد عبد العزيز سالم

• السيد الحاج لاسلام و الحضانة بكلية الآداب — جامعة الاسكندرية

في سنة ١٤٦ هـ (٧٦٣ م) أعلن العلاء بن مغيث الجذامي^(١) الثورة على الدولة الأموية في باجة ، ودعا إلى طاعة الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور ، ورفع اللواء الأسود . ونبته خلق كثير من البغائية الذين انقلبوا على الأمير الأموي عبد الرحمن بن معاوية ، مؤسس دولة بني أمية في الأندلس . ويبدو أن العلاء اختار الوقت المناسب للقضاء على دولة عبد الرحمن الأموي الفتية ، فقد كانت الثورات القهرية تحتاج الأندلس منذ أن هرب عبد الرحمن بالإمارة في قرطبة ففي ظليلة ثار عليه هشام بن عروة القهري وناوؤه ، وانضم إليه عدد كبير من العرب ، وذلك بعد أن تخلص عبد الرحمن من خصمه يوسف القهري والصميل . فلما علم عبد الرحمن بثورة العلاء وانضمام الثوار إليه ، خرج من قرطبة متجهاً إلى الغرب لمواجهة ، وعند قرمونة أقبلت إليه حشود هائلة من الثوار بقيادة العلاء ، ففتح عبد الرحمن داخل أسوارها ، مع مواليه وثقات رجاله ، وأحكم العلاء عليه الحصار ما يقرب من شهرين حتى ساءت حالته ، ونفذت مؤوته ، وفي نفس الوقت اتخذ عن العلاء أكثر أنصاره لطول أمد الحصار ، فاختلت محلته ، وبلغ عبد الرحمن ذلك ، فوجدها فرصة مواتية للانقضاض عليه بفوكته ، وكانوا نحو سبعمائة ، وأمر بتار فأوقدت عند باب إشبيلية من أبواب تلك المدينة ، ثم أمر بأعتماد سيوف رجاله فطرح في النار ، وقال لأصحابه : « اخرجوا معي خروج من لا يحدث نفسه

(١) بنو جمهور من الفزاريين العرب إلى جندل من كهلان ، ومنهم ابن القوطية (تاريخ اسنح الأندلس ، نشره دون خليف ريبا ، مدريد ، ١٩٢٦ ص ٣٢) وابن عشاري المراكشي (البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، نشره ليفي برونسسال وكولان ، ج ٢ ، ليدن ١٩٤٨ ص ٥١) وابن الخطيب ، (كتاب أعين الأعلام ، تحقيق ليفي برونسسال ، الرباط ، ١٩٣٤ ، ص ٨) ، في حين بنو السروان إلى محصب من حمير ، ومنهم ابن خلدون ، (كتاب العبر ، ج ٤ ، بيروت ، ١٩٦٨ ، ص ٢٦٦) والحيمري في (الوهن المعطار في حير الأقطار ، تحقيق د. إحسان عباس ، ص ٧٥) والقرني في (دفع الطيب ، تحقيق محي الدين عبد الحميد ، ج ١ ص ٣١١) . وتعمل إلى ترجيح السبب الجذامي ، فقد كانت جندل من أقدم عرب مصر ، فدموا مع عمرو بن العاص ، وكانت جندل عنوة الحمري (عبد الله خورشيد الحمري ، القبائل العربية في مصر في القرون الثلاثة الأولى للهجرة ، القاهرة ١٩٦٧ ص ١٦٠) اشتركوا في الثورة على عثمان بن عفان ، وقاموا الأمويين في نهاية دولهم وأهلبوا الدعوة العباسية ، وكانوا يشكلون ككرة عددة في الحفاظ ، وكان منهم بالإسكندرية جماعة دور عند وهبة وشجاعة وإقدام (التبريزي ، البيان والإعراب عما يأنس مصر من الأعراق ، تحقيق د. عبد الجليل عابدين ، القاهرة ١٩٦١ ص ٢٧) ، في حين أن محصب وهي من حمير كانت قبيلة لعمدة وقبيلة الأهمية بمصر ، ولم يكن له دور في حوادث مصر والمغرب .

بالرجوع»^(٢٧) ، فخرجوا إلى عدد لا يحصى ، فرزقهم الله النصرا^(٢٨) ، وأيد جيش العلاء ومزقت حشوده ، وبلغ عدد القتلى من رجاله نحو سبعة آلاف^(٢٩) ، وقيل ستة آلاف^(٣٠) ، وقتل العلاء فيمن قتل وطيف برأسه ، وأمر عبد الرحمن ، مبالغة منه في السخرية من أبي جعفر المنصور أن يبعث برأس العلاء إليه ، فأمر بحز رأسه ، وحشاه ملحاً وصبراً ، ولفه في لواء أبي جعفر ، ووضع الرأس في سقط وبعث به مع رجل من أهل قرطبة في حملة الحاج ، وأمره عبد الرحمن بأن يضع السقط أمام سراق المنصور في مكة ، إذ كان يخرج في ذلك العام ، ففعل القرطبي ما أمره به عبد الرحمن ، فلما نظر إليه المنصور ارتعاب وقال : « إنا لله ، عرضنا بهذا المسكين للقتل ، الحمد لله الذي جعل البحر بيننا وبين هذا الشيطان »^(٣١) .

هذا عرض موجز لثورة العلاء بن مغيث الجذامي كما وردت في المصادر العربية ، والسؤال المطروح على بساط البحث : من هو العلاء بن مغيث الجذامي أو اليحصي صاحب الثورة على عبد الرحمن بن معاوية الأموي ؟ ولماذا وقع اختيار أبي جعفر المنصور عليه ليقود الثورة ويفجرها في باجة ويبعث إليه بسجل الولاية واللواء ؟

وللاجابة على هذين السؤالين لابد من الرجوع إلى الروايات الواردة في المصادر العربية ومقابلتها فيما بينها بهدف التوصل إلى بصيص من الضوء يعيننا على الإجابة عليهما .

١ - يتفرد المؤلف مجهول الاسم صاحب كتاب ذكر بلاد الأندلس بقوله : « في سنة ١٤٤ هـ أقبل العلاء بن مغيث الجذامي من إفريقية فدخل الأندلس ، ودعا بها لبني العباس ، وملك باجة وقرمونة . وفي سنة ١٤٦ هـ ملك العلاء بن مغيث بلاد شرق الأندلس ولبس السواد

(٢٧) ابن عذاري ، نيل المغرب ، ج ٢ ص ٥١ .

(٢٨) ابن الخطيب ، كتاب أعمال الأعلام ، ص ٨ .

(٢٩) القرى ، فتح الطب ، ج ١ ص ٣١١ ونظر المؤلف مجهول الاسم صاحب كتاب ذكر بلاد الأندلس ، ص ١١٥ .

(٣٠) ابن عذاري ، الفصل السابق ، ج ٢ ص ٥٢ .

(٣١) ابن القرطبة ، الفصل السابق ، ص ٣٤ - ابن عذاري ، نيل ، ج ٢ ص ٥٢ .

وخطب للمنصور ، فأجابه خلق كثير ، منهم البجائية بأسرها فسار إلى
إشبيلية ، فقتل هو وسبعة آلاف من أتباعه (٧٧).

وستنتج من هذا النص : أن العلاء بن معيث كان من جند العباسيين
بإفريقية وأنه دخل الأندلس قادماً من إفريقية في سنة ١٤٤ هـ فملك
باجة وقرمونة من بلاد غرب الأندلس . والمعروف أن باجة من الكور
المتحدة ، نزلها جند مصر ، وكان عبد الرحمن بن معاوية قد أسقط
جندهم وأحلل ذكركم (٧٨) . وربما كان ذلك من الأسباب التي حملت
أهل باجة على السخط على عبد الرحمن الأموي والانضمام إلى العلاء
الذي كان على حدقول ياقوت « على رأس جند باجة » (٧٩) .

٢ — يذكر ابن عذارى أن العلاء بن معيث الجذامي ثار سنة ١٤٦ هـ بباجة ،
« ودعا إلى طاعة أبي جعفر المنصور ، ونشر الأعلام السود ، فأتبعه
الأجناد ، وتطلعه العباد ، إلى أن كادت دولة الأمير أن تنصرم ، وخلافته
أن تنخرم ، فخرج إليه من قرطبة ، وصار بقرمونة ، فتحصن بها مع
مواليه » (٨٠) .

٣ — يذكر ابن عذارى في موضع آخر نقلاً عن السالمى في أدرر القلائد . أن
أبا جعفر المنصور « كان أرسل إلى العلاء بن معيث بولاية الأندلس .
فنشر الأعلام السود ، وقام بالدعوة العباسية بالأندلس ، فأنحسر إليه
الناس » (٨١) .

٤ — وفي موضع آخر يحدد ابن عذارى ، نقلاً عن صاحب كتاب بهجة
النفس ، الموضع الذي بدأ فيه العلاء بإعلان الثورة على الأمير الأموي ،
فيقول : « وكانت ثورة العلاء بموضع يقال له ألفت من عمل

(٧٧) مجهول . ذكر بلاد الأندلس ، نشر وتحقيق لويس موليها ، مدريد ١٩٨٣ ، ص ١١٥ .

(٨٠) ياقوت . معجم البلدان ، مادة باجة .

(٨١) نفس المنصر .

(١٠٠) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج ٢ ص ٥١ .

(١٠١) ابن عذارى ، نفس المنصر ، ص ٥٢ .

باجة^(١٢) ، فأظهر سجل المنصور ولواءه ، وجمع إلى نفسه من أجابه ،
ونحى إلى باجة فأخذها ، وتقلب بها على جميع العرب ، ونحى جريد
الأمير عبد الرحمن^(١٣) .

٥ — يذكر المقرئ بطلاً عن ابن خلدون أن العلاء بن معيث ، سار سنة
١٤٦ هـ من إفريقية إلى الأندلس ، ونزل بباجة الأندلس داعياً لأبي
جعفر المنصور ، واجتمع إليه خلق ، فسار عبد الرحمن ، ولقيه بتواحي
إشبيلية . فقاتله أياماً ، ثم انهزم العلاء^(١٤) .

٦ — يذكر المقرئ في موضع آخر أن العلاء ثار بباجة ، وكان قد وصل من
إفريقية على أن يظهر الرايات السود بالأندلس ، فدخل في ناس قليلين ،
لأرسي بباجة باجة ، أودعوا ومن أهلها حولهم ، فاستجاب له خلق
كثير^(١٥) .

ونخرج من الروايات السابقة بالحقائق الآتية :

١ — أن العلاء بن معيث الجذامي كان من رؤوس العرب الجمانية بباجة ، بحيث
وقع عليه اختيار أبي جعفر المنصور دون غيره من زعماء الجمانية للمهمة
الصعبة التي أسندت إليه ، وهي رفع اللواء الأسود ، وولاية الأندلس من
قلبه . فإن القوطية يؤكد أنه « كان من سكان باجة في الغرب ، وكانت
له فيها رئاسة »^(١٦) .

٢ — نستنتج من رواية الجغرافي مجهول الاسم صاحب كتاب « ذكر بلاد
الأندلس » أن العلاء خرج من إفريقية في سنة ١٤٤ هـ ، ودخل بباجة

(١٢) هو الحصن المعروف اليوم باسم Fuente de Cantos ، ويحدد فليث أرناؤت موقعه على بعد ٦٠
ك . م . جنوب إشبيلية في طريق إماردة — إشبيلية (Felix Hernandez, La Kura de Meridu,)
en el siglo x, al-Andalus, Vol. XXV, Fasc. 2, 1960, P. 361.

وانظر رسالة الدكتوراه التي تقدمت بها د . سحر السيد عبد العزيز سالم وعنوانها : مظاهر
الحضارة في إيطاليوس الأسلامية (٢٦١ — ٦٢٧ هـ) . جامعة الإسكندرية ١٩٥٧ ج ٢
ص ٧٦٠ .

(١٣) ابن عذارى ، البيان ، ج ٢ ص ٥٢

(١٤) المقرئ ، فتح الطب ، ج ١ ص ٣١١ .

(١٥) المقرئ ، المرجع السابق ، ج ٤ ص ٣٥

(١٦) ابن القوطية ، تقدمت السابق ، ص ٢٢

بالذات من مدد الأندلس فملكها^(١٧) . ونسألك عن السبب الذى دعاه إلى اختيار باجة منزلاً له ، وبالربط بين النص الذى أورده الجغرافى مجهول الاسم ، ويشير إلى خروج العلاء من إفريقية سنة ١٤٤ هـ وبين استيلاء الجيش العباسى بقيادة محمد بن الأشعث الخزاعى على إفريقية فى نفس السنة^(١٨) ، يمكننا أن نستنتج أن العلاء بن مغيث كان من بين أجناد الجيش المذكور، وأنه شارك فى حملة ابن الأشعث الخزاعى اليمنى الأصل على إفريقية ، وأنه اضطر إلى الخروج إلى الأندلس فى نفس السنة إما لتنفيذ المهمة التى أُنشئت إليه أو لاستغلال الأوضاع السيئة فى الأندلس ضد عبد الرحمن الداخل لصالحه هو ، أو لمناهضة المضربة وكانوا يؤلفون معظم الجيش العباسى فى إفريقية لقائدهم اليمنى عماد بن الأشعث الخزاعى .

٣- إذا ربطنا بين رواية ابن القوطية التى يذكر فيها أن العلاء بن مغيث كان من سكان باجة فى الغرب وكانت له فيها رئاسة^(١٩) ، وبين رواية المؤلف مجهول الاسم التى تشير إلى أنه ملك باجة وقرمونة فى سنة ١٤٤ هـ ، نستنتج أن العلاء اختار باجة ، مقر جند مصر ، منزلاً لسبب ما ، ويشير هذا الاختيار إلى أنه كان يستهدف الاعتراء بسكانها ، بحيث يمكنه من السيطرة عليها ، وهذا الحدث فى حد ذاته يدعونا إلى الاعتقاد بأنه كان من جند مصر الذين وفدوا إلى إفريقية فى حملة ابن الأشعث الخزاعى وأنه آثر أن ينزل بين قرمه من جند مصر فى باجة ، فرجدهم ساحطين على الأمير الأموى الذى كان قد أسقط جندهم ، وأخل ذكرهم ، كما أشرنا إلى ذلك من قبل .

٤- وربما تأثر العلاء بذلك ، فعزم على الاطاحة بعبد الرحمن ، فأقدم على الاستيلاء على باجة وما حولها ، وترغم الثورة على الأمير الأموى ، ودعا لأبى جعفر المنصور ، الأمر الذى دعا المنصور إلى أن يبعث إليه بسجل

(١٧) مجهول ، ذكر بلاد الأندلس ، تحقيق لويس مولينا ، ص ١١٥

(١٨) ابن عسكوى ، ج ١ ص ٨٣ وما بعدها

(١٩) ابن القوطية ، ص ٣٢

ولواء ويوصيه بقوله : « إن كان فيك محمل لمناهضة عبد الرحمن وإلا فأهت إليك من بعينك » (٢٠) .

٥ — وأعتقد أن العلاء رأى قبل أن يرفع اللواء الأسود أن يضم إليه أنصارا آخرين من قومه بشرق الأندلس ، وأغنى بهم جند مصر الذين أقرن أبو الخطار الحسام بن ضرار الكلبي بعضهم في تدمير (٢١) التي سماها مصر (٢٢) ، وذلك استناداً إلى قول المؤلف مجهول الاسم أنه « ملك بلاد شرق الأندلس سنة ١٤٦ هـ وليس السواد وخطب للمنصور ، فأجابه خلق كثير ، والبنانية بأسرها ، فسار إلى أشيلية » (٢٣) . فلما وصل إلى قرمونة ألقى عبد الرحمن بن معاوية قد تحصن فيها ، فحاصره إلى أن وقع من الحوادث ما وقع ، وانتهى الأمر بمصرعه .

وإستنتاجاً من الحقائق السابقة غمضى الحوادث على النحو التالي :

١ — أن العلاء بن مغيث كان من بين جند مصر الذين شاركوا في حملة محمد بن الأشعث الخزاعي (٢٤) على إفريقية سنة ١٤٤ هـ .

٢ — أنه انفصل عن الحملة عندما بدأ المضربة في إفريقية ، وكانوا يشكلون السواد الأعظم من العرب يزعمون ابن الأشعث وبنائوه ، وأثر أن يعبر البحر إلى حاجة المركز الرئيسي لجند مصر في الأندلس ، وربما فعل ذلك تفيداً لاتفاق مسبق تم بينه وبين أبي جعفر المنصور أو من يتوب عنه في إفريقية وهو ابن الأشعث الخزاعي ، أو رغبة منه في الاعتزاء بقومه الجنية الذين كانوا يتقممون على عبد الرحمن بن معاوية ويضرمون الكيد له ، تمهيداً للدعوة لنفسه ، والاطاحة بالدولة الأموية ، وإدخال الأندلس في

(٢٠) ابن القوطية ، ص ٣٢ .

(٢١) ابن عفاص ، ج ٢ ص ٣٣ — السيد عبد العزيز صام ، تاريخ المسلمين وأثارهم في الأندلس ، بيروت ، ١٩٦٢ ، ص ١٦٤ .

(٢٢) المقرئ ، ج ١ ص ٢٢١ .

(٢٣) مجهول ، ص ١١٥ .

(٢٤) من الملاحظ أن ابن الأشعث ينسب إلى خزاعة التي ترفع من كهلاء ، وهي بعض الفزج الذين تنسب إليهم خزاعة . وقد اشتركت الخزاعة في فتح مصر التي كانت تنبأها شاء حذام في الشارة على عثمان .

فقد الدولة العباسية . وأحيل إلى استبعاد الاقتراض الأول والأخذ
بالتأني .

٣ - ثم يتردد العلاء عند وصوله إلى باجة في استشارة جند مصر من الحماية فيها
واستباض عزائمهم وشحذ همهم لثورة على الحكومة المركزية في
قرطبة، واستغل انصراف الأمير عبد الرحمن بن معاوية في إخماد ثورة
هشام بن عروة القهري في طليطلة واستولى على باجة ونواحيها في غرب
الأندلس .

٤ - لما تم له ذلك انتقل إلى تدمير بشرق الأندلس حيث كانت تترك طائفة
كبيرة العدد من جند مصر من النخبة الذين ينسب إليهم . ولما تحقق له
انصوائهم إلى دعوته أقدم على رفع اللواء الأسود شعار العباسيين ، ودعا
لأبي جعفر المنصور ، وزحف نحو قرطبة ، فأدرك عبد الرحمن بن معاوية
قرب قرمونة ، فبادر عبد الرحمن بالتحصن داخل سورها ، فحاصرت
قوات العلاء زهاء شهرين ، ثم كان ما كان من هزيمة العلاء ومصرعه .

ومن خلال الربط بين الحوادث يمكننا توضيح طبيعة العلاقة بين العلاء
وأهل باجة ، والمغزى من الثورة التي قام بها العلاء على عبد الرحمن بن معاوية
في باجة ، وتفسير السبب الذي دعا لإعلانها في تلك المدينة وما ترتب على
ذلك من نتائج .

السيد عبد العزيز سالم

المكتبة المصرية فيما قبل مكتبة الإسكندرية

الدكتور

أحمد أمين سليم

* أستاذ التاريخ القديم المساعد بقسم التاريخ — كلية الآداب — جامعة الإسكندرية

11. *Chrysomelidae* (Coleoptera)
Chrysomelidae (Coleoptera)

عرف المصريون مكان حفظ لقائف الردى تحت شجر pr-md3t وكذلك

ss · n · pf^(٣) وهي تعيد معنى دار الكتب ، أو دار لافافات الكتب ، وقد
 تعنى أحياناً « دار الوثائق » ، وذلك إذا كانت المواد المحفوظة في الأرشيف
 ذات اهتمام خاص ، وذلك مثل أرشيف تل العمارنة ، وأرشيف مكتبة الشئون
 الخارجية في عصر الرعامسة^(٤) .

تعارف الكتاب باسم

md3.1^(٥) وهي تفيد معنى الكتاب الملقوف أو نسخة البردي أو الوثائق،

Wb (Wörterbuch der Aegyptischen Sprache. Herausgegeben Von Adolf ⁽¹⁾
Eman und Herman Grapow) Band I, Berlin (1961) S. 515, Band II
Berlin (1971) S. 187, 8
Meeks, D., *Annee Lexicographique*, Tome I, Pary (1980), P. 131

Lepsius, C. R. Denkmäler aus Aegypten und Aethiopien. III. Berlin. 1884. 167 (x)

IVb, III, S. 479. (r)

LV (Lexikon Der Ägyptologie, Herausgegeben von Wolfgang Helck (1) und Eberhard Otto, Band I, 1973), S. 783.

ولمحمدر الإشارة إلى أن كلمة أرشيف مشتقة من الكلمة اليونانية *Arché* التي تعني معنى الوظيفة الحكومية ، ومن ثم فقد أطلقت على مجموع الوثائق والأوراق التي تصبغ لدى الموظف أثناء عمله ، وهي في اللاتينية *Archivum* ومنها انتقلت إلى اللغات الحديثة ، وفي العصر الحديث تعددت تعاريفه ، ف يرى البعض أنه يطلق على الوثائق القديمة ، ويرى البعض أنها الوثائق التي هم الدولة ، أو أنها كل الوثائق المكتوبة باللغة من نشاط أجماعي أو فردي والتي يتم تنظيمها وحفظها داخل منظمة واحدة ليسهل الرجوع إليها . وتشير الأدلة الأثرية إلى وجود أرشيف منظمة في العالم القديم مثل أرشيف على الصنارة في مصر ، شبر تلك آشور ، بابل في نينوى بالعراق وأرشيف ملوى

Web. 11. 5. 186 (6)

وهي تشير إلى طبيعة الكتب في مصر القديمة ، بل والعالم القديم آنذاك ، إذ كانت معظم الكتب على شكل لفائف يصنع أكثرها من البردى .

ويرجع الفضل إلى المصريين في اختراع ورق البردى الذي ظل مستخدماً في مصر منذ بداية التاريخ المصري القديم وحتى القرن الحادى عشر الميلادى ، رغم اختراع الورق في القرن الثانى الميلادى ، وذلك نظراً لما يتميز به البردى من متانة وخفة ، وسهولة طيه وحفظه وإمكانية الكتابة عليه بسهولة^(١) (شكل ١) .

ويستدل من الأدلة الأثرية التى عثر عليها وجود صناعة لفافات البردى منذ بداية عصر الأسرة الأولى الفرعونية ، إذ عثر في المقبرة التى تنسب إلى حكاما  أحد كبار رجال الدولة في عهد الملك دن^(٢) على لفافتين من البردى في صندوق صغير ، ورغم عدم وجود كتابة عليهما إلا أنه من المرجح أنهما صنعا لهذا الغرض^(٣) .

وبجانب البردى الذى كان يعتبر مادة الكتابة الثمينة في ذلك الوقت ، فقد استخدم المصريون الألواح الخشبية في الكتابة ، وكانت هذه الألواح تطل بطلاقة رقيقة من الجص وتصفل بعناية حتى تصبح ملساء بحيث يمكن بسهولة محو المسطور المكتوبة عند الرغبة في ذلك^(٤) ، وفي أحيان كثيرة كان يتم الكتابة على الألواح الخشبية بواسطة النقش البارز أو الغائر ، واستخدام المصريون كذلك شطف الحجر الأبيض وكسرات الفخار والعاج والأنثوس وغيرها بما يمكنهم الكتابة عليه .

Benazeth, D., "Les scribes Egyptiens", dans *Naissance de L'écriture, Cuneiformes et hieroglyphes*, Paris, 1982, PP. 351, 355-6. (١)

Petrie, W.M.F., *The Royal Tombs of The First Dynasty. Part I*, London, 1900, pls. XV, 16, XX, XXV. 53. (٢)

Emery, W.B., and Saad, Z.Y., *The Tomb of Hemaka*, Cairo, 1938, P. 14. (٣)

Emery, W.B., and Saad, Z.Y., *Archaic Egypt*, Edinburgh, 1963, P. 235.

Garstang, J., *The burial customs of Ancient Egypt as illustrated by tombs of the Middle Kingdom*, London, 1907, P. 77. (٤)

وفيما يتصل بأدوات الكتابة ، فقد تكونت لوحة الكتابة من أداة واحدة من الخشب أو العاج أو النحاس أو الصلصال ، وهي تتركب من جزئين ، أحدهما باللون الأسود ، وفي الآخر اللون الأحمر ، والقسم الآخر عبارة عن صندوق مستطيل لحفظ الأقلام (شكل ٢) ، وفي بعض الأحيان كانت اللوحة المستخدمة للألوان توجد منفصلة^(١) .

وتوضح الأدلة النصية شغف المصريين بالكتب واهتمامهم بها ، ومنها ما جاء في نصائح الحكيم « عيتي بن دواوف » لابنه « يسي » وهو يدخله المدرسة إذ قال له :

« ضع قلبك وراء الكتب ... ، لأنه ما من شيء يعلو على الكتب » .

« ليتني أستطيع أن أجعلك تحب الكتب أكثر من أمك ، ليتني أستطيع أن أريك جمالها ، إنها أعظم من أي شيء آخر »^(٢) .

وجاء في التعاليم الموجهة إلى مري — كا — رع عن الرجل الحكيم أنه :

« إن الحق (ماعة) يأتي إليه محترماً حسباً كان عليه الأجداد ، فعليك إذن أن تقلد أجدادك ، وتأمل ! إن كلماتهم مدونة في المخطوطات فافتحها لتقرأها ، وقد معرفتهم ، وبذلك الطريقة يصبح صاحب الصنعة على علم »^(٣) .

ويستدل كذلك بما ورد في قصة خوفو والسحرة العلماء المصريين بالكتب واصطحابهم لها معهم أينما ذهبوا ، ففي الجزء الخاص بالأمير حرددف نجده قد أخبر والده الملك خوفو بأنه يوجد رجل يدعى « ددي » يعيش في

Benazeth, D., Op.Cit., PP. 345-346. (١)

Lichtheim, M., Ancient Egyptian Literature, I, London, 1975, pp. 184. (٢)

185.

Golenischeff, W., Les Papyrus Hieratiques nos. 1113, 1116 A et 1116b de l'Ermitage Imperiala St - Petersburg, (St Petersburg), 1913. (٣)

مدينة « جندسرو » — بالقرب من ميلوم الحالية — وأنه أوفى من العلم الكثير ، وعندئذ كلفه والده بأن يذهب إليه ويحضره بنفسه ، وعندما ذهب إليه وطلب منه الحضور إلى القصر الملكي ، قال له « ددى » جهز سفينة لي لتحضر تلاميذى وكنتى معاً ،^(١) .

وجاء في نصائح « آنى » لابنه « خنس حنپ » ما يشير إلى تقدير المصرى للكتب وأهميتها وسمو مكانتها ، فقد جاء فيها :

« إذا كنت ماهراً في الكتابة ، فإن الناس أجمع يفعلون كل ما تقوله ، إذن خصص نفسك للكتب وضعها في قلبك ، وبذلك يكون كل ما تقوله مختاراً ، إن كل وظيفة يعين فيها الكاتب تتطلب منه أن يستشير فيها الكتب حتى يلازمه النجاح »^(٢) .

كما ورد في إحدى البرديات وصف لما ينتظر المتوفى السعيد في العالم الآخر ، من أنه سوف يحصل على الملابس وقوتك بخوار المكتبة^(٣) .

ويتصل بذلك أيضاً الحظ على القراءة والكتابة ، وما ورد في ذلك في عصر
 mnjht h.w. k m-h3w pr-md3t

الرعامسة^(٤) .

وتتصل بذلك أيضاً الحظ على القراءة والكتابة ، وما ورد في ذلك في عصر

وتتصل بذلك أيضاً الحظ على القراءة والكتابة ، وما ورد في ذلك في عصر

وتتصل بذلك أيضاً الحظ على القراءة والكتابة ، وما ورد في ذلك في عصر

« إقض النهار (في) الكتابة بأصابعك على أن تقرأ بالليل » .

ونظراً لطبيعة الكتب التي كان معظمها على هيئة لفافات البردى وبعضها مسجل على لوحات فخارية ، فقد كان يتم حفظ ملفات الكتب في صناديق وخزانات ، وهناك العديد من الأدلة التي تشير إلى ذلك ، ومنها :

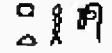
(١) Erman, A., *The Literature of the Ancient Egyptians*, translated into English by A.M. Blackman, London, 1927, P. 42.

Lichtheim, M., *Op. cit.*, I, P. 218

(٢) Lichtheim, M., *Ancient Egyptian Literature*, II, 1976, p. 135 ff

(٣) Gardiner, A.H., "The House of Life", in J.E.A., 24 (1937), P. 169.

(٤) Gardiner, A.H., *Late Egyptian Miscellanies*, B Ae VII, Bruxelles, 1937, P. 100.

نقوش المسجلة على جدران مقبرة واش بتاح  في أبي صير ،
والتي يتضح منها أنه احتل مرتبة رفيعة في بلاط الملك نمر - ابر - كا - رع
(). إذ شغل منصب الوزير وكبير القضاة وكبير المهندسين .

ونذكر النقوش التي سجلها ابن واش بتاح أن الملك نفر إير كا رع وأهل
بيته ورجال بلاطه أثناء تفقدهم لمبنى جديد من المباني التي كان يشرف عليها
واش بتاح ، اعجب الجميع بالبناء ، وثنوا على واش بتاح ، وحينما التفت الملك
للتناء عليه لاحظ أنه لم يسمع كلمات المدح الملكية ، وغير ملق بالا إلى عطفه
الملكي الكريم فيه الحاشية إلى ذلك ، ونقل واش بتاح إلى القصر حيث تم
استدعاء كبار الأطباء والكهنة ، وأحضر الملك صندوقاً فيه كتاب - يرى
برمته أنه كان بردية ضيعة^(١) - ولكن النية واقت واش بتاح ، ولم تنجح
المحاولات في إنقاذ حياته .

والذي يهمنا في هذا النقش ، الجزء الذي يشير فيه ابن واش بتاح إلى أنه
أثناء محاولة علاج والده في القصر الملكي : « أحضر جلالته صندوق الكتب
(صندوق فيه كتاب) »^(٢) .

(٣):



[ndi.in] hm. s 4tn. s 3cw n ss

ونوجد إشارة أخرى في أدب الحكم والنصائح يستدل منها على وجود
خزانات للكتب ، فقد ورد في أوستراكا توجد حالياً في المتحف البريطاني تحت
رقم 21041 ، وهي ترجع إلى عصر الأسرة الحادية والعشرين أو الثانية

(١) Breasted, J.H., *Ancient Records of Egypt, Historical Documents, Vol. I.* Chicago, 1906, P. 111.

(٢) *Ibid.*, 246.

(٣) *Urk.* (*Urkunden Des Alten Reichs, Bearbeitet von Kurt Sethe*). I. Leipzig, 1903, 42, 2.

وسجل على هذه البطاقة (شكل ٣) عنوان الكتاب ، وقرأه H.R.Hall^(١) عن النحو الآتي  « كتاب شجرة الخميز وشجرة الزيتون » وذلك اعتماداً على الصورة المأخوذة للبطاقة بعد أن اعتمدت القراءات السابقة على الكتابات المسجلة للبطاقة في سجلات المتحف البريطاني .

وأعلى عنوان الكتاب سجل اسم صاحبه ونعوته وهو : « إله الطيب ، نب ماعت رع ، له الحياة ، محبوب بتاح ، ملك الأرضين ، وزوجه الملكة تي لها الحياة » .

ويتضح من ذلك أن هذه البطاقة كانت تشير إلى أحد الكتب الموجودة في المكتبة الملكية الخاصة بالملك المنحبت الثالث وزوجته تي ، ويرى E.A. Budge^(٢) أنها كانت موضوعة في لوح من المرمر ولكنه فقد .

« ويلاحظ أن هذه اللوحة كانت ذات قمة دائرية ، ويوجد في قمته فجوتان اتساع كل منها حوالى ربع بوصة (٦,٣٤ م) ، ويرجع أن يكون الغرض من هذه الفتحات هو أنه كان يوضع فيها سلك معدنى مزدوج يثبتها في الصندوق الذى يحتوى على ملفات الكتاب ، ويبلغ حجم هذه البطاقة ٦,٢ سم X ٣,٨ سم وسمكها ٤,٥ مم .

وتغير الإشارة إلى أن H.R. Hall^(٣) يرى أن هذه البطاقة لم تكن لكتاب مصرى مكتوب على البردى ، ولكنها كانت لكتاب سومرى مكتوب على الألواح الطينية ، وأن هذا العنوان هو ترجمة مصرية لعنوان القصة العراقية « شجرة النخيل وشجرة الأثل » ، وأن هذه القصة كانت مكتوبة بالخط المسمارى على ألواح طينية وموضوعة في صندوق في المكتبة الملكية .

ويذكر L. Borchardt^(٤) أنه توجد بقايا من مثل هذه البطاقات مصنوعة من

(١) Hall, H.R., "An Egyptian Royal Bookplate: The ex libris of Amenophis III and Teie" in J.E.A., Vol. 12 (1925), P. 30ff.

Bezold, C., Budge, E.A.W., Op.Cit., P.X. (٢)

Hall, H.R., Op.Cit., P. 32 (٣)

Borchardt L. ZAN XXXIII (٤)

الممر في متحف برلين وذلك تحت أرقام ١٠٥٨٦ ، ١٠٥٨٧ ، ١٠٥٨٨ ، ١٠٥٨٩ .
وقد عثر عليها مع لوحات العمارة ، وهي تحمل من اسحب الثالث ،
وتوجد فيها بقايا آثار تزيينها . ويرجع أنها استخدمت كبطاقات أو عطاء
للمصانيق المصنوعة من الممر التي يحتفظ فيها بمنقحات ليردى .

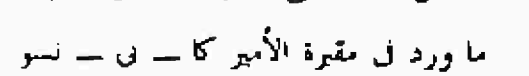
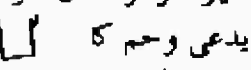
ويمكن تقسيم دور الكتب في مصر الفرعونية حسب طبيعة المكان الملحقة به
إلى نوعين رئيسيين : المكتبات المدنية والمكتبات الدينية .

أولاً : المكتبات المدنية :

تعددت دور الكتب المدنية في مصر ، فكان منها ما ذكر دون تخصيص بما
يشير إلى أنها كانت مستقلة بذاتها ، ومنها ما كان ملحقاً بالقصور الملكية ،
وكذلك دور الحياة . وتبني الإشارة إلى تنوع المعارف والفنون الموجودة في
كتب هذه المكتبات ، واحتواء بعضها أيضاً على المعارف الدينية سواء ما يتصل
بالطقوس أو المعبدات .

ونشير إلى هذه الدور فيما يلي :

ففيما يتصل بالمكتبات المستقلة بذاتها والتي ذكرت دون تخصيص ، فهناك
العديد من الأدلة التي تشير إلى وجودها ومنها :

ما ورد في مقبرة الأمير كا - ن - نسو  نسو - كا - ن - نسو  في الحيزة والتي ترجع إلى عصر الأسرة الرابعة وتناصه عهد الملك خوفو حيث
ظهر خرطوشه في نقوش المقبرة عدة مرات ، إذ حمل المشرف على منزله وكان
يدعى وحم كا  اللقب  الذي يفيد
معنى الكاتب في دار الكتب ، ويلاحظ أن وحم كا قد صور وهو يجلس في
إحدى يديه بلفافة يردي ، وفي يده الأخرى أدوات الكتابة^(١) (شكل ٤) بما
يشير إلى طبيعة وظيفته كمكاتب .

كما حمل أحد رجال الدولة في عصر الدولة القديمة لقب : « المشرف على
كتابة دار الكتب »  $shd\ s\ (w) pr-md3t$ (٢)

Junker, H., Giza, II, Wien und Leipzig, 1934, P. 164, Abb. 18.

Hassan, S., Excavations at Giza, Vol V, PP. 237-241

(١)

(٢)

ومنها أيضاً في عهد الدولة القديمة ، أن أحد كبار رجال الدولة ويدعى
 نيسسكاف عنخ قد اتخذ لقب « المشرف على المكتبة » *imy-pr-md3t* *imy-pr-s3* أي أن هذا النص
 قد جمع بين سيمي مكتبة *pr-md3t* وكذلك *pr-s3* (شكل ٥) .

وفي بردية ترجع إلى عصر الرعامسة ^(١) وصف الإله حور بأنه : « الخالق في
 المكتبة » *snwt m pr-md3t*

وورد في أحد نصوص وعيسى الثاني المسجلة في معبد أيدومس وتتصل
 بمعرفته بالإله حسي ، سأعرفك أمام فناء قاعة المخطوطات التي أسست في دار
 الكتب ^(٢)

sw. i(h r)rh. k hnty h3 n s3w nty mni m pr-md3t...

وربما ارتبط بهذه المكتبات كذلك ما سمي في الدولة القديمة « برجات رخ
 سو » ، وهو اسم غامض الكتابة ^(٣) .

ولقد ظهر على لوحة مقبرة أحد الأمراء في عصر الدولة القديمة (١٢٠٠
 جيره) ويدعى وب — ام — نفرت التسمية
pr-md3t rh nsu ومن بين الألقاب التي حملها هذا الأمير لقب « الكاتب
 الملكي » ^(٤) (شكل ٦) .

ويرى الأستاذ الدكتور عبد العزيز صالح أنه ربما ارتبط بهذه الدور كذلك
 ما سمي في الدولة الحديثة باسم « مقر المخطوطات » و « ديوان الكتب » ^(٥) .

(١) Lepsius, C.R., *Denkmäler aus Ägypten und Aethiopien*, II, Berlin, 1850, Abb 50 B.

(٢) Gardiner, A.H., in *J.E.A.*, 24, P. 164.

(٣) Lepsius, C.R., *Op.Cit.*, III, Abb 175, a7.

(٤) عبد العزيز صالح : التربية والتعليم في مصر القديمة، القاهرة، ١٩٦٦، ص ٣٦٠، ص ١١٢.

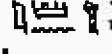
(٥) Lutz, H.F., *Egyptian tomb steles and offering stones of the Museum of Anthropology and Ethology of the University of California*, Leipzig, 1927, Pl.I.,

Reisner, G. A. *A History of the Giza Necropolis I* - 1942, pt. I.

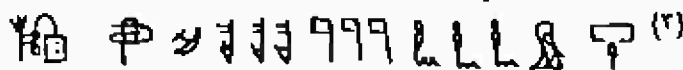
(٦) عبد العزيز صالح المرجع السابق ص ٣٦١، ص ٤١٩.

ومن المكتبات التي كانت ملحقة بالقصور كذلك ، مكتبة الملك امنحتب
الثالث التي عثر فيها على بطاقات الكتب والتي أشرنا إليها من قبل

وفيما يتصل بالمكتبات الملحقة بدور الحياة ، فهناك ما يشير إلى أن دور
الحياة كانت تحفظ في قاعاتها بعض ما يكتب فيها ، إذ ألفت الكتب في دور
الحياة وصنعت ورقية وبوت فكان منها الكتب الدينية والقانونية والطبية
والسحرية والفلكية . في رحابها كان يلتقى طلاب العلم والمعرفة . ومن
المرجح أن تلك الدور كانت دوراً للذخائر تضم كثيراً من نفائس الكنوز في
العلم والمعرفة والدين والقانون والطب والفلك وعلوم الرياضة^(١) ، حتى لقد
رأى بعض الباحثين في دور الحياة أنها كانت بمثابة مكتبات^(٢) .

ومن الأدلة التي تشير إلى وجود مكتبات في دور الحياة ، ما ورد في المقبرة
رقم ٣ في طيبة والتي تخص آمون واح سو  والتي يرجح أنها
ترجع إلى عهد الفرعون رمسيس الثاني ، فلقد جاء في أحد النصوص التي
تشير إلى صاحب المقبرة ما يلي :

« الكاتب الذي يكتب حوليات الآلهة في بيت الحياة » .



ss sphr gnwt ntrw m pr-chn

وفي أحد النصوص الخاصة بالملك رمسيس الثاني في أيديوس ، يظهر
الملك وهو يبحث في حوليات الإله نحت الموجدودة في بيت الحياة ، ويذكر

(١) انظر على سبيل المثال .

Derehain, P., "La Papyrus Salt 825 (B.M. 10.051) et la Cosmologie
Egyptienne", in B.L.F.A.O, tome LVIII (1959), pp. 73-80.

Maspero, G., Les Contes Populaires de L'Egypte Ancienne, Paris (٢)
1911, P. 125.

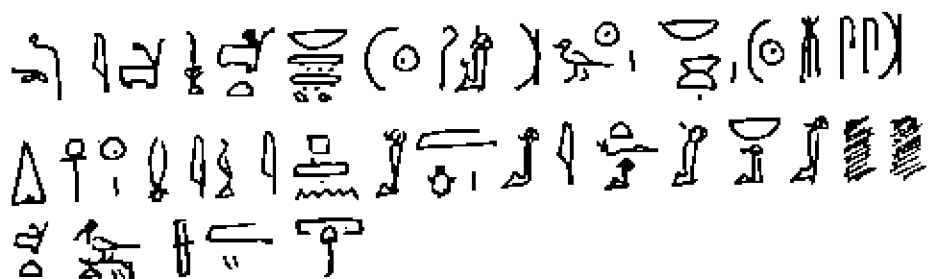
Gardiner, A.H., Op.Cit., P 161

(٣)

انلك أنه لم يترك أحداً منهم ، فلقد بحث عن جميع الآلهة والإلهات النكري والصغرى ... » (١١) .

وتوجد لوحة من عهد الملك رمسيس الرابع في المتحف المصرى بالقاهرة وهى تتصل بقيام الفرعون بالبحث عن حويات الإله تحوت الموجودة فى دار الحياة ، وقد جاء فيها (١٢) :

« ... تلاوة بواسطة ملك مصر سيد الأرضين (حقا ماعة رع) ابن رع سيد التيجان مُعطى الحياة مثل رع لقد فترق والندى وسيدى ... الإله تحوت فى دار الحياة ... » .



*dd in nsw - bity nb tswy hkt m3ct r^c s3 r^c nb hcrw mss(w)r^c
 d3-crht m3 r^c tw tp. n. f n th.t ti. f nb. i in dhwty tny
 pr - crht*

كما يفهم من نص منقوش على صندوق وادى الحمامات ويرجع إلى عصر الملك رمسيس الرابع أنه قد بحث فى كتب الإله « تحوت » رب التواريخ والعلم والوقايت ، وقد أرشده بحثه الهام عن إله المعرفة إلى المكان الصحيح

Ibid., P. 162.

(١١)

Konigsdorfer, M., "Stela de Ramess IV", in B.I.E.A.O., tome XIV (١٩٤٧), PP. 155-173, Pls. II-IV.

(١٢)

الذى يمكنه عن أن يقطع أثراً عظيماً ، فكلف رجال البعثة بقطع هذا الأثر العظيم اللازم لقصره الملكى ، وقد جاء النص على النحو الآتى (١) :

« تأمل هذا الملك لطيب صاحب الرأى مثل نحوت ، وقد نبغ فى الخوليات (أى فى فحوصها) مثل من رآها من كتاب دار الحياة وقلبه المقدس يعمل أشياء متارة لسيد الآلهة ، وقد أدرك قلبه فى أشياء سارة مثل حور وهى التى كررها له رع فى قلبه ليجد المكان الصحيح لوضع هذا الأثر فيه إلى الأبد فيما بعد ... »

وقد كلف الملك أصدقاءه المقربين لجلاله والرؤساء والأمراء العظام للوجه البحرى أجمعين ، وكذلك الكتاب وعلماء دار الحياة ليقيموا هذا الأثر الخاص بيت الأبدية فى هذا الجبل المكون من حجرانحن أمام أرض الإله . »

(١) Kitchen, K.A., *Ramesseide Inscriptions Hisotorical and Biographical*, Oxford, 1980, VI, I, PP. 9-11.

« الكاهن ، كاتم أسرار الفرعون ، المشرف على مكتبة الإله ، المتصل بالوثائق الرسمية ، من حبر » .

وجاء في السطر الثالث :

...w f hm ntr hrysd3 pr c3 shd pr-md3t ntr try md3t Mn hbw

« كاهن جلالة الملك خوفو ، كاتم أسرار الفرعون ، المشرف على مكتبة الإله ، المتصل بالوثائق الرسمية ، من حبر » .

وجاء في السطر الرابع :

wr pr - c3 shd ntr pr - md3t try md3t Mn hbw.

« عظيم القصر ، المشرف على مكتبة الإله ، المتصل بالوثائق الرسمية ، من حبر » . ومنها كذلك ما ورد على أحد الأختام التي عثر عليها في مقبرة جالى (1) حيث سجل عليه : « دار كتب الإله » (2) (شكل ٨) .

ولقد ظهر كذلك على طبعة ختم أخرى في نفس المقبرة العبارة *pr mdw ntr* (3) (شكل ٩) ويرى H. Junker أنها تشير أيضاً إلى دار كتب الإله (4) . (دار الكتابة المقدسة) .

ومن عهد الملك رمسيس الثالث عثر على جزء كبير من باب في منطقة قنتر وهو يخص أحد الأفراد ويسمى « ابروى » ، وقد سجل على الجزء الأسفل من العمود الأيمن للباب النص الآتي (5) :

Junker, H., Giza, VII, Wein Und Leipzig, 1944, S. 230-241. (١)

Ibid., Abb. 97. (٢)

Ibid., Abb. 96b. (٣)

Ibid., S. 236. (٤)

Habachi, L., "Khataana - Quantir Importance" in ASAE, 52, P. 493. (٥)



http://dl.nslw.shmt - B3stt hnw1 pr - md31

الذى يترجم :

« هبت بعظيها الملاد ، والإلهان سخمت وباستت سيدة د . الكتب » . يشير ذلك إلى وجود مكتبة دينية في منطقة تل بسطة ، وأن الإلهة باستت كانت تعتبر هي الإلهة الحامية لها .

كما أطلق على الإلهة سخات « سيدة الكتابة وربة بيت الكتب »^(١) ، وأطلق على الإلهة تحوت « ذو المكانة في دار الكتب »^(٢) ، وجاء في رسالة الكاتب حورى بن أون نفر من عصر الدولة الحديثة وهو يصف نفسه بأنه « خير بالكتب المقدسة ، وليس هناك ما تخفى عليه معرفته ، وهو بطل مغوار خير في فن سخات وخدام لرب الأشمونين (تحوت) في دار الكتب »^(٣) .

أما عن دور الكتب الملحقة بالمعابد ، فتوجد العديد من الأدلة التي تشير إلى وجودها ، كما لا تقتصر الأدلة كذلك على تنوع المعارف والعلوم في الكتب التي احتوتها ، ومنها البرديات الطبية ، ويلاحظ في البرديات الطبية أنها ترجع كتابتها إلى أصل قديم يرجع إلى أسرات مصر الأولى ، كما أنها تتصل كذلك بألهة المعابد ، ومن هذه البرديات ، بردية اهرس الطبية التي تؤكد على أنها تعتمد على الكتابات الموجودة تحت قدم أنوبيس في لبتوبوليس^(٤) ، أما ولت كتابتها فإنها ترجعه إلى أحد ملوك الأسرة الأولى وهو « دن » (يوسافيس) ، رغم أن النسخة الموجودة ترجع إلى بداية الأسرة الثامنة عشرة^(٥) .

Lepsius, C. R., *Denkmäler aus Ägypten und Aethiopien*, 111, Ab. 167. (١)

(٢) عبد العزيز صالح : المرجع السابق، ص ٣٦٠ .

Gardiner, A.H., *Egyptian Hieratic texts, Series I, Part I*, 1911. (٣)

(٤) أطلق عليها المصريون Hm ، لم أطلق عليها Shm ، وهي حالياً أوسيم .

Ebbell, B., *The Papyrus Ebers*, Copenhagen and London, 1937. (٥)

𐎠𐎢𐏁𐎧 𐎡𐏁𐎢𐏁𐎧 𐎡𐏁𐎢𐏁𐎧 𐎡𐏁𐎢𐏁𐎧 𐎡𐏁𐎢𐏁𐎧 𐎡𐏁𐎢𐏁𐎧
 𐎡𐏁𐎢𐏁𐎧 𐎡𐏁𐎢𐏁𐎧 𐎡𐏁𐎢𐏁𐎧 𐎡𐏁𐎢𐏁𐎧 𐎡𐏁𐎢𐏁𐎧 𐎡𐏁𐎢𐏁𐎧
 𐎡𐏁𐎢𐏁𐎧 𐎡𐏁𐎢𐏁𐎧 𐎡𐏁𐎢𐏁𐎧 𐎡𐏁𐎢𐏁𐎧 𐎡𐏁𐎢𐏁𐎧 𐎡𐏁𐎢𐏁𐎧
 𐎡𐏁𐎢𐏁𐎧 𐎡𐏁𐎢𐏁𐎧 𐎡𐏁𐎢𐏁𐎧 𐎡𐏁𐎢𐏁𐎧 𐎡𐏁𐎢𐏁𐎧 𐎡𐏁𐎢𐏁𐎧
 𐎡𐏁𐎢𐏁𐎧 𐎡𐏁𐎢𐏁𐎧 𐎡𐏁𐎢𐏁𐎧 𐎡𐏁𐎢𐏁𐎧 𐎡𐏁𐎢𐏁𐎧 𐎡𐏁𐎢𐏁𐎧

𐎧 𐎢𐏁 3b a 𐎢𐏁𐎧 m33 sšw p3w.t 𐎧 a 𐎢𐏁𐎧 (w) pg3w.n.𐎧
 r sṗ.ty wa 𐎢𐏁 rh ntr m kn3.f psdt m ntr.w.sn tṗj
 ...rh.𐎧 ntr 𐎧 n 𐎢𐏁𐎧 ms.𐎧 sw tp-^c (wj)... 𐎧 pw ḥpr
 𐎢ty nb wd3 ḥm.k.k r prw-nw-sšw m3 ḥm.k mdw-ntr nb
 wd3pw 𐎢r u ḥm.f 𐎧 r pr md3.t ḥr pg3 sšw hn^c nn
 snr.w gm ḥm.f sšw n pr wsir ḥuty 𐎢mntyw, nb3 ḥḏw
 dd.𐎢𐏁𐎧 ḥm.f nn 𐎢𐏁.ḥm 𐎢𐎧 𐎢t.f wsir ḥuty 𐎢mntyw
 nb 3ḥḏw... m𐎢 m3t n ḥm m sšw m3wt 𐎢ty.f m nsu bṗty
 m prw.f m ḥt n nw.t.

... أنسى أرحب (حرف) يرغب قسى (١) : رؤية الكتابات القديمة ثلاثة أيام (٢) واكشف سيطرة العظمى هناك ولأعرف الآله في صورته وناسوع اهتهم الحقيقية في طينه (أو لأعرف الآله كما خنقه ناسوع اهتهم) ... وأعرف الآله في صورته حتى استطيع تصويره مثلما كان من قبل ... أيها الملك لتتقدم جلالتك نحو منازل الكتب (المكتبات) لترى جلالتك كل الكتابة المقدسة . وتقدم جلالتك إلى المكتبة وفتح مع رفاقه جميعهم الكتب ووجد جلالتك كتب معبد أوزير أول الغربيين سيد أيديوس . وقال جلالتك هؤلاء الرفقاء أن جلالتى يرغب بأبيه أوزير أول الغربيين سيد أيديوس ... مثلما رآه جلالتك في الكتب ورأى صورته كملك لمصر العليا والسفلى وذلك عند خروجه من جسد نوة ... ٥

ويتضح من هذا النص ، أن دور الكتب لم تكن بمثابة دور لحفظ المخطوطات فحسب وإنما استخدمت كذلك للإطلاع وهو ما يرقى بها إلى الدور الذى تقوم به دور الكتب الحالية ، ويتضح من هذا النص أيضاً أن محتويات دور الكتب الدينية لم تكن قاصرة على الأمور الدينية فقط ، وإنما احتوت كذلك كتباً أقرب ما تكون إلى كتب الفن بحيث توضح جسد أوزير ووجهه وأصابه (٣) .

ومن المعابد التى الحق بها مكتبات ، معبد الرمسيوم الذى أقامه الفرعون رمسيس الثانى ، ولقد أشار ديودور إلى هذه المكتبة ، فقال أنه يوجد في معبد الرمسيوم بعد صالات الأعمدة مكتبة مقدسة وصفها بأنها مكان « استشفاء الروح » (٤) .

(١) كان يوجد ميكل اتم في معبد ملبوبوليس، وكانت كتابات توجد فيه، انظر: Breasted, J.H., Op.Cit., P. 333, no.d.

(٢) عبد العزيز صالح : المرجع السابق، ص ٣٦٢.

(٣) Diodorus of Sicily, Book I, 49, with an English translation by C.H. Oldfather, London, 1963, P. 173.

ويبلغ طول الحجر الجنوبية الغربية ١٢,٣٠ م وعرضها ٤,٣٠ م ، وقد رسم على حائطها الغرب بعض الآلات الموسيقية مما دعا إلى تسميتها « حجرة الموسيقى » وقد رسم على حائطها الشرق سبعة صناديق كبيرة .

أما الحجر الجنوبية الشرقية فيبلغ طولها ١٢,٣ م وعرضها ٤,٣٠ م وقد رسم على حائطها الشرق سبعة صناديق ، ورسم على الصندوق السادس الإله تعوت ، وسجلت العديد من التسجيلات ومنها (١) :



dd mdw in dhwty

smn n k

gnwt. k m šw

hr h3t nb cnhw (?)

« يان لتعوت ، أثبت لك حولياتك المدونة في الكتب أمام كل الأحياء (سيد الحياة) » .

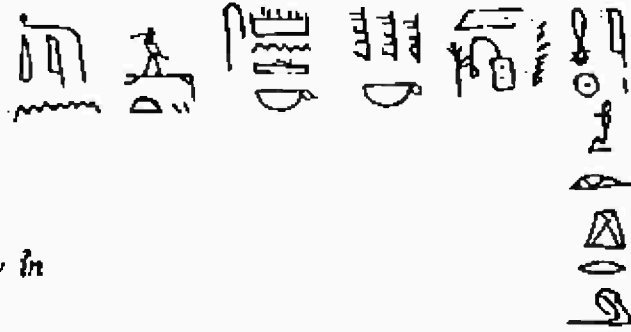
ويبلغ طول الحجر الشمالية الغربية ١٢,٤ م وعرضها ٤,٣٥ م ، وقد رسم على جدارها الشرق سبعة صناديق ، وقد صور الإله تعوت على الصندوق الخامس ، وفوقه كتابات تشبه الكتابات المسجلة في الغرفة السابقة ، وقد جاء فيها (٢) :

Ibid., P. 46.

(١)

Ibid., P. ٥٧

(٢)



dd mdw in
 dhwt
 smn. k
 gwt.k
 m sht
 ml r^c hr h3t

« بيان لصحوت : أثبت لك حولياتك في الكتب ، مثل روع في البدء ... » .
 أما الخجرة الشمالية الشرقية ، فيبلغ طولها ١٢,١٥ م وعرضها ٤,٣٥ م ،
 وقد صور على جدارها الشرق ثمانية صناديق .

وعلى ذلك ، فإنه من دراسته الكتابات المسجلة على جدران الحجرات ،
 وصور الصناديق ، فإنه يرجح أن هذه الحجرات كانت بجانب كونها مكتبة
 المعبد ، فإنها كانت تضم أيضاً الأرشيف (السجلات) الخاصة بالنقائس التي
 يمتلكها المعبد .

ويذكر الأستاذ الدكتور عبد العزيز صالح^(١) أنه توجد قاعة في معبد الأقصر
 نقش على واجهتها نصوص تشير إلى سمي رع مسميس الثاني إلى « قاعة الكتب
 حيث نشر مكتوبات دار الحياة وعرف منها خفايا السماء وكل أسرار
 الأرض » . ويرى أنه من المحتمل أن تكون هذه القاعة خزانة كتب للمعبد
 رعاه الفرعون وأبناؤه وكانوا يحرصون بالزيارة ، وأن بدت في حالتها الراهنة
 خاوية معتمة متواضعة .

(١) عبد العزيز صالح - الجمع السابق، ص ٣٦٤ .

ويمكن القول أن المعابد المصرية قد ضمت بين جنباتها مكتبات احتفظ فيها بمئات الكتب الخاصة بطقوس العبادة وكذا المعارف الأخرى ، ومن الأدلة على تعدد المعارف بمكتبات المعابد ما أشار إليه علماء اليونان من حضورهم إلى مصر وتلقيهم العلم من كهنة معابدها ، ومن هذه العلوم الفلك والهندسة ، فقد ذكر طاليس المالمطي أنه قام برحلة قصد فيها إلى كهان مصر ومنجميها (رجال الفلك فيها) ، وظاهر مما جاء في إحدى تراجمه أنه أخذ الهندسة المساحية عن المصريين^(١) ، ومن علماء اليونان كذلك الذين قصدوا كهان مصر للبحر في علوم الهندسة نذكر كلا من « فيثاغورث » و « أنونيدس » و « أفلاطون » و « ايودوكس »^(٢) .

وفي مجال الطب ، يشير فاليس الملمتي الذي يرجح تأسيسه للمدرسة الأيونية في الطب أنه قد تعلم الطب على يد الكهنة المصريين ، وكذلك هناك يثا جوارس وأخيه الأصغر الكيون فاكترون اللذان تعلموا الطب في معبد هليوبوليس ، وقد زار هؤلاء اليونان مصر في القرن السادس قبل الميلاد^(٣) .

واستمر وجود المكتبات في المعابد التي شيدها البطلمة والرومان بعد ذلك في مصر ، ولعل من أشهر مكتبات هذه المعابد مكتبة معبد أدفو^(٤) وهي عبارة عن حجرة صغيرة خلف المدخل المؤدى إلى صالة الأعمدة ، وتمثل الناظر الخاصة بالكتب أحد عشر منظراً ، ويضم الفهرس الموجود حوالي ١٣ كتاباً أو أكثر ، وزين عتبتها العلوى بصورة كبيرة لرمز السماء ، وصور على جانبي مدخلها أربعة آلهة اثنان في كل جانب ، وقد رسم فوق اثنين منهم الأذن والعين ، وفوق الآخرين كتب رمزي « حو » و « سيا »^(٥) الذي يفيد معنى « قوة التعبير » و « سيا »^(٦) الذي

(١) Harris, J.R., *The Legacy of Egypt*, Oxford, 1971, PP. 44-45.

(٢) سيج سونيهون : كهان مصر القديمة، ترجمة زينات الكردي، ومراجعة أحمد بدوي، القاهرة، ١٩٧٥، ص ١٢٢ - ١٢٤.

(٣) Harris, J.R., *Op.Cit.*, PP. 112ff.

(٤) Chassinat, E.G., *Le temple d'Edfu*, III, PP. 339-351.

يفيد معنى « الفهم » أو « الإدراك »^(١) وعلى ذلك فهذا التصوير الموجود على مدخل المكتبة يجمع بين وسائل تحصيل العلم وهى السمع والبصر والطق الخالق والفهم والإدراك .

ورغم غلبة الكتب الدينية فى هذه المكتبة ، فإنها تضمنت أيضاً كتباً فى الفلك والفن ، وضمت كذلك كتباً فى معرفة كل أسرار العمل ، أى المقادير التى كانت تقتضيها صناعة المراهم والدهون والعطور^(٢) .

يتضح مما سبق أن المصريين قد أقاموا المكتبات فى القصور ودور الحياة وكذا فى المعابد لم وأنهم كانوا سابقين فى هذا المجال وأن الاغريق قد توسعوا فيه ، وكان من الطبعى أن تقام المكتبات الكبرى فى مدينة الاسكندرية التى أصبحت منار العلم فى العالم فى عصر البطالة ، ومنها مكتبة الاسكندرية التى أقامها الملوك البطالة نتيجة للمزج بين الحضارتين الفرعونية والاغريقية فى أيامهم .

(١) Gardiner, A.H., "Some Personifications, II, Hsu "Authoritative Utterance", Si3 "Understanding", in P.S.B.A., Vol. XXXVIII (1916), P. 43 ff.

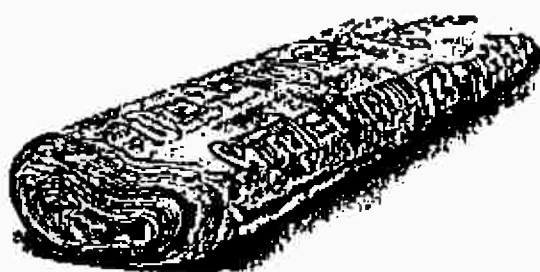
(٢) عبد العزيز صالح : المرجع السابق، ص ٣٦٥ .

(٣) سيج سوشيرون : المرجع السابق، ص ١٨٢ .



(شكل ٢)
مقلمة الكتابة

Benazeth, D., "Les scribes Egyptiens" dans Naissance de L'écriture Cuneiformes et hieroglyphes, Paris, 1982, p. 145



(شكل ١)
شكل لفافات كب البردى

Benazeth, D., "Les scribes Egyptiens", dans Naissance de L'écriture. Cuneiformes et hieroglyphes, Paris, 1982, P. 355

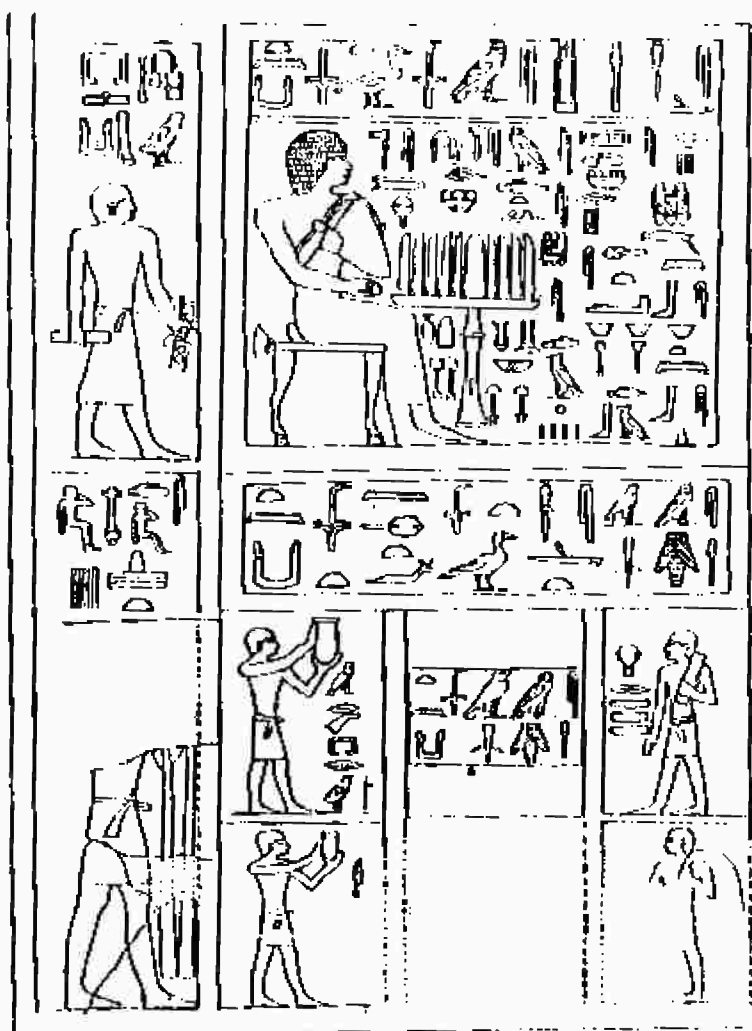


(شكل ٣)

بطالة انتحب الثالث

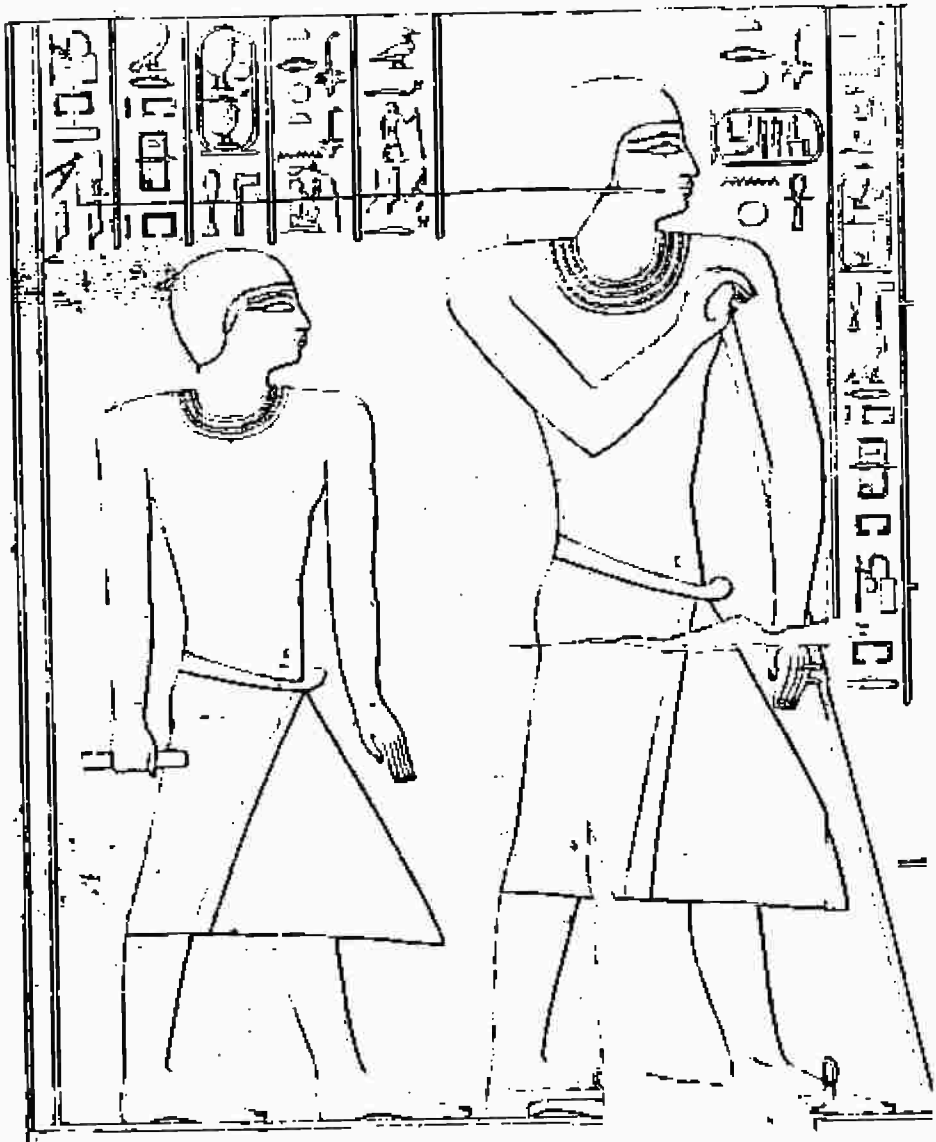
Reimer, L., "Bemerkungen und Lesefrüchte Zur Altägyptischen Naturgeschichte, in Kuml, 2, 1929, S.

91



(شكل ٤)
لوحة الكاتب وحم كا

Junker, H., Giza, II, Wein Und Leipzig, 1934, P. 164, Abb. 18.



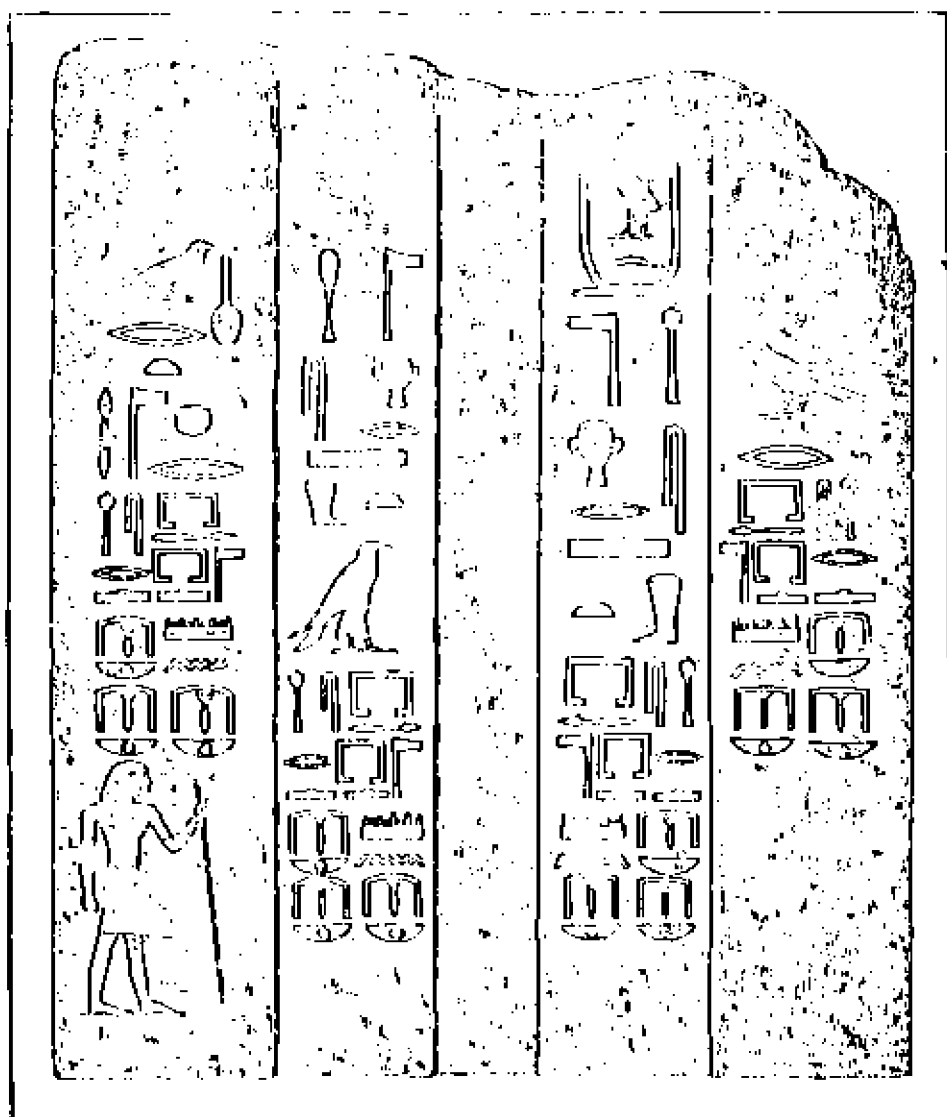
(شكل ٥)
لوحة الكاتب فيسكان صبح

Lepsius, C.R., *Denkmäler aus Ägypten und Aethiopien*, II, Berlin, 1850.
Abb 50 B.



(كل ١)

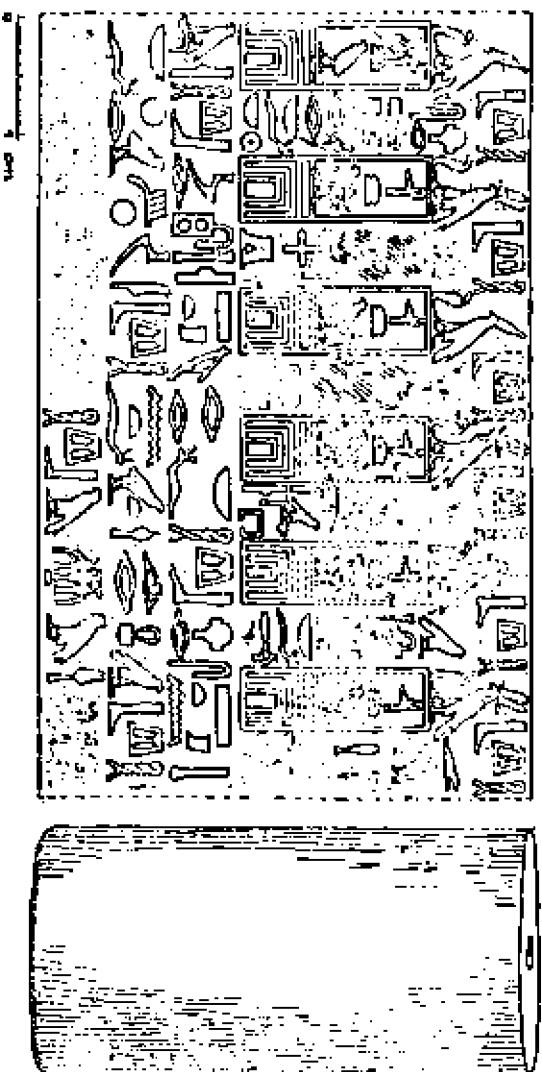
لجدة الأخت زوج أم لوت



(فكل ٧)

للوش ١ من حيوا

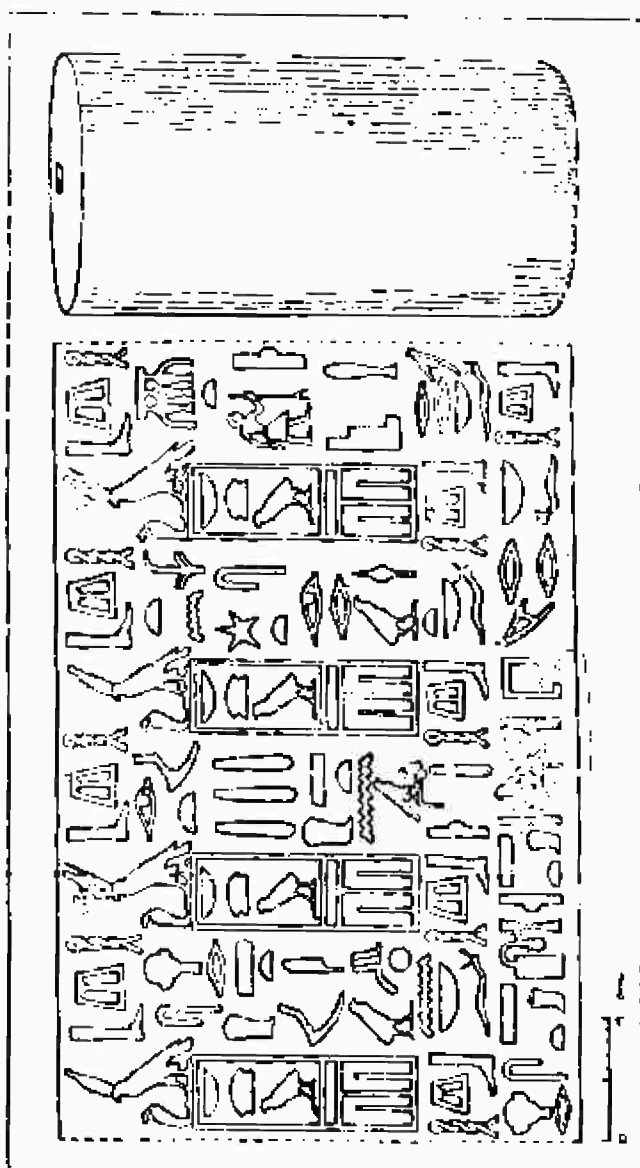
Junker, H., Giza, VIII, Wien Und Leipzig, 1947, S. 162.



(شكل ٨)

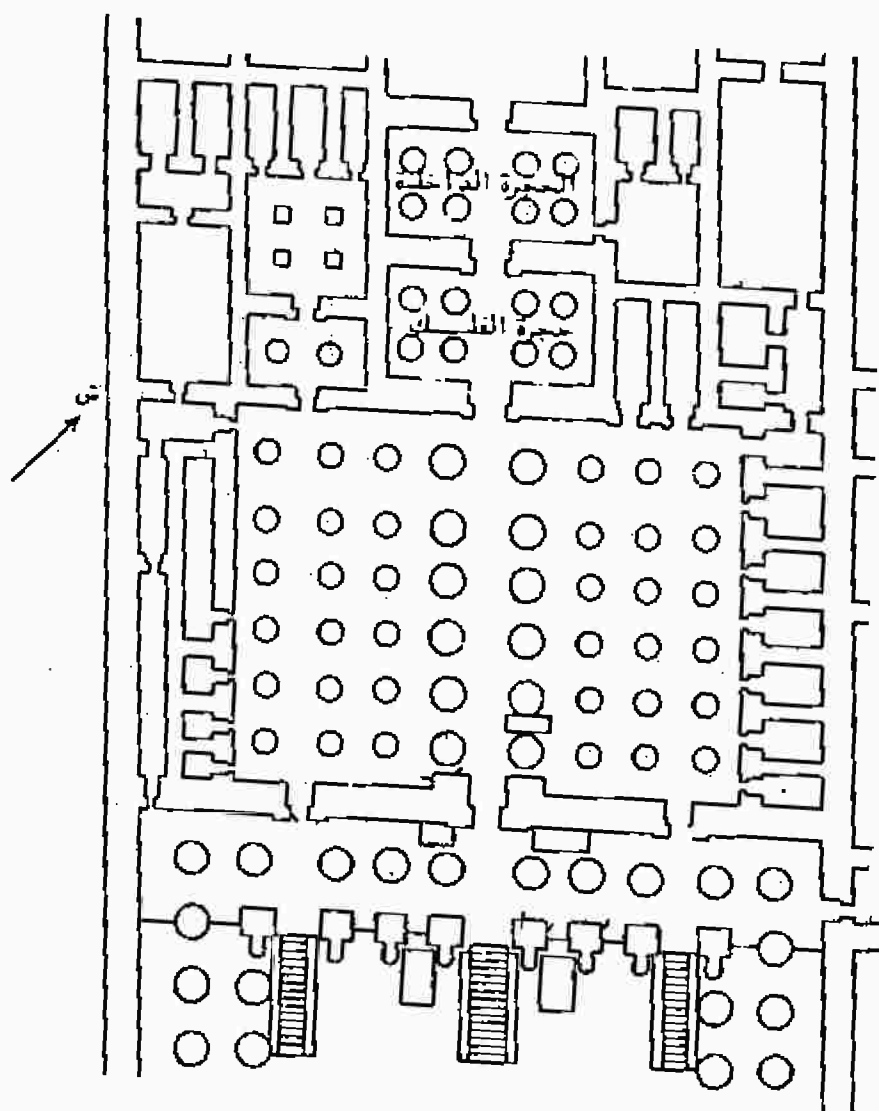
طبقة من طين ملوثة بالفضة ، جبال

Junker, H., Giza, VII, Wien Und Leipzig 1944, Abb. 97.



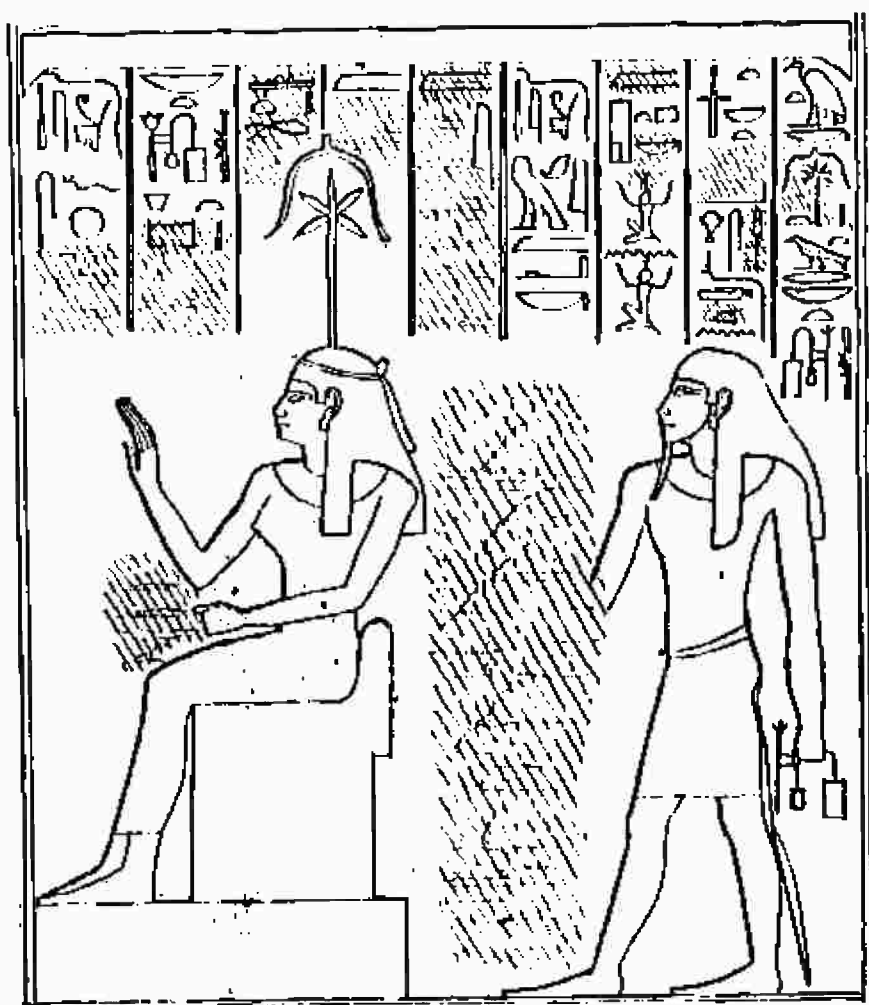
(شكل ٩)
طبخة عزم عليه في ملهرة ١ جان ١

— Scher, H., *Gizeh, VII, Wein Und Leipzig, 1944, Abb. 96b.*



(شكّل ١٠)
مكتبة معبد الرمسوم (حجرة الفلك)

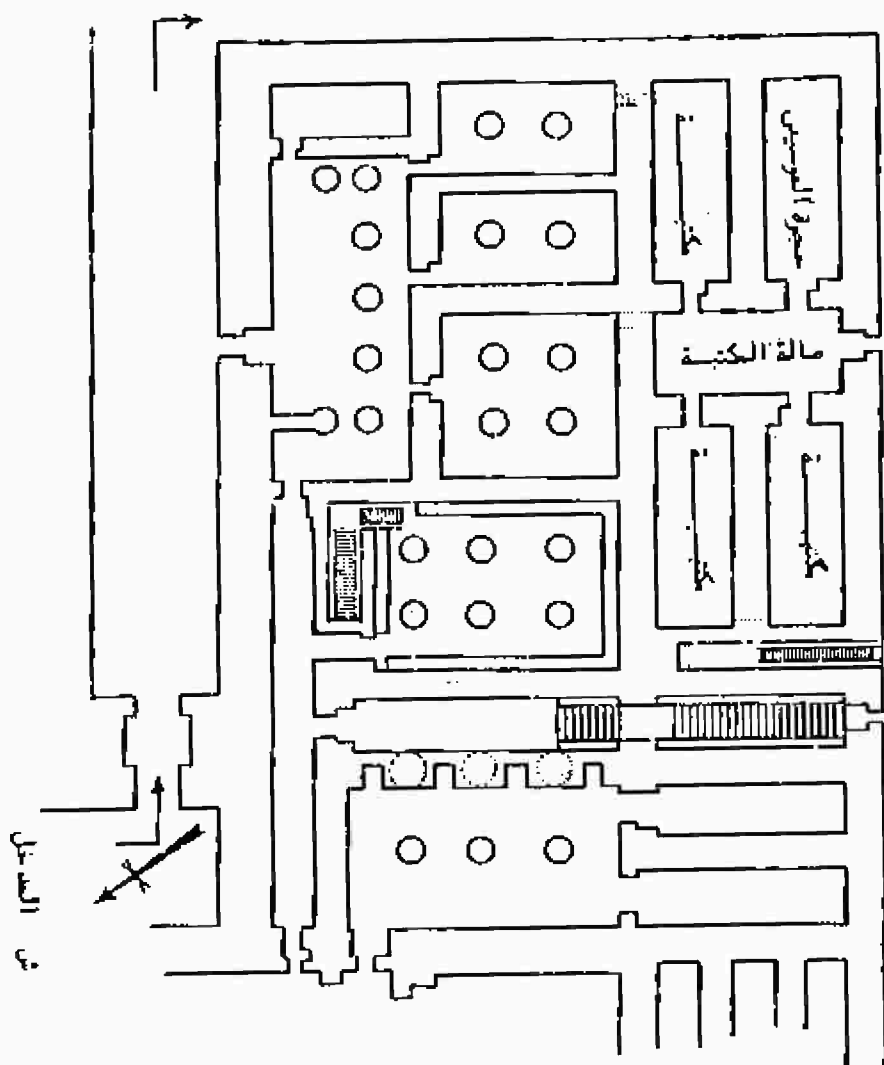
Porter, B., and Moss, R., *Topographical Bibliography of Ancient Egyptian Hieroglyphic Texts, Reliefs, and Paintings, II, Theban Temples, Second Edition, Oxford, 1972, Plan XLII.*



(شكل ١١)
الإلهة مشات في معبد الرمسوم

Lepsius, C.H., Denkmaler aus Ägypten Und Aethiopien, III, Ab. 167.

(شكل ١٢)
مخطط مبنى الأول في أبيدوس



Zayed A., "The Archives and treasury of the temple of Sety I at Abydos" in *ASAE*, t. LXV (1983)

المحاولات التبشيرية في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية

دكتور

حسن محمد الوهاب حسين

مدرس تاريخ العصور الوسطى

كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

مقدمة

يتناول هذا الموضوع أحد الجوانب الهامة في تاريخ الحركة الصليبية التي اتسمت بتطابع ديني منذ بدايتها أخفى وراءه اطماع أخرى عديدة . وهذه محاولات التبشيرية من جانب الغرب الأوروبي لنشر المسيحية ، أو بمعنى أدق محاول كتلكة الشرق الاسلامي ، لم تظهر فجأة بل سبقها محاولات فردية في القرن الثاني عشر الميلادي / السادس الهجري ثم اتخذت شكلا منظما بقيام بعض الجماعات الرهبانية تخصصت في هذا العمل مثل جماعتي الفرنسيسكان والدومنيكان . ووقفت البابوية وراء هذه المحاولات تشجيعها في محاولة منها لتعويض ما أصاب الحركة الصليبية من جهود وفشل .

وقبل تناول هذه المحاولات لابد لنا من تناول مدى فهم أوروبا للدين الاسلامي ، وهل كل ذلك فهما حقيقيا أم انه كان متعصبا لأن ذلك سوف يتعكس على هؤلاء الدعاة ومحاولاتهم التبشيرية حيث كانوا أبعد ما يكونون عن فهم الدين الاسلامي الحقيقي .

وبداية فانا سوف نركز على هذه المحاولات الفردية وبخاصة في القرن الثاني عشر الميلادي ، وأغلب الاشارات عن هذه المحاولات أوردها لنا المصادر الغربية ومن هنا فانا يجب أن نكون على حذر عند تناولها لمحاولة الوصول إلى الحقيقة دون تعصب أو تحيز . وفي الواقع فإنه لم يظهر بحث أو كتاب باللغة العربية تناول هذا الموضوع ، أما باللغات الأخرى فقد ظهرت مقالة لمارشال بلديين^(١) تناول فيها الإرساليات إلى الشرق مركزا بصفة خاصة على نشاط الفرنسيسكان والدومنيكان في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين . كذلك دراسة لبنيامين كيدار عن الصليبية والإرسالية ، تناول فيها العلاقة بين الفكرة الصليبية والإرساليات سواء في شمال أفريقيا أو الأندلس أو حوض البحر المتوسط أو في بلاد الشام^(٢) . وقد ناقشت بعض النقاط التي أوردها على مدى صفحات هذا البحث .

(١) M. Baldwin, Missions to the East in the Thirteenth and Fourteenth Centuries, in Setton (ed.) History of the Crusades, Vol. 5, Philadelphia 1985, p. 452 ff.

(٢) B. Z. Kedar, Crusade and Mission, European Approaches to The Muslims, Princeton 1988.

وعالجت هذه المحاولات التبشيرية أثناء المعارك مع المسلمين ، ثم بين العبيد المسلمين وكذلك الأطفال وأخيرا مع الحكام والأمراء المسلمين . وأخيرا هل كان هؤلاء المرتدين دور في المعارك مع المسلمين ورد فعل المسلمين تجاه هذه المحاولات .

والله أسأله العفو والتوفيق ،،

يعتبر مصطلح « لارسانية » حديث من حيث استخدامه ، وهو لا يقتصر فقط على محاولات بشر الكاثوليكية بين غير المسلمين ، وإنما شمل في بعض التفكرات محاولات التفريق بين الكنيسيتين الشرقية والغربية بعد القطيعة الدينية الكبرى التي تمت بينهما في عام ١٠٥٤ م . غير أننا على مدى صفحات هذا البحث سوف نتناول هذه المحاولات الفردية التي جرت لكثلكة الشرق الإسلامي وبخاصة في بلاد الشام في القرن الثاني عشر الميلادي / السادس الهجري .

وقبل الخوض في دراسة هذه المحاولات — والتي يحاول البعض إرجاعها إلى أوسط القرن السابع الميلادي ^(١) — لا بد لنا من معرفة مدى فهم أوروبا للدين الإسلامي في القرن الحادي عشر الميلادي / الخامس الهجري وذلك تبيل قيام الحروب الصليبية ، والذي سوف يعطى لنا انطباعا صادقا عن هؤلاء الدعاة . ويشمر كيدار إلى أن « الفهم الأوروبي للمعتقدات الإسلامية أصبح أكثر وضوحا في القرن الحادي عشر الميلادي » ^(٢) . وفي الحقيقة فإن هذا الرأي يبعد تماما عن الصواب وذلك عندما نرى هذا الفهم ، اللهم إذا كان يقصد مقارنة ذلك بالفترة السابقة عن هذا القرن .

وردت أول إشارة في منتصف القرن الحادي عشر الميلادي عن الرسول — ﷺ — لدى راؤل جلير Raoul Glaber حيث ذكر أن المسلمين يعلمون الأنبياء اليهود والمسيحيين ويعتقلون في نبي يسمى عندهم محمد (ﷺ) . وفي نفس الفترة أشار أحد الشعراء البيازنة المجهولين في قصيدة له يحتفل بانتصار مواطنيه على مدينة المهديّة في عام ١٠٨٧ م / ٤٨٠ هـ ، أن محمد (ﷺ)

(١) أشار المؤرخ البيزنطي نيقفور (م ٨٢٩ م) إلى أن قورس Cyrus بطريرك الاسكندرية والذي كان معاصرا للفتح العربي لمصر قد اقترح — ربما في عام ٦٤٠ م — رواج انة الامويطور البيزنطي هوفل من عمرو بن تغاص لأقناعه بالدخول في المسيحية . ولكن ينظر استبعد تماما هذه الرواية . أما نوا Nau فقد أطلق العنان لتفكيره معتقدا أن القورس أراد تحويل الرسول ﷺ نفسه إلى المسيحية وذلك بإرسال فتاة قطية . وغلط هذا الكاتب بينها وبين مارية القبطية التي أسلمت بمجرد وصولها إلى المدينة وتزوجها الرسول عليه الصلاة والسلام . ينظر : فتح العرب لمصر ، تعريب محمد فريد أبو حديد ، القاهرة ١٩٨٩ ، ص ١٢٦ ؛ السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الدولة العربية ، الإسكندرية ١٩٨٤ ، ص ١٢٣ ، وكفلك .

لا يعتقد في الثالث أو أن يسوع هو نفسه الرب (٣) وعلى الرغم من أن أناسطاسين لاندولفين Anastasian Landulphian أشار لبعض عقائد الإسلام مثل الاستشهاد في المعركة والتراحم بين المسلمين ، إلا أنه أساء عن قصد أو غير قصد — فهم متعة الخوارج الذين أعدوا الله لعباده المؤمنين عند دخولهم الجنة . فذكر أن الجنة مليئة بالم لذات الجنسية لمحاولة تشويه صورة المسلمين وانهم يحرقون وراء هذه المتع (٤) .

وتزداد كراهية هؤلاء المؤرخين للرسول (ﷺ) فيحاولون تشبيهه بما يفعلونه مع عيسى عليه السلام — وهو براء من ذلك — فيقول أحدهم أن المسلمين يعلنون محمد (ﷺ) . ويزعج آخر نقلا عن رواية إسبانية — تدعى كذبا وبهتاناً — أن الشيطان غفل في صورة الملاك جبريل ونقل للرسول (ﷺ) ما سمعه في مدارس المسيحيين لكي يبشر به بين العرب ويدعوهم لعبادة الله وترك عبادة الأوثان (٥) .

(٣) قلم الهازنة والجريدة بالأغارة على الهدية وزويلة في عام ٤٨٠ هـ / ١٠٨٧ م باسطون مكيون من ثلاثمائة سفينة عليها ثلاثين ألف مقاتل ويعتد ابن عفار أسباب هزيمة المسلمين في هذه الحملة ، وأشار هو وابن خلدون إلى مهاجمة المدينتين ، أما ابن الأثير فلم يشر إلا إلى مهاجمة زويلة وذلك في عام ٤٨١ هـ / ١٠٨٨ م ، ولكنه أضاف شرطا آخر إلى شروط الصلح معهم هو : رد جميع مأسروه من السبي . للمزيد انظر : ابن خلدون المراكشي : البيان للعرب في أخبار الأندلس والمغرب ، ج ١ ، بيروت ١٩٨٠ ، ص ٣٠١ . ابن خلدون : العبر وديوان المتنبئ والخبر ، ج ١ ، بيروت ١٩٨٣ ، المجلد السادس في ٢ ، ص ١٣٢٨ . ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ٩ ج ، بيروت ١٩٧٨ ، ج ٨ ، ص ١٤٧ . السيد عبد العزيز صالح : المغرب الكبير ، ج ٢ ، العصر الإسلامي ، القاهرة ، ١٩٦٦ ، ص ٦٧٥ ، ٦٧٦ .

(٤) للمزيد من ذلك انظر : مونتجومري وات : فضل الإسلام على الحضارة الغربية ، نقله إلى العربية حسين أحمد أمين : القاهرة ، ١٩٨٣ ، ص ٩٩ ب ١٠٥ .

(٥) يقول الله في سورة المائدة ردا على ذلك : لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ مَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأَعْتَدَ مَن فِي الْأَرْضِ حَيْثُ مَا وَفَّكَ اللَّهُ الْمُسُوفِينَ وَالْأَرْضُ وَمَا عَلَيْهَا يَلْقَوْنَ جَاءِلًا وَلَقَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنثَىٰ مَا فِي بطنِهَا وَنَجَّىٰ نَحْنُ وَلَاقِ بَئِذٍ الْعَذَابُ الْمُعَذِّبِينَ ٥٥

ول سورة يونس — وَنَحْنُ كَانُ خَلْقَ الْفَرَسِ إِنْ يَفْتَرِى بَنُ دُونِ اللَّهِ فَاصْنَعْ لِقَابِي الَّذِي نَبِىُّ يَقْدِرُ وَنُفَصِّلُ الْكِتَابَ لَأَقْرِبَ بِهِ بِلَاسِ الْعَالَمِينَ ٥٥

وفي أوائل القرن الثاني عشر الميلادي يحدث بعض التغير النسبي في معنومات أوروبا عن الإسلام لدى بعض مؤرخي الحروب الصليبية . فيشير جويرت دي نوجان أن المسلمين لا يعتبرون محمدا (ﷺ) آله ، كما يعتقد البعض ، وإنما رجل تم عن طريقه إيصال التعاليم الإلهية (٦) .

غير أن هذا التغير لا يستمر طويلا ، فنجد مؤرخا آخر مثل فوشيه دي شارتر ، والذي شارك في الحملة الصليبية الأولى وعاش أكثر من ربع قرن في بلاد الشام ، يشير إلى أن المسلمين اعتادوا عند قبة الصخرة أداء صلاتهم لولئن مقام باسم محمد ، وذلك على حد زعمه والعياذ بالله . وإن دلت هذه الرواية على شيء فإما تدل على التعصب الأعمى ضد الإسلام ومحاولة اتهامه بالوثنية (٧) .

أما رواية المؤرخ ولبيم الصوري والذي ولد في الشرق حوالي عام ١١٣٠ م / ٥٢٤ هـ وأصبح من رجال الدين المسيحي ، فهي تقطر سماً وكراهية للإسلام . وعلى الرغم من أن كيدار يذكر أنه لم يستخدم لفظ الوثنيين Pagans عند الإشارة للمسلمين (٨) إلا أن ذلك الرأي يبعد تماما عن الصواب . فعندما تحدث عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول « في عهد الامبراطور الروماني هرقل وطبقا للمؤرخين القدامى والروايات الشرفية تمكنت مذاهب محمد المصرة أن تحصل لها على اقدم راسخة في الشرق . وهذا هو أول أبناء الشيطان — والعياذ بالله — والذي ادعى كذبا بأنه رسول من الرب ، وقام باغواء أراضي الشرق وخاصة شبه جزيرة العرب . وسرعان ما انتشرت هذه البذرة السامة واخرقت الاقاليم التي قام فيها حلفاؤه باستخدام السيف والقوة لنشر معتقداته الخاطئة وذلك بدلا من استخدام الوعظ والبشير » (٩) .

ويتضح بجملاء مدى حقد هذا المؤرخ على الإسلام بسبب انتشاره السريع في

Guibert de Nogent, *Gesta Dei per Francos*, in RHC. H. Occ. 4, p. 130. (٦)

Fulcher of Chartres, *A History of the expedition to Jerusalem*, Knoxville, 1969, pp. 118, 122. (٧)

Kedar, op. cit, p. 89. (٨)

William of Tyre, *A History of Deeds done beyond the Sea*, 7 vol., New York, 1903, vol. 1, pp. 60-61. (٩)

ولو اكتفى أوليفر بذلك لكان منصفاً فيما يتقله عن موقف الإسلام من لسيد المسيح عليه السلام ، ولكنه شأنه مثل بقية المؤرخين الغربيين يدفعه تعصب الأعمى لكي يتهم المسلمين بأنهم هراطقة ولا يصح أن يطلق عليهم مسلمين على حد قوله (١٥٠) . ثم يكرر نفس الرواية السابقة عن الرسول (ﷺ) بأنه تلقى أوامره من الشيطان التي تمت كتابتها بالعربية على يد أحد الرهبان المسمى مرجيوس (١٥١) .

وخلاصة الأمر أن معلومات أوروبا عن الدين الإسلامي وعن الرسول ﷺ لم تكن صادقة ويعتريها التعصب الأعمى من جانب هؤلاء المؤرخين . ويعترف مارشال بلدوين بذلك فيقول أن هذه المعلومات المتاحة للغربيين عن الإسلام لم تكن كافية وغير دقيقة وأنى معظمها من أسابيا ، وهي نفس الأفكار التي استمرت في القرن الثالث عشر الميلادي (١٥٢) .

ويظهر تساؤل هام هنا قليل تناول هذه المحاولات التبشيرية بالدراسة والتحليل هو . هل كان هدف الحروب الصليبية تحويل المسلمين للمسيحية ؟ يرد الكاتب براور على هذا بقوله أنه مهما كانت ايدلوجية الحملة الصليبية الأولى فإن الصليبيين في الشرق لم يصبحوا مطلقاً مؤمنة تبشيرية . أسأ إذاً انظرنا إلى هذه المحاولات الفردية للتبشير سواء بين المسلمين أو اليهود ، بل حتى محاولات الترفيق مع المسيحيين الشرقيين لاجتذاب نوع من الوحدة مع روما ، فإن الصليبيين في أفضل الحالات لم يكونوا أكثر من هذه المحاولات ، بل في حالات أخرى عديدة كانوا يعارضونها (١٥٣) .

ومن ناحية أخرى فإن خطبة البابا أوربان الثاني في مؤتمر كليرمون عام ١٠٩٥ م لم تشر إطلاقاً إلى أن الهدف من الحروب الصليبية هو تحويل المسلمين للمسيحية

Ibid.

(١٥٥)

(١٦) بطرس اللاتيني ، ج ١ ، ص ١٠٠ : كَانَ قَبْلَ الْفُرْدَانِ أَنْ الْقُرْبَانِ دُونَ الْمَذْبُوحِ أَصْدَقُ لِلدِّينِ بِمَا يَذْكُرُ الْكَلِيلُ الْكَتَبُ لِأَرْثُودُوكْسِ دُونِ الْكَلِيلِ دُونِ الْكَلِيلِ دُونِ الْكَلِيلِ دُونِ الْكَلِيلِ (٣٧) .

Baldwin, Missions to the East, p. 459.

(١٧)

وكذلك : موتيموري وات : المرجع السابق ، ص ١١٢ — ١١٣ .

J. Frater, Crusader Institutions, Oxford, 1980, p. 210.

(١٨)

ونما كان الاستيلاء على بيت المقدس^(١٩) . كذلك فإن الخطابات الرسمية الصادرة من البابوية إلى رجال الدين المسيحيين لم تشر إلى هذا الهدف ، كذلك فإن أيًا من هذه الجماعات الرهبانية العسكرية التي تأسست في الشرق سواء كانت الأمشورية أو الداوية أو التوتونية لم تشمل بنودها على أية شروط لقيام أعضائها بمهمة التبشير بالمسيحية^(٢٠) .

أما الأمثلة التالية للمحاولات التبشيرية فقد وردت غالبيتها في المصادر الغربية مما يجعلنا نكون على حذر عند تناولها ولا نسلم تمامًا بما جاء فيها لأول وهلة إلا بعد التأكد وعمل المقارنات مع المصادر الأخرى . ويدور الخلاف حول موقف أحمد بن مروان قائد قلعة انطاكية الذي وافق على تسليمها للصليبي بومند في عام ١٠٩٨ م / ٤٩١ هـ ، ويشير المؤرخ المجهول وقوشيه أوف شارتر أنه وافق على التحول للمسيحية مع رجاله الذين وافقوا على ذلك^(٢١) ولا بد لنا من التوقف هنا عند هذه الإشارة . فالمؤرخ المجهول كما يقول ج . فرانس J. France : « كان يتم بأعمال التورمان^(٢٢) ، وهو بدون شك يرغب في إعلاء شأن بومند ، أما قوشيه فإن روايته ينقصها الدقة بسبب وجوده آنذاك في الرها مع جيش بلدوين وبالتالي لم يكن شاهدا عيانا لأحداث حصار الصليبين لانطاكية . كما أن المؤرخ ريموند الصنحلي لم يشر إلى هذه المسألة على الرغم من وجوده مع الجيش الصليبي أمام انطاكية . غير أن ابن العديم يذكر أن الصليبين القوا سراخ أحمد بن مروان ومن معه وأمنوه وسلمها لهم في الأحد الثاني من شعبان ٤٩٢ هـ^(٢٣) وانزلوه في دار بانطاكية وأطلقوا

(١٩) من ثلاثة ما ورد في هذه الخطبة أنظر :

J. La Monie, Crusade and Jihad, in The Arab Heritage, ed. by N. A. Faris, New Jersey, 1964, pp. 158 - 198; Kedar, op. cit., pp. 58 - 59.

(٢٠) عن قيام هذه الجماعات انظر : إبراهيم حميس : جماعة الفرسان الدانية : رسالة ماحضو لم تنشر بعد ، الإسكندرية ، ١٩٨٠ م . مصطفى الحناوي : تاريخ جماعة الفرسان الأمشورية ، رسالة ماجستير لم تنشر بعد ، الإسكندرية [١٩٨٠] . حسن عبد الوهاب : تاريخ الفرسان التوتون في الأراضي المقدسة ، الإسكندرية (١٩٨٩) .

Gesta Francorum Hierosolimitanorum - ed. by Rosalind Hill, London 1933, p. 72. (٢١)

The Crisis of the First Crusade, in Byzantium LXXI, 1970, p. 277. (٢٢)

صحفها ٤٩١ هـ . والأحد الثاني من شعبان الموافق ٧ يوليو ١٠٩٨ م وذلك حسبما أشارت المصادر المحلية وهي الأدق هنا . (٢٣)

أصحابه وسيروا معهم من يوصلهم إلى أعمال حلب^(٢٤١) . غير أن الذي يثير الشك هنا حول موقف أحمد بن مروان التزني الصليبي له في دار بانطاكية دون بقية أصحابه ، وإن كنا أيضا لآنستطيع أن نجزم تماما تنصره ، لأن ابن العديم لم يشر إلى ذلك صراحة .

وتختلف أيضا روايتا ريموند الصنجيل وألبرت أوف اكس حول أحد الانراك الذي ارتد عن الاسلام أثناء الحملة الصليبية الأولى . فيشير الأول أن ريموند كان له الفضل في ذلك وقام باعطائه اسمه ، أما الآخر فيشير إلى أنه تنصر قبل سقوط انطاكية ولعب دورا في إخضاعها . وفي نفس الوقت فانهما لا يختلفا بشخص فيورر الارمني الذي أسهم بحياته في سقوط انطاكية في قبضة الصليبي في عام ١٠٩٨ م / ٤٩١ هـ^(٢٤٢)

ومن أمثلة ماحدث أثناء الحملة الصليبية الأولى عن محاولات فرض المسيحية بالقوة أثناء المعارك ، أشار المؤرخ المجهول أن ريموند يليه Raymond Pilet^(٢٤٣) خير المسلمين القاطنين حول تل منس في يوليو ١٠٩٨ م / شعبان ٤٩١ هـ بين المسيحية والموت فمن قبلها يطلق سراجه ومن رفضها فان مصيره القتل^(٢٤٤) . ويروى ابن العديم رواية أخرى مفادها أن جماعة من الفرنج خرجوا في شعبان ٤٩٢ هـ (صحتها ٤٩١ هـ) زحفوا مع أهل تل منس ونصاري معرة النعمان على المعرة وقتلوها ، فوصل جانب من عسكر حلب اليهم والتفوا بين تل منس والمعرة فانهمز الفرنج وبقي الرجال منهم ، فقتل منهم زائد عن ألف رجل ، وحمى الرؤوس إلى معرة النعمان^(٢٤٥) . ويتضح بخلاء رفض الأهالي المسيحية أو الاستسلام فاما النصر أو الشهادة .

٢٤١ . ابن العديم : زبدة الحلب من تاريخ حلب ، دمشق ١٩٥١ - ١٩٦٧ ، ص ٥٠٢ . أما ابن قلاسي فلم يشر إلى تنصر أحمد بن مروان ، وإنما أشار فقط أن سكان انطاكية الجدد إلى قلعتها يدل تاريخ دمشق ، ص ٢٣٠ .

٢٤٢ . Raymond d'Aguilers, Historia, (english trans.), p. 135; cf. also: Kedar, op. cit., p. 67 و٢٥٠ .

٢٤٣ . ابن سينا على مقاطعة في فرنسا . ويعرف أيضا بفارس يجرمين Liomousin ، أما تاريخ هذه معركة فكان في الفترة مايو ١٤ - ١٧ يوليو ١٠٩٨ م / ١١ - ١٤ شعبان ٤٩١ هـ وتقع تل منس جنوب شرق انطاكية بالقرب من معرة النعمان . انظر : .

Peter Tudebode. Historia, Philadelphia 1974, p. 21, n° 5, 6.

Ibid. cf. also: Kedar, op. cit., p. 63.

(٢٤٤)

(٢٤٥) ابن العديم : زبدة الحلب ، ص ٥٠٢ .

بمب الصليبيون وجههم تجاه بيت المقدس هددت حذتهم الصليبية بعد أن نجحوا في الاستيلاء على الرها وانطاكية . وفي أثناء حصار الصليبيين للقدس في يوليو ١٠٩٩ م / شعبان ٤٩٢ هـ ، ذكر ألبرت أوف اكس أن يهودين دى بروج أحد قادة الحملة ومعه عدد آخر من الأمراء عرضوا للمسيحية على أحد البلاء المسلمين الذى وقع فى أسرهم ، وقاموا باستجوابه وبعد أن فشلوا فى اقناعه بالمسيحية قاموا بقطع رأسه أمام برج داود — أحد أبراج بيت المقدس (٢٩) .

هذه الرواية التى ينقلها لنا ألبرت أوف اكس — والذى لم يكن شاهدا عيانا لها — تختلط أحداثها مع مارواه مؤرخ آخر وشاهد عيان هو بطرس أيدبرده . فيذكر أنه أثناء حصار القدس أرسل المسلمون أحد حواسيسهم للتجسس على الآلات الخاصة بالصليبيين فتم القبض عليه . وتم سؤاله — عن طريق مترجم — عن سبب مجيئه فرد عليهم بأنه أراد أن يعلم آلات الحصار الخاصة بهم . فآخذه الصليبيون وهو مقيد ووضعوه فى منجنيق محاولين إلقائه داخل القدس ولكنهم وجئوا أن ذلك سوف يكون مستحيلا لأنه سوف يتزق أربا قبل أن يسقط بداخلها (٣٠) .

وعلى الرغم من انفراد بطرس برواية الجاسوس هذه ، إلا أنها تبدو كأنها نفس رواية ألبرت عن ذلك الأمير المسلم ، ولكن مع اضافة نوع من التضخم عليها يجعل قادة الحملة يحاولون نشر المسيحية مما يرفع من قدرهم فى أوروبا . غير أن كيدار يبدو أنه يميل للأخذ برواية ألبرت ، ويشير إل أننا يجب ألا نغفلها ، بسبب وجود خطاب لأحد اليهود المعاصرين للحملة الأولى ، ويرجع تاريخه إلى عام ١١٠٠ م / ٤٩٣ هـ — أى بعد عام واحد فقط من سقوط القدس — ويشير صاحب الخطاب إلى أن الصليبيين حاولوا اقناعه بالمسيحية كى يقبلها بمحض إرادته ووعده بعاملة طيبة ، ولكنه قال لهم كيف أصبح كاهنا مسيحيا « كاهنا نصرانيا ، وأترك فى أمان حياتهم (يقصد اليهود) وهم

Albert d'Aix, *Histoire Hierosolymitaine*, p. 469

(٢٩)

Peter, op. cit. p. 117

(٣٠)

الذين انفقوا على مبالغ باهظة ^(٣١) وبضيف مؤلفه ، انه على الرغم من ذلك فان بعض الأسرى اليهود قبلوا المسيحية .

وفي الواقع فان لهجة هذا الخطاب تدل على أن ذلك الشخص اليهودي كان يرغب في التحول للمسيحية ولكنه كان يريد الثمن لذلك ، ويتضح هذا من قوله « وهم (أى اليهود) انفقوا على مبالغ باهظة » . ومن ناحية أخرى ، هل كان باستطاعته هو واليهود فعل شيء بعد هذه المذبحة المروعة التي حدثت لجميع سكان القدس — سواء كانوا مسلمين أو مسيحيين أو يهود — عند اقتحام الصليبيين للقدس في عام ١٠٩٩ م . وقد افاضت في ذلك جميع المصادر من غربية أو شرقية .

وعلى الرغم من اهتمام الباحثين بهذه الحالات الفردية التي وردت في المصادر الغربية عن بعض المرتدين ، إلا أن أيا منهم لم يشير إلى ما حدث أثناء الحملة البيزنطية الصليبية المشتركة على بلاد الشام في عام ١١٣٨ م / ٥٣٢ هـ وكانت بقيادة الامبراطور البيزنطي حنا كومنين (١١١٨ — ١١٤٣ م) ^(٣٢) .

ففي أثناء زحف هذه القوات على مدينة حلب مرت بحصن بزاغة ^(٣٣) وذلك في ١٨ أبريل ١١٣٨ م / ٢٥ رجب ٥٣٢ هـ . وبعد حصار دام حوالي سبعة أيام قرر أهله التسليم بعد أن توثقوا من الصليبيين والبيزنطيين بالعهد والايمان . ولكنهم غدروا بأهله ، ونصروا قاضي بزاغة وجماعة من الشهود وغيرهم تقدير اربعمائة نفس ^(٣٤) .

(٣١) عر على هذا الخطاب في الوثائق الخاصة بخيرة القاهرة ، ونشره جوينين مع خطاب آخر بالعربية . وتوجد ترجمة له بالفرنسية نشره كلود كاهن في

C. Cahen, *Orient et Occident, au temps des Croisades*, Paris, 19٢1, p. 224 - 25.

(٣٢) Anonymous Syriac Chronicle. The First and Second Crusades, *Journal of The Royal Asiatic Society*, London 1933, II pp. 278 - 79, William of Tyre, *op. cit.* II, 14 - 15, pp. 92 - 95.

(٣٣) بهذا من أعمال حلب في وادي بستان بن منبج وحلب ، انظر : بالقرن الحصري ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٩ - ٩ .

(٣٤) ابن القلاسي : دهل تاريخ دمشق ، ص ٤١٦ ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٨ ، ص ٣٥٩ ، من المعاد : مع الخلف ، ص ٥٨٨ .

وفي إشارة المصادر لاسلامية عن هذه الخبائثة لم تدب قاضي المدينة ومن معه . وعلى الأرجح انه استخدم مبدأ التقيہ (٣٦) . وذلك حتى يتخلص من هذا المأزق (٣٧) . والدليل على ذلك أن سيف الدين سوار بن ايتكين تمكن من اطلاق سراح اسرى بزاعة الذين تركهم البيزنطيون وراءهم أثناء زحفهم على حلب (٣٧) . وفي الواقع انهم لو استمروا على نصرانيتهم لاستغلت المصادر الصليبية هذا في التشجيع بالاسلام وأنه بدلا من هذه الحالات الفردية السابقة التي عمل لها وتحاول أن تضخمها .

وبخلاف محاولات نشر المسيحية عن طريق القوة أثناء المعارك ، حاول بعض الصليبيين استخدام مجال آخر للتبشير بها وذلك بين العبيد المسلمين في مقابل حصولهم على حريتهم . فعلى قوانين مملكة بيت المقدس كان العبد المسلم الذي يتحول للمسيحية يحصل على حريته (٣٨) . ومثال ذلك ماحدث أثناء الحملة الصليبية عندما استولى ريتشارد قلب الاسد وفيليب أوغسطس على عكا في يوليو ١١٩٢م / رجب ٥٨٨ هـ أمرا باطلاق سراح العبيد المسلمين

(٣٦) للمزيد انظر : دائرة المعارف الاسلامية ج ١٠ - مادة التقيہ ، دار الشعب ، القاهرة .

(٣٥) ورد هذا الحديث في القرآن الكريم : **مَنْ كَفَرَ بآيَاتِنَا مِنْ بَعْدِ إِسْمَاعِيلَ إِذَا نَزَّلْنَا آيَةً وَقُلْنَا لِمَنْ أَتَى ذَٰلِكَ مِنْ رِجٍّ بِالْكَفْرِ سَازَا قُلُوبُهُمْ غَضَبَ مِنَّا وَاللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ** . النحل آية (١٠٦) .

ويروى لنا من عباس بن سينا نصوص هذه الآية كانت في حصارين بارس . ويذكر ابن كثير في شرحه لهذه الآية أن الكفر بآيات الله أن يوان إبقاء لهجته ، ويحور له أن يأتي كما كان بلان رضي الله عنه يفعل ، وكذلك الصحابي الجليل حبيب بن زيد الانصاري عندما حاول أسلمة الكذاب احيارة على الشهادة له بأنه رسول . والأفضل والأولى أن يثبت المسلم على دينه . ولو أتى إلى الله . كما ورد في ترجمة الحافظ بن عساكر عن الصحابي الجليل عبد الله بن حذافة السهمي مع ملك الروم . ولكنه أتى على الروم من وسائل التعذيب المختلفة التي لا تقاها . وعندما يكن اعتقد ملك الروم أنه ضعف عرض عليه النصرانية مرة ثانية . عر أنه رد عليه بأنه يكن لأن له نفسا واحدة . وكان يرغب أن يكون له بعد كل شعرة في حساء نفسا تعذب هذا العذاب في الله . انظر : مختصر قصص ابن كثير : الحصار والحقيق محمد بن الصايدي ، بيروت - ١٩٨١ . المجلد الثاني ، ص ٣٤٨ - ٣٤٩

(٣٧) ابن الفلاس : المختصر السابق ، ص ٤١٦ ، ابن العديم : المعتمد السابق ، ص ٥٥٨ .

(٣٨) Jean-Richard, The Latin Kingdom of Jerusalem, translated From French by: J. Shively, 2 Vols. Amsterdam, 1979, p. 132

رابعين في التحول للمسيحية . ولكنه سارعوا بالقرار إلى معسكر صلاح الدين الأيوبي ، فأمر ملكار بعدم تحويل عبيد جدد إلى المسيحية ^(٢٩٠) .

وعلى الرغم من هذا حق القانون لتعبيد لفرندين بالحصول على حريتهم ، لأن السادة الصليبيين — سواء كانوا علمانيين أو دينيين — منعوا هذا التحول لما يسيبه ذلك من خسارة لهم ، بل هم عرفلوا لدعاة عن أداء عملهم . ولأشك أن لذلك دلالة فمصلحتهم المادية غلبت عليهم في الوقت الذي استغلوا فيه الدين لاختفاء هذه المطامع . وحاول البابا جريجوري التاسع (١٢٢٩ — ١٢٤١ م) معالجة هذه المسألة في خطاب أرسله في ٢٨ يوليو ١٢٣٧م إلى جريولد بطريرك بيت المقدس الاسمي ومقدمي الجساعات الرهبانية العسكرية الثلاثة فأشار إلى أنه « نأ إلى علمنا أن العبيد الذين يقبلون التعميد بنية الحصول على حريتهم طبقا لعادة البلاد (الأراضي المقدسة) فإنه يتم رفضهم ، بل إن بعض السادة ومنهم رجال دين يتمتعون عبيدهم عن التحول للمسيحية ، لأنهم يمساة يفقدونهم » ^(٢٩١) .

وحلا لهذه المشكلة أمر جريجوري هؤلاء السادة ، بأن العبد الذي يرغب في التحول للمسيحية يتم له ذلك ، ولكنه عليه أن يفهم أن حصوله على الحرية لا يعني خروجه عن طاعة سيده ، وأن يتم السماح له بحضور القداس في الكنيسة وأن يعامل معاملة حسنة ^(٢٩٢) .

وفيما يبدو أن هذا الخطاب لم يخل هذه المشكلة لأننا نجد مرسوما آخر يسمى « مرسوم يافا » . وأصدر هذا المرسوم المندوب البابوي أدو دي شاترو في يناير ١٢٥٣م بشأن نفس الموضوع . وقد حدد أدو باصدار قرار الخرمات على السادة الاقطاعيين الذين لا يسمحون لعبيدهم بالتحول وإطلاق حريتهم ، وأعلن أنه يجب قراءة هذا المنشور في الكنائس مرتين في العام وأن يسجل في سجلاتهم وبذلك لن يستطيع أحد تجاهله ^(٢٩٣) .

(٢٩٠) Roger of Hovden, Annals, pp. 66 - 76; Cf. also : Kedar, op. cit., pp. 146 - 147 .

(٢٩١) Cartulaire Général de l'Ordre des Hospitaliers S. Jean de Jerusalem (1100-1310), Par. (٤٠٠) Dediville le Roux, (Munche, 1980), no. 2168, pp. 513 - 514 .

(٢٩٢) Ibid. cf. also : Prawer, Crusader Institutionalism, p. 210 .

(٢٩٣) Kedar, Ecclesiastical Legislation in Kingdom of Jerusalem, The Statutes of Jaffa (1253) and Acre (1245) in Crusade and Settlement, ed. P. Edbury, (Oxford 1985) p. 728 .

هذه المحاولات من جانب الصليبيين لاغراء العيد المسلمين بالفرار اليهم ونحويلهم للمسيحية في مقابل حريتهم ، ربما كانت أحد الدوافع التي جعلت السلطان المملوكي الظاهر يبرم يشترط في معاهدة له مع استبارية حصن الاكراد والمرقب في عام ١٢٦٧م / ٦٦٥ هـ ، شرطا يعمى به الفلاحين المسلمين في المناطق ذات المناصفات بينهما فذكر ، وأن يكون الفلاحون الساكنون في بلاد المناصفات جميعها مطلقين من السخر من الجانبين « وعلى أن يحكم فيه بشريعة الاسلام أن كان مسلما (يقصد الجزء التابع للمسلمين) ، « وان كان نصرانيا يحكم فيه بمقتضى دولة حصن الاكراد » (٤٣) .

وفي معاهدة أخرى بين السلطان المملوكي المنصور قلاوون وابنه على مع حكام الفرنج بمكا في عام ٦٨٢ هـ / ١٢٨٣ م اشترط عليهم « وعلى انه متى حرب أحد — كائنا من كان — من بلاد السلطان وولده إلى عكا والبلاد الساحلية المعينة في هذه الهدنة ، وقصد الدخول في دين النصرانية وتصر بارادته ، يرد جميع مايروج معه ويقي عريانا ، وان كان يقصد الدخول في دين النصرانية ولا يتصر ، رد إلى أبوابها العالية بجميع مايروج معه بشفاعنة ثقة بعد أن يعطى الامان » (٤٤) .

وكانت أخطر المحاولات التبشيرية ، تلك التي قام بها جاك دي فيتري أسقف عكا (١٢١٦ — ١٢٤١ م) . ويرجع خطورتها إلى انها تمت بين الأطفال المسلمين . ففي أثناء الحملة الصليبية على بلاد الشام والتي كانت بقيادة اندرو الثاني ملك هنغاريا قام جاك دي فيتري بإقناع الصليبيين باعطائه الأطفال المسلمين الذين تم أسرهم أثناء الغارة على يسان وحصن جبل الطور في الفترة من أكتوبر — ديسمبر ١٢١٧ م / رجب — شعبان ٦١٤ هـ ، وقام بتسليمهم الى راهبات عكا لكي يقمن بتعليمهن المسيحية (٤٥) .

(٤٣) القلقشندي : صبح الأعشى ل صناعة الانشا ، ج ١ ، ص ٢٢ — ٢٣ .

(٤٤) غفر السيد ، ج ١ ، ص ٥٦ — ٥٧ . وعن دراسة لهذه المعاهدة وبودها انظر : حسن عبدالوهاب : تاريخ جماعة الفرنج في بيروت ، ص ٢٢٣ — ٢٢٦ . أما عن قضية الملوك التابع لجبل الطور الذين أنقش الروس والذى قرأه صاحب مبر . وكذلك البث التي تم قصورها راجع : ابن عبد الظاهر : الروض الواسع في سيرة الملك الظاهر . تحقيق عبد العزيز الخويطر . الرياض ١٩٧٦ ، ص ٣٤٧ .

Oliver of Padernborn, The Capture of Damietta, p. 16

ويتكرر نفس الأسلوب مرة أخرى أثناء الحملة الصليبية الخامسة على مصر فعقب استيلاء الصليبيين على دمياط في ٥ نوفمبر ١٢١٩ م / ٢٥ شعبان ٦١٦ هـ، طلب جاك منهم الأطفال المسلمين الذين كانوا بها وحصل عليهم إما عن طريق الشراء أو لتوسل وقام بتعميدهم . غير أن القلعة يتدخل ويموت بحماية من هؤلاء الأطفال — لسبب لم توضحه المصادر — وأرسل الباق إلى أصدقائه لكي يلقنوهم المسيحية (١٦٦).

ولاشك أن هذا الأسلوب يعتبر من أخطر أساليب التبشير التي أتبعها وكان من الممكن أن يؤدي إلى نتائج خطيرة لم تحققها الأساليب الأخرى في التبشير بالمسيحية سواء أثناء المعارك أو بين العيد أو الطبقات الأخرى غير أنه بحاجة إلى معارك وحروب ينتج عنها انتصارات للصليبيين ويحصلوا على الأسرى خاصة من هؤلاء الأطفال ولم يكن هذا لينتجق بعد أن مال الميزان لصالح المسلمين في صراعهم مع الصليبيين منذ معركة حطين ١١٨٧م / ٥٨٣ هـ .

وترد اشارات مختلفة عن محاولات نشر المسيحية بين الحكام والامراء المسلمين . وأول اشارة عن ذلك ترد لدى ألبرت اكس حيث أشار إلى أن الصليبيين عرضوا المسيحية على كربوغا حاكم الموصل أو الدخول في معركة معه وذلك أثناء تقدم الحملة الصليبية الأولى كما ذكر أن تانكرد أمير الجليل عرض المسيحية على أديفاق صاحب دمشق عندما أرسل ستة من الفرسان الصليبيين اليه . ولكن أديفاق قام بشنق خمسة منهم وفضل السادس اعتناق الاسلام . وترد اشارة ثالثة أيضا عن حاكم الرملة الفاطمي — دون أن نعرف اسمه — قام بمشاركة حلفائه من المسلمين في معركة عسقلان ١٠٩٩م/ ٤٩٢ هـ بعد أن نجح جودفري دي بولون في اقناعه بالمسيحية (١٦٧).

(١٦٦) Letters de Jacques des Vigny, ed. R.B.C. Huygens, Leiden 1960, no. VI, pp. 123 - 134; Oliver, op. cit., pp. 48 - 54.

ويشعر تاريخ بطارقة الكنيسة ، انه عند سقوط دمياط كان يوجد بها الأطفال ، وذكر المحققون أن باب الشعر أطلق على ستة وأربعين ألف رجل خارجا عن النساء والأطفال — انظر : كيرلس الثالث (ابن تلق) : تاريخ بطارقة الكنيسة المصرية . قام عن مشرو ذكرور أنطون خطير وذكور أولند بورمستر . القاهرة ١٩٧٤ ، ص ٣٢ ، محمود سعيد عمران : الحملة الصليبية الخامسة ، الاسكندرية ، ١٩٨٥ ، ص ٢٨٢ .

Albert d'Aix, p. 469, cf. also: Kedar, Crusader Mission, p. 61.

(١٦٧)

سعيد عاشور : معركة اهلبيية ، ج ١ ، ص ١٦٩

وفي الحقيقة فإن انفراد ألبرت بهذه الاشارات يجعلنا نكون على حذر عند التعرض لها ، خاصة وأنه ينقل عن العائدين من الحملة الأولى والذين كانوا يرغبون في اصفاء طابع البطونة على أعمالهم .

كذلك ترد اشارة عن الأمير ناصر الدين نصر بن عباس الذي وقع في أسر الداوية في يونيو ١١٥٤م / ربيع أول ٥٤٩ هـ بعد أن بلغتهم أخت الخليفة الظاهر بأمره حتى تنضم لمقتل أخيها^(٤٨) . ويذكر وفيه التصوري أنه رغب في التحول للمسيحية وبدأ في تعلم الحروف اللاتينية ولكن دأوية فضلو اعادة لوالده وحصلوا على ستين الف دينار بدلاً من قبوله في المسيحية^(٤٩) . وفي اعتقادنا أن نصر كان على علم بما يجري من محاولات لاعادته إلى مصر للانتقام منه فغير عن رغبته هذه لكي يتمكن من التخلص من هذا المأرق .

وأشارت بعض الخوليات الألمانية إلى أن بعض سفراء صلاح الدين الأيوبي أو سلطان قونية (ربما قلع ارسلان) عرضوا على فردريك بربروسا الامبراطور الألماني أن يزوج ابنته من ابن صلاح الدين الأيوبي أو من سلطان قونية نفسه وذلك في مقابل تحول الممالك الاسلامية إلى المسيحية على حد (زعمها^(٥٠)) ، وفي الواقع فإن المصادر الاسلامية لم تشر إلى هذه الرواية ، والتي تتعارض بحدوث شك مع سياسة الجهاد التي أعلنها صلاح الدين ، وهي أيضا نوع من اعداء شأن الامبراطور الألماني من جانب هذه الخوليات .

(٤٨) اسامة بن منقذ : الاعتبار ، ص ٢٧ وابن ميسر : المنفى من أخبار مصر ، تحقيق أمين فؤاد سيد ، القاهرة، ١٩٨١ ، ص ١٤٧ - ١٤٨ ، القزويني : اعطاء الخفا بهذا ذكر الائمة القاضيين الخلفاء ، ج ٣ ، ص ٢١٧ - ٢٢٢ .

(٤٩) William of Tyre, op. cit., vol. II, p. 253.
وأخطأ ولم في الاشارة انه تم اعادة نصر لوالده - الذي كان قد قتل في المعركة مع الداوية ، وتمت اعادة نصر إلى أخت الخليفة الظاهر لكي تنضم لمقتل أخيها على يديه . ويعطى لنا القزويني أيضا لقطة عن يد الخوارزمي وهو محبوس في قنص - انظر : اعطاء الخفا ، ج ٣ ، ص ٢٢٠ - ٢٢١ .

R. Rohricht, Geschichte des Königeiches Jerusalem, p. 282.

إلى ذلك ابراهيم خيس : العلاقات السياسية بين جماعة الموحدين الداوية والمسلمين في مصر والشام (١١٩٣ - ١٢٩١ م) الاسكندرية، ١٩٨٣ ، ص ٤٩ .

Chronica Regia Coloniensis, in MGHL, Scr. rer. Germ., 13, p. 129. (٥٠)

وفي أثناء الحملة الصليبية الثالثة أشار ابن شداد إلى أنه أثناء التفاوض بين صلاح الدين لايبى وريتشارد قلب الأسد عرض مشروع رواج سيف الدين لعداد أخو صلاح الدين من جوانا أخت ريتشارد وأرملة ملك صقلية السابق . ولكنها رفضت . غير أن ريتشارد قال « أن كان الملك العادل يتصر فأنا أنعم ذلك »^(٥١) . ولاشك أن هذا المشروع الذى اعتبره البعض نوعا من المزاح ، كان من الوسائل التى استعملها صلاح الدين لاضاعة الوقت أثناء مفاوضاته مع ريتشارد من أجل الاستعداد لمعركة قادمة أو إعطاء عساكره فسحة من الراحة بعد طول القتال .

أما لقاء السلطان الايوبى الكامل محمد مع فرانسيس الاسيزى أثناء الحملة الصليبية الخامسة والذى يقال انه عرض عليه المسيحية فتختلف آراء المؤرخين حوله . ويرى أن فرانسيس طلب من المنسوب البابوى بلاجيوس الذهاب لمقابلة السلطان ، ولكنه رفض فى البداية ثم وافق بعد ذلك . وذهب إلى معسكر السلطان ولم يفهم منه سوى كلمة « صلدان » أى السلطان . وبعد أن مثل أمامه سمح له بالتحدث ثم صرفه دون ايذائه بعد أن أوصاه فرانسيس بحسن معاملة من لديه من الأسرى . وبعد أن فشل فرانسيس سواء فى اقناع الكامل محمد بالمسيحية أو اقناع القادة الصليبيين بقبول عروض العليج ، اتجه إلى بلاد الشام وهو غاضب على الصليبيين بسبب ما انتشر بينهم من مفاسد^(٥٢) .

وفي اعتقاده أن هذه الرواية يمكن قبولها نظرا لما أتصف به الكامل محمد من دبلوماسية وصلت ذروتها فى علاقته بالامبراطور فردريك الثانى (١٢١٥-١٢٥٠م) ، وكذلك محاولاته اجلاء الصليبيين عن دياط بالطرق السلمية إلى جانب جهاده العسكرى^(٥٣) .

(٥١) ابن شداد : التوادر السلطانية ، ص ١٩٥

(٥٢) Kedar, Crusade and Mission, p. 123; Runciman, History of the Crusades, 3 vols., London (١٩٢٧), vol. 3, p. 159.

وكذلك محمود سعيد عمران . المرجع السابق ، ص ١٩٤ وما بعدها .

(٥٣) حسن عبد الوهاب : تاريخ جماعة الحرس البيونى ، ص ١٩٤ وما بعدها .

وبعد أن استعرضنا هذه المحاولات السابقة يظهر تساؤل هام هل كان هؤلاء المرتدين دور في المعارض ضد المسلمين ؟

أشار فوشيه أوف شارتر عند حديثه عن غارة قام بها الصليبيون في نوفمبر ١١٠٠م / محرم ٤٩٤ هـ على منطقة بالقرب من البحر الميت إلى « مواطني المنطقة الذين كانوا قبل ذلك مسلمين ولكنهم أصبحوا الآن مسيحيين »^(٥٤) . وقدم لهم هؤلاء النصيحة عند قدومهم لهذه المنطقة . هذه الإشارة من جانب فوشيه تتعارض مع رواية أخرى ذكرت أن بلدوين الأول ملك بيت المقدس عندما وجد أن القدس تعاني من نقص في السكان قام بتجديد عدد كبير من المسيحيين الشرقيين من مواطني هذه المنطقة واسكنهم أحد أحياء القدس^(٥٥) . وهذه الرواية تدل على أنهم في الأصل من المسيحيين الشرقيين وليسوا من المسلمين المرتدين .

ويشير ولیم الصوري إلى أحد المسلمين المرتدين في بلاط بلدوين الأول حتى أنه صار حاجبا له . ولكنه قبض عليه بسبب اشتراكه مع أهالي صيدا في محاولة دس السم لبلدوين ، فقام بشنقه^(٥٦) . ثم يشير مؤلف مجهول إلى شخص آخر يسمى ماخوموس Machomus كان قد وقع في الأسر وتم تعميده حتى أصبح في عام ١١١٢م مسيولا عن بيت المقدس أثناء غياب بلدوين في حملة ، وبضيف هذا المؤلف المجهول أن معرفة هذا الرجل باللغة العربية مكنته من اكتشاف مؤامرة لغزو القدس^(٥٧) . وفي الواقع أن هذه الرواية بها نوع من المبالغة

Fulcher de Chartres, op. cit., p. 144.

(٥٤)

Prawer, The Settlement of the Latins in Jerusalem, Speculum, 27, 1952, p. 493.

(٥٥)

وللدلالة أيضا عن أن المسيحيين اليعاقبة كانوا يقيمون في بعض القرى في هذه المنطقة بالقرب من البحر الميت . ذكر المؤرخ ملوتين انه قبل استيلاء الصليبيين على القدس حرب بعض من هؤلاء اليعاقبة متجها إلى مصر وأقام البعض الآخر في هذه القرى القريبة من البحر الميت ، ثم عاد بعضهم مرة أخرى إليها في الفترة ما بين عامي ١١٠٤ - ١١٢٧ م انظر الدراسة أعدها الناقد مقالته . انظر :

J. P. Martin, Les Premiers princes croisés et les Syriens Jacobites de Jerusalem, in Journal Asiatique, 1888, Ser 8, 12, p. 477.

William of Tyre, op. cit., xi, 14.

(٥٦)

(٥٧) يرى كيدار انه يتطابق مع والتر محمد Walter Mahameeth سيد الخليل ، والذي أشار إليه الورت أوف أكس في عام ١١٠٧م انظر :

Kedar, Crusades Mission, p. 75; Rohricht, Geschichte, p. 70

الوصحة . فليس من المعقول أن يعهد لندوين لأحد المسلمين المرتدين بأمر القدس خاصة وأنه لم يمر سوى فترة قصيرة عن المؤامرة التي نهم فيها ذلك المسلم المرتد السابق . ومن ناحية أخرى لم يذكر فوشيه والذي كان مصاحبا لندوين الأول — كما ذكر هو بنفسه — إلى هذه المؤامرة أو أن هناك حملة تمت في الصحراء في ذلك التاريخ (١٥١) .

ويرى جان ريتشارد أن المرتدين لعبوا دورا هاما في الجيش الصليبي وأن أعدادا كبيرة منهم كانت ضمن الفرمان خفيفي الحركة أو ما يسمى بالتركوبول Turcopol ، ويدلل على ذلك بالقائمة الطويلة التي وردت في بعض الوثائق الصليبية عن أسماء حملها بعضها منهم مثل موسى العرق وجورج وبطرس وغيرهم ، ويرى أن غالبيتهم كانوا من المرتدين وبعضهم من المسيحيين الشرقيين (١٥٢) .

غير أن هذا الرأي بحاجة للتوقف عنده ومناقشته . فالتركوبول هي فرقة يزنطية في الأصل ونقل الصليبيون فكرتها أثناء مرورهم بيزنطة في الحملة الصليبية الأولى كما تشير المصادر الصليبية نفسها (١٥٣) . ويدلل كيدار على أنهم من المرتدين بما ينقله عن أبو شامة . ففي معرض حديثه عن انتصار صلاح الدين على الصليبيين في عام ١١٧٩ م / ٥٧٥ هـ عند مخاضة بيت يعقوب أو حصن الأحزان ، أمر صلاح الدين بإعدام المرتدين ورماء السهام (١٥٤) . يستخدم هذا الإشارة التي أوردها أبو شامة ومعه جان ريتشارد بأن التركوبول من المرتدين . وفي الواقع بعد فحصنا للمصادر العربية في هذه الفترة وردت إشارة عن هؤلاء التركوبول . فيذكر العماد الأصفهاني أثناء غارة على بيسان في ٥٧٩ هـ / ١١٨٣ م أن الصليبيين قدموا في « ألف وخمسمائة ربح ومثله تركبلي » (١٥٥) . فمن

Fulcher of Chartres, op. cit., II pp. 202 - 203.

(١٥١)

Jean-Richard, op. cit., pp. 140 - 41.

(١٥٢)

Raymond d' Aguilers, Historia Francorum qui Ceperunt Iherusalem, trans with introduction and notes by J. Hill, and L. L. Hill, Philadelphia, 1968, p. 37.

(١٥٣) يقول أبو شامة : « حتى بالأسارى إلى السلطان فمن كان مرتداً أو ربما صلبت عنقه » (الرواضين ج ٢ ، ص ١١) .

(١٥٤) البرق الصامى . الجزء الخامس ، تحقيق وتقديم صالح حسين طر فني ، الأندلس ، ١٩٨٥ ، ص ١٤٨ .

الصعب تصديق أن يكون مثل هذا العدد من المرتدين . كما يذكر كنود كاهن أن بعض المسيحيين الشرقيين يحملون أسماء عربية أو سريانية ، مما يدل على أن الأسماء التي أشار إليها جان ريتشارد لا تدل على أنهم من المرتدين بل إن كثير رعاد وذكر في الخاشية بأنه من الطبيعي ألا يكونوا جميعا من المرتدين " (٦٢) .

أما المحاولات التبشيرية التي شهدتها القرن الثالث عشر الميلادي / السابع الهجري فقد اتخذت شكلا منظما بقيام جماعة الفرنسيسكان والدمينيكان بتأسيس مراكز لها في الأراضي المقدسة . وأخذ البابوات في إرسال الرسائل إلى هؤلاء المبعوثين والحكام الشرقيين يطلبون فيها توفير الحماية لهم (٦٣) . ولن ندخل في تفاصيل هذه المحاولات التي تناولها مارشال بندوين في مقالته . ولكن يهنا هنا الأسباب التي أشار إليها في معرض حديثه عن أسباب فشل هذه الإرساليات . يقول إنه من الواضح أن هذه البعثات بين المسلمين في الشرق نادرا ما حققت النجاح ، وذلك لأن معظمها لم يتم له الأعداد جيدا . ويعدد بعد ذلك أسباب الفشل الأخرى منها معارضة السلطات الإسلامية التي كانت السبب الأساسي في نظره لفشل هذه المحاولات ، بالإضافة إلى الرأي العام الإسلامي الذي ازداد قوة ضد الصليبيين الذين حاولوا كسب التأييد ضد المسلمين . كذلك ضياع الإمارات الصليبية في الشرق أفقدهم المراكز التي كانوا يتحركون من خلالها (٦٤) .

وفي الواقع أن هذه ليست هي الأسباب الحقيقية لفشل هذه المحاولات ، فلو أنهم هؤلاء المبشرون حققوا الدين الإسلامي لما حاولوا القيام بمحاولاتهم هذه والتي كانت النتيجة الطبيعية لها هي الفشل . فالمؤمن الحق يدرك ما في

(٦٢) C. Cahen, Un document concernant les Melkites et les Latins d' Antioche au temps des Croisades, in Revue des etudes Byzantines, 1971, xxix, pp. 283 - 92. Kedat, op. cit., p. 76.

(٦٣) انظر هذه الرسائل في .

R. Rehracht, zur Korrespondenz des Papste mit dem Sultanen und Mongolkanen des Morgenlandes in zeitliet der Kreuzzuge. Theologischen Studien und Kritiken, Lxix, (1891) 357 - 369;

Karl - Ernst Lippman, Die Beziehungen des papste zu Islamischen und Mongolischen Hereschen in 13 Jahrhunderten anhand ihres Brietwechsele - Vortr. 1981

Baldwin, op. cit., pp. 464 - 65

الاسلام بعد أن اختاره عن عقيدته وبما كان ، وهو يعلم تماما قول الحق عز وجل : ومن يتبع غير الاسلام ديناً فليس يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين (١٠١) . وأوضح الله عز وجل في مواضع كثيرة ما أصاب الديانات الأخرى من تحريف وكفر بالله ، فمنهم من ادعى أن له ولد أو أنه ثالث ثلاثة (١٠٢) — وحاشى الله ومنزهه عن ذلك كله . فإذا دخل الإنسان في الاسلام فلا رجعة في ذلك ، وعقاب الاسلام للارتداد واضح إذا أصر المرتد على موقفه وهو القتل . فلا شك أن فهم المسلم لدينه هو الأساس الذي تكسرت عنه هذه المحاولات التبشيرية .

نخرج من عرضنا لهذه الموضوع الحيوى نتائج عديدة يصعب حصرها ، منها : أن هذه المحاولات تمت في عصر ضعف فيه المسلمون واستغل أعدائهم ذلك فانقضوا على بلاد الشام وحاولوا غزو مصر عدة مرات . وفي ظل هذا الاحتلال جرت هذه المحاولات التبشيرية ومن هنا يجب على جميع المسلمين توحيد الصف بدلاً من الفرقة والخلاف .

الاهتمام بحالة المسلمين الاقتصادية ورفع مستواهم المادى يدفع عنهم الوقوع في براثن هؤلاء الدعاة . فقد استغل بعضهم الحالة الاقتصادية لبعض فئات المسلمين فأنشأوا منزلاً يقدم فيه المأوى والطعام لهؤلاء الفقراء . ثم يعرضون عليهم المسيحية . ومن هنا فإن الاهتمام بهذه الطبقات الفقيرة من العوامل الهامة لمحاربة هذه المحاولات التبشيرية .

كذلك فإن تقوية عقيدة المسلمين بمزيد من الفهم للدين الاسلامى الخفيف يكون درعاً واقياً أمام هذه الغزوات التبشيرية ويوقفها دون تعصب ، فالمسلم الواعى لدينه والوائى بعقيدته هو السبيل الوحيد لوقف هذه المحاولات .

(١٠١) آل عمران (٨٥)

(١٠٢) انظر كتاب حجة في سبيل الاسلام ، ص ١٢٢ ، ١٢٣ ، آل عمران ، ص ١٥٩ ، ص ١٥٨ ، ص ٩٥ ، ص ٩٦

قائمة بالمصادر والمراجع

أولا - المصادر الأجنبية :

- Albert d' Aix, *Historia Hierosolymitana*, ed. R.H.C. H-Occ., IV, Paris 1879, pp. 264 - 713.
- Anonymous Syriac Chronicle, *The First and Second Crusades*, Journal of the Royal Asiatic Society., London 1933.
- *Cartulaire Général de l'Ordre des Hospitaliers S. Jean de Jerusalem (1100 - 1310)*, par Deliaville Le Roux, (Munche, 1980.
- Fulcher of Chartres, *A History of The Expedition to Jerusalem (1095-1127)* trans. by Frances Rita Ryan (Sisters of St. Joseph) ed. with An introduction by H. S. Fink : Kohnville, 1969.
- *Gesta Francorum Hierosolymitanorum*, ed. by Rosalind Hill, *The Deeds of the Franks and the other Pilgrims to Jerusalem*, London 1933.
- Guibert de Nogent, *Gesta Dei Per Francos.*, in R.H.C. H-Occ. Vol: IV:
- Jacques de Vitry, *Lettres de Jacques de Vitry*, ed : R. B. C. Huygens, Leiden 1960.
- Oliver of Padenborn, *The Capture of Damietta*, trans. by John, J. Gavian. Philadelphia, 1948.
- Peter Tudbode, *Historia*, Philadelphia 1974
- Raymond d'Aguilers, *Historia Froneorum qui cepenunt Iherusalem*, trans. with introduction and notes by J. H: Hill, and L.L. Hill; Philadbpbia 1968.
- Roger of Hovden, *Annals*, comprising History of England and other Countries of Europe from A. D. 732 to A. D. 1201 : trans from the Latin with notes and illustrations by Henevy T. Riley 2 vols: London 1883.
- William of Tyre, *A History of Deeds done beyond the Sea*, 2 Vols: Trans by F. Siwar Babcock and A. C. Krey, New York 1943.

ثانياً — المصادر العربية :

— القرآن الكريم

— ابن الأثير : (ت ٥٣٠ هـ / ١٢٣٣ م) أبو الحسن علي بن أبي الكرم :

الكامل في التاريخ ، ٩ ج — بيروت ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م .

— ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م .

العبر وديوان المبتدأ والخير ، ١٢ ج ، بيروت ١٩٨٣ م .

— ابن شداد (ت ٦٣٢ هـ / ١٢٣٨ — ١٢٣٩ م) بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع :

النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية أو سيرة صلاح الدين ، تحقيق د. جمال الدين الشيال ، ط. أولى القاهرة، ١٩٦٤ .

— ابن عبد الظاهر (ت ٦٩٢ هـ / ١٢٩٢ م) محيى الدين :
الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر ، تحقيق د. عبد العزيز الخويطر ،
الرياض ١٩٧٦ .

— ابن العديم (ت ٦٦٠ هـ / ١٢٦٢ م) كمال الدين أبي القاسم عمر بن أحمد
من هبة الله :

زبدة الحلب من تاريخ حلب ، نشر وتحقيق سامي الدهان — ٣ ج
— دمشق ١٩٥١ — ١٩٦٧ .

— ابن عذارى المراكشي (أبو عبد الله محمد) ت بعد عام ٧١٢ هـ / ١٢١٢ م :

البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، ٤ ج ، تحقيق ومراجعة
ج. م. كولان وأ. كولان وإ. ليفي بروفنسال ، ط. ثانية ، بيروت
١٩٨٠ .

— ابن القلانسي (ت ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م) أبو يعلى حمزة المعروف بابن
القلانسي :

دليل تاريخ دمشق ، نشر وتحقيق مهيل ، كار ، دمشق ١٩٨٣

— ابن كثير : (ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٣ م)

مختصر تفسير ابن كثير ، اختصار وتحقيق محمد علي الصابوني ،

٤ ج — بيروت ١٩٨١

— ابن ميسر : (ت ٦٧٧ هـ / ١٢٧٨ م) تاج الدين محمد بن يوسف رابع

المنتقى من أخبار مصر ، انتقاء نقى الدين أحمد بن علي المقرئ ،

نشر د. أيمن فؤاد سيد ، القاهرة . ١٩٨١ .

— أبو شامة (ت ٦٦٥ هـ / ١٢٦٧ هـ) شهاب الدين محمد عبد الرحمن بن

إسماعيل ابن إبراهيم المقدسي :

الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، ٢ ج — مطبعة

وادي النيل القاهرة ١٢٨٧ — ١٢٨٨ هـ .

— أسامة بن منقذ (ت ٥٨٤ هـ / ١١٨٨ م) مؤيد الدولة أبو المظفر :

كتاب الاعتبار ، نشر فيليب حتي ، برنستون ١٩٣٠ .

— العماد الاصفهاني الكاتب (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠١ م) عماد الدين محمد

ابن حامد :

البرق الشامي ، الجزء الخامس ، تحقيق وتقديم د. فالح صالح

حسين ، الاردن ، ١٩٨٧ .

— القلقشندي (ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م) أبو عبد الله زكريا بن محمد

ابن محمود :

صبح الأعشى في صناعة الانشا ، ١٤ ج ، القاهرة ١٩١٣ /

١٩٢٠ م .

— كيرلس الثالث (ابن لقلق) (١٢١٦ — ١٢٤٣ م) :

تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية ، قام على نشره دكتور انطون خاطر

ودكتور ادولف بومستتر ، القاهرة ١٩١٤ .

— المقرئى (ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤٢ هـ) نقى الدين أبو العباس أحمد :

اتعاظ الحنفا باختيار الأئمة الفاطميين الخلفاء ، ج ١ نشر وتحقيق
د. جمال الدين الشيال ، ج ٢ — ٣ نشر وتحقيق د. محمد حلمى
أحمد ، القاهرة ١٩٤٣ — ١٩٧١ .

— ياقوت الرومى الحموى (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م) أبو عبدالله ياقوت بن
عبد الله شهاب الدين : معجم البلدان ، ٥ أجزاء ، بيروت ١٩٧٠ .
ثالثا — المراجع الأجنبية :

M. W. Baldwin, Missions to the East in the Thirteenth and Fourteenth
Centuries, in Setton (ed). History of the Crusades, vol. V,
Piladelphia 1985.

C. Cahen, 1 - Orient et Occident au temps des Croisades, Paris 1983.

2 - Un document concernant les Melchites et les Latins d'Anitioche
au temps des Croisades, in Revue des etudes Byzantines, vol.
xxix 1971.

J. France, The Crisis of The first Crusade, in Byzantion, t. xl, 1970.

J. La Monte, Crusade and Jihad, in The Arab Herutage, ed. by N. A: Paris,
New Jersy, 1964.

B. Z. Kedar, 1 - Crusade and Mission, European Approaches to the
Muslims, Princeton, 1988.

2 - Ecclesiastical Legislation Kingdom of Jerusalem, The
Statutes of Jaffa (1553) and Acre (154), in Crusade and
Settelment, ed, by P.W. Edbury, Cardiff, 1985.

Karl - Ernst Lupprian, Die Beziehungen der Päpste zu Islamischen und
Mangolischen Herrschern in 13. Jahrhundert anhand ihres
Briefweechsels, Vatican, 1981.)

J. P: Martin, Les Premiers Princes Croisés et les Syriens Jacopites de
Jerusalem, in Journal Asiatique, 1888, Ser. 8, 12.

1. Prawer, 1 - The Settlement of the Latins in Jerusalem, Speculum, 27, 1952.
- 2 - "The Jerusalem The Crusaders captured" in, Crusade and Settlement, ed by. P. W. Edbury, Cardiff; 1985.
- 3 - Crusader Institutions; Oxford 1980.
- Jean Richard; The Latin Kingdom of Jerusalem ; trans. from French by J. Shively, 2 Vols : Amsterdam 1979.
- R. Rohricht, 1 - Geschichte des Konigerichs Jerusalem, (1100 - 1291) [onsbrack]1889.
- 2- - Zur korrespondenz der Päpste mit dem Sultanen und Monfolkanen des Morgenlandes im seitatter den Kreuzzuge, Theoloyischen Studien und kritiken, Lxix (1891).
- S. Runciman, History of the Crusades, 3 Vols. London 1971.

رابعاً : المراجع العربية والعربية :

السيد عبد العزيز سالم (ذكرور) :

- ١ — تاريخ الدولة العربية ، الاسكندرية ، ١٩٨٤ .
- ٢ — المغرب الكبير ، العصر الاسلامي ، القاهرة ، ١٩٦٦ .

بتر (الفريد) :

- فتح العرب لمصر ، تعريب محمد فريد أبو حديد ، القاهرة ، ١٩٨٩ .

حسن عبد الوهاب حسين (ذكرور) :

- تاريخ جماعة الفرسان التيوتون في الأراضي المقدسة ، الاسكندرية ، ١٩٨٩ .

سعيد عبد الفتاح عاشور (ذكرور) :

- الحركة الصليبية ، جزاءن . القاهرة ، ١٩٦٣ .

محمود سعيد عمران (ذكرور) :

- الحملة الصليبية الخامسة ، الاسكندرية ، ١٩٨٥ .

القبائل اليمنية في الإسكندرية والبحيرة ودرورهم في حوادث التاريخ الإسلامي

بحث مقدم من

د. سحر السيد عبد العزيز سالم

مدرس التاريخ الإسلامي والمضارة

الإسلامية لأداب الاسكندرية

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

القبائل اليمنية في الاسكندرية والبحيرة ودورهم في حوادث التاريخ الاسلامي
(١)

الصلات التاريخية بين أهل اليمن ومصر حتى فتح العرب لمصر

كان العدد الأعظم من الجيش الذي قاده عمرو بن العاص لفتح مصر سنة ١٨ هـ من عرب اليمن ، فقد ذكر ابن عبد الحكم أن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب عقد لعمرو على أربعة آلاف رجل ، وقيل ثلاثة آلاف وخمسمائة كلهم من عك^(١) ، وأن ثلث هذا الجيش كان من قبيلة غافق اليمنية على وجه الخصوص . ومن المعروف أن غافق بطن من بطون عك^(٢) . ونستدل على غلبة العنصر اليمني في جيوش العرب الفاتحين من الاطلاع على أنساب من شهد منهم فتح مصر ، ومعظمها يرجع إلى أصول يمنية ، من ذلك على سبيل المثال :

عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي ، وكان اسمه العاص فسماه رسول الله ﷺ ، عبد الله ، وعقبة بن عامر الجهني ، يكنى أبا حماد ، وكان رسول عمر ابن الخطاب إلى عمرو بن العاص حين كتب إليه يأمره أن يرجع إن لم يكن قد دخل أرض مصر ، وأبو رمعة البلوي ، ويزج بن حُشْكل ، وكان ممن قدم على رسول الله ﷺ من مهرة ، وشهد الفتح مع عمرو واختط ، وحنادة بن أمية الأزدى ، وسيف بن وهب الخولاني ، وأبو فاطمة الأزدى^(٣) ، ومعاوية بن حديج الكندي ، وكان رسول عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب يشرو بفتح الاسكندرية^(٤)

ونستدل أيضاً على غلبة العنصر اليمني في قوات العرب الفاتحين من تتبع منازل العرب الفاتحين وخططهم في الفسطاط والبحيرة ، في المصادر العربية لفتح مصر ، فابن عبد الحكم مثلاً يذكر أن |يزج بن حُشْكل| اختط عند دار زين في الزقاق الذي يعرف بخلف القماح ، وأن عبد الله بن الحارث ابن جزء الزبيدي اختط مما يلي زقاق البلاط^(٥) ، وأبو فاطمة الأزدى |اختط| دار الدوس^(٦) ، أما جهينة فنزلت بحرف بة ، بينما نزلت المعامر بخوار عمرو بن العاص فأداهم البعوض

فنقلهم عمرو إلى منازل قريش ونقل قريش موضعهم^(٨٠) ، واختطت قبيلة بل خيف خارجة بن حذافة ، ثم وسعوا حطيم قبلة دينا يعرف بدرب الزجاج وتجاوزوه إلى مسجد بني عوف من بني ودار ابن بيلة بسوق وريان . وقد تزايد عدد هذه القبيلة بمصر ذلك أم العاص بن وائل كانت امرأة من بني^(٨١) ، كما اختط بنو بكر مما يلي بل وهم قوم من الأزد النخمين ، أما الحجر يشبون إلى الأزد فقد اختطوا من مسجد العيمة حتى بلغوا رفاق السبي ثم يروا ثم بشجاعة فتراد^(٨٢) ، واختطت مهرة أول ما دخلت بدار الخيل وما والآها على سمع جبل يشكر مما يلي الحندق ، وكانت منازلهم قبل الريبة مما يلي منازل عبد الله بن سعد بن أبي السرح^(٨٣) ، واختطت لحم قبل ثقيف مما يلي السراجين ، ومضوا بخطتهم إلى عقبة مهرة ، ومعهم نفر من جذام ثم انحدروا في رفاق وريان ، كما اختطت غافق بين مهرة ولحم ثم مضوا بخطتهم حتى برزوا إلى الصحراء ، كما كان لغافق يمين الطريق من درب السراجين إلى دور بني وريان^(٨٤) ، وسوق ابن عبد الحكم مزينا من التفاصيل عن خطط غافق ، كما يذكر أن خطط الصدق كانت تقع قبل مهرة حتى التقت بخطط حضرموت دون الصحراء ، كما التقت بخطط بني سعد من نجيب ، ويحدد خطط حضرموت ويعصب بالنسقاط ، ويذكر أن خطط نجيب امتدت شرق الحصن قبل منزل عبد الله بن سعد بن أبي السرح حتى اتصلت بخطط مهرة والصدق ، أما خولان وبني علان من مراد فقد اختطوا الشرق .

وبعض ابن عبد الحكم في سرد أسماء القبائل اليمنية وخططها ومواضعها مثل : مذحج وحمر والأشعرية والنكاسك والسكون والسبأيون على صفحات كتابه ، كما يحدد أسماء كثير من اليمنية ودورهم ومساكنهم^(٨٥) ، ثم يتحدث عن خطط الجزيرة ، ويعد بنو أبرهة بن الصباح^(٨٦) أشهر من سكن بها من اليمنيين . ويفرد المقرئ بنو بهرة في الخطط أسماء القبائل العربية التي اختطت في النسقاط بعد الفتح^(٨٧) ومعظمها من اليمنية . وإذا رجعنا إلى كتاب « البيان والأعراب عما بأرض مصر من الأعراب » نجده يتحدث عن القبائل العربية ومنازلها بمصر ، ويسترجع نظرنا فيما أورده من نصوص أن القبائل اليمنية بمصر كان لها نصيب وانفر^(٨٨) . يؤكد ذلك أيضاً ما ذكره الكندي عن عبد العزيز بن مروان عندما ولى مصر فقد سأل أباه الخليفة الأموي مروان بن الحكم قائلاً : يا أمير المؤمنين ،

كيف هشام بن عبد يسى به أحد من بنى أئى . فقد نه مروان إياهم ، عثمهم
 بأحسانك يكتوبو كلهم بنى أئى . وأجعل وجهك ضيفا : نصف لك مودتهم .
 وأوقع أنى كل رئيس منهم أنه خاصتك دون غيره يكن عيا لك على غيره ويتقاد
 فومه أئى . « (١٧) . فلم يكن فى مصر حينئذ من القيسية إلا عدد قليل ، وربما
 كان ذلك هو السبب الذى دفع ولاية مصر الأمويين الى التفكير فى تهجير القيسية
 (العدنانيين) إلى مصر بهدف إخماد نوع من التكافؤ بين القبائل العربية بها ،
 خاصة وأن بعض الولاة الأمويين فى مصر كانوا من القيسية (١٨) ، ومن أشهر هؤلاء
 الولاة الوليد بن رفاعه بن خالد الفهمى (١٠٩ - ١١٧ هـ) الذى تم فى ولايته نقل
 قيس إلى مصر سنة ١٠٩ هـ . ولم يكن لها بينهم أحد قبل ذلك إلا من كان من
 فهم وعدوان « (١٩) . فوجد ابن الحبحاب على الخليفة هشام بن عبد الملك وسأله
 أن ينقل الى مصر ايتاما من قيس ، فأذن له هشام فى الحاق ثلاثة آلاف منهم
 وتحويل ديوانهم الى مصر ، على ألا يتزلوا القسقاط ، فانزلهم ابن الحبحاب فى الحوف
 الشرق ، واستمرت أفواج من قبيلة قيس تغد الى مصر تباعا الى ما بعد زمن ابن
 الحبحاب حتى أن القيسية بمصر عندما مات مروان بن محمد كانت تبلغ نحو
 ٣ آلاف أهل يت ثم توالدوا وقدم عليهم من البادية من قدم . « (٢٠) .

نستخلص من ذلك كله أن معظم العرب الذين فتحوا مصر كانوا من اليمنية ،
 ويرجع ذلك فى تصويرى الى عاملين :

أما العامل الأول

ف يرجع الى توثق العلاقات اليمنية المصرية منذ أقدم | حقب التاريخ ، فملوك الأسرة
 الخامسة من عصر الدولة القديمة فى مصر الفرعونية كانوا يقومون بإرسال البعثات
 التجارية الى بلاد بونت التى كانت تشمل الشاطئين الاقريقى والآسيوى حول
 مضيق باب المندب للحصول على اللبان واللاذد والورس والكندر والبخور
 بالإضافة الى المر والسمغ العطرى والكافور | والراتنج ليحرقوها فى معابدهم
 وليستعملوها فى عملية تحنيط الموتى (٢١) . وقد عرف جنوب جزيرة العرب وعلى
 الأخص حضرموت ، بترائها فى هذه المواد ، فعرفت حضرموت « بأرض البخور
 واللبان » . واستمرت هذه العلاقات التجارية قائمة بين جنوب جزيرة العرب
 ومصر فى عصر الدولة الوسطى ، وكانت تجارة البخور واللبان اليمنى والنصومالى تمر

بوادى الحمامات الذى أصبح حصة الاتصال ببلاد العرب الجنوبية . وبما يؤكد على قيام علاقات اقتصادية بين اليمن ومصر ، أنه عثر فى الجزيرة وادفو على كتابات معينة بالخط المسند ، ترجع إلى القرن الثانى ق.م. تشير إلى وجود حالة معينة^(٢١) فى مصر .

وبعد أن ورث السبأيون مملكة معين فى اليمن استمر خط التجارة فى البحر الأحمر يمتد من باب المندب إلى وادى الحمامات بمصر .

أما عدن فقد برزت كقاعدة رئيسية فى اليمن تربط بين اليمن ومصر ، أو كمركز تجارى بحرى رئيسى للسلع الأفريقية والهندية والمصرية . ولما سقطت دولة الحميريين ظلت عدن فى أيدي الرومان الذين استهدفوا القضاء على نشاط مملكة أكسوم بالحشة ، التى حاولت أن تسيطر على بلاد العرب الجنوبية . ووضع الرومان حامية لهم بعدن لحماية التجارة المصرية المتجهة إلى الهند فى البحر الأحمر والمحيط الهندى^(٢٢) .

كذلك ظهر ميناء مخا على ساحل اليمن المطل على البحر الأحمر ، كميناء تجارى تزود فيه السفن البيزنطية القادمة من مصر ، بأفخر البضائع العربية أو تقوم فيه ببيع بضائعها المصرية أو تلك التى استوردتها من الأقطار المطلة على البحر المتوسط^(٢٣) .

وبعد دخول المسيحية إلى مصر ، كانت هناك ثمة علاقات دينية بين مصر وجنوب بلاد العرب ، منها على سبيل المثال زيارة بثنوس رئيس مدرسة الاسكندرية اللاهوتية سنة ١٩٠ هـ للحشة وبلاد العرب بعد عودته من بعثته التبشيرية بالهند^(٢٤) .

ومن الجدير بالذكر أن بطوناً من خزاعة هاجرت قبل ظهور الاسلام إلى مصر والشام عندما حل الجفاف ببلادهم^(٢٥) .

هذا وقد انتدب الرسول ﷺ رجلاً يميناً بالذات يحمل رسالته إلى المقوقس وإلى مصر من قبل هرقل ، وكان هذا الرجل يدعى حاطب بن أبى بلتعنة اللخمي ، ويستدل من ذلك الاختيار على بعد نظر الرسول ﷺ وحسن تفضيله لرسالة إلى المقوقس ، فقد كان يعرف الصلات الوثيقة التى تربط اليمنيين بأهل مصر منذ أقدم العصور .

عند حاطب بن رسول الله ﷺ حاملاً معه رسالة المقوقس وهديته إلى النبي ﷺ. وفي خلافة عمر بن الخطاب . وقبل أن يفتح العرب مصر ، تفرق العرب عناناً (١٣١) وجدام المنتصرة ، فترى منهم فريق في أرض الجفار شمالى سيناء فأقطعهم حاكم مصر الروماني ولاية نيس (صا الحجر) ، وكان يرأسهم رجل من بني عامر بن صعصعة يقال له أبو ثور من العرب المنتصرة (١٣٢)

أما العامل الثاني

فيرجع إلى اسلام الجنين المتأخر (١٣٣) ، ورغبتهم في أن تكون لهم سابقة وفضل يفتخرون به أمام العرب والمسلمين . فبعد صلح الحديبية في سنة ٦ هـ ، تفرغ رسول الله ﷺ لتوجيه الدعوة إلى الاسلام في داخل شبه جزيرة العرب وخارجها ، فأرسل النبي ﷺ رسله إلى ملوك العالم المعروفين في ذلك الوقت ومن بينهم كما سبق أن ذكرنا رسوله ، حاطب بن أبي بلتعة اللخمي إلى المقوقس في مصر ، كما أرسل النبي ﷺ سنة ٨ هـ ، رسلاً وكتباً إلى سائر القبائل العربية في الجزيرة العربية يدعوهم للإسلام .

وكتب النبي ﷺ إلى أقبال اليمن لذلك كتباً ، ومن هؤلاء الأقبال ، الحارث بن عبد كلال ، وشرح بن عبد كلال ، ونعيم بن عبد كلال ، ونعمان قيل ذي يزن ، ومعاقر ومندان وورعة ذي رعين . كما كتب إلى أمراء ذي مرحب بمحضر موت وإلى بني عمرو من حمير ، وإلى بني معاوية من كندة ، وإلى بني طيء وجدام ، وبني الربعة من جهينة ، وبني جعيل من إيل ، وبني الحمرز بن ربيعة من جهينة وغيرهم (١٣٤) .

ثم أصدر النبي ﷺ بيان براءة في موسم الحج في أواخر العام التاسع من الهجرة ، وكان هذا البيان بمثابة إنذار وجهه إلى المشركين . وكان الرسول ﷺ يستهدف من هذا البيان أن يضم جميع قبائل العرب في شبه الجزيرة إلى الدولة العربية الإسلامية الناشئة .

وبدأت وفود القبائل العربية تعد إلى الرسول ﷺ عقب هذا البيان ، وكان الرسول ﷺ يرسل مع هذه الوفود معلمين لتعليم أبناء هذه القبائل قواعد الاسلام ومن بين الشخصيات المهمة التي أقبالت في المدينة فروة بن مبيك

المرادى الذى قدم على الرسول ﷺ مفارقاً للملك كندة ومباعداً لهم، فاستعمله
النبي ﷺ على مراد وريد ومدحج كلها^(٣١)، وبعث معه خالد بن سعيد بن
العاص الذى ظل يرافقه فى بلاده حتى وفاة الرسول ﷺ^(٣٢).

وممنهم أيضاً عمرو بن معد يكرب فى قوم ابن زيد، وقد عاد الى بلاده بعد أن
أشهر اسلامه، تحت حكم فروة بن مسيك^(٣٣). كذلك قدم على رسول الله،
الأشعث بن قيس فى وفد كندة^(٣٤)، هذا الى جانب وفود تحيب^(٣٥)،
وطى^(٣٦)، ونخلان^(٣٧)، والرهايين من بنى مدحج^(٣٨).

وكان أول من قدم الجزيرة للنبي من أهل الكتاب أهل نجران النصارى، ثم
فرضت الجزية فى اليمن وهجر على اليهود والمجوس من أهلها^(٣٩). وما لبث أن
انتشر الاسلام فى اليمن بعد ذلك خاصة بعد أن أرسل الرسول ﷺ الى تلك
القبائل التى لا تزال تتمسك بأديانها القديمة على بن أبى طالب وخالد بن الوليد
لدعوتهم الى الاسلام^(٤٠). ثم سير الرسول ﷺ زياد بن لبيد عاملاً على
حضرموت، والمهاجر بن أبى أمية المخزومي على صنعاء، وأبا موسى الأشعري على
زيد [أرمع وعدن والساحل]، وأسند القضاء الى معاذ بن جبل وقض جميع
الصدقات باليمن، وولى عمرو بن حزم الأنصارى ثم أبا سفيان بن حرب على
نجران^(٤١).

ومن هذا العرض الموجز يتبين لنا أن تأخر القبائل اليمنية فى اعتناقها الاسلام فى
أواخر السنة التاسعة الهجرية، ربما كان سبباً قوياً يدفعهم الى الاشتراك فى حركة
الفتوح الاسلامية خاصة فتوحات الشام ومصر. وساعد على ذلك كما أوضحنا
العلاقات التاريخية بين اليمن من جهة، والشام ومصر من جهة أخرى.

(٢)

النجينيون ودورهم في فتح الاسكندرية والبحيرة

بعد أن فتح عمرو بن العاص حصن بابليون سنة ١٩ هـ ، أصبح الطريق الى الاسكندرية عاصمة البلاد مفتوحاً أمامه ، فواصل عمرو زحفه اليها في ربيع الأول سنة ٢٠ هـ ، بعد أن استخلف على حصن بابليون خارجة بن حذافة بن غاثم . ولم يلق عمرو أى مقاومة من جانب الروم حتى بلغ ترنوط^(٤٢) التى تسمى الآن (الطرانة)^(٤٣) ، وهناك اشتبك قواته مع طائفة منهم فقاتلوه قتالاً خفيفاً ، تغلب فيه المسلمون عليهم ، ويذكر ابن عبد الحكم في سرده للأحداث التى تلت موقعة ترنوط ، ثلاث روايات مختلفة ، وإن كانت تظهر جميعها دور شريك ابن سمي الغطفي البطولي في قتال الروم ، كما تظهر كذلك دوراً بطولياً لأحد الفرسان النجيين ، وهوا مالك بن ناعمة الصدفى صاحب الفرس الأشقر الذى يقال له « أشقر صدف » .

ونحن نأخذ بالرواية الثالثة التى أوردها ابن عبد الحكم ، والتى يذكر منها أن شريك بن سمي الغطفي تتبع فلول الروم والتقى بهم في كوم عرف بعد ذلك « بكوم شريك » نسبة إليه ، بينما كان عمرو بن العاص لا يزال في ترنوط وهناك أحاط الروم بشريك ، فانقض عليهم مالك بن ناعمة الصدفى ، فخرج الروم وراءه ولكنهم لم يدركوه ، فقد كانت فرسه لا تبارى في سرعة ، حتى وصل ابن ناعمة الى عمرو فاقبل عمرو بن العاص مع جيشه ليمد شريك بن سمي في الكوم ، فلما علم الروم بذلك انسحبوا وولوا الأدبار^(٤٤) .

مضى عمرو بن العاص بعد ذلك في طريقه الى الاسكندرية ، والتقى بجيش الروم في سلطيس وصحبها سنطيس التى تبعد ستة أميال عن دمنهور الحالية . واقتلوا بها قتالاً شديداً أسفر عن هزيمة الروم وانسحابهم الى حصن الكريون . وأمام هذا الحصن التقى جيش المسلمين بالروم مرة أخرى ، وكان حصن الكريون الخط الدفاعى الأمامى للاسكندرية ، فقد كان يشرف على خليجها الذى يعتمد عليه الأهالي في السفيا ونقل المؤن^(٤٥) .

أمامه هذا الحصن دارت موقعة عنيفة ، استمرت عدة أيام ، وانتهت بانتصار

عمرو على قائد الروم الذي تفهقر إلى الإسكندرية لينحس بحصنها . ويذكر ابن عبد الحكم أن عمرو بن العاص صلى يومئذ صلاة الخوف بكل طائفة ركعة وسجدتين^(٤٦) . وكان حصار المسلمين للإسكندرية فيما أدرك عمرو ذلك ترك عليها فرقة للرباط ما بين حلوة وهو موقع بشرقيها إلى قصر فارس ، وسار على رأس جيشه لفتح بقية إقليم البحيرة ، والوجه القبلي ، وتم فتح الإسكندرية بعد حصار دام أربعة عشر شهراً ، وعقد صلح الإسكندرية بين عمرو والمقوقس في سنة ٢١ هـ ، ثم كتب عمرو إلى عمر بن الخطاب يخبره بفتح مريوط والإسكندرية ورشيد/فسوه ودمهور والبحيرة^(٤٧) ، وغيرها من مدن الوجه البحري ، وقد بعث بالكتاب عامر بن لؤي ، وتفرق الصحابة بعد فتح مصر والوجه البحري في الإسكندرية ورشيد وكان أكثرهم بوسط إقليم البحيرة .

ويذكر ابن عبد الحكم أن عمرو بن العاص عقد منذ فتحه لرشيد وأخنا والبرلس صلحاً مع حكامها ، وفي ذلك يقول عن أحد كبراء الروم الذي حضر فتح مصر : فهل كان لهم كتاب ، فقال نعم ، كتب ثلاثة ، كتاب عند طلعا صاحب اخنا ، وكتاب عند قرمان صاحب رشيد ، وكتاب عند يحيى صاحب البرلس . قلت : كيف كان صلحهم . قال دنايين على كل إنسان جزية ، وأرزاق المسلمين قلت فتعلم ما كان من الشروط قال نعم ، ستة شروط ، ولا يخرجون من ديارهم ولا تنزع نساؤهم ولا كفورهم ، ولا أرضهم ولا يزد عليهم ...^(٤٨) .

وما أن تم فتح الإسكندرية حتى أرسل عمرو بن العاص معاوية بن حديج السكوني^(٤٩) رسولاً من قبله إلى الخليفة الراشد عمر بن الخطاب يبشره بفتحها ، ثم أوقف عمرو بن العاص معاوية برسوف ثاب يحمل كتاباً إلى الخليفة عمر يصف له فيه مدينة الإسكندرية وغنائمها^(٥٠) .

ويرجع الفضل الأعظم في فتح الإسكندرية ومدن البحيرة إلى الجنين . ويذكر ابن عبد الحكم رواية تؤكد ذلك ، فيذكر نقلاً عن بكر بن عمرو الخولاني أن عبد العزيز بن مروان عندما قدم إلى الإسكندرية سأل عن فتحها شيخاً كبيراً من الروم ، فقال له أنه كان غلاماً شاباً عندما افتتحها العرب وأنه ذهب مع صديق له كان ابناً لطريق من بطارقة الروم مشاهدة عسكر المسلمين ، وكان

صاحبه يلبس ثوباً من الديباج ويضع على رأسه عصاية من الذهب ويمسك بيده سيفاً بحلي . وحديث ... مما أخذ جنود العرب فهاجموها ، وأقدم على قتل صاحبه فيما يمكن هو من العرب . ويذكر الشيخ أن الحدي العربي ترفع عن سلب صديقه بعد قتله ، ما كان يحمله . فلم يترع عنه ثيابه ولا عصاية الذهب ولا سيفه . فلما سأله عبد العزيز عن وصف ذلك الرجل وهياته قال الشيخ الرومي : هو قليل دمى ، ليس بالتمام من الرجال في قامته ولا في لحمه ، رقيق ، آدم ، كوسج . فقال عبد العزيز عند ذلك ، انه ليصف صفة رجل بماني ...» (٥١) .

وقد رأينا الدور الهام الذي قام به كل من الفارسيين مالك بن ناعمة الصدوق الذي يرجع بأصله إلى الصدف النخيني ، والقائد اليمني الشهير شريك بن سمي الغطفاني اليمني عند كوم شريك (٥٢) بالقرب من نقبوس الواقعة على الشاطئ الشرقي لفرع النيل الغربي بالقرب من إمنوف الحالية .

وبالإضافة إلى ما سبق ذكره فإن قبيلة مهرة قامت بدور كبير في فتح الاسكندرية فقد خرج طرف من الروم من باب حصن الاسكندرية ، فحملوا على الناس فقتلوا رجلاً من مهرة ، فاحتزوا رأسه وانطلقوا به ، فجعل المهيرون يعضبون ويقولون لا ندفعه أبداً إلا برأسه . فقال عمرو بن العاص ، تنفضبون كأنكم اتفضبون على ، من يبالي بفضيكم ؟ احملوا على القوم إذا خرجوا ، فاقتلوا منهم رجلاً ثم ارموا برأسه برموكم برأس صاحبكم ، فخرجت الروم اليهم فاقتلوا فقتل من الروم رجل من بطارتهم ، فاحتزوا رأسه فرموا به إلى الروم ، فرمت الروم برأس المهري اليهم ، فقال : دونكم الآن فادفنوا صاحبكم » (٥٣) .

ويذكر ابن عبد الحكم أيضاً أن عمرو بن العاص قال أثناء حصاره للاسكندرية : ثلاث قبائل من مصر ، أما مهرة فقوم يقتلون ولا يُقتلون ، وأما غافق فقوم يُقتلون ولا يُقتلون ، وأما بلي فأكبرها رجلاً صاحب رسول الله ﷺ وأفضلها فارساً ...» (٥٤) .

ويؤكد هذا النص اشتراك هذه القبائل اليمنية في فتح الاسكندرية وكذلك قبيلة همدان ، وبعد أن عادوا من فتحها أمرهم عمرو أن يُعسكروا إلى الجزيرة . وساهمت قبائل يمنية أخرى من الأزد وحمير في حماية المسلمين من جهة الغرب (٥٥) .

ومن الشخصيات الكبارى التى شاركت فى فتح الاسكندرية ، معاوية بن حديج السكونى الذى نزل بالاسكندرية فى الموضع الذى أقيم عليه دارة سوق الكوم الذى أسس فيه عمرو بن العاص جامعه (٥٦) .

قد ذكرنا فيما سبق أن عمرو بن العاص أرسل معاوية بن حديج السكونى بعد فتح الاسكندرية رسولا من قبله إلى الخليفة عمر بن الخطاب ، ليشره بفتح الاسكندرية ، ويورد ابن عبد الحكم تفاصيل هذا اللقاء على لسان معاوية بن حديج .

ومن شهد فتح مصر من الجنية ابن الأسود بن عبد شمس القضاعى الذى استشهد يوم فتح الاسكندرية (٥٧) .

ومن نزل الاسكندرية والفساطط من أصحاب الرسول ﷺ بعد الفتح أسيد ويقال أسد الجهنى الذى أسماه الرسول ﷺ | يسرق (٥٨) .

ومن الشخصيات الجنية البارزة التى نزلت فى الاسكندرية خالد بن يزيد الصلوق ، وفيها توفى ، وقد اعتبره موسى بن رباح التابعى ، وعبد الله بن هبة والليث ابن سعد من الشهداء (٥٩) .

وعندما تصدى عمرو بن العاص لمحاولة الروم البيزنطيين سنة ٢٥ هـ لاستعادة الاسكندرية ، ولم يكن قد مضى على فتحها أربع سنوات ، امتعان فى طرد الروم منها ، وهو ما يعرف تاريخياً بفتح الاسكندرية الثانى أو « الفتح الأخير » بالقبائل الجنية ، ومن كبار القادة الجنيين الذين شاركوا فى هذا الفتح الثانى للاسكندرية شريك بن سمى القطيفى (٦٠) ، وعيم بن فرع المهرى ، وقد قال جرمة بن عمران عن لسانه « شهدت فتح الاسكندرية فى المرة الثانية ، فلم ينسهم لى حتى كاد أن يقع بين قومي وبين قريش منازعة ، فقال بعض القوم أرسلوا إلى أبى بصرة الغفارى ، وعقبة بن عامر الجهنى ، فانهما من أصحاب رسول الله ﷺ ، فسلوهما عن هذا . فأرسلوا اليهما ، فسألوهما فقالا ، انظروا ، فان كان أثبت فأسهموا له ، فنظروا إلى بعض القوم فوجدوني قد أثبت فأسهموا لى » (٦١) .

ومنهم أيضاً رجل من زيد يقال له حومل ، وبكى بأبى مذحج ، اقتل طويلاً مع بطريق من جاء من أرض الروم ، اقتتلا برمحين وأخذتا يتقطعا ،

فألقى البطريق رجمه ، وأخذ سيفاً ، فألقى حومل بدورده رجمه وأخذ سيفه . وكان حومل هذا يُعرف بالشجاعة والشجاعة ، وأخذ عمرو بن العاص يصيح عليه قائلاً : « أيا مدحج » فيجيبه حومل : « ليك » . وتبارزا ساعتين بالسيف ثم حمل عليه البطريق فاحتلته ، وكان غيظاً ، ثم يادر حومل عدوه بضربة من خنجر في محرد مما أضعف الرومى فوقه وحمل عليه حومل . وقد مات حومل بعد ذلك بأيام ، قرئ عمرو يعمل سريره بين عمودى نعشه ، ودفن بالمقطم (٦٢) .

ويذكر ابن دقماق أن عمرو بن العاص عندما علم بقدم الاسطول البيزنطى الى الاسكندرية أرسل رجلاً من الأزد هو عمرو بن حمالة الأزدى ليأتيه بالخبر ، وبعد فترة قليلة ثارت في صدور بعض القبائل الحمية والحماسة فلهقوا بعمرو الأزدى ، فلما أدركوه في الطريق ، نظر اليهم بدهشة قائلاً : « تالله ما رأيت قوماً قد سدوا الأفق مثلكم وانكم لكما قال سبحانه إنا إذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لطيفاً » . فقسوا يومئذ اللقيف ... (٦٣)

وأطلق على هذه القبائل منذ تلك اللحظة اسم اللقيف ، وكان معظمهم من الأزد ومن الحجر وغسان مضافاً اليهم نفر من جذام ولخم والوحاف وتوخ من قضاعة .

ونستدل من الروايات التى أوردها ابن عبد الحكم أن ميمناً يدعى ضمام بن اسماعيل الماعفرى ، كان من الجنين الذين تمحدثوا عن فتح الاسكندرية ، وكان من مشاهير المحدثين في الثغر السكندرى ، وقد أورد ابن عبد الحكم عن لسانه ما أصاب عبد الله بن عمرو بن العاص من أجراج في الكيون ورغبته في التراجع لولا أن ذكره وردان مولى عمرو أن النحاة تكمن في قتال العدو ، وليس في التراجع ، فعصم عبد الله بفضل وردان قائلاً :

إذا ما جاشت النفس اصبرى
فمن ما قليل نعمدى أو تلامسى (٦٤)

كذلك يذكر ابن عبد الحكم أن ضمام بن اسماعيل الماعفرى ذكر أنه قد قتل من العرب اثنان وعشرون رجلاً حتى تم فتح الاسكندرية (٦٥) . ومنهم أيضاً ابراهيم ابن سعيد البلوى الذى تحدث عن فتح الاسكندرية ودخول عمرو من ناحية فطره سليمان (٦٦) .

هذا وقد أورد كل من ابن عبد الحكيم والنسبوي رواية على نسأ بره.
ابن سعيد البلوي . وهي تتعلق بالكتاب الذي كتبه عمرو بن العاص بن العجمه
عمر بن الخطاب يصف له فيه مدينة الاسكندرية ونساعها وجماعها وأهل
الذمة فيها (٦٧)

(٣)

منازل اليمنية في الاسكندرية والبحيرة

• نذكر مصادر العربية الكثير بشأن منازل القبائل العربية بوجه عام واليمنية بوجه خاص في الاسكندرية والبحيرة ، على الرغم من تفصيلها في ذكر منازل العرب ومواقعهم بالقسطاط والجيزة ، وربما يرجع السبب في ذلك إلى عاملين :

العامل الأول : أن بيوت الاسكندرية كانت خالية بعد الفتح فاعتبرها العرب الفاتحون أحياء أغنتهم عن بناء مساكن وخطط جديدة ، فلم يكن بإمكان العرب منها بذلوا من جهد ، وقد موأمن نفقات ، بناء ما يقارب هذه الدور والقصور المكسوة بالرخام الأبيض في الفخامة والعظمة مما دفع عمرو بن العاص أن يرسل إلى عمر بن الخطاب يستأذنه في اتخاذ هذه المدينة حاضرة للمسلمين في مصر قائلا « مساكن قد كفيها » .

ولما رفض الخليفة عمرو بن الخطاب أن تكون الاسكندرية عاصمة لمصر الإسلامية حتى لا يحول بينه وبين المسلمين ماء^(٦٨) ، وذلك لقلّة دراية العرب بركوب البحر ، اتجه المسلمون إلى موضع القسطاط لمحصروه . أما القبائل العربية التي فضلت البقاء في الاسكندرية فقد اتخذت من بيوت الاسكندرية وقصورها أحياء لها ، فلم يكن بالاسكندرية خطط اللهم إلا خطة الزبير بن العوام بها . وإنما كانت أحياء ، من أحد منزلاً نزل فيه هو ابنو أبيه »^(٦٩) .

• ربما كانت القبائل العربية المستقرة في الاسكندرية قد أقامت في « الأحياء » تبعاً لما أشار به عمرو بن العاص لهم في الكريون فقد قال لهم « سيروا على بركة الله ، فمن ذكر منكم رحمه في دار فهي له وليى أبيه ، فكان الرجل يدخل الدار فذكر رحمه في منبر منها ثم يأتي الآخر فيذكر رحمه في بعض بيوت الدار ، فكانت الدار تكون نصيبين أو ثلاث ، وكانوا يسكنونها ... »^(٧٠) .

ثانياً العامل الثاني : فيرجع في تصوري إلى أن الاسكندرية كانت في نظر المسلمين ثغراً من ثغور الإسلام وموضع ربط أو مشاغبة وجهاد .

وكان الخليفة عمر بن خطاب يبعث في كل عام غزاة من أهل المدينة لرباط في الاسكندرية^(١٣٩) . وقد قدم عمرو بن العاص أجناده الى قسمين متساويين ، قسم ابتعاد معه في المضائق ، وقسم وزعه الى نصفين ، أحدهما لرباط الاسكندرية وحدها والنصف الآخر لمناير السواحل .

كذلك اهتم عبد الله بن سعد بن أبي الحرح بتحصين الاسكندرية^(١٤٠) امثالاً لرأى الخليفة عثمان بن عفان ، وسيظهر دور الاسكندرية كقصر للرباط في عهد عتبة بن أبي سفيان في العصر الأموي ، وكان اليميني دور بارز في ذلك كما سيوضح على الصفحات التالية .

وما يؤكد ذلك الأحاديث التي جاءت في فضل المراقبة بفر الاسكندرية . ويذكر النويري السكندري أن عمرو بن العاص أرسل الى الاسكندرية بعد الفتح قبائل العرب من خنم وجذام وكندة والأزد وحضرموت وخزاعة لسكنائها . وكلها من اليمنية .

نزلت خنم في المكان المعروف بكوم الدكة . ونزلت جذام بركة جذام . ونزلت كندة بالبواكل ، ونزلت الأزد بجارة الأزد ، ونزلت حضرموت بجارة الحضارمة ، بينما نزلت خزاعة بتاحية أبي قهر شرق الاسكندرية من ظاهرها لحراسة مينائها . ويذكر النويري أن ذرية هذه القبائل كانت موجودة في زمنه حتى سنة ٧٥٥ هـ التي كتب فيها كتابه «الإسلام بما قضت به الأحكام» . وأنهم كانوا يعرفون فيها بالقبائل وكانوا في زمنه ثلاث وثلاثون مقعداً تحت يد كل مقدم جماعة من القبائل ، لم يخرجوا عن طريقة ملجوس العرب بل «يسدلون العذبات ويفرجون ذرايعهم على جاري عادة أسلافهم»^(١٤١) .

ومن قبائل اليمن التي استقرت بالاسكندرية وبة من بطون مراد^(١٤٢) ، والمعاقر اليمنية^(١٤٣) . كما استقر نفر من حمير من ذخان في إغربا بالبحيرة مع بني مدح العدنانية وفي ذلك يقول ابن عبد الحكم ، وأقامت مدح إغربا ، فانخذلوا منزلاً ، وكان معهم نفر من حمير من ذخان وغيرهم . حالقوهم فيها فهي مناظرهم ...^(١٤٤) .

وبناءً أن بعض أفراد من قبيلة مراد اليمنية ، استقرت بعد الفتح في مدينة

رشيد فقد ظهر منه فيما بعد حدث بارع وفاضل شهير في رشيد هو عبد
لوارث بن مرعيه بن فراس الحرادي^(١٧٧) . كما استقرت ضائقة من ونية المرادية في
رشيد^(١٧٨) .

وفيما بين عرض لأهم القبائل اليمنية التي نزلت في الاسكندرية والبحيرة
وسهاماتها في أحداث المنطقة .

أولاً : القبائل الجنية من فرع كهلان

١ - لحم :

كانت الاسكندرية منزلاً لعرب لحم وجذام وفي ذلك يقول المقرئى « وبالاسكندرية من جذام ولحم ، جماعة ذوو عدد وعدة وشجاعة واقدام ، ولهم أيام معلومة وأخبار معروفة .. » (٧٩) .

ومن فروع لحم وبطونها جذام (٨٠) . وفي ذلك يذكر المقرئى « وجذام ، وهم بنو جذام واسمه عامر ، ويقال عمرو بن عدى بن الحارث بن مرة | بن أد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان . وهم أخوة لحم ، واسمه مالك ، وإنما قيل لحم وجذام من أجل أنهما تخاصما .. » (٨١) .

وقد نزلت لحم عقب فتح الاسكندرية في منطقة كوم الدكة كما سبق أن ذكرنا وعرفت لحم في مصر بأنها كانت علوية الهوى (٨٢) ، ومن الأدلة على ذلك أن قيس ابن حرملة اللخمي كان من قادة محمد بن أبى حذيفة ، وقد اتجه قيس بن حرملة لقتال جيش معاوية بن حديج عند خربتنا بالبحيرة أول يوم من شهر رمضان سنة ٣٦ هـ ، فقتل قيس بن حرملة اللخمي ، وانتصر حزب العثمانية بقيادة معاوية بن حديج (٨٣) .

ولقد برز دور قبيلة لحم الجنية في حوادث الاسكندرية في عصر الدولة العباسية ، فقد تغلب أحد أفرادها ، وهو بهلول اللخمي على الاسكندرية سنة ١٩٨ هـ في ولاية عباد بن محمد على مصر (٨٤) مستغلا حالة الاضطرابات التي سادت هذه الحقبة الزمنية . فلما تولى المطلب بن عبد الله | الخزاعي على مصر للمرة الأولى سنة ١٩٨ هـ بعد عباد بن محمد ، ولي على الاسكندرية | حديج بن عبد الواحد من نسل معاوية بن حديج السكوني ، ليقر الأمور بها وينشر الاستقرار .

وفي أثناء ولاية المطلب بن عبد الله الثانية عاودت لحم الجنوح إلى الثورة واشتركت أثناء ولاية السرى بن افنكم على مصر مع جماعة الأندلسيين والصوفيين بالاسكندرية في حصار حاكمها عمر بن عبد الملك بن محمد الذي يتنسب الى

معاوية بن حديج ، المعروف بعمر بن هلال ، وقتله . ثم تفرغ اللخميون بعد ذلك إلى التنازع مع الأندلسيين نزاعاً أدى إلى قيام الحرب بينهما . وكان يقود اللخميون زعيمهم رباح بن قره (٨٥) .

وقد أسفرت المصادمات بينهم وبين الأندلسيين عن هزيمتهم في سنة ٢٠٠ هـ ، فدخل الأندلسيون المدينة ، وولوا عليها بادي ، الأمر زعيم الصوفيين ، أبا عبد الرحمن الصوفي ، ثم عزلوه وولوا على الاسكندرية رجلاً أندلسياً منهم يعرف بالكثاني .

ولم تنته هذه الاضطرابات العنيفة في مصر الا بقدوم القائد العباسي عبد الله ابن طاهر بن الحسين إلى الاسكندرية ليضع حداً لهذه الثورات ، ويطرده الأندلسيين منها فخرجوا بسيفهم إلى جزيرة اقريطش التي شرعوا في فتحها سنة ٢١٢ هـ .

ثم تجددت الاضطرابات في الاسكندرية في سنة ٢١٦ هـ شأنها في ذلك شأن مدن الحوف الشرق . ولما قدم الأفشين في جنوده إلى الاسكندرية ، لقيه طائفة من بني مدالج بمخوت فهزمهم وقتوه أيضاً بمحلة الخلفاء فهزمهم ، وأسر أكثرهم فزّل بهم قرطاً فضرب اعناقهم بها ، إزّاق الاسكندرية فدخلها وهرب منه رؤساؤهم ، وهم بحر بن علي اللخمي ، وابن عقاب اللخمي ، وكان رئيس جماعتهم معاوية بن عبد الواحد بن محمد بن عبد الرحمن بن معاوية بن حديج . (٨٦) .

ومن أشهر من برز من اللخمين بالاسكندرية :

موسى بن علي بن رباح اللخمي ، أمير مصر الذي توفي بالاسكندرية سنة ١٦٣ هـ (٨٧) ، وطبيب بن كامل اللخمي وكان من كبار أصحاب مالك وحسبائه ، وقد رحل من الأندلس ونزل بالاسكندرية ، وتوفي في حياة مالك بالاسكندرية (٨٨) سنة ١٧٣ هـ . وأبو الحسين يحيى اللخمي الذي تولى قضاء الاسكندرية (٨٩) ، وأبو الحجاج يوسف بن عبد العزيز بن علي اللخمي الميورقي الأندلسي ، وكان عالماً نابزاً فقيهاً أصولياً زاهداً ، درس ببغداد ، وتفقّه بها ، ثم استوطن الاسكندرية ، وصنف تعليقه في الخلاف وقد روى عنه السلفي ، وتوفي

في أواخر سنة ٥٢٣ هـ (٩٠٠) . وكان هذا الفقيه من أبرز من أرسى أسس السنية في
الاسكندرية (٩١) في العصر الفاطمي .

ومنهم الشاعر نصير الدين عبد الله بن مخلوف اللخمي الشهير بابن فلاق
الاسكندري ، وكان يلقب بالقاضي الأعز ، وكان من شعراء الدولة الفلاحية ، ولد
بالاسكندرية في ربيع الآخر سنة ٥٣٢ هـ ، وتوفي بها في شوال سنة
٦٠٧ هـ (٩٢) .

كما ظهر المحدث جمال الدين عطية بن اسماعيل اللخمي الاسكندراني الصوفي
(ت. سنة ٧١٤ هـ) الذي انفرد بكرامات الأولياء (٩٣) ، وكذلك الفقيه تاج الدين
الفاكهاني عمر بن علي بن سالم اللخمي الاسكندري (ت. سنة ٧٣٤ هـ)
الذي كان مفتياً في العلوم ، وصنف شرح العمدة وشرح الأربعين (٩٤) .

٢- جذام

ويذكر التويري أن جذام نزلت بالاسكندرية في منطقة عرفت ببركة جذام .
وكان الجذاميون يرتعون في طراية وقريط شأثم في ذلك (٩٥) شأن لحم . ومن
المعروف أن بني قرة الجذامين نزلوا بالقليم البحرية . وكانوا قد انضموا إلى أبي ركة
الشائر الأموي الذي نزع من بلاد الأندلس إلى مصر ، وتمكن من استئالة عرب
برقة والبحيرة إليه . ولما هزم أبو ركة سنة ٣٩٧ هـ وقبض عليه الفاطميون وهو
يهم بالهرب إلى النوبة ، تفرق عنه بنو قرة ، وتركهم الفاطميون وشأنهم ، فعادوا إلى
مساكنهم بالبحيرة . ثم عاودوا الشغب من جديد عندما أحسوا من جانب الدولة
بنوع من التراخي ، فوثبوا بالاسكندرية وأماحوها ، واستولوا عليها مما دفع الفاطميين
إلى مهاجمتهم ، ولكنهم أوقفوا الهزيمة بالجيش الفاطمي في الجزيرة ، فأوعز المستنصر
بالله إلى جموع من بني سنيس من طيء ، وأوكلت بمحاربة بني قرة ، فتعقبوهم إلى
البحيرة ، وانهمروا بنو قرة في سنة ٤٤٣ هـ ، فقام الفاطميون بطردهم من البحيرة
، فتجمعت سنيس ، وعادت إلى البحيرة ، وأوطأهم الوزير ديار بني قرة ، وأقطعهم
أرضهم وديارهم . فاتسعت أحوالهم ، وفخم أمرهم . (٩٦) .

ومن أشهر الجذامين بالاسكندرية :

ظافر بن تقاسم الجداد الجذامى ، الاسكندرى ، الشاعر ، صاحب الديوان الذى توفى (٥٢٩) سنة ٥٢٩ هـ . وهناك أسرة بنى المثير الجذامية ، وابن المثير هو القاضي العلامة ناصر الدين أبو العباس أحمد بن محمد الجذامى الاسكندرانى (سنة ٦٨٣ هـ) ، أحد الأئمة المتبحرين فى العلوم من التفسير والفقه والأصول والعربية والبلاغة والأنساب ، ومن تصانيفه « تفسير القرآن » و « أسرار الأسرار » و « الانتصاف بين الكشاف » وغيرها . وتولى أخوه زين الدين على قضاء الاسكندرية بعد أخيه وقد قرأ زين الدين على ابن الحاجب وكان بعض الفضلاء يفضلونه على أخيه وله شرح عظيم على البخارى (٩٨) .

وأحمد بن محمد بن عبد الكريم الجذامى الشهير ، بابن عطاء الله السكندرى وكان يلقب بتاج الدين وبابى الفضل وبابى العباس (٩٩) .

ويذكر السيوطى أن ابن عطاء الله السكندرى ، جذامى النسب .

ويبدو أن أفراد الأسرة التى نشأ فيها ابن عطاء الله كانوا يشتغلون بالعلوم الدينية وتدرسها لأن جده لوالده ، الشيخ ابو محمد عبد الكريم بن عطاء الله ، كان فقيهاً معروفاً فى عصره ، وقد اشتغل أحمد بن عطاء الله كجده بالعلوم الشرعية وكان جد ابن عطاء الله السكندرى (١٠٠) رفيقاً للفقهاء المالكية اى عمرو الحاجب المتوفى سنة ٦٤٦ هـ ، وقد تفقه جده على الشيخ أبى الحسن الايارى وألف « البيان والتفريب فى شرح التهذيب » وهو كتاب كبير جمع فيه علوماً جمة كما اختصر المفصل للزعزعى .

أما أحمد بن عطاء الله السكندرى ، فقد ولد بالاسكندرية حيث كان جده وأسرته . ولا نعرف على وجه التحديد السنة التى ولد فيها ، وأغلب الظن أنه ولد فى حدود سنة ٦٥٨ هـ ، أما وفاته فحدثت إما فى عام ٧٠٧ هـ أو فى عام ٧٠٩ (١٠١) .

ومن مشاهير الجذامين بالاسكندرية الامام يحيى بن أحمد بن الصواف الجذامى الاسكندرانى (ت سنة ٧٥٠ هـ) ، وقرأ على أبى تقاسم بن الصغراوى وكان من كبار القراء فى زمانه . ولما توفى نزل القراء بموته درجة (١٠٢) .

٣- طى :

لم تكن طى من قبائل الفتح ، ولم تظهر في مصر إلا منذ أواخر القرن ١١٠٣
الثاني للهجرة . وبعد بنو سنيس من أشهر من ظهر منهم بالبحيرة

وسنيس وهم من طى . ينسبون إلى سنيس بن معاوية بن جرون بن نعل
بن عمرو بن المغوث بن طى « ١١٤١ » . وفي سنيس أجداد وعشائر كبرى عمرو
وعدى وأبان وإحرم وعصب ، ومنهم الخراجلة وأصلهم « أفة » بن خلاد بن حيان
ابن حميد بن خزعل بن عاهد إحدى عشائر سنيس بن معاوية بن جرون . وفي أفة
هذا ينسب معالي بن فرج مقدمه سنيس ، كان بالبحيرة ، وله جوار ومروية وفيه
كرم وشجاعة ، وقتل صبراً في دار الراحة بالقاهرة « ١١٥٦ » .

وكانت سنيس تنزل في بادية ، الأمر بفلسطين والداروم قريباً من غزة . ولكنهم
كثروا هناك واشتدت وطأتهم على الولاة فبعث إليهم الوزير الناصر أبو محمد الحسن
ابن عبد الرحمن الباروني سنة ٤٦٢ هـ يستدعيهم . وكما سبق أن ذكرنا أقطعهم
البحيرة بدلاً من بني فرج الجذامين الذين انسحبوا إلى الصعيد وسكنوا
أسيوط « ١١٦٥ » .

واستقر بنو سنيس بالبحيرة حتى زمن السلطان عز الدين أيبك التركلى ، فقد
ثاروا في عهده على المماليك ، إذ اتفوا أن يحكمهم وهم العرب الخلفاء ، سلاطين
سبق أن مسهم الرق ، فأقاموا عليهم الشريف حصن الدين ثعلب بن الأمير نجم
الدين على ثعلب الجعمري في سنة ٦٥٩ هـ . وقد حاربهم المماليك وأمسكوا
بالشريف حصن الدين ثعلب وأصحابه « فذلت سنيس بعد ذلك وقتل وصارت
متفرقة بالغربية . وكان من حلفاء سنيس عدوة ومدح ونجاورهم فرقة من كنانة
ابن خزيمة . » « ١١٧٦ » .

٤- كندة وبطونها :

ومن أشهر بطون كندة بالامكندرية السكون ومنها شيب وبنو فهم « ١١٨١ » . ومن
الكنديين بالامكندرية أبو الحسين بن أبي بكر الكندى (ت ٧٤٩ هـ) ، تولى
الحضاء بالامكندرية . ويذكر السيوطى أنه كان شيخ العلماء ووحيد عصره وفريد
زمانه ، وقد حدث عن الدماطى ، وصنف وأتى فانتفع به الناس « ١١٩١ » . أما

١٠١ السكون فقد سبق أن ذكرنا أن معاوية بن حديج كان من أشهر أبناء السكون^(١٠١) في مصر . وقد أوضح أنه شارك في فتح الإسكندرية ، وكان له نصيب . وكان عمرو بن العاص قد أرسله رسولاً من قبله في أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يشرو بالفتح .

ومن أعقاب معاوية بن حديج من ولى الإسكندرية . وكان له دور بها ، عبد الرحمن بن معاوية بن حديج الذي عزله عبد الله بن عبد الملك بن مروان سنة ١٧٠ هـ عن الشرطة وولاه مراقبة الإسكندرية ، وجعل على الشرطة بدلاً منه عمران بن عبد الرحمن بن شرحبيل^(١٠٢) . وظل عبد الرحمن في منصبه هذا ستة أشهر حتى صرف عنه في رمضان سنة ٨٦ هـ^(١٠٣) .

ومن نسل معاوية بن حديج في الإسكندرية كذلك حديج بن عبد الواحد ابن محمد بن عبد الرحمن بن معاوية بن حديج . وهو الذي تولى الإسكندرية سنة ١٩٨ هـ من قبل المطلب بن عبد الله . وتولى حديج بن عبد الواحد حكم المدينة عقب الاضطرابات التي أثارها بهلول اللخمي هناك زمن عباد بن محمد^(١٠٤) .

كما ولى الإسكندرية من الخديجين محمد بن هيرة بن هاشم بن حديج سنة ١٩٩ هـ من قبل المطلب بن عبد الله والى مصر . ولكن محمد بن هيرة استخلف عليها بدلاً منه عمر بن عبد الملك بن محمد حفيد معاوية بن حديج ، وكان يعرف بعمرو بن هلال^(١٠٥) . وقد سبق أن تحدثنا بصدد الاضطرابات التي سادت الإسكندرية في زمانه . ومنهم أيضاً معاوية بن عبد الواحد الخديجي الذي ولى الإسكندرية (٢٠٢ - ٢٠٣ هـ) وقد شارك في أحداث ثورة أسفل الأرض سنة ٢١٦ هـ^(١٠٦) .

وبوجه عام كان الخديجيون من كبار وجالات مصر وأشرفها ولذلك لقوا كل حدة وتقدير من خلفاء بني العباس بدليل استمرار الخديجين في تولى أكبر مناصب الدولة .

(ب) تمحيب :

حسب بطل من السكون^(١٠٧) ، ومن تحيب عياض بن غنم أمير الإسكندرية سنة ٨٤ هـ^(١٠٨)

ومن مروع نجيب بنو فهم ، وقد تعاقد الشراة القهيميون النجيبون بالاسكندرية على الفنتك بقرة بن شريك سنة ٩١ هـ ، واى مصر . وكان رئيسهم المهاجر ابن اى النشى النجيبى ، وفى ذلك يقول الكندى « وخرج قرّة الى الاسكندرية واستخلف على الشرط عبد الرحمن بن معاوية بن حديج فى سنة احدى وتسعين ، فتعاقدت الشراة اسكندرية على الفنتك بقرة ، وكان رئيسهم المهاجر بن اى النشى النجيبى أحد بنى فهم بن اذاه بن عدى بن نجيب ، وفهم ابن اى أرطاة النجيبى ، وكانت عدتهم اثنى عشر مائة ، فعقدوا لابن اى النشى عليهم عند منارة الاسكندرية وبالقرب منهم رجل يكنى ابا سليمان ، فبلغ قرّة ما عزموا عليه فأتى بهم قبل أن يتفرقوا ، فأمر بنوهم فى أصل منارة سكندرية ، واحصر قرّة وحوله الهنداء ، واحضرهم فألهم ، فأقروا فقتلهم قرّة .. » (١١٨) .

ومهم قيس بن الأشعث النجيبى الذى تولى لاسكندرية زمن حفظة ابن صفوان سنة ١٢٤ هـ ، ثم تولى الشرطة حتى توفى فى ربيع الآخر سنة ١٢٤ هـ (١١٩) .

٥- المعافر وبطونها :

المعافر قبيلة كبيرة قوية تنسب الى مالك من مرة من عرب (١٢٠) ، ومن بطون المعافر فى الاسكندرية بنو خليف وبنو موهب ، والاعسوق .

ومن أشهر من تولى حكم الاسكندرية من المعافر ، أبو بكر بن جنادة ابن عيسى المعافرى ، الذى ولاه المظلي بن عبد الله عليها بعد عزل اسحق ابن ابرهة الأصمعى عنها سنة ١٩٩ هـ (١٢١) . وقد ظهر من المعافر فى الاسكندرية نفر من العلماء منهم ربيعة بن (١٢٢) سيف المعافرى الاسكندرى الذى توفى فى حدود سنة ١٢٠ هـ . وضمام بن اسماعيل المعافرى من مشاهير محدثى مصر ، وهو الذى توفى سنة ١٨٥ هـ (١٢٣) .

وعبد الرحمن بن اشرح المعافرى الاسكندرى ، الذى توفى سنة ١٢١ هـ (١٢٤) .

وأبو الحسن على بن عبد الله المعافرى الاسكندرى ، الفقيه الذى تولى منصب قاضى الاسكندرية ، وتوفى سنة ٢٣٩ هـ ، وقد أتم مائة عام من عمره (١٢٥) .

ومن أشهر بطون المعافر في الاسكندرية :

— بنو خليف :

وقد ذكر الكندي أن أحد بني خليف المعافرين وهو أبو عبادة صل بن عوف المعافري ، كان ضمن الوفد الذي صاحب عتبة بن أبي سفيان من مصر الى معاوية بالشام ، وقد سأله معاوية عن عتبة فقال له أبو عبادة من بني خليف « يا أمير المؤمنين حوت بحر ووعل بر ، وليتني الصلاة وزويت عني الخراج ، فأكره أن أظهر لهم فيسألوني عليها » (١٣٦) .

ومن هنا يتضح أن بني خليف المعافرين قد استقروا بمصر منذ أوائل القرن الأول الهجري . ويبدو أنهم انتقلوا الى الاسكندرية وارتفع شأنهم بها خاصة في العصر الفاطمي . وقد أفرد أحد المؤرخين المعاصرين لبني خليف دراسة قيمة وأبرز دورهم الاقتصادي والعلمي ووصف قصرهم برمل الاسكندرية من خلال أشعار نظمها الشاعر السكندري ابن قلاقس (١٣٧) . ومازال بعض أفراد ينتسبون الى هذه الأسرة النخبة يقيمون في الاسكندرية وكفر الدوار في الوقت الحاضر .

— بنو مرهب :

ومنهم عمارة بن الحكم المحدث الذي تولى سنة ٢٤٧ هـ ، وكان من أهل الاسكندرية (١٣٨) .

— الأعمق :

كان منها بطن يقال له : ليوان منهم عقبة ابن نافع المحدث الذي تولى سنة ١٩٦ هـ (١٣٩) .

٦— مدحج ولبائلها :

مدحج من قبائل الفتح وقد اختلطت بين خولان وتجب ، ومن القبائل التي مثلتها في مصر بوجه عام ، والاسكندرية بوجه خاص ، قبيلة مراد التي من بطونها غطيف . وقد اشتركت مراد في فتح مصر ، وكانت تأخذ مرتبها في منف والقيوم ومنها طائفة كانت ترتب في البدقون بالبحيرة (١٤٠) .

وينسب اليها شريك بن سمي المرادي ، أمير القادة الفلطين في فتح مصر
والاسكندرية كما سبق أن ذكرنا ، وقد سمي كرم شريك بالقرب من الاسكندرية
باسمه .

كذلك اشتهر منهم القائد علقمة بن يزيد المرادي ثم الغطيفي^(١٣١) ، الذي
شهد فتح مصر وولى المراقبة في الاسكندرية زمن معاوية بن أبي سفيان ، فقد
عقد عتية بن أبي سفيان له لعلقة الغطيفي على الاسكندرية وبعث معه اثني
عشر ألفاً فكتب علقمة الى معاوية بن أبي سفيان يشكو عتية حين غرر به ، ويمن
معه فكتب اليه معاوية ، اني قد أمددتك بعشرة آلاف من أهل الشام وخمسة
آلاف من أهل المدينة ، فكان في الاسكندرية سبعة وعشرون ألفاً ..^(١٣٢) .

وكان علقمة من المجاهدين في سبيل الله ، تولى رباط الاسكندرية الذي اقترب
الجهاد فيه بثواب عظيم . ومن المرادين بالاسكندرية أبو خرشة المرادي صاحب
القاضي أبو خزيمة ابراهيم بن يزيد الحميري^(١٣٣) .

ويبرز من قبيلة مراد عبد الوارث بن ابراهيم بن فراس الذي تقلد قضاء رشيد ،
وكان من كبار المحدثين الذين ظهوروا منها^(١٣٤) .

ومن موال مراد بالاسكندرية عبد الأعلى بن المجرس الذي سَرد سنة ١٣٢ هـ
وخلع طاعة الأمويين ، وكان هذا دافعاً لأن يقتله الكوثر بن الأسود^(١٣٥) القنوي
قائد مروان بن محمد آخر خلفاء الأمويين ، بمصر عند دخوله الاسكندرية .

٧- همدان :

همدان قبيلة ثنية كبيرة شهدت فتح مصر واختلطت بالجيزة . ويبدو أن جماعة
من همدان استقروا بالاسكندرية ، فقد ظهر منهم بها علماء ومحدثون نذكر منهم ثمانية
ابن شفي الهمداني ، ابو علي المصري ، نزيل الاسكندرية ، وقد توفي قبل سنة
١٢٠ هـ^(١٣٦) . وفي القرن السابع الهجري ظهر منهم جعفر بن علي بن هبة الله
أبو الفضل الهمداني الاسكندراني ، أحد كبار المحدثين الذين لموا
بالاسكندرية .

ولد جعفر بالاسكندرية سنة ٥٤٦ هـ ، وقرأ القرآن على عبد الرحمن بن
خلف الله ، وأكثر عن السلفي وتصدر للاقراء . وتوفى بدمشق سنة
٦٣٦ هـ^(١٣٧) .

ومنهم ابن العماد الإمام الحافظ أو المظفر منصور بن سليمان الهمداني
الاسكندراني الشافعي (ت ٦٧٣ هـ) وكان قمة في الحديث وفتونه والفقه
وأصوله ، وألف في تاريخ الاسكندرية الى جانب مؤلفاته في الفقه والحديث . ولم
يختلف بعده في الثغر مثله (١٣٨) .

٨ — الأزد :

ظهر الأزد في الاسكندرية منذ الفتح الاسلامي كما نزل بعضهم في رشيد .
ويذكر النويري السكندري أن الأزد نزلوا بالاسكندرية في حارة الأزدى . ويذكر ابن
دقماق منهم عمرو بن حمالة الأزدى زعيم اللقيف الذي اتجه الى الاسكندرية لقتال
الزوم سنة ٢٥ هـ (١٣٩) . ومن الأزد في الاسكندرية علقمة بن جنادة الأزدى
المجري، وكان كما يذكر السيوطي صحابيا ، شهد فتح مصر ، وولى البحر
لعبادة ، توفي سنة تسع وخمسين (١٤٠) .

ومن أزد رشيد كما يذكر السلفي في معجم السفر ، أبو محمد عبد الله بن
عسكر بن محمد الأزدى ، من رجال القرن السادس الهجري ، الذي استوطن
جزيرة بالقرب من رشيد تسمى بالجزيرة الخضراء ، وغرس بها أشجاراً وخضراً
فانتفع الناس به ويكرمه ، وكان اذا قدم الاسكندرية نزل على السلفي (١٤١) .

ثانيا : القبائل النجية من فرع حمير

اشتركت حمير في فتح مصر ، واختلطت بالمسطاط قبل حوزل وشرفها . وقد أقام نفر من حمير وهم دحان على حدة فوق ابن عبد الحكم في خربتنا بالقرب من الاسكندرية ، وتحالفوا أثناء اقامته فيها مع بنى مدح وعدنانين (١٤٦) .

ومن الحميريين الذين عاشوا بالاسكندرية في أواخر عصر الدولة الأموية أبو خزيمه ابراهيم بن يزيد الثاني الحميري الذي تولى القضاء زمن ابي عون ويقال زمن صالح بن علي . وقد أورد لنا كل من ابن عبد الحكم ، والسيوطي الظروف التي تولى فيها أبو خزيمه قضاء مصر ، وفي ذلك يقول ابن عبد الحكم " وكان سبب ولايته أن أبا عون شاور في رجل يوليه القضاء . ويقال بل هو صالح بن علي . فأشير عليه بثلاثة نفر حيوة بن شريح ، وأبو خزيمه ابراهيم بن يزيد الحميري ، وعبد الله بن عياض القنبلي . وكان أبو خزيمه يومئذ بالاسكندرية فأشخص . ثم أتى بهم اليه ، فكان أول من نوظر حيوة بن شريح ، فامتنع ، فدعى له بالسيف ، والنطع ، فلما رأى ذلك حيوة أخرج مفتاحا كان معه فقال هذا مفتاح بيتي ، ولقد اشتقت الى لقاء ربي ، فلما رأوا عزمه تركوه .

ثم دعى بأبي خزيمه فعرض عليه القضاء فامتنع ، فدعى له بالسيف والنطع ، فضعف قلب الشيخ ، ولم يحتمل ذلك فأجيب الى القبول ، فاستقضى ، وأجرى عليه في كل شهر عشرة دنانير ، وكان لا يأخذ ليوم الجمعة رزقا . (١٤٧)

وكان أبو خزيمه يعمل الأسمان ويبيعها بالاسكندرية قبل أن يلى القضاء (١٤٨) . وكان أبو خزيمه حديفا لأبي خزيمه المرادي الذي كان يتابع منه الأسمان لقربه . وكان لحمير في الاسكندرية فرعان مالك والطمع .

ومن فروع مالك بالاسكندرية :

مهرة :

تحدثت مهرة كم سبق أن ذكرنا في فتح الاسكندرية ، ويبدو أن قسما كبيرا من مهرة استقر بالاسكندرية منذ القرون الأولى للهجرة ، واشتهر منهم الفقيه العبد بن خالد بن محمد أبو حميد المهري القصبى الاسكنداني الذي تولى بالاسكندرية سنة ١٦٩ هـ (١٤٩) .

كذلك برز محمد بن أبي ناجية داود بن رزق بن ناجية المعروف بعبد الله
نويرى الاسكندراني (ت ٢٠٥ هـ) (١٦٦)

ومن فروع الهميع بالاسكندرية :

١ - حضرموت :

شاركت حضرموت في فتح الاسكندرية ونزلوا على حد قول النويرى بحارة
الخضارمة .

ومن أبرز المحدثين الخضارمة بالاسكندرية زياد بن يونس أبو سلامة الحضرمي
الاسكندري (ت ٢١٢ هـ) الذي ذاع صيته بأنه ثقة في علم الحديث (١٦٧) .

ومن الخضارمة الذين تولوا منصب القضاء بالاسكندرية ، أبو عبد الله محمد
ابن عبد الرحمن بن محمد المالكي (ت ٥٨٩ هـ) الذي روى عن محمد بن أحمد
المرازي (١٦٨) .

٢ - الصدف :

من القبائل المتفرعة من الهميع من حمير ، وإن كان قد حدث اختلاط بينهم
وبنات كندة ، وقد عبر عن ذلك ابن دقماق بقوله « الصدف وهم بطن من إكنة
ينسبون اليوم في حضرموت » (١٦٩) .

وقد لعب مالك بن ناعمة الصدف صاحب الفرس الأشقر الذي يقال له
أشقر صدف دوراً هاماً في فتح الاسكندرية عندما استنقذ شريك بن سمي من
أيدي الروم عند كوم شريك كما سبق أن ذكرنا .

كذلك أوضحنا أن أحد رجال صدف وهو خالد بن يزيد الصدف كان من
المرايطين الذين استشهدوا بالاسكندرية .

٣ - قبان احدي بطون وعين من الهميع :

ومنهم المحدث سعيد بن يزيد الحميري القناني ، أبو شعجاع الاسكندراني ،
كان ثقة في حديثه ، وتوفي سنة ١٥٤ هـ (١٧٠) .

٤- ذبحان :

أحدى بطونته رعين من جميع ويلكر بن عبد الحكيم أنهم نزلوا خربتاً كما
ذاتربا وأخالفوا مع مدج ، وبعد كان لهم دور في أحداث خربتاً التي عفت مقتل
عزان بن عفان سنة ٣٦ هـ .

٥- الكلاع :

أحدى قبائل الحمير من حمير ، ظهر منهم بالأمكندرية ، ضمهم بن مالك
الكلاعي الحميري ، الذي كان من صغار التابعين ، وتولى القضاء بها^(١٥٢) .

٦- أصبح :

أحدى القبائل الكبيرة المنتشرة من الحمير من حمير . وعميدهم أبرهة بن
العباح . ومن نسل أبرهة بالأمكندرية اسحق بن أبرهة الذي ولده انطلب بن
عبد الله على الأمكندرية سنة ١٩٩ هـ بدلاً من أخيه الفضل بن عبد الله في
الفترة التي سيطر فيها الأندلسيون على الأمكندرية^(١٥٣) .

الدكتورة سحر السيد عبد العزيز سالم
مدرس التاريخ الإسلامي بكلية الآداب
جامعة الإسكندرية

المصادر والخواشي

١ — عك قبيلة من قبائل الأزد من مالک من فرع كهلائ من اليمنية . والعك أصل بلادهم وتقع جنوب الجزيرة العربية في نهضة اليمن ، وكانت منازلهم تمتد شمالاً حتى جدة . وكان ارتباع جند عك في مواضع عديدة من مصر مثل بوسير ، ومنوف واقريب . [وقد شارك أحد فرسانها وهو « الغافقي بن حرب العكي » في فتنة عثمان بن عفان سنة ٣٥ هـ . ومن أشهر أفرادها نمر بن النقع العكي الذي رد على استهزاء عبد الرحمن بن معاوية ابن حديج بقبيلة عك وفرسها الشهير « عجلى » التي شاركت في الفتح . وكانت لعك التفوق العددي في مصر ، حتى القرن الثالث الهجري . ومن أشهر بطون عك غافق . (عن عك ارجع الى عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم ، فتوح مصر أخبارها ، ليدن ١٩٣٠ ، ص ٥٦ ، ص ١٤٢ ، ١٤٤ ، ابو الخاسن بن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ج ١ ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ، ص ٥ ، عبد الله خورشيد اليرى ، القبائل العربية في مصر في القرون الثلاثة الأولى للهجرة ، طبعة ١٩٦٧ ، ص ١٢٩—١٣١ ، وعن الغافقي بن حرب العكي ارجع الى محمد بن جرير الطبرى ، تاريخ الأمم والملوك ، ج ٥ ، طبعة بيروت ، ص ١٠٣) .

٢ — ابن عبد الحكم ، فتوح مصر وأخبارها ، ص ٥٦ ، وفي ذلك يقول « فعقد له (أى الخليفة عمر بن الخطاب) على أربعة ألف رجل كلهم من عك ، ويقال [بل ثلاثة آلاف وخمسمائة ..] وأيضاً في قوله « حدثنا عبد الملك بن مسلمة عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب ، مثله إلا انه قال ثلثهم غافق .. » . وفي ذلك ارجع أيضاً الى ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج ١ ، ص ٥ .

٣ — ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ، ص ١١٠ .

٤ — المصدر السابق ، ص ٩٤ ، ٩٥ ، ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ،

ح ١ ، ص ٢١ ، ٢٢ ، وعن عتبة بن عامر جهمي نظر من عبد الحكم ، ص ٢٠٧ وما يليها ، وعن عبد الله بن الحارث بن جزء اليربوعي نظر ص ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، وعن معاوية بن حجاج نظر ص ٣٠٧ ، ٣٠٨ .

- ٥ — المصدر السابق ، ص ١٠٢ ، ١٠٣ .
- ٦ — نفسه ، ص ١١٠ .
- ٧ — نفسه ، ص ١٢٦ ، ١٢٧ .
- ٨ — نفسه ، ص ١١٦ ، ويذكر ابن دقماق أن درب الرجراج ينسب إلى عبد الله محمد بن صالح مولى سكتة بنت الحسين ويقابل دار السلسلة (ابن دقماق ، كتاب الانتصار بواسطة عقد الأمصار ، بيروت ، القسم الأول ، ص ٢٩) ، أما دار وردان فتنسب إلى وردان الرومي مولى عمرو ابن العاص ، وكانت خطته في الموضع المعروف بين القصرين ، وقتل وردان بالاسكندرية سنة ٥٣ هـ . فتل الروم (ابن دقماق ، المصدر السابق ، ص ١١) .
- ٩ — ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ، ص ١١٦ ، ١١٧ ، ومسجد العيثم من بناء الحكم ابن أبي بكر بن عبد العزيز بن مروان (ابن عبد الحكم ، ص ١١٦) .
- ١٠ — المصدر السابق ، ص ١١٨ ، ويذكر ابن عبد الحكم أن عمرو بن العاص نقلهم من مواضعهم وضمهم إليه ، فذهبت مهرة خطتها (ابن عبد الحكم ، ص ١١٩) .
- ١١ — نفسه ، ص ١١٩ — ١٢١ .
- ١٢ — نفسه ، ص ١٢٢ وما تلاها .
- ١٣ — ابرهة بن الصباح من قبيلة أصبح التي منها الإمام مالك بن أنس وقد حضروا فتح مصر . وبعد ابرهة بن الصباح ، وهو صاحب جنبل ، عميد هذه الأسرة النخعية ، وقد دخل مصر هو وأولاده الأربعة ، كرب ، وأبو شمر ، ومعدى كرب ، ويكسوم . ويذكر ابن عبد الحكم أن يا شمر بن ابرهة الخطي إلى جانب دار شيم الليثي . ثم يعود فيذكر عن حميد بن هشام الحميري أنه ليس لابن ابرهة خطة بفسطاط مصر ، إنما

خطتهم باجيزة ، وبما صارت لتتوارى التي لهم بالقطاط وراثته ورثوها من
 الوعنية لأبهم كانوا صاهروا إلى بن وعنه ، فصارت لتتوارى لهم
 بالغير (ابن عبد حكيم ، فتوح مصر ، ص ١١٣) ويذكر
 الكندي أن أباهم بن ابرهة بن الصباح شترك مع عبد الله بن سعد في
 غزوة الأسود حتى بلغ دمقة سنة ٣١ هـ ، وأن عينه أصيبت في هذه
 الغزوة (أبو عمر محمد بن يوسف الكندي المصري ، كتاب الولاة وكتاب
 القضاة ، طبعة بيروت ١٩٠٨ ، ص ١٢) . ويرى د. عبد الله خورشيد
 البوي أن أباهم هذا هو أبو شمر الابن الأكبر لابرهة كما يرجع أن يكون
 هو نفسه أبو شمس بن ابرهة الذي ذكره الكندي في أحداث سنة ٣٦ هـ
 فيمن قتل من رعماء الثورة ضد عثمان بن عفان على يد معاوية بن أبي
 سفيان (الكندي ، الولاة والقضاة ، ص ١٩ ، عبد الله خورشيد
 البوي ، القبائل العربية ، ص ٢١٢) وعن ابرهة بن الصباح رجع إلى
 القيزي ، تاريخ الأمم والملوك ، ج ٤ ، ص ٢٢٨) ، ولزيد من التفاصيل
 عن ذرية ابرهة بن الصباح في مصر ومنهم اسحق بن ابرهة الذي وثى
 الاسكندرية ، سنة ١٩٩ هـ ، وكريب بن ابرهة ارجع إلى ابن عبد
 الحكم ، فتوح مصر ، ص ١١٣ ، الكندي ، الولاة والقضاة ، ص ٤٢ .

١٤- تقي الدين احمد بن علي المقرئ ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط
 والآثار ، طبعة لبنان ، المجلد الثاني ، أص ٦٠-٦٥ .

١٥- المقرئ ، البيان والإعراب عما بارض مصر من الإعراب ، تحقيق
 د. عبد الحيد عابدين ، ١٩٨٩ .

١٦- الكندي ، الولاة والقضاة ، ص ٤٧ .

١٧- يذكر د. عبد الحيد عابدين أن الدولة الأموية أقرت تشجيع هجرة القيسية
 إلى مصر لمحمد من سيطرة العناصر اليمنية الذي امتاثر بالقبو وكان على
 أتم الاستعداد لإدارة الفتن والوقوف ضد الحكم الأموي مع العناصر المناوئة
 له كالزيين والعلويين ، والخوارج ، بالإضافة إلى أن ابن الحبحاب
 المسئول عن الخراج وكان فيسياً متعصباً هو الذي بدأ بنقل قيس إلى
 الحوف الشرقي بمصر ، لأنه أراد أن يعمر منطقة بليس ويرايتها ، فاختار

لفيضية ليعومو بذلك، ونزهد من تفاصيل رجوع إلى حقيق
د. عبد عبد عابدين لكتاب البيان والأعراب للمقريزي .
ص ١٠٠-١٠٥ .

- ١٨- الكندي ، نزلة ونقضاء ، ص ٧٦ .
١٩- المصدر السابق ، ص ٧٧ .
٢٠- السيد عبد العزيز مائة ، تاريخ العرب في عصر الجاهلية ، الاسكندرية
١٩٨٨ ، ص ١٠٧ . عبد الله خورشيد البري ، القبائل العربية ،
ص ١٠ ، عصام الدين عبد الرموف الفقهي ، اليمن في ظل الاسلام منذ
فجره حتى قيام دولة بني رسول ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٢ ، ص ٩ .
٢١- جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ج ٢ ، طبعة مكتبة
النهضة بغداد ، ص ١٢٠ ، عبد الله خورشيد البري ، القبائل العربية ،
ص ١٨ ، ١٩ . وقد تركت جموع كثيرة من قبائل معين اليمنية وطها في
الألف الثاني قبل الميلاد وانتشرت في جميع أنحاء الحجاز ومضيات طور
سيناء الى حدود مصر ، ويرى بعض المتخصصين ان هذه القبائل المعنية
هي نفسها القبائل السامية التي دخلت مصر وحكمها قرون وعرفت
باسم المكسوس (عبد الله خورشيد البري ، القبائل العربية ، ص ١٨ ،
عبد الحميد عابدين ، تحقيق كتاب البيان والأعراب للمقريزي ، ص ٧٨ ،
٧٩) ، ولكننا نعتقد هذا الرأي . ونرى أن معين هاجرت الى الشمال
وغزت جنوب فلسطين ، مؤسسة دولة ، تمكن الاسكندر من التغلب
عليها ، فانسحبت عندئذ معين الى طور سيناء والحجاز ، وأسست
مستعمرة معان أو « من مصران » ، أي معان أو « معين المصرية » .
وقد ضعف سلطان المعينيين الشماليين على هذه الأرض عندما تغلبت مينا
على معين ، فقامت الدولة السبئية في سنة ٦٤٠ ق.م . ثم تغلب
التحيانيون على سبأ في القرن الرابع أو الثالث قبل الميلاد . وتلاههم بعد
ذلك الأنباط (جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ج
١ ، ص ١٢١ ، ١٢٢ ، وانظر الآراء والمناقشات التي دارت حول
مستعمرة « معان مصران المعنية » في المرجع السابق ، ص ١٢١-١٢٤ ،

وارجع كذلك الى د. عبد الله خورشيد اليزى ، المرجع السابق ، ص ١٩ . ويذكر د. جواد على أنه سجل في إحدى الكتابات المعنية بالحيرة وقتا وادعى اسم رجل يدعى « يدآل ابن زد » أو (زيد آل بن زيد) من آل ظرن أو آل طيران ، كان كاهنا في معبد مصر واعترف بوجود دين عليه وهو تزويد معابد مصر بالثر والقليمة (قصب الطيب) ، وكان ذلك في عهد بطليموس بن بطليموس (عن هذا الموضوع ، انظر د. جواد على ، المفضل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ج ٢ ، ص ٢٥ ، ٣٦) .

أما عن احتلال الرومان لعدن فلا نعرف تاريخاً ثابتاً له على وجه التحديد ، ويرى فريق من المؤرخين أن ذلك وقع زمن كلوديوس (٤١ — ٥٤ م) أو قبل ذلك بقليل . ويرى فريق آخر أن استيلاء الرومان على عدن تم بعد حملة ايليوس جالوس على اليمن وربما بعد الميلاد بقليل ، وهناك من يرى أن الاستيلاء على عدن حدث في زمن كايوس قيصر (ارجع الى جواد على ، المرجع السابق ، ص ٦٠ ، ٦١) .

٢٢— أوعز أغسطس قيصر ، بعد استيلائه على مصر الى حاكمها ايليوس جالوس بغزو اليمن للاستيلاء على ثرواتها من المر واللبان والبخور ، وللمسيطرة الرومانية على طرق النقل البحرية التى احتكرها عرب الجنوب ، وقد أقلمت هذه الحملة من السويس سنة ٢٤ ق.م. ، وكان قوامها عشرة آلاف مقاتل من المصريين والرومان ومن حلفائهم الأنباط وتولى صالح وزير الملك النبطى عبادة الثالث ارشاد الجيش الرومانى الى الطرق التى يسلكها في بلاد العرب .

وقد توغلت الحملة في بلاد العرب الجنوبية حتى استولت على نجران ولكنها انتهت بالفشل لخيانة الوزير النبطى للرومان ، اذ إتهمه الرومان بأنه ضلّهم فدّهم الى اكثر مناطق العرب وعمرة وجفافاً (ارجع في ذلك الى جواد على ، المرجع السابق ، ص ٤٣—٤٥ السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ العرب في عصر الجاهلية ، ص ١٩٤ ، عبد الله خورشيد اليزى ، القبائل العربية ، ص ٢٥—٢٦ ، عبد النعم ماجد ، التاريخ السياسى للدولة العربية ، ج ١ ، طبعة ١٩٦٧ ، ص ٧٤) .

- ٢٣- عبد الله خورشيد البزى ، القبائل العربية ، ص ٢٨ ، وعن مبناء محم
ارجع الى جواد على ، المرجع السابق ، ص ٦٤-٦٥ .
- ٢٤- عبد الله خورشيد البزى ، المرجع السابق ، ص ٢٩ .

وعن الصراع بين اليهودية والمسيحية في اليمن ولتتافس بين البيزنطيين
الذين كانوا يؤيدون المسيحيين والأحباش هناك من جهة ، والغرس الدين
كانوا يناصرون اليهود والنوشرين باليمن . (ارجع الى عصام عبد الرؤوف ،
اليمن في ظل الاسلام ، ص ١٠-١٦ ، جواد على ، المرجع السابق ،
ج ٢ ، ص ٦٢٦ وما يليها ، عبد المنعم ماحد ، التاريخ السياسي ،
ص ٧٥-٧٧) .

- ٢٥- محمد كامل حسين ، أدب مصر الاسلامية ، ص ١٦ ، عبد الله
خورشيد البزى ، القبائل العربية ، ص ٣١ .

- ٢٦- ابن سعد ، كتاب الطبقات الكبرى ، ج ١ ، ص ٢٦٠ ، ابن عبد
الحكم ، فتوح مصر وأخبارها ، ص ٤٥ ، السيد عبد العزيز سالم ،
التاريخ السياسى والحضارى للدولة العربية ، طبعة الاسكندرية، ١٩٨٨ ،
ص ١٤١ .

- ٢٧- ظهرت اماره الغساسنة في بادية الشام ، نتيجة لهجرة قبيلة الأزد من اليمن
عقب انكسار سد مأرب وتدهور نظم الزراعة واعمال الري في جنوب
الجزيرة العربية . ويذكر المسعودى أن هجرة هؤلاء الأزد لم تكن الى بلاد
الشام مباشرة وإنما أقاموا حيناً من الوقت في تهامة بين بلاد الأشعرين
وعث حول عين ماء يقال لها عسان فتسبوا اليه (عبد الله ياقوت
الحموى ، معجم البلدان ، بيروت ١٩٥٦ ، باب الغين ، ابو الحسن على
بن الحسن المسعودى ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج ٢ ، طبعة
القاهرة ١٩٥٨ ، ص ١٦ ، ١٧) . وكان سكن مشارف الشام قبل
قدوم الأزد الغساسنة قوم يعرفون بالصجاعة من قضاة ، فغلبهم
الغساسنة وحلوا محلهم . وقد تحالف الغساسنة مع البيزنطيين (عن
الغساسنة وصراعهم مع ملوك الحيرة ، وأوسم ، ارجع الى السيد
عبد العزيز سالم ، تاريخ العرب في عهد خلافة ١٩٨٨ ،

ص ٢٢٣-٢٤٢ ، عبد المنعم ماجد ، التاريخ السياسي للدولة العربية ، ص ٨٨-٩٠ ، رشيد الجملي ، تاريخ العرب في الجاهلية وعصر الدعوة الإسلامية ، ١٩٧٢ ، ص ١٢٤-١٣٦) .

٢٨- المقرئى ، الخطط ، ج ١ ، ص ٣١١ .

٢٩- لما اشتد تعرض المشركين للنبي ﷺ وديوه وأصحابه ، بدأ يعرض نفسه وديه على القبائل العربية . ومن بين القبائل التي عرض الرسول ﷺ نفسه عليها بعض القبائل اليمنية ومنهم بنو كلب ، فأتى الى بطن منهم يقال بنو عبد الله ودعاهم إلى الله ، ولكنهم رفضوا دعوته (المقرئى ، أمتاع الاستماع بما لفرسول من الأبناء والأموال أو الخفدة والمتاع ، ج ١ ، ص ٣١-٣١ ، عصام الدين عبد الرؤوف ، اليمن في ظل الإسلام ، ص ١٩) ، كما أتى النبي كندة في منازلهم ودعاهم إلى الإسلام وعرض عليهم نفسه فأبوا عليه ، (ابن هشام ، السيرة ، ج ١ ، ص ٤٢٤ ، ابن سعد ، الطبقات ، ج ١ ، ص ٢١٦) . ومن المعروف أن العام التاسع للهجرة وهو عام الوفود الذي تابعت فيه وفود القبائل العربية في كل أنحاء الجزيرة تعلن أذعانها للإسلام ، ومنها وفد نجيب ، وبنى وخولان ومذحج ، ولم يلبث الإسلام أن انتشر انتشاراً سريعاً في اليمن (انظر السيد عبد العزيز سالم ، التاريخ السياسي والحضارى للدولة العربية ، دار المعرفة ، الاسكندرية ، ١٩٨٨ ، ص ١٥٨) .

٣٠- ابن سعد ، الطبقات ، ج ١ ، ص ٢٦٣ ، احمد ابن ابى يعقوب بن جعفر المعروف باليعقوبى ، تاريخ يعقوبى ، بيروت ١٩٦٠ ، ص ٨٠ ، السيد عبد العزيز سالم ، التاريخ السياسي ، ص ١٤٢ ، عصام عبد الرؤوف ، اليمن في ظل الإسلام ، ص ٢٢ .

٣١- ابن هشام ، السيرة النبوية ، طبعة ١٩٣٦ ، ج ٤ ، ص ٢٢٨ ، ٢٢٩ . ويذكر ابن هشام أن فروة بن مسيك قال عند توجهه لرسول الله ﷺ مفارقاً كندة بعض أبيات من الشعر منها :

لما رأيت ملوك كندة أعرضت
أكالرجل خان الرجل عرق نساها
فربت الحشى أوم محمد
أرجو فواضلها وأحسن ثرائها

- ٣٢ — المصدر السابق ، ص ٢٢٩ .
- ٣٣ — نفسه ، ص ٢٣١ .
- ٣٤ — نفسه ، ص ٢٣٢ .
- ٣٥ — ابن سعد ، الطبقات ، ج ١ ، ص ٣٢٣ .
- ٣٦ — المصدر السابق ، ص ٣٣٠ .
- ٣٧ — نفسه ، ص ٣٢٤ .
- ٣٨ — نفسه ، ص ٣٤٤ .
- ٣٩ — البلاذرى (احمد بن يحيى بن جابر) كتاب فتوح البلدان ، تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد ، القاهرة ١٩٥٦ ، ١٩٥٧ ، ج ١ ، ص ٨١ . وعن الكتب والرسائل والعهود النبوية لأهل اليمن ارجع الى (محمد بن على الأكوخ ، الوثائق السياسية اليمنية من قبيل الاسلام الى سنة ٣٢٢ هـ ، الطبعة الأولى ١٩٧٦ ، ص ٨٥ وما يلحقها) .
- ٤٠ — السيد عبد العزيز سالم ، التاريخ الاسلامى العباسى ، ص ١٥٨ .
- ٤١ — المصدر السابق ، ص ١٥٩ .
- ٤٢ — ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ، ص ٧٣ .
- ٤٣ — محمد محمود ريتون ، اقليم البحيرة ، صفحات مجيدة من الحضارة والثقافة والكنائس ، طبعة دار المعارف بمصر ، ص ٣٣٣ .
- ٤٤ — ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ، ص ٧٣ ، المقرئى ، المخطوط ، ج ١ ، ص ٢٨٧ .
- ٤٥ — ابن عبد الحكم ، ص ٧٣ ، السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ الاسكندرية وحضارتها في العصر الاسلامى ، طبعة ١٩٨٢ ، ص ٢٢ .
- ٤٦ — ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ، ص ٧٤ .
- ٤٧ — محمد محمود ريتون ، اقليم البحيرة ، ص ١١٨ ، ١١٩ .
- ٤٨ — ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ، ص ٨٥ .
- ٤٩ — المصدر السابق ، ص ٨١ ، معاوية بن حجاج السكونى ، من السكون وهى بطن من بطون كندة . وكان معاوية غالبا ما يذكر منسوباً الى نجيب وليس الى السكون ، وهذا من باب الخطأ الشائع ، وقد ثبت ان ذلك

- ابن الأثير في ، أسد الغابة في معرفة الصحابة ، ج ٤ ، ص ٢٨٢ .
وقد شكل الحديديون في مصر طبقة استقرضية طوال القرون الثلاثة الأولى
للهجرة (السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ١١٠ ، عبد الله
خورشيد البري ، القبائل العربية ، ص ١٤٣) .
- ٥٠٠- ابن عبد الحكم ، المصدر السابق ، ص ٨٢ .
٥١- المصدر السابق ، ص ٧٥ .
٥٢- عن الصدف ارجع الى ابن دقماق ، الانتصار بواسطة عقد الامصار ،
طبقة بيروت ، ص ٤ ، عبد الله خورشيد البري ، المرجع السابق ،
ص ٢٠٢ وما يليها . وعن نسب شريك ابن سمى ، ارجع الى المرجع
السابق ، ص ١٧٦ .
- ٥٣- ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ، ص ٧٦ ، المقرئ ، الخطط ، ج ١ ،
ص ٢٨٨ .
- ٥٤- ابن عبد الحكم ، المصدر السابق ، ص ٧٦ ، المقرئ ، الخطط ، ج
١ ، ص ٢٨٨ .
- ٥٥- ابن عبد الحكم ، ص ١٢٩-١٣٠ ، عبد الله خورشيد البري ، القبائل ،
ص ١٣٨ .
- ٥٦- ابن عبد الحكم ، المصدر السابق ، ص ١٣٠ .
٥٧- السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٨٤ .
٥٨- راجع تفاصيل السبب في تسمية الرسول ﷺ له سرق في السيوطي ،
المصدر السابق ، ص ٩٧ .
- ٥٩- المقرئ ، الخطط ، ج ١ ، ص ٢٨٥ .
٦٠- المقرئ ، الخطط ، ج ١ ، ص ٢٩٤ .
٦١- ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ، ص ١٧٨ .
٦٢- المصدر السابق ، ص ١٧٥ ، المقرئ ، الخطط ، ج ١ ، ص ٢٩٤ .
٦٣- ابن دقماق ، الانتصار ، ص ٣ ، ٤ .
٦٤- ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ، ص ٧٤ .

- ٦٥- المصدر السابق ، ص ٨٠ ، ويذكر السيوطي في حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٦٨ ، هذا الخبر عن لسان جزم بن اسماعيل المعافري وليس ضمام .
- ٦٦- ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ، ص ٨٠ ، السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٦٨ .
- ٦٧- ابن عبد الحكم ، ص ٨٢ ، السيوطي ، المصدر السابق ، ص ٦٨ .
- ٦٨- السيوطي ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٧٢ ، السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ الاسكندرية ، ص ٦٠ ، ٦١ .
- ٦٩- ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ، ص ١٣٠ .
- ٧٠- المصدر السابق ، ص ١٣٠ .
- ٧١- نفسه ، ص ١٩٢ .
- ٧٢- نفسه ، ص ١٩٢ .
- ٧٣- التبريزي السكندري ، الاعلام بالاعلام فيما جرت به الاحكام والأمر المقضية في وقعة الاسكندرية ، تحقيق د. عزيز سوريال عطية ، حيدر أباد الذكن ، ١٩٦٩ ، ج ٢ ، ص ١٣٥ ، وما يليها .
- ٧٤- عبد الله خورشيد البري ، القبائل العربية ، ص ١٧٨ .
- ٧٥- المرجع السابق ، ص ١٦٣ .
- ٧٦- ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ، ص ١٤٢ .
- ٧٧- معجم البلدان ، لياقوت الحموي ، طبعة بيروت ١٩٥٧ ، ج ٣ ، ص ٤٥ .
- ٧٨- المصدر السابق ، ص ١٧٨ .
- ٧٩- المقرئزي ، البيان والأعراب ، ص ٢٧ .
- ٨٠- عبد الله خورشيد البري ، المرجع السابق ، ص ١٥٨-١٥٩ .
- ٨١- المقرئزي ، البيان ، ص ١١ ، ١٢ .
- ٨٢- عبد الله خورشيد البري ، القبائل العربية ، ص ١٥٦ .
- ٨٣- الكندي ، الولاة والقضاة ، ص ١٩ .
- ٨٤- المصدر السابق ، ص ١٥٣ .

- ٨٥- نفسه ، ص ١٦٠ - ١٦٤ .
- ٨٦- نفسه ، ص ١٩١ .
- ٨٧- السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ١٢٧ .
- ٨٨- المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٣٥ .
- ٨٩- السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ١٨٩ .
- ٩٠- المصدر السابق ، ص ١٨٩ .
- ٩١- السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ الاسكندرية ، ص ٢٣٥ .
- ٩٢- السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٢٧٠ ، وإن كان على بن ظافر الأزدى قد أورد في كتابه بدائع البدائع ، ص ١٧٥ ، أن ابن قلاقس السكندري هو أبو الفتح نصر الله ابن مخلوف المسمى السكندري ، وأنه توفي سنة ٥٦٧ هـ في العصر الفاطمي ، وقد وصف قصر بني خليف في رمل الاسكندرية . (وبني خليف يرجعون بدورهم إلى أصول يمنية) بأبيات منها :
- قصر بدرجة السبع تحدثت فيه الرياض برها المستور
خفض الخورتن والسدير سموه وثنى قصور الروم ذات قصور
إلا أن النمام عمامة مسكية وأقام في أرض من الكافور
(أرجع إلى المقرئ (أحمد بن محمد التلمساني) : نفح الطيب عن
غصن الأندلس الرطيب ، طبعة محي الدين عبد الحميد ، القاهرة ،
١٩٤٩ ، ج ٤ ، ص ٢٤٠ ، وإلى : السيد عبد العزيز سالم : تاريخ
الاسكندرية ، ص ٢١٥) .
- ٩٣- السيوطي : حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ١٨٢ .
- ٩٤- المصدر السابق ، ص ٢١٦ .
- ٩٥- ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ١٤٢ .
- ٩٦- المقرئ : البيان والإعراب ، ص ٩ ؛ المقرئ : اتعاظ الخفا بأخبار
الأئمة الفاطميين خلفا ، نشر وتحقيق د . جمال الدين الشيال ، طبعة
دار الفكر العربي ، ١٩٤٨ ، ص ٢٧٩ ، وانظر تحقيق د . محمد المجيد
عابدين لكتاب البيان والإعراب ، ص ١١٦ ، ١١٧ .
- ٩٧- السيوطي : حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٢٦٩ .

- ١٣٥- الكندي ، الولاة والقضاة ، ص ٩٦ .
 ١٣٦- السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ١١٨ ، عبد العزيز سالم ، تاريخ الاسكندرية ، ص ٩٥ .
 ١٣٧- السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٢١٥ .
 ١٣٨- انصهر السابق ، ص ١٦٦ .
 ١٣٩- ابن دقماق ، الانتصار ، ج ٣ .
 ١٤٠- السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ١٠٤ .
 ١٤١- محمد محمود زيتون ، إقليم البحيرة ، ص ٤٧٩ .
 ١٤٢- ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ، ص ١٢٦ ، ١٤٢ .

وتشير بعض المراجع الى وجود خلاف في الرأي حول أصل بنى مدلج . فالدكتور عبد الله خورشيد البري يعد بنى مدلج بفرعهم بنى معاذ وبنى عثارة والمنجم من عثارة ، من كنانة العدنانية ، بناء على نص القلقشندي في « نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب » بينما يرى البعض مثل د. عبد الحميد عابدين أن بنى مدلج من لحم بناء على ما أورده المقرئ في البيان والاعراب ، ص ٥٩ (ارجع الى د. عبد الحميد عابدين ، تحقيق البيان والاعراب ، ص ١٠٥) .

وهذا يذكرنا بالخلاف الذي دار بين المؤرخين حول نسب اقضاة ، وهل كانت من حمير أم من معد بن عدنان (ارجع الى عبد الحميد عابدين ، ص ٨٥) .

وعلى أى الأحوال ، فقد استقر بنو مدلج في الاسكندرية ، وفي خربتا بأعداد كبيرة (ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ، ص ١٤٢) . وعلى هذا النحو يكون لهم (وذنحان من حمير) دور كبير في أحداث فترة عثمان بن عفان ، فقد كانت خربتا من شبيعة عثمان ، وقد عمل قيس بن سعد بن عبادة على امتصاص غضبهم ، فأجرى عليهم اعطياتهم (وأررقهم أثناء ولايته على مصر سنة ٣٧ هـ (الكندي ، الولاة والقضاة ، ص ٢١) .

كما ظهر دورهم سنة ٢١ هـ في الاسكندرية عندما تصدوا للأندلسيين ، وفي ذلك يقول الكندي : « ثم حاربت بنو مدلج أهل

- ١١٥ - نفسه ، ص ١٧٠ - ١٨٠ .
- ١١٦ - عبد الله خورشيد ، القبائل العربية ، ص ١٤٥ .
- ١١٧ - ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ١ ، ص ٢٠٨ .
- ١١٨ - الكندي ، الولاة والقضاة ، ص ٦٤ .
- ١١٩ - المصدر السابق ، ص ٨١ .
- ١٢٠ - لمزيد من التفاصيل عن المعاصر ومبوطها ، وهل كانت من العلويين أم من الخوارج ، أنظر عبد الله خورشيد البري ، المرجع السابق ، ص ١٦٢ ، ١٦٣ .
- ١٢١ - الكندي ، الولاة والقضاة ، ص ١٥٨ .
- ١٢٢ - السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ١٢١ .
- ١٢٣ - المصدر السابق ، ص ١٢٦ ، وقد سبق أن تحدثنا عنه .
- ١٢٤ - نفسه ، ص ١٢٧ .
- ١٢٥ - نفسه ، ج ١ ، ص ٢١٢ .
- ١٢٦ - الكندي ، الولاة والقضاة ، ص ٣٦ .
- ١٢٧ - السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ الاسكندرية ، ص ٢١٥ ، ولمزيد من التفاصيل انظر :
- El Sayed Abdel Aziz Salem, d'Alexandrie a Almeria, Les Banu Khulaif- une famille Alexandrine au Moyen âge, "Revue de l'occident musulman et de la Mediterranée, no 46, sur Alexandrie entre deux mondes" Aix-en-Provence 1987.
- ١٢٨ - عبد الله البري ، القبائل العربية ، ص ١٦٦ ، عن كتاب الأنساب للسمعاني ، ص ٤٥ .
- ١٢٩ - المرجع السابق ، ص ١٦٧ ، عن المصدر السابق .
- ١٣٠ - ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ، ص ١٤٢ .
- ١٣١ - السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ١٠٤ .
- ١٣٢ - المقرئ ، المخطوط ، ج ١ ، ص ٢٩٥ .
- ١٣٣ - السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج ٢ ، ص ٩٨ .
- ١٣٤ - معجم البلدان ، ص ٤٥ ، ج ٣ ، طبعة ١٩٥٧ ، عبد الله خورشيد البري ، ص ١٧٤ .

- ٩٨- المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٤٢ ، ١٤٣ .
- ٩٩- تاج الدين السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، مصر ١٣٢٤ هـ ، ج ٥ ، ص ١٧٢ ، السيوطي ، نفسه ، ج ١ ، ص ٢٥٠ .
- ١٠٠- المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢١٥ .
- ١٠١- يزيد من تفاصيل عن بن عطاء الله سكندري وأسرته وأساتذته وتصوفه أرجع إلى (أبو الوفاء شافزارى ، بن عطاء الله سكندري وتصوفه ، القاهرة ١٩٥٨ ، ص ٩-٥٠) .
- ١٠٢- السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٢٤٠ .
- ١٠٣- عبد الله خورشيد ليزي ، القبائل العربية ، ص ١٨١ ، ويذكر الأستاذ محمد محمود ريتون أن الفقيه سيدى محمد أبو الريش برزبغ يرجع بأصوله إلى الأمير غام بن عياض الأشعري طبقاً لما ورد في مدونة هذا الأمير ، وأن الأمير عاتم هذا صحابي جليل ، أمه هي أسماء بنت سفيان بنت حاتم الطائي وخاله عادي بن حاتم ، قدم مع عمرو ابن العاص ، وقد أمره عمرو على كثير من البلاد مثل البهنسا ومصر ودهشور والجيزة (محمد محمود ريتون ، أفق البحيرة ، ص ٤٧٨) .
- ١٠٤- المقرئى ، البيان والأعراب ، ص ٧ .
- ١٠٥- المصدر السابق ، ص ٨ .
- ١٠٦- عبد المجيد عابدين ، تحقيق البيان والأعراب للمقرئى ، ص ١١٧ .
- ١٠٧- المقرئى ، البيان ، ص ١٠ .
- ١٠٨- عبد الله خورشيد ليزي ، القبائل ، ص ١٢٢-١٥٠ .
- ١٠٩- السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٢١٧ .
- ١١٠- المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١١٠ .
- ١١١- الكندى ، الولادة والقضاء ، ص ٥٨ ، السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج ٢ ، ص ٩٧ .
- ١١٢- الكندى ، الولادة ، ص ٣٢٦ .
- ١١٣- المصدر السابق ، ص ١٥٣ .
- ١١٤- نفسه ، ص ١٥٧ ، ١٥٨ .

الأندلس فصر بهم وأندلسيون ، ففوجوه عن أبلان ، ولم يقدر أحد من
بنى مدج أن يرجع إلى أرض الإسكندرية ، لا بطلبه من السرى من الحكم
بن أحمد الأندلسى حتى أدبوه به فرجعوا " (لكندى ، ص ١٦٤) .

وفى عام ٢٥٢ هـ خرج منهم جابر بن الوليد المدلجى من بنى الهجيم
بن عثارة بن عمرو بن مدج ، بأرض الإسكندرية ، واجتمع إليه كثير
من بنى مدج نصيبية والموتى ، فبلغ ذلك ولى الإسكندرية محمد بن عبيد
الله بن يزيد بن مزيد ، فبعث إليه رجلا من أصحابه يقال له نصر
الطحاوى وعقد له على ثلاثمائة رجل فنزل الكربون ، والتقى بجابر وأصحابه
فأصا (كفر الزيات) ، ولكن جابر هزمه ، فرجع نصر إلى جنوبيه
بالحيرة ، واثاه جابر المدلجى بها وهزمه للمرة الثانية ، وتكررت انتصارات
جابر المدلجى على جيش نصر ، رغم الأمدادات التى كانت تصل إليه ،
واستفحل أمره وعظم شأنه ، وانضم إليه كثير من الثوار . ولم تنته ثورة
جابر المدلجى إلا بعد عامين من قيامها فى ولاية مزاحم بن خاقان ، وسجن
جابر ثم بُعث به إلى العراق ، سنة ٢٥٤ هـ .

(لمزيد من التفاصيل عن هذه الثورة ، ارجع للكندى ،
ص ٢٠٥-٢١٠ ، السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ الإسكندرية ،
ص ١٤٥-١٥٢) .

وفى سنة ٢٥٥ هـ خرج ابن عم جابر بن الوليد المدلجى على أحمد بن
طولون ، وانضم إليه أحمد بن عبد الله بن طباطبا العلوى ، وأعلنوا الثورة
فيما بين الإسكندرية وبرقة فى موضع يقال له الكنائس ولكن ابن طولون
تمكن من القضاء على هذه الثورة (الكندى ، الولاية والقضاء ،
ص ٢١٢ ، السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ الإسكندرية ، ص ١٥٢) .

١٤٣- ابن عبد الحكم ، ص ٢٤١ ، السيوطى ، حسن الشاضرة ، ج ٢ ،
ص ٩٨ .

١٤٤- ابن عبد الحكم ، ص ٢٤٢ ، السيوطى ، ج ٢ ، ص ٩٨ .

١٤٥- السيوطى ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٢٦ .

١٤٦- المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٢٦ .

- ١٤٧— نفسه ، ج ١ ، ص ١٢٨ .
- ١٤٨— نفسه ، ج ١ ، ص ٢١٤ .
- ١٤٩— عبد الله خورشيد اليزي ، القبانل ، ص ٢٠٩ .
- ١٥٠— السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ١٢٤ .
- ١٥١— المصنف السابق ، ص ١٣٩ .
- ١٥٢— الكندي ، الولاء ، ص ١٥٨ .

الأبنية الصحراوية في بادية الشام دراسة في نظرية الوظيفة

دكتور

محمود إبراهيم حسين

كلية الآثار

جامعة القاهرة

تعتبر الأبنية الأموية التي اكتشفت في دابية الشام ، من أكثر الآثار الإسلامية التي أثارت نقاش كبير وجدل بين علماء الآثار الإسلامية ، ولقد اكتشفت هذه الأبنية في المنطقة الصحراوية التي تمتد جغرافياً من نهر الفرات في الشمال حتى البحر الأحمر في الجنوب^(٢) ، ولقد لفت النظر إلى هذه المنطقة في بداية الأمر ، مجموعة من الرحالة الأوربيين في النصف الأول من القرن التاسع عشر ، وقد قام هؤلاء الرحالة بوصف هذه الأبنية الأثرية وكان هذا الوصف ضمن تقرير الرحلات التي قاموا بها ، ومن الملاحظ أن الوصف كان يعالج الشكل الخارجي لهذه الأبنية ، بالإضافة إلى وصف الزخارف الخارجية والداخلية ، ولم تتطرق هذه الأبحاث إلى دراسة الهدف من وجود هذه الأبنية والغرض من إنشائها^(٣) .

ومن أقدم أصحاب هذه الاكتشافات الباحث الرحالة الذي تخصص في الدراسات العربية المتعلقة بالقبائل الصحراوية Alois Musil ، وقد عثر موزل أثناء رحلته العلمية في بداية القرن التاسع عشر إلى الشرق من عمان على بناء من هذه الأبنية الصحراوية ، وكان هذا البناء مزخرفاً بالألوان المائية ، وكتب موزل عمل ضخيم تحت عنوان « قصر عمرا »^(٤) وقد أرخ موزل هذا البناء بالعصر الأموي^(٥) ، وقد تلى هذا العمل مجموعة من الأبحاث والكتب التي أشارت إلى ظاهرة هذه الأبنية الصحراوية ، وأجمعوا جميعاً على نسبة عدد كبير منها إلى العصر الأموي . وعلى الرغم من اتفاق هؤلاء العلماء على تأريخ هذه الظاهرة المعمارية بالعصر الأموي إلا أنهم اختلفوا حول وظيفة هذه القصور وتفسير وجودها في الصحراء ، ففى الأبحاث الأولى وحتى الثلاثينات من هذا القرن كان الحديث يدور حول إستراحات أموية صحراوية مخصصة للتمتع واللهم ، وأشار هؤلاء إلى أن الخلفاء الأمويين بداء من عرب الجزيرة العربية المناطق المنشرة حول مكة والمدينة ، ومع أنهم يستمتعون بما في عاصمتهم دمشق من طرف ومباهج — إلا أنهم يحنون إلى قضاء فترات متقطعة في الصحراء التي نشأوا في ربوعها ، لكنهم بعد أن اعتادوا على الإقامة في منازل بدلاً من بيوت الشعر فأنهم عملوا على إنشاء هذه العمارات في أماكن مختلفة من صحراء الأردن وفي صحراء سوريا ، وفي هذه العمارات كان الواحد منهم يقضى بضعة أسابيع كل سنة ، مستمتعاً بما في البادية من وسائل اللهم كالصيد

وانقضى ومباريات لفرورية ، كما أنهم كانوا يستمتعون بما توفره الحمامات من مسرات ، وبما يعاصب ذلك من متعة الغناء والرقص التي كانت شائعة في تلك الأيام (٦) .

وبعد هذه المرحلة بدأ ظهور مجموعة من العلماء حاولت إيجاد مبررات اقتصادية لوجود هذه الأبنية الصحراوية . فقد ذكر هؤلاء أن الأبنية كانت مقار للمشرفين على الأراضي الزراعية المملوكة للحكام من بني أمية (٧) .

وأستشهد هؤلاء أيضاً بأن بعض خلفاء بني أمية وعلى رأسهم هشام بن عبد الملك كانوا يهتمون بحفر قنوات المياه وملحها في الصحراء لرى الأراضي الزراعية (٨) .

وقد أجمع علماء الآثار على نسبة هذه الأبنية الصحراوية بصفة عامة إلى النصف الثاني من العصر الأموي أو إلى الفترة الرومانية ، ولحق أن هناك غموض حول هذه النقطة ، نحاول ايضاحه أيضاً في هذا البحث ، ذلك أن الدولة الأموية قامت نتيجة لحساس القائمين عليها وفي مراحل تأسيس الدولة لا بهم الرعي الأول بمسائل النهو أو المتع المختلفة بقدر اهتمامه بتأمين الدولة . فتأمين الدولة الوليدة أهم من نظر هؤلاء من النهو أو حتى المشاريع الاقتصادية التي تشمل في اضافة مساحات زراعية جديدة لرقعة الأراضي الزراعية في الدولة .

وأما الفترة الثانية من عمر الدولة والمعروفة باسم المارونية ، أي ما بعد ٧٥٠ م والتي ذكر المؤرخون أن الأمويين فقدوا حماسهم السياسي الذي صاحب انشاء الدولة واختفاء حيل المؤسسين ، وظهور طائفة من الخلفاء الأمويين غيّزت بعدم الاكتراث والاتجاه إلى حياة النهو والمتع وهو الأمر الذي أدى إلى نهاية وإسجار الدولة في نظر أصحاب هذا الرأي (٩) .

والرد على هذا الرأي يتطلب دراسة للفترة الثانية من عمر الدولة الأموية ، دراسة تحليلية للظواهر السياسية والتاريخية التي صاحبت هذه الدولة ، والواقع أن النصف الثاني من عمر الدولة قد شهد حماس شديد من قبل القائمين عليها للتعناء حتى الفن الداخلي والتميزات التي ظهرت بخاصة في أهل أنحاء الدولة ،

مع استمرار السعى إلى إرسال الجيوش لنفج وستر دين الله . ففى عهد الوليد تم فتح بلاد ما وراء النهر ، كما ظهر فى عصره ثلاثة من أعظم قواد الجيوش وهم : قتيبة بن مسلم الباهلى ، ومحمد بن القاسم بن محمد الثقفى ، وموسى بن نصير . كما أعقب فتح بلاد ما وراء النهر محاولة فتح بلاد الصين وبلاد السند وبلاد الأندلس ، ولابد من الإشارة هنا إلى أن الخلفاء فى المرحلة الثانية الذين ذكر عنهم الميل إلى اللهو والقصف والمتع لم يستمر حكمهم طويلاً ، فعلى سبيل المثال كان أشهر هؤلاء يزيد بن عبد الملك الذى حكم من ٧٢٠ إلى ٧٢٤ م وقد جاء حكمه بعد عمر بن عبد العزيز ، وقيل أن يزيد هذا كان له جاريتين هما سلامه والثانية خبابه (بضم الخاء) ويقال أن خبابه أعتلت وماتت فظل يزيد إلى جوارها أياماً لا يدفنها حرناً عليها فنصحه من حوله بدفنها لأنه الخليفة وعليه أن يتصرف وفقاً لمنصبه ، فدفنها ويقال وأنه قد حزن عليها حزناً شديداً حتى مات بعدها بأيام . أما الشخصية الثانية التى أشتهرت باللهو والخلاعة والمجون ، كانت شخصية الوليد بن يزيد بن عبد الملك والذى تولى الخلافة سنة وشهرين قتل بعدها بقرية من قرى دمشق على يد يزيد بن الوليد .

والملاحظ أن يزيد بن عبد الملك تولى بعد عمر بن عبد العزيز ، وأن الوليد تولى بعد هشام بن عبد الملك ، ومن هنا فإن المؤرخين أشاعوا عن يزيد والوليد ما أشاعوه بعد أن قارنوا بين عصورهم وعصور عمر بن عبد العزيز بما اشتهر عنه من عدل وسلام ، كما أشتهر هشام برجاحة العقل والعفة والتدبير وحسن السياسة . ومن هنا يمكن القول أن عصور اليزيد والوليد لم تكن بنفس روح عصور عمر بن عبد العزيز وهشام بن عبد الملك .

أما فترة آخر خلفاء بنى أمية وهو مروان بن محمد فقد كانت فترة كفاح وجهاد من أجل القضاء على الفتن والثورات الداخلية ، فقد كان مروان هذا وإلى على الجزيرة وأرمينية ثم سار جنوده يزيد الشام بعد أن دب الاضطراب فى ربوع الخلافة على أثر وفاة يزيد بن الوليد . وتولى أخيه إبراهيم ، واستطاع مروان بن محمد الذى انصف بالشجاعة والحكمة الجزية أن يدخل الشام وأن يتغلب على إبراهيم بن الوليد ، ويضع مروان بالخلافة ، ولم يلبث أن خرج عليه أهل حمص بزعامة ثابت بن نعيم . وكانت أهل تدمر برئاسة الأصمغ بن ذؤالة

الكنبي غير أن مروان استطاع التغلب عليهم وهزمهم شر هزيمة ، كما ناز عليه أيضا يزيد بن خالد القسري وانصمت إليه الجيوش لتجنيبه لكن مروان تمكن من هزيمته وقتله وبالتالي خضعت دمشق ولم يثبت أن خرج عليه أهل فلسطين ، ولكنه أرسل إليهم الجيوش وقضى عليهم وكانت هذه حياة مروان بن محمد آخر خلفائهم وهي كما رأينا حياة كلها معارك وفش راد منها تركز القبائل التجنية في بلاد الشام الأمر الذي جعل مروان يتخذ بلاد الخزيرة عاصمة له ومقر للحكم بدلاً منها ، ولم يكن الحال في بلاد العراق بأحسن حالاً فقد كانت ميداناً لقنص الخوارج الذين استولت مجموعة منهم على بلاد الحجاز واليمن بقيادة المختار ابن أبي عبيدة ، وانشغل آخر خلفاء بني أمية بما يجري في البلاد من الفتن حتى لقب بالحمار لأنه كان لا يحف له ليد في محاربة الخارجيين عليه ، فكان يصل السير بالسر ويصير على مكائد الحرب^(١١١) .

ومن العرض السابق يتضح لنا أن المرحلة الثانية من عمر الدولة الأموية كانت مرحلة كفاف وانشغال كامل للمحافظة على الدولة وليس مرحلة فقدان الحواس كما ذكر بعض العلماء^(١١٢) .

ورعنا لفتت هذه الظاهرة نظر العالم الألماني E. Guhr ، فقرر البحث عن تفسيرات جديدة لوظيفة هذه القصور الصحراوية وحاول جأوه الاعتماد على تاريخ المنطقة كوسيلة لتوصل إلى إجابة عن سؤاله : لماذا وجدت هذه القصور ؟ وما هي وظيفتها ؟ إلا أن الملاحظ على نظرية جأوه المبالغة الشديدة في الربط بين العلاقات البيزنطية والقبائل العربية على حدودها وخاصة القمامنة^(١١٣) . وحاول أن يجعل من تلك العلاقة نموذج للعلاقة بين الدولة الأموية وحلفائها من القبائل العربية ، ونسي أن الدولة الأموية دولة عربية حما ودماً ومن هنا كان أمر طبيعي أن تحصر هذه الدولة ، فقامتها العليا في يد العرب ، وذلك لأن العرب في تلك الفترة كانوا يمثلون حتى الدعامات الأساسية للدولة سواء من الناحية العسكرية أو الإدارية . فالأمر هنا لا يتعلق بتقيد نظام الحكم البيزنطي ، بقدر ما يتعلق باستمرار الحياة الدولة نفسها ورؤيتها للأمور ، حقيقة أعمد أعداء الدولة الأموية على سحق المثل على حكم الأمويين نتيجة لسماسهم في تفريغ العرب ، فعصيتهم إلا أن لا يعتقد أن الأمور كانت موف

تستمر على نفس المنوال إذا ما طال العمر بالدولة الأموية . تلك بعض الأمور التي قامت على نظرية جازوه أخذها بعين الاعتبار ، (شكل (١)) .

وبعد أن عرضنا مجموعة النظريات التي قيلت في تفسير ظاهرة القصور الصحراوية يجب وقبل الوصول إلى نتيجة في هذا الموضوع أن نشير إلى مجموعة من الملاحظات :

(١) أن القول بأن هذه الأبنية الصحراوية ترجع إلى الفترة الأموية هو أمر أكدته طبيعة هذه المباني وطرازها المصري ، ولذا فإن محاولة إرجاع هذه الأبنية لفترات ما قبل الإسلام من قبل بعض العلماء الغربيين هو في الواقع بعيد عن الحقيقة لأن الطراز في طراز هذه الأبنية وبعض الأثار من عصور ما قبل الإسلام ، مما يورث طبيعة الطراز المصري السائد والذي استمر فترة طويلة دون تغير بالاضافة إلى عامل البيئة والمادة الخام وهي عوامل لا تغير بتغير نظم الحكم أو شخصية الحاكمين .

(٢) أن منطقة بادية الشام كانت تمثل منطقة تجمع للقبائل العربية التي قامت بالتفوحات وكانت المنطقة ملائمة جداً لهذه الوظيفة نظراً لأن أكثر المناطق طرباً من العاصمة المركزية للدولة (دمشق) وكذلك كانت أنسب هذه المناطق لطبيعة هذه القبائل وربما من البيئة الأصلية لها في قلب الجزيرة العربية ، ذلك لأن التضيقات الجغرافية لبلاد الشام تؤكد عدم وجود بديل لهذه المنطقة ، ذلك أن مناطق شاطئ البحر كانت عبارة عن موانئ وكانت أيضاً مناطق استقرار للسكان الأصليين لبلاد الشام ، وكان مناعها لا تناسب تواجد القبائل العربية الوافدة من عمق الجزيرة العربية ، بالإضافة إلى أن مساحة الشاطئ كانت ضيقة ولا تسمح بتواجد كثيف لهذه القبائل ، وإلى الشرق من الشريط الساحلي والمدن الساحلية نجد مناطق مرتفعة جبلية وهي مناطق تزرع اعتماداً على الأمطار ، بالإضافة إلى عدم اقبال العرب على حرفة الزراعة في تلك الفترات المبكرة ، كانت أيضاً المناطق الجبلية غير مناسبة لتواجد كثيف ومنظم للجيوش العربية ، وبلى هذه المساحة الجغرافية سهيل ضيق صالح للزراعة ، يوجد به أربعة مدن رئيسية كبيرة هي حلب وحماة وحمص

ودمشق بالإضافة إلى عدد كبير من القرى والمدن الصغيرة ، والملاحظ أن هذا السهل الضيق يحدده وقراه كان يعوى كثافة سكانية عالية ، لا نتج تواجد هذه القبائل الحضرية ، كما أن الطبيعة الرخوة للأراضي الزراعية لا تناسب حركات هذه القبائل مع الدواب المصاحبة لها ، كما أن تواجد هذه القبائل العربية في المنطقة سوف يعوق عملية زراعة هذه الأرض التي كانت تمثل محوراً رئيسياً للمحسوب للعاصمة المركزية للدولة .

وهكذا يبقى في اتجاه الشرق منطقة الصحراء المتاخمة للمنطقة الزراعية ، وهي أقرب منطقة صالحة للإقامة بالنسبة لهذه القبائل العربية فهي قريبة من مناطق زراعية ، أى أنها مناطق صالحة للرعى « بادية » وبذلك يتوفر قدر من الحشائش والأعشاب تعيش عليها الدواب المصاحبة لهذه القبائل ، وكلما ازداد عدد هذه القبائل ، وجدت لها أماكن في الامتداد الصحراوي للبادية ، وذلك لكون مناطق الصحراء مفتوحة ، وشاسعة وبالتالي كانت تعتبر حدود مفتوحة ومتحركة في مقابل الحدود الشابة التي تمثل في البحر الأبيض المتوسط وسلاسل الجبال التالية له . (شكل (٢)) .

وبما سبق يتضح أن تواجد القبائل العربية في بادية الشام هو ضرورة جغرافية هامة كما أن نزوح هذه القبائل من قلب الجزيرة العربية نحو الشمال هو ضرورة اقتصادية استراتيجية فرضتها سياسة الفتوحات العربية . كما أن دخول القبائل العربية إلى المدن أو السواحل كان سوف يحدث خلل في البناء السكاني داخل هذه البلاد فزيادة أعداد البدو كان سوف يخل بالتوازن السكاني للفلاحين وسكان المدن الساحلية ، وقد يتسبب هذا في مشاكل واضطرابات داخلية كانت الدولة تفرص على تجنبها في مراحلها الأولى . ولكن لم يمنع هذا من دخول أعداد قليلة من القبائل العربية إلى مناطق الجبال السورية والمرتفعات اللبنانية وكان هذا التواجد بغرض الاستيطان .

(٣) أن الفترة الزمنية التي تواجدت فيها القبائل العربية في بادية الشام كانت طويلة نسبياً وبالتالي فقد سعى حكام بني أمية إلى إيجاد مصادر دائمة

نباه الشرب للإنسان والدواب ومن هنا فمن المحتمل إعادة حفر آبار رومانية قديمة كانت موجودة بالمنطقة ذلك أن الرومان أدركوا أهمية المنطقة خاصة في مواجهة أطماع الدولة الساسانية مما أوجب إنشاء شبكة من الطرق لتحرك الجيوش في قلب الصحراء بالإضافة إلى حفر الآبار اللازمة على هذه الطرق وكانت هذه الآبار مجاورة لحصون صغيرة انحصرت وظائفها في الأنداز المكر في حالة وجود خطر على الدولة . وقد أعادت القبائل العربية المحاربة استخدام هذه الطرق وتركزت حول مناطق الآبار التي اعتنى بها من جديد حكام بني أمية .

(٤) ان اقامة القبائل العربية في بادية الشام ترتب عليه قيام نوعاً من التبادل التجاري بين المناطق الزراعية وبين مناطق تواجد هذه القبائل البدوية ، ويبدو أن هذه القبائل قد احتاجت إلى الحبوب واستطاعت أن تمد المناطق الزراعية بمنتجات الألبان والأغنام والدواب ، ومن هنا بنيت مخازن لهذه الحبوب في المناطق الصحراوية ، كانت تخزن بها الحبوب لاستخراجها لمدة طويلة ، يدل على ذلك وجود اطلال لمخازن الحبوب في بعض هذه الأبنية الصحراوية .

(٥) كانت القبائل العربية الوافدة تعتبر قوات مركزية يستطيع الخليفة توجيهها إلى مناطق الاضطرابات في داخل الدولة ومناطق الفتوحات على حدود الدولة ومن ثم كان من المهم إبقاء أهل القبائل في حالة استعداد دائم للحرب عن طريق قيامها بالتدريبات العسكرية اللازمة لها ولدوابها ، وكانت مناطق بادية الشام باتساعها وتراعى أطرافها من أنسب المناطق لهذه التدريبات ، ولابد وأن الخليفة كان يحضر بعضاً من هذه التدريبات العسكرية للاطمئنان على جيوشه ودرجة استعدادهم ومن ثم كان يحتاج في اقامته إلى مكان يسريح به إيفتى فيه بقواد الجيوش ويناقش معهم الخطط العسكرية ، ومن هنا فإن وجود بقايا التحفيزات الرومانية ربما يكون قد أوصى لبعض من هؤلاء الخلفاء ببناء أماكن وأبنية صحراوية مزودة بمصادر المياه وبوسائل المعيشة الأخرى كمخازن الحبوب أو الحمامات وكذلك المساجد .

(٦) كان الصراع بين القبائل العربية المعروف بأسم صراع القيسية واليمية سبباً في إزدياد تواجد هذه القبائل في بادية الشام ، وكان ميل أحد حكام بني أمية إلى قبيلة من الاثنين سبباً في إزدياد تواجدها حتى يقوم باستخدام قواها وقت الحاجة إليها .

(٧) ان عدم رضا بعض الأطراف في قلب الجزيرة العربية وعمل وجه التحديد في منطقة الحجاز ، من الحكم الأخرى جعل من تواجد القبائل العربية الموالية للأمويين في منطقة استراتيجية لا غنى عنها ، للفصل بين مناطق الاضطرابات وبين عاصمة الدولة ومركزها الرئيسي .

(٨) يبدو أن تواجد القبائل العربية بشكل كثيف في بادية الشام لوجود الحاجة إلى بعض السكان المحليين وخاصة من الصناع والحرفيين ، ولذا فمن الملاحظ أن معظم النقوش التي عثر عليها كانت مكتوبة باليونانية بالإضافة إلى العربية وكذلك بالكتابات السورية المحلية وخاصة الآرامية التي كانت تعتبر من أبرز اللغات المستعملة في هذه المناطق والتي يبدو أنها كانت مفهومه من العرب والسرمان ، كما أن السوريين كانوا بصفة عامة موضع ثقة من قبل حكام بني أمية ، نظراً لأنهم كانوا القوة الأولى التي اعتمد الأمويون عليها في تأسيس دولتهم ومن هنا كان التدخل الحضاري بين مجموعات السكان المحليين وبين القبائل البدوية الموجودة . في أماكنها منذ فترات ما قبل الاسلام والتي كانت تمتد جغرافياً من الفرات حتى البحر الأحمر - أمر منطقي وقابل للتصديق ، وبالتالي من الممكن أن يترك السكان المحليين أثر على نمط الحياة البدوية ويضيفوا إليها بعض الأنماط البسيطة من الصلابة .

التصميم المعماري للأبنية الصحراوية في العصر الأموي

عثر في منطقة بادية الشام على العديد من النقوش التي تتعلق بأبنية صحراوية خاصة بزعماء القبائل العربية التي كانت تعيش في هذه المنطقة ، ويبدو أن هذه القبائل كانت ترتبط فيما بينها بروابط متنوعة ، وكان لزعماء هذه القبائل مقار ، يتواجدون فيها يتباحثوا في الأمور الهامة ، ويبدو أن هذه المباني كانت تشبه إلى حد كبير قصور حكام المقاطعات الأوربية^(١٣) ، في القرون الوسطى . ففي الرصافة على سبيل المثال عثر على مبنى له مسقط مربع في أطراف المبنى وفي داخل الشرفية يوجد نص كتابي يقرأ : الحياة الطويلة للنذر^(١٤) . وكان يعتقد أن المبنى عبارة عن كنيسة إلا أن وجود اسم النذر وهو حاكم غاني بالإضافة إلى منطوق النص لا يناسب مطلقاً وظيفة المبنى ككنيسة .

وربما كان هذا المبنى قصراً صحراوياً للملحذر ، خاصة وأن سوفاجيه أثبت أن المسقط الأمتري لهذا المبنى يتشابه مع مبان رومانية سورية تستخدم كمقاعات استقبال ، ويبدو أن المنطقة التي تشبه الشرفية كانت تخصص للجلوس الزوار^(١٥) ، وقد ذكر T. Noldeke ، أن النذر قد استقبل مبعوث القيصر جيتيان سنة ١٥٧٥ في الرصافة^(١٦) ، ويبدو هذا المبنى من الخارج كالقلعة ، وأما غرفة فكنيتها تقع حول الصحن الداخلي .

ويتشابه هذا المبنى مع مبنى آخر يقع في قلب الصحراء محاط بسور ، ويبدو أن تاريخ بنائه يعود إلى القرن السادس الميلادي^(١٧) ، والمبنى عبارة عن مساحة مربعة ٦٠ × ٦٠ م وتوسطه بوابه في المنتصف ويتوسط هذا المبنى صحن مربع ، تطل عليه غرف المبنى ، والملاحظ أن تصميم هذا المبنى يتشابه مع الخيمات البدوية التي تحولت إلى مباد حجرية ، حيث كانت هذه القبائل تترك مكاناً فسيحاً في المنتصف للاحتفالات ، ويذكرنا هذا بنوعية المبان التي قام السلاجقة ببنائها بعد أن أصبح لهم مدناً ، فقد كانت هذه المباني السلجوقية صورة من خيميات البدو السلاجقة قبل دخولهم إلى حياة المدن^(١٨) .

وإذا تركنا مجموعة الأبنية الصحراوية التي ترجع إلى فترة ما قبل الإسلام ، إلى الأبنية التي وصلتنا من فترة الأموية . من أهم هذه الأبنية بناء ذو حجيم صغير عبارة عن مجموعة سكنية حصينة متصلة بغرف استقبال كلها تدور حول صحن يتوسط المبنى ونسب هذا المبنى إلى الوليد الأول ، والوليد هذا كانت أمه قيسية^(٢٠) ، وبناء فإن المبانى التي قام ببنائها الوليد تركزت في المناطق التي سكنها القبائل القيسية^(٢١) .

والمبنى الثاني الذي ينسب إلى العصر الأموي هو قصر عمرأ ، وهو يتألف من تصميم بسيط عبارة عن حمام وقاعة استقبال وبه بئر وخزان للمياه ، والملفت للنظر في تصميم هذا المبنى هو مجموعات الرسوم المائية وخاصة الصور التي تمثل ملوك الأرض ، والملاحظ في تصميم المبنى تشابه مع المبانى السابقة وخاصة قاعات الاستقبال الخاصة بالمنزل في الرصافة على مسافة غير بعيدة من قصر عمرأ يقع قصر الخزانة^(٢٢) ، وهي تمثل من حيث التصميم طرازاً ثانياً يتألف من مجموعة من الدور السكنية يؤلف كل خمس غرف منها مجموعة واحدة كما يلاحظ أن المبنى هنا يتألف من طابقين وليس طابق واحد كما هو الحال بالنسبة لقصر عمرأ^(٢٣) . لوحة ٩ شكل (١٠) .

ويتشابه المبنى المعروف بأسم حمام الصراخ من ناحية لتصميم قصر عمرأ : فهو يتألف من قسمين هما قاعة الاستقبال والحمام ، وقد قام علماء الآثار اعتماداً على هذا التشابه بتأريخ المبنى بين ٧٢٥ — ٧٣٠ م^(٢٤) . لوحة ٧ ، ٨ شكل (٧) .

أما المبنى الموجود فوق جبل « سيس » فإنه يقع إلى جوار مجموعة من الأبنية التي ترجع إلى عصور ما قبل الإسلام . وتصميم المبنى عبارة عن صحن تحيط به مجموعة من الغرف المنفردة ، ويلاحظ في تصميمه تكرار ظاهرة التناء للمأخوذ عن المساحة الخالية الموجودة في وسط شيمات نديم ، « المبنى هنا تألف من طابقين^(٢٥) » (شكل (٨)) .

أما فيما يتعلق بالمبنى المعروف بأسم قصر المشني ، فنجد أن تصميمه سطيل ومساحته من الداخل نحو ١٥٤ متراً مربعاً ، وجوانبه الخارجية

تكتنفها أبراج نصف دائرية ، ويتوسط المدخل واجهه المبنى الجنوبية^(٢٥) ،
ويبدو أن المبنى لم يكتمل بنائه ، ويلاحظ أن المبنى من الخارج يحوى زخارف
بيزنطيه وهلينيه وساسانيه كلها محفورة على الحجر الجيري^(٢٦) . (لوحة ٤
شكل (٥)) وينشابه مع البناء السابق مبنى آخر يقع على بعد نحو ٦٠ كم
جنوب شرق قصر المشتى ويعرف بأسم قصر الطوبه . وتصميم المبنى مستطيل
طوله ١٤٠ متراً ، وعرضه ٧٣ متراً ، وفي كل زاوية من زواياه الأربع برج
مستدير وهناك سبعة أبراج في الجدار الجنوبي وبصفة عامة فإنه شديد الشبه
بقصر المشتى ولا سيما من حيث المروج وسقوف الأبنية ومواد البناء والتفاسيم
والزخارف^(٢٧) .

ومن خلال ما سبق نستطيع أن نخرج بالنتائج الآتية :

(١) أن معظم المباني التي عثر عليها كانت تقع على حافة الصحراء أى في
منطقة البادية وفي اتجاه الجنوب أى نحو عمق الجزيرة العربية . أنظر
خريطة (٣) .

(٢) تعد أسماء هذه القصور من العناصر التي لم يهتم بها من كتبوا حول
موضوع القصور الأموية وهى كلها أسماء ليست لها علاقة بأصحاب
الأبنية بقدر ما لعبت الصدفة عاملاً كبيراً في شيوعها .

فعل سبيل المثال نجد أن تشييد قصر الطوبة من الطوب جعل السكان
يعرفونه بهذا الاسم ، وأن قصر عمرا سمي بإسم الشخص العربي الذى
لفت نظر موزن إلى وجود البناء ، وكلمة قصر تعنى البناء ذو الطابق
الواحد ، وقصر المشتى هكذا نظراً لأن الرعاة في هذه المناطق كانوا
ينزحون مواشهم وأغنامهم ترعى في منطقة هذا القصر في فصل الشتاء
لأن موسم الأمطار يتخلف عنه في منطقة القصر أعشاب وحشائش
نسمح بالرعى .

أما المبنى المعروف بأسم حمام الصراخ فهى منطقة غير مأهولة
بالسكان يتردد فيها الصوت بقوة مما جعل السكان يسمون المبنى بأسم
حمام الصراخ ، أما قصرى الحبر ، فسمى هكذا نظراً لأن المناطق المحيطة

بهما بها أعداد كبيرة من الحيوانات ومن هنا أطلق أهالي المنطقة اسم الحير ، أى مكان تجمع الحيوانات وأما قصر الخزانة فسمى هكذا أيضاً من قبل سكان المنطقة خوفاً لشده حرارة الجو بانقرت من هذا القصر ، أما خربة المنية وخربة المنجر فكلمة خربة كناية عن المكان المبنى الصغير قد نسب أهالي المنطقة المكان إلى أقرب قرية منه . (لوحات ٥ ، ٦) .

أما قصر الحلابات ، فنظراً لوجود مرعى كثيرة في المنطقة توفرت فيها الأغنام فقد أطلق عليها السكان اسم « الحلابات » . وهكذا كانت كل الأسماء التي عرفت بها هذه الأبنية حديثة عليها قام بأطلاقها السكان في عصور اكتشاف هذه الأبنية . (لوحة ١ ، ٢) .

(٣) يلاحظ أن معظم المباني الصحراوية كانت تقع بالقرب من مصادر للمياه حتى الآن فعل سبيل المثال كشفت البعثات الأثرية عن آبار للمياه وخزانات بالقرب من المبنى الرئيسى لقصر عمر^(٢٨) . كما أن منطقة قصر الأزرق عبارة عن واجهة صحراوية بها العديد من البرك والبحيرات عند التقاء الحدود الأردنية السعودية^(٢٩) (وادى السرحان) .

كما أن منطقة قصر الخوثر بها بركة كبيرة للمياه^(٣٠) . أما قصرى الطوبة والمشتى فكانا إلى جوار مجموعة من الآبار ، بالإضافة إلى بركة زيزياء التي يعتقد أنها كانت المصدر الرئيسى للمياه بالنسبة لسكان قصر المشتى^(٣١) ، كما أن مصادر مياه قصر الحلابات فقد كانت تتألف من عدد من الآبار كبيرة وصغيرة ، وقد تم اكتشاف منطقة زراعية كانت تروى بنظام منطوق للرعى من أبنية وسدود تتحكم في توزيع المياه التي كانت تتجمع من التلال المحيطة بالمنطقة^(٣٢) .

(٤) يلاحظ أن المباني الصحراوية التي تنسب إلى الوليد الأول قرية الشبه من حيث التصميم ، من المباني الصحراوية التي ترجع إلى فترة ما قبل الإسلام وربما يرجع هذا إلى أن البنية الصحراوية تفرض نمط معين من البناء على سكانها ، كما أن طبيعة المادة الخام المتوفرة في هذه البنية تفرض استعمالها .

(٥) اختلفت تصميمات الأبنية التي شيدت في عصر هشام الثاني عن الأبنية السابقة من عصور الوليد الأول ، فقد كان هشام الثاني نادر الاستقرار في عاصمته دمشق بل كان دائم التنقل بين قصر الرصافة وقصر الحمير الشرق ، والملاحظ أن قصر الحمير كان يتصل بواحة قريبة بواسطة قناة للمياه يبلغ طولها نحو عشرة كيلو متر ، ومن هنا جاء الاعتقاد بأن هشام بن عبد الملك كان يقوم باصلاح الأراضي الزراعية عن طريق حفر قنوات للمياه .

(٦) يعتبر قصر الأخضر استمرار لفكرة القصور الصحراوية ولكن حسب النموذج الايراني في البناء فالبنى عبارة عن مجموعة متكاملة من الأبنية .
أنظر أشكال (٦ ، ٨ ، ٩) .

(٧) أن الآراء التي قيلت من قبل من قاموا بدراسة هذا الموضوع وخاصة فيما يتعلق بتفسير وظيفة هذه القصور وأسباب بنائها ، لم نستطع الاجابة عن هذا السؤال وانحصرت تفسيراتهم على أن هذه الأبنية كانت للهو والمتعة^(٣٣) ، بل ذهب البعض الآخر إلى أن هذه الأبنية كانت عبارة عن معار لسيوخ القبائل^(٣٤) ، أو أنها كانت مركزاً للمشرفين على استصلاح الأراضي الزراعية^(٣٥) .

فالحقيقة أن تفسير وظيفة هذه القصور تجمع فيما بينها كل الآراء السابقة ونلخص رأينا في هذا الموضوع فيما يلي :

أن هذه الأبنية كانت محطات صحراوية على مسافات متباعدة ، وللتطلع لخريطة تواجده هذه الأبنية يدرك تماماً أنها مراكز مزودة بوسائل المعيشة من مياه للإنسان والدواب ، وهي مختلفة الأحجام متشابهة التصميم تبعاً لأهمية المناطق الموجودة بها بالنسبة للطرق الصحراوية ، وبطبيعة الحال كانت القبائل القريبة من هذه الأبنية الصحراوية تعنى أمام خلفاء بني أمية عن حراسة هذه الأماكن والعناية بها ، وكان أمر طبعي أن يكون هناك استقرار لهذه القبائل حول هذه المراكز لحماية الطريق والمسافرين عليه ، والممكن زراعة الأراضي إذا ما كانت صالحة

للزراعة ويبدو أن هذه المناطق كانت تخدم الحجاج في طريقهم إلى الأراضي المقدسة ، وخاصة الحجاج . عن طريق الحج الثامن والعراق . ولا معنى استخدام هذه الأبنية لخدمة الحجاج أي نفى كونها صالحة كأماكن لاجتماعات الخلفاء مع زعماء القبائل أو قواد الجيوش ولا يتعارض ذلك مع قيام القبائل الموالية للأمويين بحماية حدود الدولة أو الاشتراك في الفتوحات أو الصراعات العسكرية في داخل الدولة أو قمع الاضطرابات فيها ، ولا يتعارض وجود تصاوير مختلفة تغطي السقف والجدران في قصر عمرا ذلك لأن هذه الأبنية قد تمت على يد صنّاع محليين ولذا غلب على أسلوبهم الطابع الهلنستي سواء في طريقة البناء أو طريقة الزخرفة . وتذكرنا هذه الأبنية بصفة عامة وخاصة في ارتباطها بمصدر للمياه بمحطات الحجاج على طريق الحج المصري والتي تمتد على طريق الساحل السعدي إلى الحجاز .

هوامش البحث

- (١) استعملنا لفظ الأبيية الصحراوية على اعتبار أنه لفظ لقصور الصحراوية لا ينطبق على كل هذه الأبيية .
- (٢) انظر خريطة رقم ٣ تبين مواقع هذه الأبيية الأثرية .
- (٣) من هذه الأسماء :
F.J. Bliss, Narrative of an Expedition of Moab and Gilead, Pefos 1895, S. 229 - 234.
Merrilu, East of the Jordan, London, 1881.
B. Tristan, the Land of Moab, London, 1873.
- (٤) يعتبر من أهم الأبيية الأثرية التي أفردت لها دراسات خاصة بها . أنظر :
A. Musil, K useiyir Amra, Wien 1907.
A. Musil, Palmyrena (American Geographical Society, Oriental Explorations and Studies, No. 4, New York, 1928, SS. 277 - 297.
A. Musil, Op. Cit., S. 134.
E. Herzfeld, Die Geseis der islamischen kunst und das Mshattia proplem, Der Islam 1 (1910), S. 27.
- (٥) H. Lammens, La Badiya et la Mira Sous les Omayyades, MFOB (٦) 4 1910, P. 91
K.A.C. Creswell, Early Muslim Architecture 1, Umayyads, Oxford, 1969.
- (٧) J. Sauvaget, Chateaux Umayyades der Syrie REI 35, 1967, P. 38.
Wellhausen, Das arabische Reich und sein Sturz, Berlin, 1980, P. 207
- (٨) البلازى ، فتوح البلدان ، لندن ١٩٦٦ ، ص ١٨٠ .
- (٩) كتب موريل في كتابه السابق الإشارة إليه عن حياة الوليد الثاني في الصحراء واعتماد موريل على كتاب الأعاني للأصفهاني حول مجائس الغناء والطرب التي كانت تقام في الصحراء .
- (١٠) حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام السياسي ، ج ١ ص ٣٣٥ .
المسعودى ، مروج الذهب ، ج ٢ ، ص ٩٤ .
الطبري ، ج ٨ ، ص ٢٨٩ ، ٢٨٩ .

- (١١) J. Wellhausen, Op. Cit., S. 194.
- (١٢) H. Gaube, Die Syrischen Wüstenschlösser, S. 205.
- (١٣) انظر لوحة رقم ١ .
- (١٤) F. Sarre und E. Herzfeld, Archeologische, Reise in Euphrat - und Tigris Gebiet, II, Berlin 1920, Abb. 156.
- (١٥) J. Sauvaget, Ghassanides, P. 117.
- (١٦) T. Noldeke, Fürsten, (Anm ! 16.), S. 24.
- (١٧) H. Gaube, Op. Cit., S. 196.
- (١٨) محمد محمود أديس ، رسوم السلاجقة ونظمهم الاجتماعية ، القاهرة ١٩٨٣ ، ص ١٤٠ ، ١٤١ .
- تمارا رايس ، السلاجقة تاريخهم وحضارتهم ، ص ١١٦ .
- (١٩) H. Gaube, An Examination of the Ruins of Qasr Burqua, (A.D.A.J.) P. 19.
- (٢٠) J. Wellhausen, Op. Cit., S. 141.
- (٢١) لانكستر هاردنج ، آثار الأردن ، ص ٢٠٠ .
- (٢٢) انظر لوحة رقم ٢٠٤.
- (٢٣) محمود العايدى ، آثار الأردن وفلسطين ، ص ٢٠٩ .
- كمال الدين سامح ، العمارة في صدر الإسلام ، ص ٤ .
- (٢٤) محمود العايدى ، المرجع السابق ، ص ٢٩ .
- (٢٥) المرجع نفسه ، ص ٢٠٢ — انظر لوحة ٤ شكل ٥ بالبحث .
- (٢٦) لانكستر هاردنج ، المرجع السابق ، ص ٢٠٥ .
- (٢٧) كمال الدين سامح ، المرجع السابق ، ص ٤٧ — انظر شكل ٤ بالبحث .
- (٢٨) لانكستر هاردنج ، المرجع السابق ، ص ٢١١ .
- محمود العايدى ، المرجع السابق ، ص ٢١١ .
- (٢٩) محمود العايدى ، المرجع السابق ، ص ٢١٥ .
- (٣٠) المرجع نفسه ، ص ٢١٧ .
- (٣١) المرجع نفسه ، ص ٢٠٣ .
- (٣٢) لانكستر هاردنج ، المرجع السابق ، ص ١٩١ .
- (٣٣) يعنى هذا الرأى عن غالبية علماء الآثار الذين كتبوا في هذا الموضوع .
- (٣٤) انظر : محمود البراهي حسين ، نظرية جديدة في نفس بناءه ووظيفة القصور الأموية ، الرياض ١٩٨٦ .

(٣٥) نظر فواز طوقان ، الحائر ، عمان ١٩٧٩ ، ص ١١٥ .
J. Sauvaget, Op. Cit., P. 1 - 52.

مراجع البحث

- حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام ، أربعة أجزاء ، القاهرة ١٩٦٤ .
دانيال شلومبرج ، قصر الحير الغربي (مترجم) ، بيروت ١٩٤٥ .
عفيف بهنس ، الفن الاسلامي والعرب في بداية تكونه ، دمشق ١٩٨٢ .
فريد شافعي ، العمارة العربية الاسلامية — ماضيها وحاضرها
ومستقبلها ، الرياض ١٩٨٢ .
فواز طوقان ، قصر الحائر ، عمان ١٩٧٩ .
كمال الدين سامح ، العمارة في صدر الاسلام ، القاهرة ١٩٨٢ .
لانكستر هاردينج ، آثار الأردن ، تعريب سليمان موسى ، الطبعة الثانية
عمان ، ١٩٧١ .
عمود ابراهيم حسين ، نظرية جديدة في تفسير نشأة القصور الأموية ،
الرياض ١٩٨٦ .
عمود العابدی ، الآثار الاسلامية في فلسطين والأردن ، عمان ١٩٧٣ .

A. Musil, Kuseir Amra, Wien, 1907.

D. Schlumberger, Les fouilles de Qasr el - Heir el - Gharbi, Syria 20, 1939

E. Herzfeld, Die Genesis der islamischen kunst und das Mshatta-
Problem, Der Islam (1910).

F. Altheim und Ruth Stechl, Die Araber in der Alten Welt, I Berlin,
1964.

F. Schachermayer, Alexander der Große. Das problem seiner
Persönlichkeit und seines Wirkens, Wien 1973.

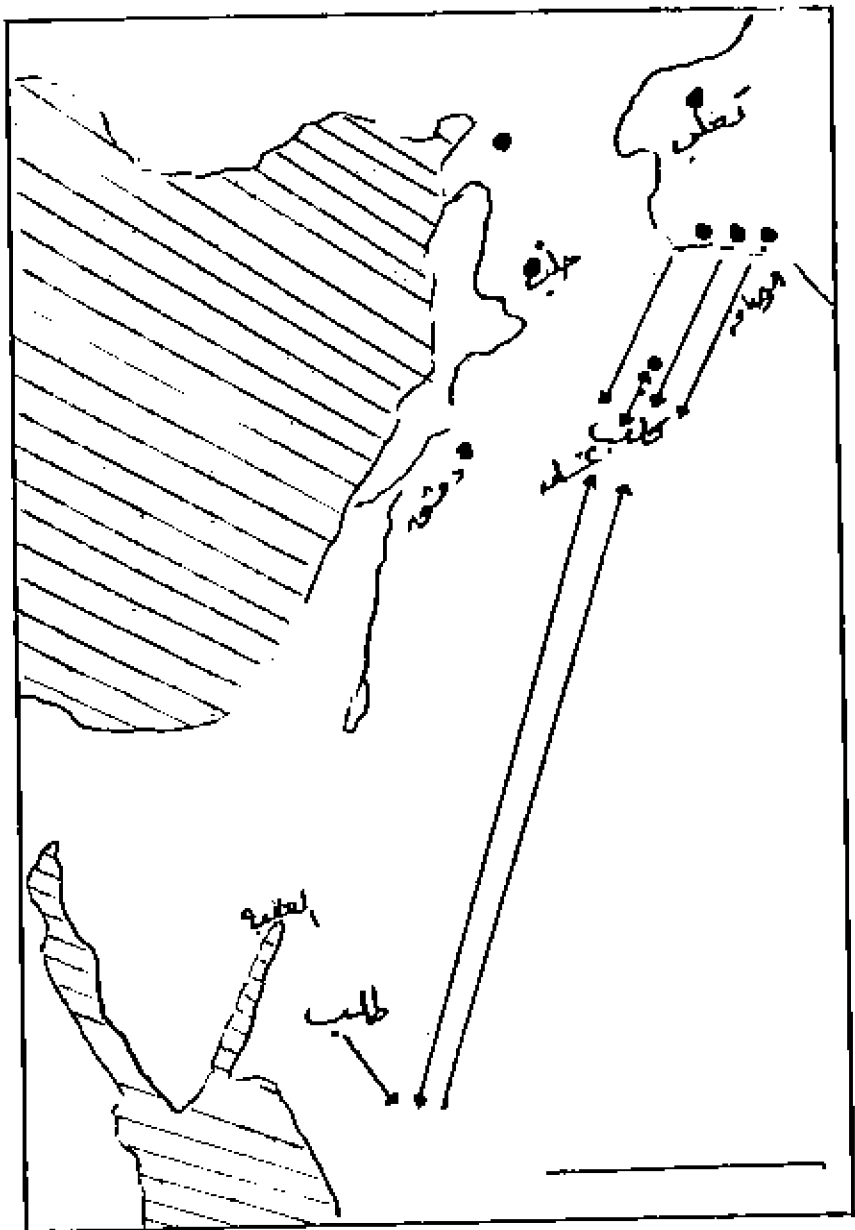
Heinz Gaube, Die Syrischen Wüstenschlösser, Wiesbaden 1979.

K.A.G. Creswell, Early Muslim Architecture I Umayyades, Oxford 1969

S. Merrill, East of Jordan, London, 1881.

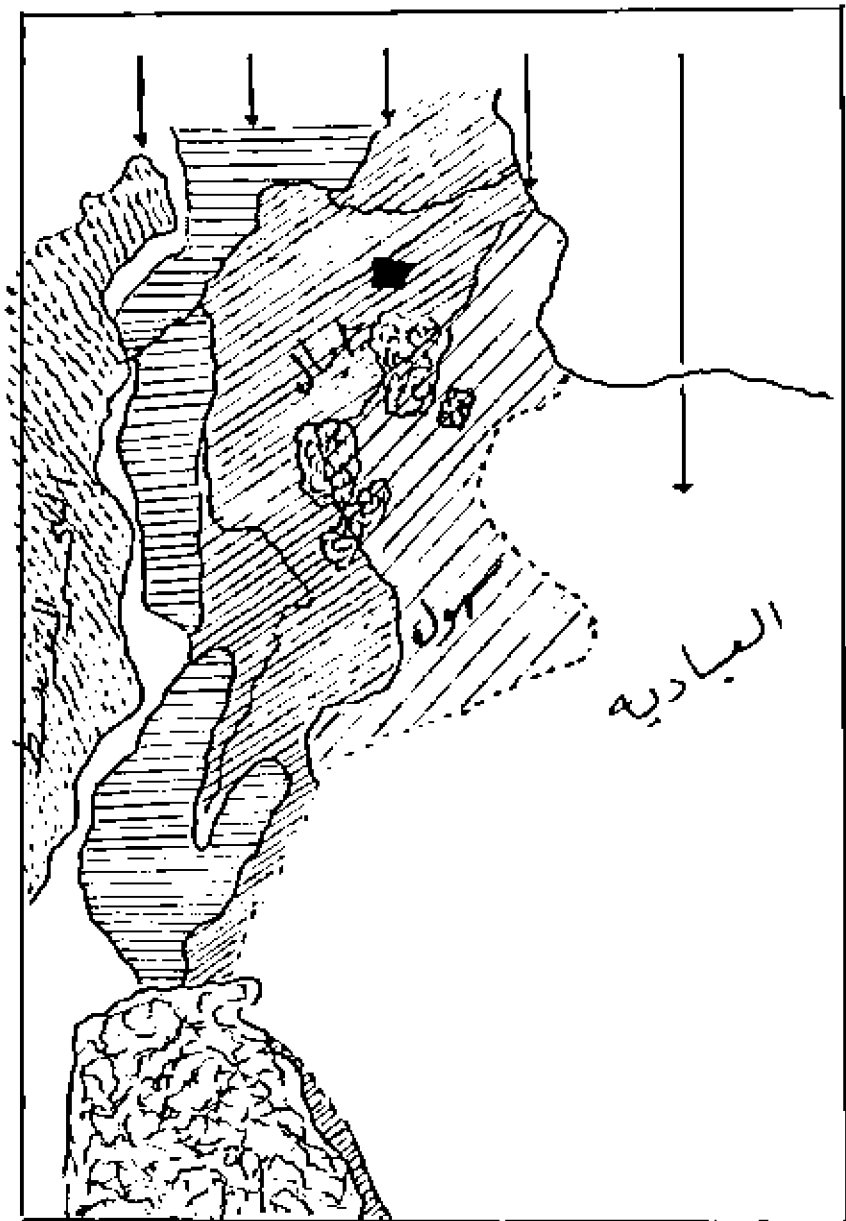
T. Nöldeke, Gesichte der Perser und Araber zur Zeit der Sasaniden
Leiden 1878.

شكل (١)



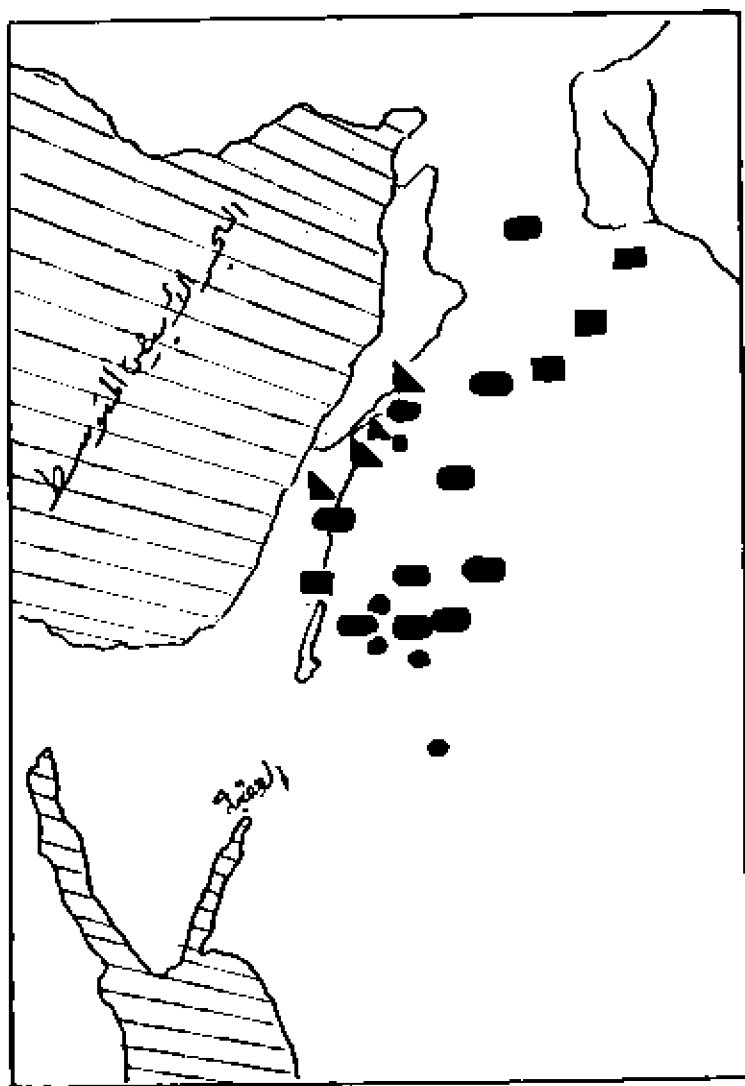
خريطة تبين القبائل الرئيسية في بلاد الشام

شكل (٢)



خريطة تبين المناطق الجغرافية الأربعة الرئيسية

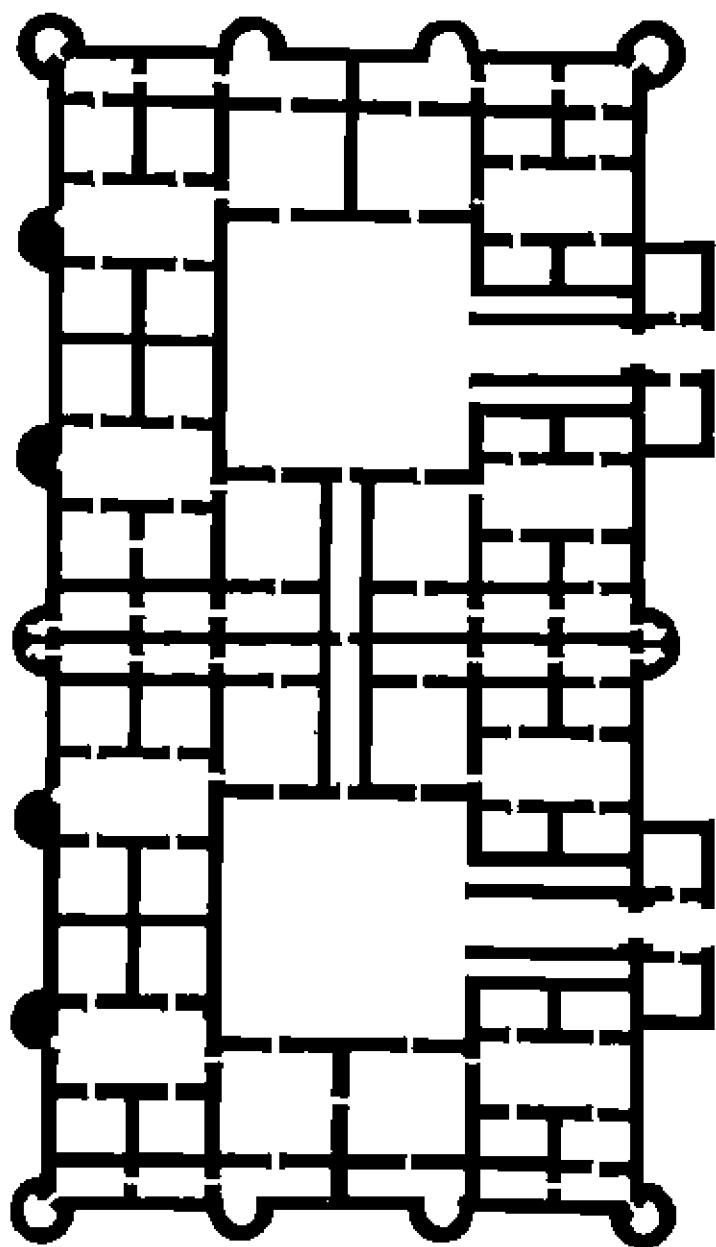
شكل (٣)



خريطة تين مواقع الأبنية الصحراوية في بلاد الشام

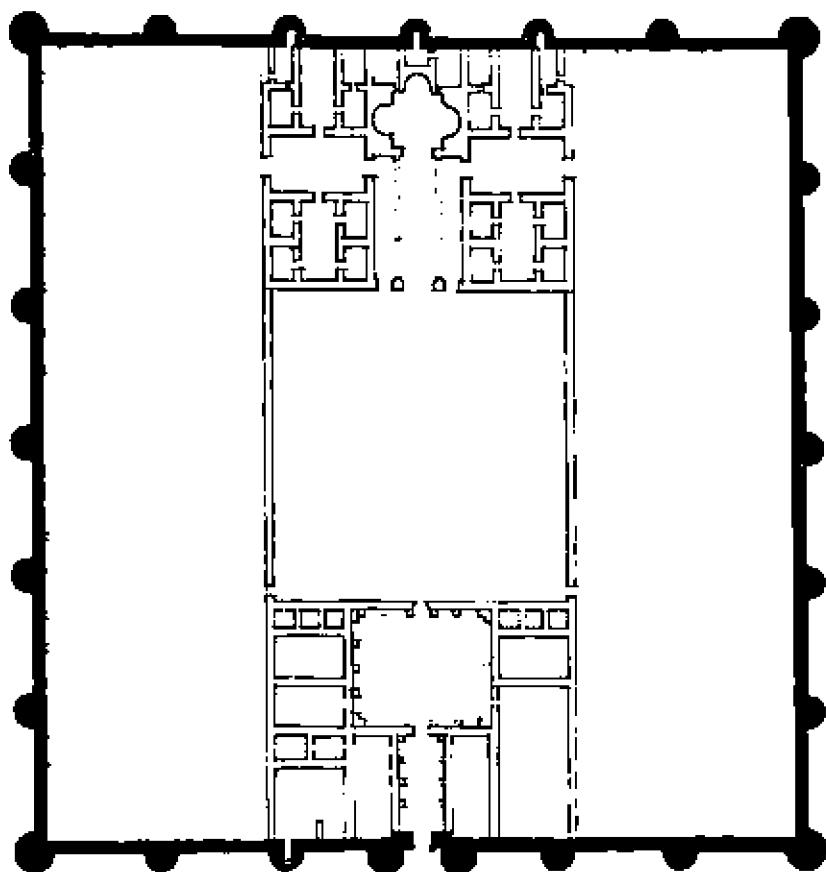
- ▲ منشآت عبد الملك
- ▬ منشآت الفريد الأول
- منشآت هشام
- منشآت متاعرة

شكل (٤)



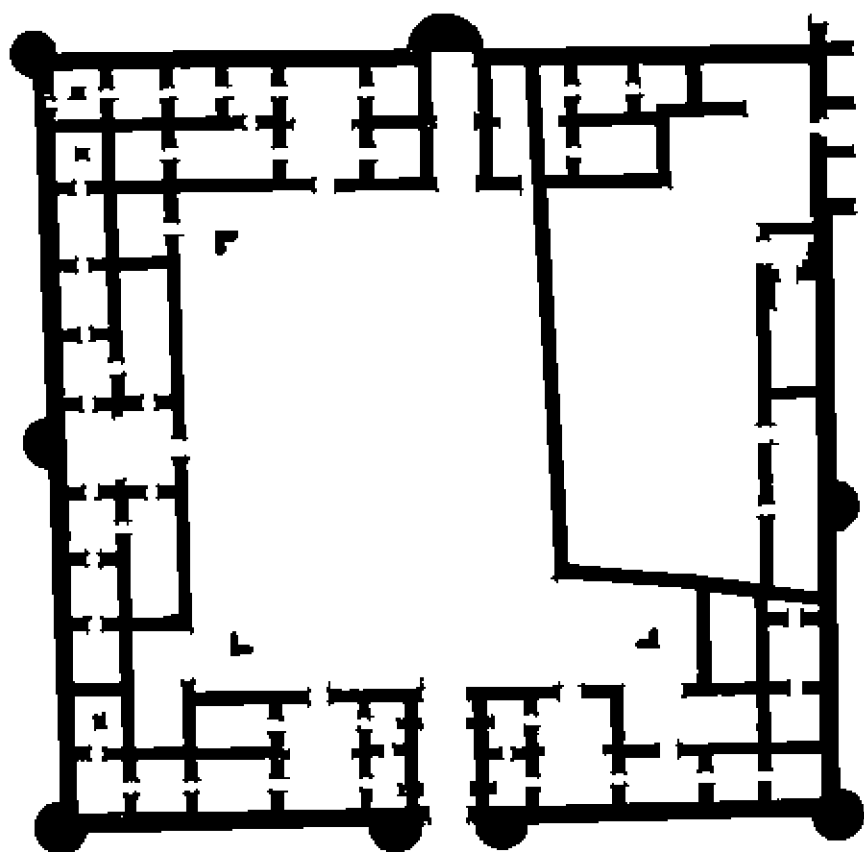
فصل الطرية

شكل (٥)



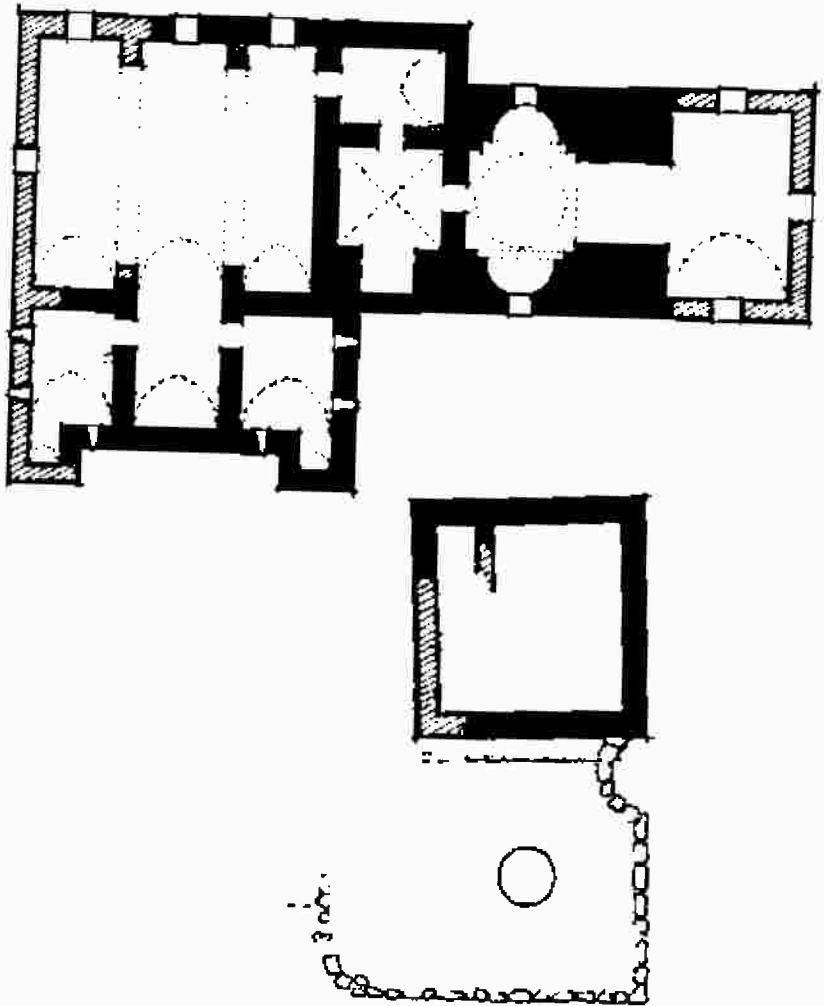
قصر الخدي

شكل (٦)



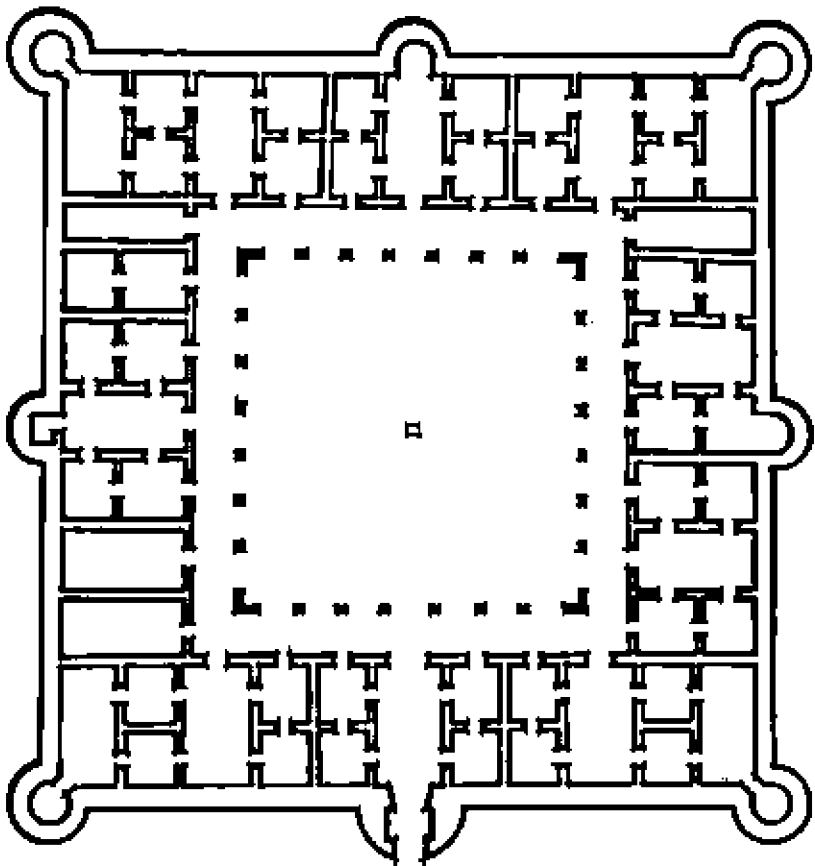
قصر الحمر الفريد

شكل (٧)



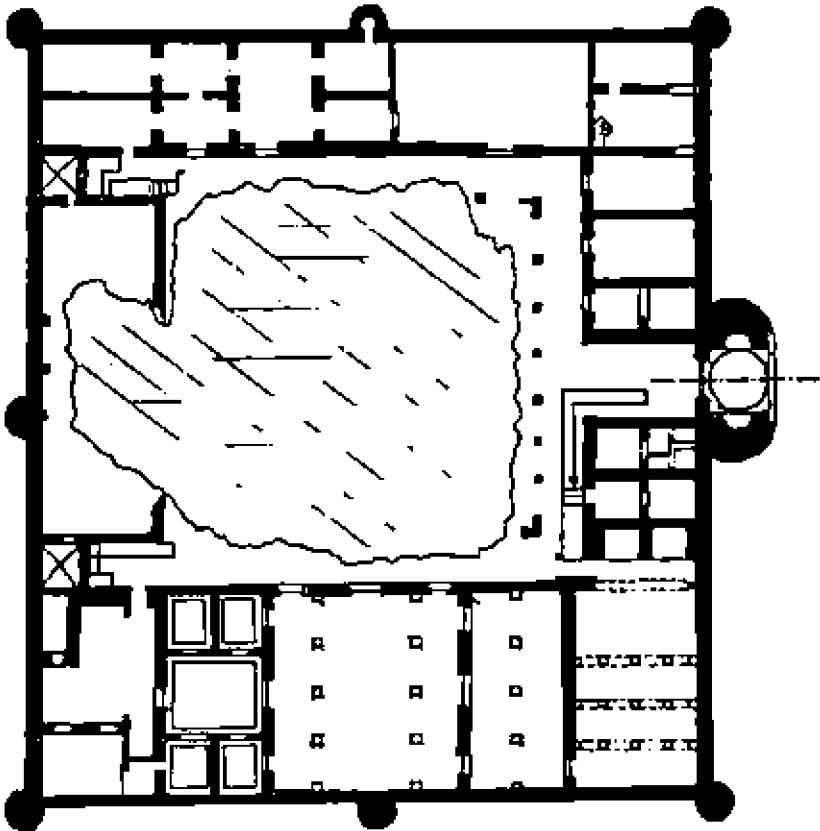
حمام الصراخ

شکل (۸)



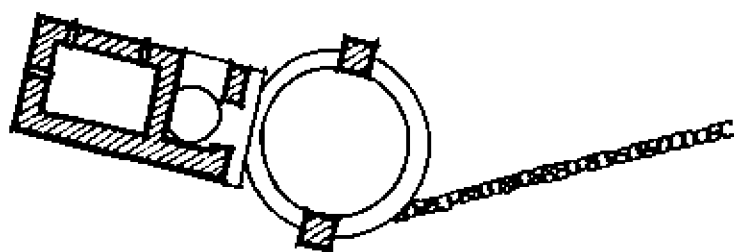
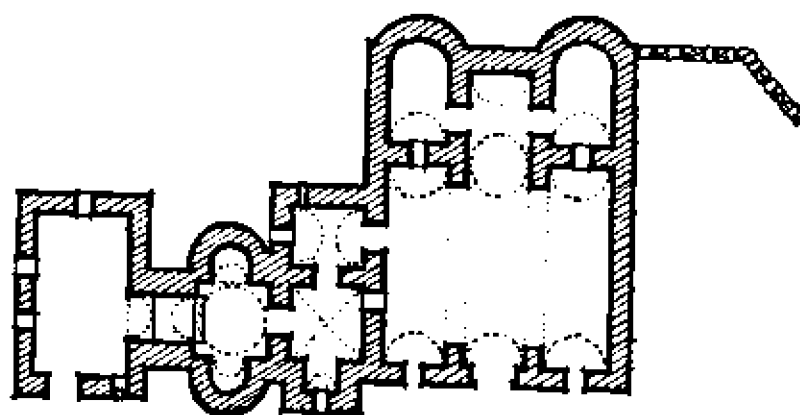
قصر امیر

شكل (٩)



فصل النية

شکل (۱۰)



فصل عمره

بحث عن : الأقواس التسعة
من خلال
مقابر الأسرة الثامنة عشرة في مصر القديمة

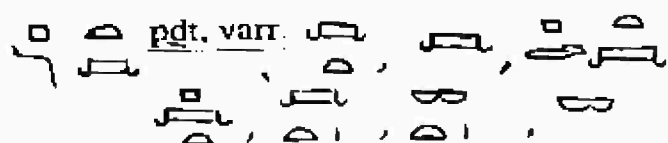
الدكتور

محمد علي سعد الله

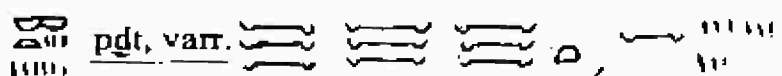
مدرس بكلية الآداب

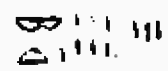
جامعة بنها

كلمة قوس في النصوص المصرية كانت تكتب هكذا منذ نصوص الأهرام :

(١) 

وفي الدولة الحديثة كان يضاف إليها أداة التعريف للمفرد المؤنث  أما كلمة الأقواس السبعة فقد كانت تكتب منذ الدولة القديمة :

(٢) 

وفي الدولة الوسطى ، كتبت الكلمة  وفي العصر اليوناني الروماني 

وفي بعض الأحيان كان يضاف إلى هذه الكلمة المخصص  (٣) للدلالة على شعوب الأقواس السبعة .

ويرجع مفهوم الأقواس السبعة كرمز سياسي لأعداء الياسة الداخلية والخارجية لمصر القديمة إلى عصور ما قبل التاريخ المصري ، وهو ما أكدته المصادر الأثرية حينما عكس الفن المصري القديم التطورات السياسية المستمرة للوصول إلى الوحدة بين مملكتي الشمال والجنوب وظهور أول دولة موحدة في العالم القديم ، حيث تم العثور في معبد مدينة إشن على مقمعة من الحجر

Wb. I, 569. (١)

Wb. I, 569. (٢)

 Varr. وفي العصر اليوناني والروماني كانت تكتب : Wb. I, 569.

Wb. I, 570. (٣)

الجبرى^(١) للملك العقرب صورته النقوش مرتدياً تاج الصعيد يؤدي بعض الأعمال المرتبطة بالزراعة والرى ورمزت إلى جهوده الحربية في أعلى المقصة مجموعة من حوامل رموز الآلهة وهى " ابن اوى وست ومين " إشارة إلى تأييدهم له في حروبه أو دليلاً على تحالف أنصارهم أو أقاربهم تحت رايته وتندلج منها حبال غليظة خلقت في بعضها طيور الرخيت (RHYT) وعلقت في البعض الآخر مجموعة من أقواس الحرب (شكل رقم ١) ويمكن الاستنتاج أن الأقواس وطيور الرخيت المتعلقة تمثل الإشارة أو الرمز لأعداء الملك العقرب المهزومين وخاصة أن بعض الباحثين يرى أن طيور الرخيت (الزفواق) ترمز إلى سكان الدلتا^(٢) ، بينما يرى البعض أنها ترمز إلى جهات من مصر الوسطى^(٣) ، بينما ترمز الأقواس إلى أهل الواحات والصحراء المجاورة وعلى أهل الدلتا الذين انتصر عليهم العقرب^(٤) وقيامه بعد ذلك بمتابعة الأعمال السليمة المرتبطة بالزراعة وهو ما عبرت عنه اللوحة .

كما عثر على قاعدة تمثال للملك زوسر (الأسرة الثالثة) من الحجر الجيري وعلى القاعدة تحت أقدام الملك تسعة أقواس وثلاثة من طيور الزقزاق باعتبار الملك زوسر المنتصر على ما تمثله الأقواس أو الطيور^(٥) (شكل ٢ أ ، ب) وخاصة أن عدد الأقواس التسعة دل على تقدير المصري القديم لتلك المحاولات السياسية الناجحة التى قام بها الملوك الأوائل في فجر التاريخ وبداية الوحدة السياسية التى حرص الملوك على ذكرها وتزيين قواعد تماثيلهم بها .

(١) مقصدة الملك العقرب التى عثر على أجزاء عديدة منها في معبد نخ ده النكاته المعينة والسياسة الكثرة لمعرك ما قبل الأسرات وعصر التأسيس . انظر

Quibell, J.E., Hierakonpolis, I, London, 1900, PL. cxxVIC, P. G.

Gardiner, A. H., Egypt of the Pharaohs, Oxford, 1961, P. 403. (٢)

(٣) عبد الجبر صانع : حضارة مصر القديمة وألوانها الجزء الأول ، القاهرة ، ١٩٨٠ ، ص ٢٢٢ .

Edwards, I. E. S., the Early Dynastic Period in Egypt, CAH, Vol. I, Part 2 A, PP. 5-6. (٤)

وكندا .

Gardiner, A.H., AEO, Vol. I, Oxford, 1947, P. 160

Gunn, B., Inscriptions from the Step Pyramid Site, ASAE, 28 (1928), PP. 186-187. (٥)

كذلك ذكرت الأقواس التسعة على جدران مقابر الملوك فيما عرف باسم « نصوص الأهرام » للإشارة إلى عالم البشر الخاضع للملك ، حيث نقش على جدران حجرة الدفن لهرم الملك ونيس آخر ملوك الأسرة الخامسة .

« لتجعل (الملك) ونيس يحكمم الأقواس التسعة
ويدير القرابين للآلهة التسعة (تاسوع اون هليوبوليس)^(١) .

والمثال / الآخر من نصوص الأهرام التي أمدتنا بمعلومات قيمة عن الديانة
الجزئية الملكية منذ أقدم العصور والتي تضمن السعادة للملك عند موته قوله :
« أنك تخرج على صوت أنويس لتقود الآلهة وتضع الأقواس بين
صولجانك ... »^(٢) .

وفي عصر الدولة الوسطى رأينا الملك « متوختب الثاني (الأسرة الحادية
عشرة) يصف انتصاره على التوبين والقبائل الليبية في الصحراء الغربية والبنو
في الشمال والشرق باعتباره قد أخضع أعداء مصر التقليديين « شعوب
الأقواس التسعة » أو الأقواس التسعة^(٣) .

وفي عصر الدولة الحديثة هناك أدلة أثرية عديدة منها تمثال بالهيئة الأوزيرية
للملك « تحوتمس الثالث » جالساً وقد تهشمت الرأس ، وقد وضع الملك قدميه
فوق الأقواس التسعة^(٤) ، وهناك تمثال آخر للملك « تحوتمس الثالث » يقرأ
بقدميه الأقواس التسعة (وقد اغتضب الملك رمسيس الرابع التمثال
لنفسه)^(٥) .

Pyr. 202 b = R.O. Faulkner, The Ancient Egyptian Pyramid Texts, Oxford, 1969, P. 30. (١)

Pyr. 796 C and 797 b = op. cit., P. 144. (٢)

Hayes, W.C., Internal History from the Rise of the Heracleopolitans to the Death of Ammenemes III, CAH, Vol. 3/2, P. 80. (٣)

PM II, 427 = Hornemann, B., Types of Ancient Egyptian Statuary, Vol. III, (٤)
Copenhagen, 1955, Pl. 772.

PM II, 168 = Darguet, P., Le Temple d'Amon-Ré à Karnak, le Caire, 1962, Pl. xxxix (٥)
(B), P. 272.

وكذا تمثال جماعي للملك استحوب الثاني والآله آمون جانين ويطآن بأقدمهما الأقواس التسعة^(١) كما عثر على قاعدة تمثال للملك « استحوب الثالث » عليها الأقواس التسعة وقد وضع الملك قدميه فوقهم (خراطيش استحوب الثالث مهشمة منذ عصر أخناتون)^(٢)، كما عثر بمعبد الكرنك على قاعدة تمثال للملك « استحوب الثالث » ، يطأ بقدميه الأقواس التسعة^(٣) أيضاً تمثال جماعي من الألبستر للملك « حور محب » وزوجته الملكة « موت نجت » صور على قاعدته الأقواس التسعة وقدمي حور محب وموت نجت فوقهما^(٤) كذلك عثر على رسم تخطيطي للأقواس التسعة في معبد الآله « موت » بالكرنك .

كما توجد الأقواس التسعة بنفس المفهوم التقليدي في كثير من قبور الأشراف بطيبة ، وخاصة منذ عهد الملك « تحوتس الثالث » ، وتظهر متتابعة كالآتي^(٥) :

- | | | |
|--|--------------|-------------------|
|  | H3w - nbw(t) | ١ — الحانوب |
|  | S3tiw | ٢ — النوبة العليا |
|  | t3 - Smi | ٣ — مصر العليا |

PM II, 105 - Jéquier, G., L'Architecture et la décoration dans l'ancienne Egypte, (١)
Tome I, Paris, 1920, Pl. 48 (2)

PM II, 116 - Legrain, G., Statues et Statuettes de rois et de Particuliers (Cat. Carte I, (٢)
Tome I, No. 42019, le cairé 1906, P. 12.

Pm. II, 244 - Pillet, M., "Rapports sur les Travaux à Karnak" ASAE 22, 1922, P. 68 (٣)
(37)

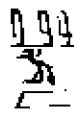
PM. II, 2 - Robicheon, C., Jeumont, J., et Bageot, P., Karnak Nord IV, BIFAO, 25, (4)
1954 Pl. Colch (A), Fig. 79, PP. 46-161 (23). Hart, R., Horendieher la Rine Moiried -
Jemel, Geneva 1964, PP. 198, 265-6.

Wildung, D., "Neubogen" LAIV, SP. 372

(٥)

وكذا :

Verckenier, J., Les Hypog., Nebout, BIFAO, 48, 1949, P. 131

- ٤ — مكان الواحات Shtiw - i 3 m 
- ٥ — مصر السفلى i 3 - m. hw 
- ٦ — الصحراء الشرقية Pgt iw - s' w 
- ٧ — الليون thnw 
- ٨ — النويون iwntiw - sti 
- ٩ — الاسيريون mntiw - 3w stt 

وبالرجوع إلى الأسماء الدالة على معنى الأقواس السبعة والتي تبدأ باسم الحانونوت « H 3 W-nbw (T) » يرى فور كيتيه أن الكلمات الجغرافية يمكن أن تغير معانيها خلال العصور سواء بالنسبة للمكان أو السكان وهذا ينطبق على كلمة « الحانونوت » ففي عصر ما قبل الأسرات يفترض أنها تعني رقعة الأرض المتصلة بالمستنقعات على حافة البحر عند الطرف الشمالي للدلتا المصرية وأن هذا المفهوم قد تطور بسرعة بسبب اختفاء الأجناس القاطنة بها نتيجة طردهم أو القضاء عليهم بمعرفة المصريين الذين كانوا يسكنون أرضاً حكمها الفرعون المصري أو على الأقل قرية بما يكفي لأن تدعى مصر أنهم تحت سلطانها .

والباحث في ضوء الأدلة الأثرية المتاحة حالياً لا يمكنه تأييد هذا الافتراض وفي عصرى الدولتين الوسطى والحديثة فإن الكلمة أصبحت تدل على السواحل الآسيوية البعيدة وبمجموعة الشعوب التي تسكن تلك المناطق الساحلية^(١) .

[Ibid, P. 108 FF.

(١)

• كند : جان فور كيتيه : قدماء المصريين والأفريق ترجمه محمد عل كمال الدين ، كمال دسوقي مراجعة محمد صقر حلفايج ، القاهرة ، ١٩٦٠ ص ٢٨ ، ٢٩ .

بينما يرى « جاردنر » وغيره من العلماء أن كلمة « إجاونبوت » والتي جاء ذكرها في النصوص المصرية منذ عصر الدولة القديمة يمكن تفسيرها بمعنى سكان جزر البحر المتوسط كذلك استناداً على ورود الكلمة في نصوص الأهرام (الفقرة 629. b) dbn phr فالكلمة يمكن أن تفسر بسكان جزر بحرايمه^(١) والعلاقة بين مصر وسكان جزر البحر المتوسط علاقة قديمة ، وكما يرى هول وغيره من العلماء امكانية وجود هذه العلاقة وإرجاعها إلى عصور ما قبل الأسرات ولكن بسبب صعوبة التاريخ الدقيق للأشياء التي تم العثور عليها سواء في مصر أو في تلك الجزر فإنه لا يمكننا أن نؤكد وجود هذه العلاقة في تلك الفترة ، إلا أنه يمكننا التأكيد على وجود هذه العلاقة واستمرارها بدءاً من عصر الدولة القديمة^(٢) ولعل اللقب الذي حملته الملكة « ايمح حنوب » باعتبارها سيده الحاونبو^(٣) يعد دليلاً على طرد الهكسوس لحد ليل واضح على قدم العلاقات بين مصر وسكان هذه الجزر واستمرارها على مر العصور تلك العلاقة التي لم تكن عائقاً طبيعياً ، كالبحر المتوسط الذي يمثل عائقاً بين المصريين وسكان تلك الجزر وخاصة أن الحاجة الاقتصادية كان لها أثرها في إقامة العلاقات بين الجانبين سواء حاجة مصر إلى الفضة والأخشاب النادرة فيها مقابل حاجة هذه الجزر إلى الحبوب المتوفرة في مصر القديمة^(٤) .

والعلاقة بين مصر وبلاد النوبة علاقة قديمة أزلية منذ عصور ما قبل التاريخ لاحتلال انتباههم إلى نفس الجنس الحامي ، يوضح ذلك التشابه في عادات الدفن في عصر ما قبل الأسرات الأول ثم بدأ الاختلاف منذ عصر الأسرات الأوسط وما بعده في عصر ما قبل الأسرات الأخير حيث تقدمت الحضارة في مصر ولم

(١) Gardiner, A.H., AEO. Text. Vol. I, Oxford. 1947, PP. 206-207

(٢) Hall, H.R., The Relations of Aegenn With Egyptian art. JEA. Vol. 1, 1914, PP. 110-111.

وكذا : جان فوركنه ، المرجع السابق ص ٤٤ .

(٣) عن الآراء المختلفة لهذا اللقب انظر :

James, T.G.H., Egypt From the Expulsion of the Hyksos to Amenophis I, CAH, Vol. II, 1, P. 301.

(٤) جانك فوركنه ، المرجع السابق ، ص ٢٣ - ٢٤ .

تستطع بلاد النوبة أن تلحق بذلك التقدم الحضارى فى الشمال الذى وضع تماماً مع نهاية الأسرة الثالثة فى مصر^(١)، واعتبر المصريون منطقة النوبة السفلى القريبة من أسوان جزءاً متمماً لحدودهم الجنوبية، ورغبة فى تأمين الحياة عندها والحد من شغب قبائلها غير المستقرة ربما بسبب طبيعة البلاد الجغرافية التى أصيبت بالجفاف والفقر مما دعاها إلى تكرار مهاجمة القوافل والبعثات المصرية ومناطق الاستقرار القريبة منها فى مصر العليا^(٢)، ولقد استمر ملوك مصر منذ عصر بداية الأسرات فى اتباع تلك السياسة وهو ما تدعمه الأدلة الأثرية حيث عثر فى أيلوس على بطاقة أبوسية للملك «عحا» (الأسرة الأولى) سجل فيها انتصاره على النوبيين^(٣)، وتابع خليفته الملك «جر» تلك السياسة حيث عثر فى أجلى الشيخ فى الجانب الغربى من النيل بالقرب من «بوهن» على لوحة صخرية (شكل رقم ٣) تحمل اسم الملك وفيها يظهر أسيراً جالاً أمام سفينة من طراز عصر الأسرات فى مصر ويده مقيدتان خلف ظهره ويشتفى حبلى حول عنقه وأسفل السفينة نحد أجساداً غرق للعدو المهزوم ووجه نوى موجه إليه سهم ودائرتين على شكل المذن  على أحدهما صقر وعلى الأخرى المشيمة الملكية يرمزان إلى مدن تم الاستيلاء عليها بواسطة الملك «جر»^(٤) الذى أكد بنقشه هذا اهتمامه بهذه الأنحاء.

(١) Edwards, I.E.S., The Early Dynastic Period in Egypt, CAH, Vol. I, 2 A, P. 50.

وكذا:

Drower, M., Nubia A Drawing land, London, 1970, P. 16.

(٢) عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص ٣٨٨.

(٣) Edwards, I.E.S., op. cit., P. 50.

وكذا:

Petrie, F., The Royal Tombs of the Earliest Dynasties Vol, II, London, 1913, Pl. XI.

Drower, M., op. cit., P. 17.

(٤)

وكذا:

Emery, W.B., Archaic Egypt, Edinburgh, 1963, PP. 59-60.

وكذا:

Arkell, A.J., Varia Sudanica, IEA, Vol. 36, 1950, PP. 27-30.

وفي عصر الدولة القديمة أرسل سفرو (الأسرة الرابعة) حملة عسكرية عادت ومعها سبعة آلاف أسير ومائتي ألف رأس من الماشية^(١) ، وبذلك ضمن بحملته التأديبية هذه استقرار الأمور وورود منتجات بلاد النوبة وبصفة خاصة الأبنوس والعاج مقابل الأولي الخرفية المصنوعة في مصر^(٢) فضلاً عن تشجيع البعثات السلمية وظهور رحالة ارتادوا الجنوب أمثال : « خرخوف » ، « ببي تحت » وغيرهم ، ونابع من ذلك مصر في عصر الدولة الوسطى جهودهم العظيمة في السيطرة على بلاد النوبة وهناك نقش على شقفة عثر عليها في البلاص بمصر العليا وفيها يسجل الملك متوحتب الثاني (الأسرة الحادية عشرة) أنه جمع في إعادة اخضاع « ووات » (النوبة السفلى) إلى مصر^(٣) ، أيضاً عثر على نص في « كورسكو » (جنوبي دنقلة) يؤرخ بالعام التاسع والعشرون من حكم امنمحات الأول (الأسرة الثانية عشرة) يؤكد سيطرته على النوبة السفلى^(٤) ، وواصل سنوسرت الأول سياسته واهتمامه بالنوبة العليا حتى « كوش » بعدة حملات ناجحة أهم نتائجها الاقتصادية ورود الذهب من تلك الانحاء^(٥) ، وحينما تعرضت منطقة النوبة لتحركات بشرية هددت النفوذ المصري فيها في عهد « سنوسرت الثالث » (الأسرة الثانية عشرة) مما جعله يواجه ذلك بالقوة وبعد أن أمن خطوط اتصالاته بشق الشرق أو إعادة تطهيرها فإنه قاد أربع حملات عسكرية كانت الأولى في العام الثامن من حكمه حيث بدأ حملته من كوش والثانية في العام العاشر من حكمه ، وفي حملته الثالثة في العام السادس عشر ، نجح في دفع العدو وحرق حقوله ودمير منشآته وفي حملته الرابعة في العام التاسع عشر من حكمه قضى الملك حوالي ثمانية شهور تقريباً بين قواته حتى حقق نصره النهائي وقضى على عدوه وسجل أخبار انتصاراته على قلعة سمينة قائلاً : « أنه حدد حدوده لمنع أي بوني من عبورها

Garland, A., Egypt of the Pharaohs, Oxford, 1961, P. 78.

(١)

وكذلك
محمد يوسف مهدي : دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم ، ج ١ ، الاسكندرية ١٩٨٢ .
ص ٤٧٨ .

Edwards, I.E.S., Op. Cit. P. 51

(٢)

Kemp, B.J., Ancient Egypt, A Social History, Cambridge, 1993, P. 130.

(٣)

Ibid., P. 130

(٤)

Vercauteren, J., The Near East, the Early Civilizations 1967, P. 165

(٥)

سواء بواسطة البر أو البحر فيما عدا النوى القادم بغرض التجارة في (منطقة)
يقص « *Wiken* » أو إذا كان قادماً في مهمة رسمية ... » (لوحة برلين رقم
14935) (١).

وهكذا أثمرت جهود الملوك في عصر الدولة الوسطى في فرض نفوذ مصر
وسلطانها على منطقة النوبة وفي عصر الدولة الحديثة استمر وضع بلاد النوبة
كجزء متمم لمحدود مصر الجنوبية وزاد الاشراف الادارى والحضارى عليها
وليس ذلك مجال هذا البحث لسرد تفاصيله ولكن ما يهم الباحث أن يوضحه
أن منطقة النوبة كانت دائماً جزءاً من تراث مصر وتاريخها ولذا ذكرت ضمن
الأقواس التسعة للفرعون المصرى المنتصر على أعدائه .

أما عن الليبيين أو التحو *thnw* كما جاء ذكرهم في الأقواس التسعة فلقد
سكنوا الجزء الملاصق للدلتا من الناحية الغربية ومن ناحية الأصل ربما ينتمون
إلى نفس جنس المصريين ، وإن كانوا يعتبرون أجناب عنها (٢) ، وتفق ملاحظهم
مع ملاحظ المصريين ، بشرتهم حمراء داكنة (٣) كذلك التشابه في التزيى في العصر
المبكر في كلا الجانبين ، وتميز اللبى بغضلة الشعر التى تتدلى من أحد جانبي
رأسه ويغمد عورته في جراب وذيل الحيوان معلق من خلف أو أمام النقرة (٤) ،
كما أخذوا بعض الأسماء المصرية (٥) ، كما أطلق عليهم « حاتيوعا » *h 3 tiw - c*
وهى كلمة مصرية تعنى (أمير) (٦) ، وعلاقة الليبيين بمصر علاقة قديمة
 ويفترض « أدوارد » أن التقسيم بين الشعبين المصرى واللبى قد حدث نتيجة
عدم الخضاع « الحاق عا » بواسطة ملوك مصر العليا عند توحيد مصر في بداية
العصر التاريخى (٧) وهو افتراض لا تدعمه الأدلة الأثرية ، وكما يرى الدارس فإن

Ibid , PP. 376 - 377

(١)

Gardiner, A.H., Egypt of the Pharaohs, P. 33

(٢)

Edwards, I.E.S., op. cit., P. 47.

(٣)

Ibid . P. 47

(٤)

عن أوجه التشابه في التزيى والأسماء والقرصات ، انظر :

Osing, J., "Libyen, Eber", LXIII, SP. 1020

(٥)

Edwards, I.E.S., op. cit., P. 47.

(٦)

Gardiner, A.H., A.O.D. Vol. I, P. 117.

(٧)

Edwards, I.E.S., op. cit., P. 47

(٧)

علاقته بين الجانبين علاقة قديمة تراوحت بين السلم والحرب حينما كانت تدفعهم ظروف الجفاف أو اضطراب الأحوال السياسية في مصر إلى الضم في غيراتنا فنقوم برد غاراتهم وتآديهم ، وهو ما عبرت عنه الآثار المشتملة إلى عصر ما قبل الأسرات وبداية العصر التاريخي حيث تشير نقوش صلالة ، الحصون والغنائم ، الملك يعتقد أنه العقرب الذي صور رمزه ضمن الرموز المقدسة ، وفيها غنائم الحرب التي حصل عليها وضعتها صفوفاً للماشية ، تحفا أشجار زيتية صمغية كتب تحفا عبارة تحمى إشارة إلى هذه الأنحاء الليبية ونجاح الملك في تأديها والاستيلاء على ما تجود به من مراعى وأشجار^(١) كذلك عثر على نقوش لكل من الملك « نعرمر » ، « جر » (الأسرة الأولى) تسجل انتصارات مصرية على الحدود المصرية الليبية لتأمين الحدود من ناحية الغرب^(٢) ، كما عثر على بعض الأواني الحجرية في « نخن » للملك « خع سخم » (الأسرة الثانية) يمثل عليها الاله « نخت » على شكل نسر قابضه باحدى قدميه على دائرة رسم بداخلها كلمة بش Besh بمعنى الثوار أو العصاء وممكة بالقدم الأخرى على رمز وحدة مصر العليا ومصر السفلى وعلى قطعة أخرى تمثل جزء من أسير راكع على منصفه تنهى برأس رجل أجنبي على رأسه قوس (شكل ٤) وفي أسفل المنظر يوجد اسم الملك مع عبارة « منضع البلاد الأجنبية »^(٣) وهناك احتمال أن يكون المقصود بكلمة العصاء أو الثائرين في اللوحة إنما معنى أحد الشعوب الليبية المجاورة للكاب ناحية الجنوب الغربى أو إحدى الجماعات الليبية الموجودة في الشمال الغربى بالقرب من الفيوم^(٤) .

(١) عبد العزيز صالح : حضارة مصر القديمة وآثارها ، ص ١٠٠ ص ٢٢٩ .

Breasted, J.H. : A History of Egypt from the Earliest times to the persian Conquest, (٢) London, 1906, P. 47.

وكذا

Vercoutter, J., Op. Cit., P. 268

Quibell, B.A. Hierakonpolis, I, P. 7, Pl. xv

Emery, W.B., op. cit., PP. 99 - 100

(٣)

وكذا

Quibell, B.A., op. cit., P. 11, Pls. XXXVII, XXXVIII

Edwards, I.E.S., op. cit., P. 33

(٤)

وفي عصر الدولة القديمة نقش الملك « ساحورع » (الأسرة الخامسة) على جدران معبدته الجنزى الإلهة « سشات » إلهة الكتابة وهي تسجل أعداد الماشية التي استولى عليها الملك كما يظهر في النقش روعة وأبناء الملك الليبي واسماؤهم الخاضعين للملك المصري بعد هزيمتهم واستسلامهم^(١) ، وفي عصر الدولة الوسطى رأينا الملك « متوحتب الأول » (الأسرة الحادية عشرة) يرسل إليهم أكثر من حملة نجحت أحدها في قتل قائد التحنر وتمكنت من وضع حد للفوضى والاضطرابات على حدود مصر الغربية منذ نهاية عصر الدولة القديمة^(٢) ، وهو ما يراه هيز « Hayes » أنه قد حدث في عهد متوحتب الثاني الذي وصف انتصاره على القبائل الليبية في الصحراء الغربية باعتباره قد أخضع أعداء مصر التقليديين « الأقواس التسعة »^(٣) كذلك نجح فراعنة مصر في عصر الدولة الحديثة في إقامة الحصون وقيادة الحملات لكسر شوكة الجماعات الليبية من المشوش والريو وتأمين الحدود الغربية لمصر من اعتداءاتهم المتكررة .

ولم تقتصر العلاقة بين مصر والليبيين على الجانب الحربي وإنما كانت هناك أيضاً علاقات سلمية حيث ذكر حرخرف على جدران مقبرته في أسوان نجاحه في رحلته الثالثة في التوسط بين أحد رؤساء قبائل النوبة « أيام » والتحمو « المنتشرة في طريق الواحات غرب النيل وتمتد حتى واحة » سلمية « على أقل تقدير فعمل على اصلاح ما بينهما وبذلك ضمن تأمين وصول تجارة مصر دون اعتراض من أحد ، أيضاً ما قام به « وني » من تجنيد بعض سكان الصحراوات الغربية من قبائل « التحمو » الليبية^(٤) ولعل الدافع الاقتصادي كان ضمن

(١) Smith, W.S., The old Kingdom in Egypt and the Beginning of the First Intermediate period, CAH, Vol. 1, P. 2. 142.

وكذا

Vercoeur, J., op. cit., P. 295.

Ibid., P. 350.

(٢)

Hayes, W., Internal History From the Rise of the Heracleopolitans to the Death of Ammenemes, CAH, Vol. 1, P. 2 P. 480.

(٤) عبد العزيز صالح ، الشرق الأدنى القديم ، ج ١ ، القاهرة ١٩٨٠ ، ص ١٤٥ .

Breasted, J.H., BAR, Vol. 1, Chicago, 1906, PP. 152, 153.

الأسباب الهامة للاهتمام بتلك الأنحاء وخاصة حاجة مصر إلى زيت التاجر ، وفي الدولة الحديثة استوردت الريش بالإضافة إلى الماشية والأغنام التي توفرت بكثرة في بعض الفترات وهناك احتمالية قيام الليبيين بدور الوسيط التجاري بين مصر وجنوب أفريقيا^(١) .

أما من ناحية الشرق والشمال الشرق حيث الطريق من مصر إلى سورية بمعناها القديم وفلسطين في الجنوب والطريق منها وإليها يمر بشمال شبه جزيرة سيناء ، فلقد دلت الدراسات والأبحاث التاريخية والأثرية عن وجود اتصالات بين مصر وهذه الأنحاء منذ عصر ما قبل الأسرات ففي الناحية الاقتصادية والحضارية مع فلسطين فلقد عثر على عدد من الأواني الفخارية ذوات الأبدى الموجة في المعادى وجزره ونقادة وغيرها ترجع في أصولها إلى فلسطين في جريكو (أريحا) والطبقة الثامنة عشرة في بيت شان^(٢) وكما يرى « فوركنيه » فإن مصر قد تبادلت منتجاتها مع جيرانها وبصفة خاصة فلسطين وأنه مع مجيء عصر التأسيس في مصر فإن هذه العلاقات الاقتصادية قد ازدادت بدليل العثور على كثير من الأواني الحجرية تحمل اسم « نعرمر » في عدة أماكن من سوريا وفلسطين^(٣) أيضاً فإن عمليات التنقيب والحفائر في ييلوس قد دعمت أدلة وصول المنتجات المصرية إلى سورية حيث عثر في أرضية أحد المعابد على سكانين حجرية وخززة ذهبية وقطعتي لعب يمكن ارجاعها لفترة ما قبل الأسرات في مصر^(٤) ، ولعل العامل الاقتصادي كان هو الهدف الأساسي من إرسال البعثات إلى سورية وفلسطين وخاصة للحصول على أخشاب الأرز الذي عثر على بقايا منه في مقابر البداري^(٥) ، كما ذكرت أخشاب الأرز ضمن نقوش الملك « عجباب » (الأسرة الأولى)^(٦) ، كذلك لعل وفرة الأثار

Osing, J. : 'Lehyen, Labyer', I.A. III, Sp. 1020.

(١)

(٢) . شيد النخوري : جنوب عرب آسيا ، شمال أفريقيا ، الكتاب الأول ، بيروت ، ١٩٦٨ ، ص ٢١٠ .

Vercouter, J. : The Near East, P. 269

(٣)

Edwards, I. E. S., op. cit., PP. 45, 231.

(٤)

(٥) . شيد النخوري : أقاليم صلات حضارية بين مصر والبلاد مجلة كلية الآداب ، الإسكندرية ، ١٩٦٨ ، ص ٥ .

Edwards, I. E. S., op. cit., P. 46

(٦)

انفصرة التي عثر عليها في ييلوس تدل على أن الانتقال في البداية كان يتم بحراً لأن الانتقال البرى كان محفوفاً بالمصاعب ، وليس من المستبعد أيضاً أن يكون الملوك الأوائل في عصر بداية الأسرات قد اهتموا بالطريق البرى عبر سيناء وفلسطين ، سواء للحصول على النحاس والفيروز من سيناء أو لتمية التجارة مع ييلوس^(١) ، ويرى بعض العلماء أن الملوك الأوائل قد اضطروا لاستخدام القوة لتأديب بعض مثيرى الشغب في سورية وفلسطين وبنو ميناء ، وقد تكون لوحة نمرمر دليل على تلك العمليات التي نفذها في تلك الاغناء وخاصة ضد المدن الفلسطينية المحاطة بالأسوار كما عثر على قطعة فخارية من اثناء مصرى في تل الشيخ العربي (جنوب فلسطين) عليها اسم نمرمر^(٢) ، يدعم ذلك الشواهد الأثرية لخلفاء نمرمر حيث يشير حجر بالرمو إلى قيام الملك « جر » بإرسال حملة عسكرية لضرب السيه « Setjet » وهو اسم ربما كان يطلق في بداية الأسرات على ميناء ثم أصبح فيما بعد يطلق على غرب آسيا ، أيضاً على لوحة عاجية للملك « دن » (وديمو) تمثله يهوى بمقمعته على راس أحد زعماء البدو ، واللوحة نقش عليها عبارة « المرة الأولى لضرب الشرقيين » ربما إشارة لتأديبه للبدو في ميناء أو للبدو في الصحراء الشرقية^(٣) وربما ما ورائها أيضاً^(٤) لتأمين طرق القوافل والبعثات التجارية التي اعتادت مصر إرسالها إلى شبه جزيرة سيناء والصحراء الشرقية ولعل المقصود بعبارة الشرقيين تلك الشعوب المسماة بالأيوينتيو Twntiw التي جاء ذكرها في السطر الثالث من حجر بالرمو والتي أكدت بطاقات الملك عنعجاب انتصاره عليهم^(٥) .

كما تشير الأدلة الأثرية في عصر الدولة القديمة على نجاح ملوكها أيضاً في إرسال البعثات السلمية والعسكرية إلى تلك المناطق ومن هذه الأدلة ما سجله الملك ساحورع (الأسرة الخامسة) على جدران معبدته الجزى للسفن العائدة من سورية بالتجارة والاسيويين عليها وأسفلحتهم مرفوعة ولاء للملك

Ibid., PP. 46, 235.

Devaux, R., Palestine in the Early Bronze Age, CAH, Vol. I, P. 2 P. 235.

Imery, W., Archaic Egypt, P. 74.

(٤) عبد العزيز صالح - الشرق الأول القديم ، ج ١ ، ص ٩٤ .

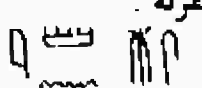
Edwards, I.E.S., op. cit. , P. 27.

المصري^(١) ، وهناك نقش آخر في مقبرة « نسي Insi » في دثاشه يمثل استيلاء أحد ملوك الأسرة الخامسة على حصن أو مدينة كنعانية^(٢) وفي عصر الأسرة السادسة تزايد تهديد الآسيويين لحدود مصر من ناحية الشمال الشرق الأمر الذى عبر عنه « ولى » على نقوش مقبرته بأبيدوس حيث عهد إليه « بى الأول » بقيادة خمس حملات أحدهما كانت مشتركة بين القوات البرية والبحرية وكان النصر حليفه في كسر شوكة الآسيويين^(٣) .

ويمكن القول في إيجاز أن ملوك مصر منذ بداية الأسرات قد اهتموا بتأمين طرق القوافل المتجهة إلى الشمال الشرق ، كما غلبوا في التصدى لغارات الطامعين والآسيويين .

أما عن ورود أسماء مصر العليا ، مصر السفلى ، الصحراء الشرقية وسكان الواحات ضمن الأقواس التسعة ، فإن هذا يعنى سيطرة الملوك الفراعنة على هذه الأجزاء ، ومن ناحية أخرى فهى انعكاس لأحداث الصراع والحروب منذ عصور ما قبل الأسرات حتى انتهى الأمر بقيام أول الأسرات الفرعونية .

ولقد قام الباحث مستعيناً بكتاب PM بدراسة مقابر الأسرات في طيبة المنتمية إلى عصر الأسرة الثامنة عشرة والتي صور على جدرانها الأقواس التسعة اعتباراً من حكم الملك تحوتمس الثالث حتى حكم الملك « امنحتب الرابع » (أختاتون) وبينها كالاتى :

المقبرة رقم ٤٢ وموقعها الشيخ عبد القرنه :

 صاحبها : امنسى . ms Insi

وظيفته : قائد القوات ، عين الملك في أراضي الرتنو .

عصر الملكين : تحوتمس الثالث ، امنحتب الثاني .

Gardiner, A., Egypt of the Pharaohs, P. 88

(١)

De Vries, R., op. cit., P. 235.

(٢)

Breasted, J.H., BAR, PP. 142 - 143.

(٣)

ويوجد منظر الأقواس التسعة في الصالة الأمامية المستعرضة إلى اليسار في مواجهة الداخل إلى المقبرة جهة الجنوب الغربي عند رقم (٥) طبقاً لـ PM, I, P. 80. حيث يقدم المتوفى القرابين للملك تحوتمس الثالث والأقواس التسعة على قاعدة العرش^(١).

المقبرة رقم ٣٦٧ وموقعها الشيخ عبد القرنة :



صاحبها : باسر p3 sr

عصر : منحوتب الثاني

وظيفته : رئيس الرماه ، رفيق جلالت^(٢)

يوجد المنظر عند رقم (٥) طبقاً لـ PM, I, P. 416.

المقبرة رقم ٦٣ وموقعها الشيخ عبد القرنة :

صاحبها : سبك حب  sbk http

وظيفته : المشرف على بحيرة سوبك sbk hp

عصر : تحوتمس الرابع

يوجد منظر الأقواس التسعة في الصالة الأمامية المستعرضة إلى اليسار في مواجهة الداخل إلى المقبرة جهة الجنوب الغربي عند رقم (٥) على قاعدة كرشي العرش للملك تحوتمس الرابع^(٣).

المقبرة رقم ٧٤ وموقعها الشيخ عبد القرنة :



صاحب المقبرة : إثنوي 13 nwny

PM, I, P. 82

Ibid, P. 80.

كذلك : انظر الرسم التخطيطي للمقبرة :

PM, I, PP. 430 - 431.

Ibid, P. 416.

كذلك : انظر الرسم التخطيطي للمقبرة :

PM, I, PP. 125 - 126.

(٣)

وظيفته : كاتب ملكي ، قائد جنود

عصر : تحوتمس الرابع

يوجد المنظر في الصالة الأمامية المستعرضة إلى اليسار في مواجهة الداخل إلى المقبرة جهة الجنوب الغربي عند رقم (٦) حيث يقدم المتوق القرايين للاله آمون والملك تحوتمس الرابع والأقواس التسعة على قاعدة العرش^(١).

المقبرة رقم ٤٧ وموقعها الخوخة :

هـ
٢١٣

صاحبها : وسرحات [wsr h3t]

وظيفته : المشرف على الحرم الملكي

عصر : امنحتب الثالث

ويوجد منظر الأقواس التسعة إلى يسار الداخل في الصالة الأمامية حيث صاحب المقبرة يقدم العقود للملك « امنحتب الثالث » وزوجته الملكة « تي » وهم داخل الحرم الملكي المنقوش على قاعدته الأقواس التسعة^(٢).

المقبرة رقم ٤٨ وموقعها الخوخة :

صاحبها : امنحتات
هـ
٢١٣

(كما يدعى أيضاً سرور)

Imn m h 3 t

وظيفته : كبير المشرفين ، المشرف على ماشية آمون .

عصر : امنحتب الثالث .

ويوجد منظر الأقواس التسعة في الصالة الأمامية المستعرضة إلى اليسار في مواجهة الداخل إلى المقبرة جهة الجنوب الغربي عند رقم (٤) حيث الملك

PM I, L PP. 144 - 145.

(١)

وكذا

Scherl, V. Sept Tombes aux Thebains de la XVIII^e Dynastie, Mem. V, 2, Paris, 1891, P. 598

PM I, P. 87.

(٢)

« المنحوتب الثالث » على العرش داخل الجوسق الملكي وعلى القاعدة توجد الأتواس التسعة^(١) .

المقبرة رقم ٥٧ وموقعها الشيخ عبد القرنة :

صاحبها :  : سنع

Sm h 3 t كما يسمى أيضاً (عو)

وظيفته : كاتب ملكي ، المشرف على غلال الوجه القبلي والوجه البحري .

عصر : المنحوتب الثالث .

ويوجد المنظر في الصالة الأمامية المستعرضة إلى اليسار في مواجهة الداخل إلى المقبرة جهة الجنوب الغربي عند رقم (١١) حيث الملك « المنحوتب الثالث » داخل الجوسق الملكي ممثل وهو يسحق أعدائه وعلى قاعدة الجوسق توجد الأتواس التسعة^(٢) .

المقبرة رقم ١٢٠ وموقعها الشيخ عبد القرنة :

صاحبها :  : عائن (كما يسمى أيضاً عو)

c 3 - nn

وظيفته : الكاهن الثاني لآمون .

عصر : المنحوتب الثالث .

ويوجد المنظر في الصالة الأمامية المستعرضة إلى اليمين في مواجهة الداخل إلى المقبرة جهة الشمال الشرق عند رقم (٣) حيث المنحوتب الثالث ممثل على هيئة

PM, I, PP. 87 - 88.

(١)

انظر الرسم التخطيطي للمقبرة :

Ibid., P. 90.

PM, I, PP. 113 - 114.

(٢)

انظر الرسم التخطيطي للمقبرة .

Ibid., P. 106.

أبو الهول يذبح أعدائه على جانب من عرشه والمملكة في داخل الجوسق الملكي
وصور عليه الأقواس التسعة^(١).

المقبرة رقم ١٩٢ وموقعها العسايف :

صاحبها : غاروف  كما يسمى أيضاً ساعاً ،
htw. f

وظيفته : المشرف على املاك الزوجة الملكية العظمى .

عصر : معاصر لكل من « منحوتب الثالث » و « منحوتب الرابع »

ويوجد منظر الأقواس التسعة عند رقم (٨) على الجانب الأيمن من الصالة
الأممية الأولى حيث الملك أمنحتب الثالث وزوجته الملكة في على شكل
أبو الهول (مؤنث) ممسكة بأسرى من النسوة الاسيويات والنوبيات وكل من
الملك والملكة داخل الجوسق الملكي المصور على قاعدته الأقواس التسعة^(٢)
(شكل رقم « أ ، ب ») .

المقبرة رقم ٥٥ وموقعها الشيخ عبد القرنة :

صاحبها : رعمر .  R^c - ms

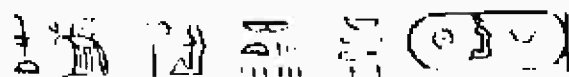
وظيفته : حاكم المدينة (طية) والوزير .

عصر : منحوتب الرابع .

(١) Ibid. I P. 232 - 234.

(٢) Ibid. I P. 299

كما حمل الملك « منحوتب الثالث » صلي عليه « حذات » الأقواس التسعة « بعد الاسيويين »



nswt bity hka pd tyw. nbt 3 wy Nb - M3 et Re

« بنت مصر العظيمة » « حذات » الأقواس التسعة « بعد الاسيويين » « منحوتب
الثالث »

العظيمة

Edkhou, A. "A Note on the Tomb of Khnumhotep III" ASAE 42 (1942), P. 469

وهو جد منظر الأقواس التسعة (عند رقم ٧) في الصالة الأمامية المستعرضة إلى اليسار في مواجهة الداخل إلى المقبرة جهة الجنوب الغربى ، حيث الملك ه امنحتب الرابع والاله ماعت ه داخل الجوسق الملكى المصور على قاعدته الأقواس التسعة^(١) .

وبعد دراسة الباحث لمناظر الأقواس التسعة أثناء عصور الدولة القديمة والوسطى والحديثة لاحظ ورودها على قاعدة تماثيل الملوك ، وضمن الألقاب والصفات التى نعتوا بها ، كما نلاحظ من دراسة مناظر الأقواس التسعة المثلة على جدران مقابر الأسرة الثامنة عشرة سالفة الذكر أنها قد وردت باستمرار على قاعدة العرش الملكى ، أو تحت الجوسق الملكى .

أيضاً يتفق الباحث مع رأى فوركنيه بأن ترتيب أسماء الأقواس التسعة الذى يتكرر بنفس الكيفية وحتى نهاية العصر اليونانى يعنى أن القائمة تقليدية^(٢) رغبة في التمسك بالتقاليد الموروثة .

كذلك يلاحظ الباحث من دراسة مقابر الأسرة الثامنة عشرة أن منظر الأقواس التسعة بهذه المقابر كلها — عدا المقبرتين رقم ١٢٠ ، ٣٦٧ — يوجد في الصالة الأمامية إلى اليسار في مواجهة الداخل مما يشير إلى امكانية وجود نموذج قام الفنان المصرى بمحاكاته في كل المقابر تقريباً ، كذلك يستتج الدارس أن أصحاب هذه المقابر شغلوا مناصب عليا في عصر الأسرة الثامنة عشرة وحلوا القابا دينية وديوية مثل الكاهن الثانى لآمون ، الوزير ، قائد القوات ، رئيس الرماة ، الكاتب الملكى ، المشرف على الحرم الملكى ، المشرف على غلال الوجه القبلى والبحرى .

وأخيراً فإن مفهوم الأقواس التسعة إنما يعنى انتصار الملك على أعدائه في الداخل وبخاصة في تحقيق الوحدة السياسية والاستقرار وكذلك انتصاره على أعداء مصر في الخارج ونجاح الملوك في حماية حدود مصر السياسية وهى مهمة مقدسة تأتى على رأس واجبات ملوك مصر في العصور الفرعونية القديمة .

PM. I, PP. 105 - 106.

(١)

نظر رسمه التخطيطى صفحة ١٠٠

Ibid. P. 106.

Versouther, J., op. cit., P. 117

(٢)

اللوحات



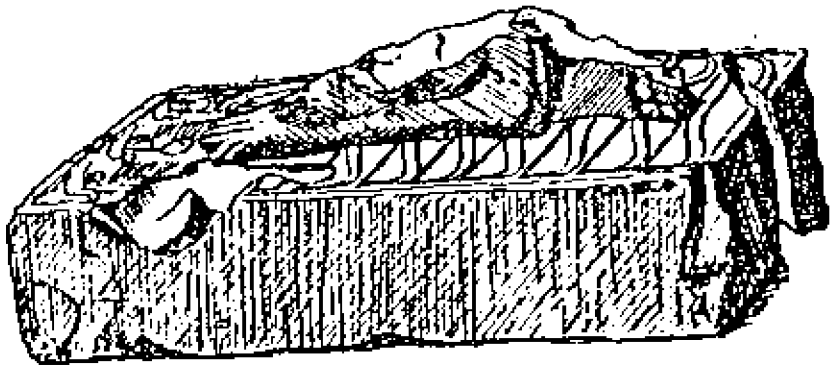
(شكل رقم ١)

ملحمة الملك العنبر : ١٠٠٠٠

Smith, W.S., A History of Egyptian Sculpture and Painting in the
Old Kingdom, London, 1946, Pl. 30.



(شكل رقم ١٢)
 رسم تمثيل تمثال الملك د زوسر ، نقلا عن :
 Gunn, B., Inscriptions From the Step
 Pyramid Site, P. 184.



(شكل رقم ٢ ب)
 قاعدة تمثال الملك د زوسر ، ونحت أقدام الملك
 الألخواس الصمعة . نقلا عن :
 Ibid., P. 183.



(شكل رقم ٣)

لوحة صخرية للملك « جر » (الأسرة الأولى) نقلا عن :

Drower, M., Nubla, P. 117.

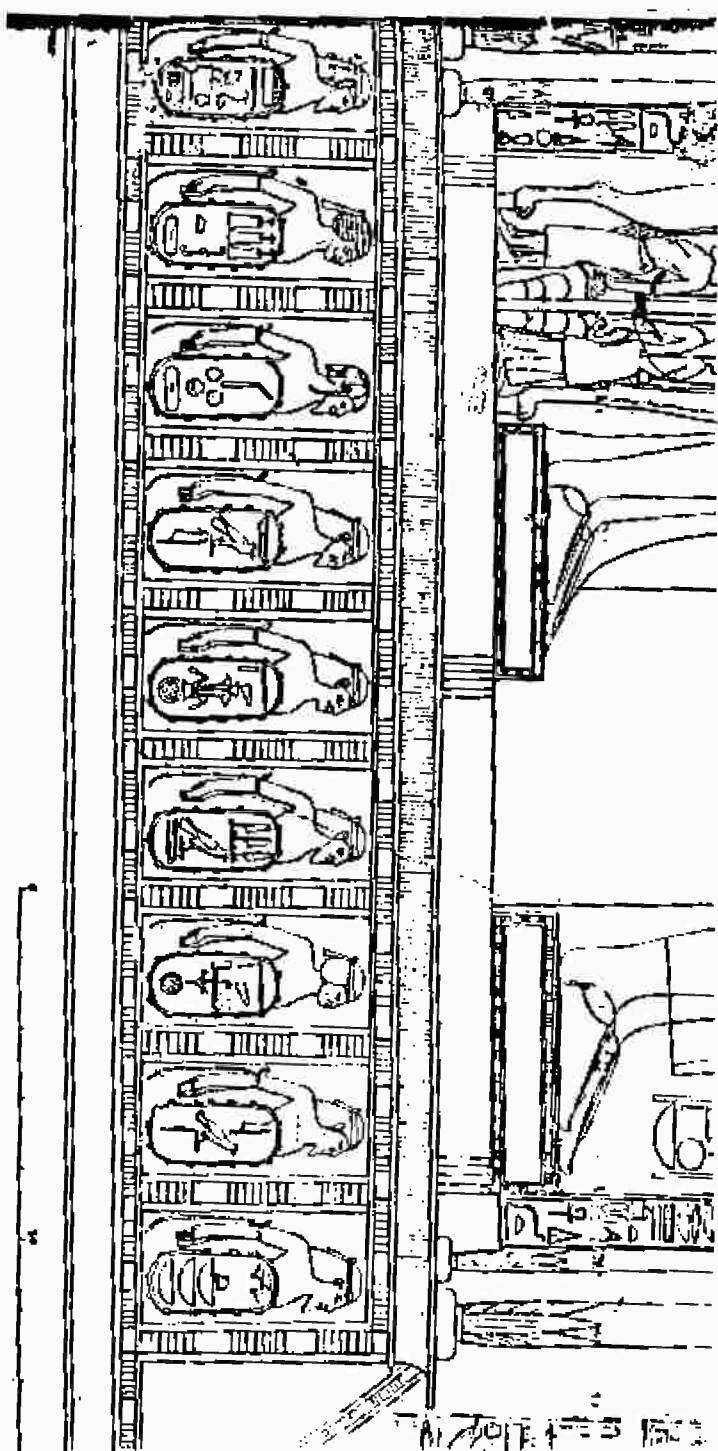


(شكل رقم ٤)

الملك « خع سخم » (الأسرة الثانية) والالهة تحبت قابضة بأحدى

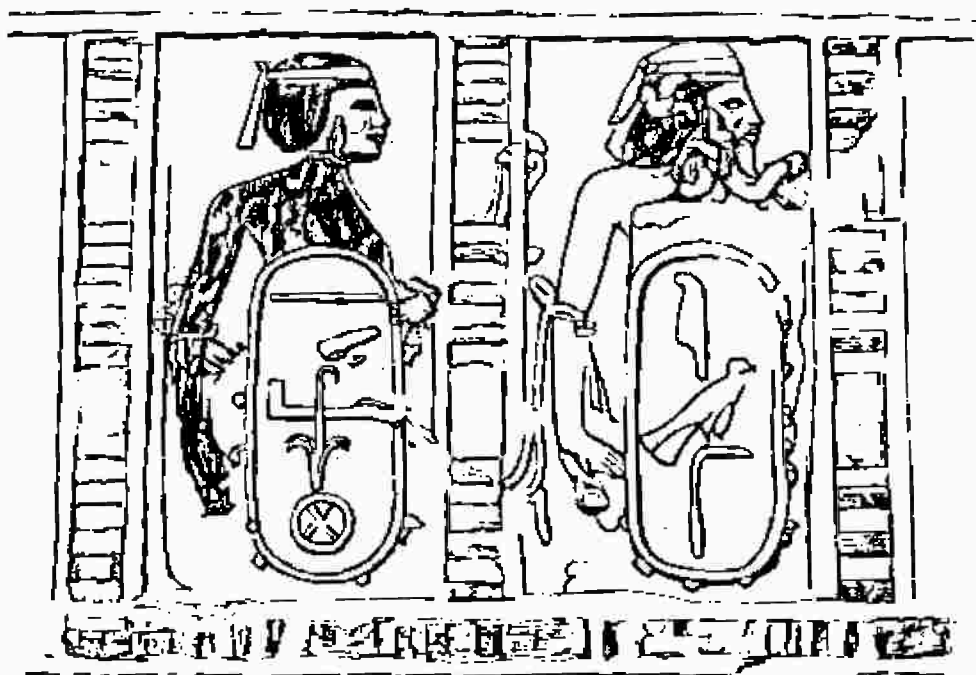
قدميها على دائرة رسم بداخلها كلمة « يش » ، نقلا عن :

Quibell, J.E., Hierakon Polis, P.L., Pl. XXXVIII



(حکل رقم ۱۵۰)
 الأفراسي السبعة : تلالا عن :

The Epigraphic Survey the Tomb of Khemet, OIP. 102,
 1975, Pl. 49.



(شكل رقم ٥ ب)

جانب من الألواس السبعة ، التوبة العليا ومصر العليا ،
نقلا عن :

Fakhry, A., "A Note on the Tomb of Khnef at
Thebes", ASAE, 42, PL. XLII

قائمة الاختصارات

- 1 - AEO : Gardiner, A.H., Ancient Egyptian Onomastica, I-III, Oxford, 1947.
- 2 - ASAF : Annales du Service des Antiquites de l' Egypte le Caire.
- 3 - BAR : Breasted, J.H., Ancient Records of Egypt, I-V, Chicago, 1906-7.
- 4 - BIFAO : Bulletin de l' Institut français d'archéologie Orientale, le Caire.
- 5 - CAH : The Cambridge Ancient History, Cambridge 1970 - 75.
- 6 - CdE : Chronique d' Egypte, Brussel.
- 7 - FIFAO : Fouilles de l'Institut français d' archéologie Orientale du Caire, le Caire.
- 8 - JEA : Journal of Egyptian Archaeology, London.
- 9 - LÄ : Lexikon der Ägyptologie, Wiesbaden.
- 10 - OIP : Oriental Institute Publications, The University of Chicago, Chicago.
- 11 - PM : Porter, B., and Moss, R.L.B., topographical Bibliography of Ancient Egyptian Hieroglyphic Texts, Reliefs and Painting, etc., I, V, VI, 1927 ff.
- 12 - Pyr : Faulkner, R.O., The Ancient Egyptian Pyramid Texts, Oxford, 1969.
- 13 - WB : Wörterbuch der ägyptischen Sprache.

أولاً : المصادر العربية

- عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول ، مصر والعراق ، القاهرة ، ١٩٦٧ . — حضارة مصر القديمة وآثارها ، الجزء الأول ، القاهرة ، ١٩٨٠ .
- محمد يومي مهران : دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول ، الاسكندرية ، ١٩٨٢ .
- رشيد الناصري : جنوب غربى آسيا وشمال أفريقيا ، الكتاب الأول ، بيروت ، ١٩٦٨ ، — أقدم صلات حضارية بين مصر ولبنان ، مجلة كلية الآداب ، الاسكندرية ، ١٩٦٨ .

ثانياً : المراجع المترجمة

- جان فوركتيه : قدماء المصريين والأغريق ، ترجمة محمد على كمال الدين ، كمال دسوق ، مراجعة محمد صقر خفاجة ، القاهرة ، ١٩٦٠ .

ثالثاً : المصادر والمراجع الأجنبية

- Arkell, A.J., *Varia Sudanica*, JEA, 36, 1950.
- Breasted, J.H., *A History of Egypt from the Earliest times to the persian conquest*, London, 1906.
- *Ancient Record of Egypt*, Vol. I, Chicago, 1906.
- De Vaux, R., *Palestine in the Early Bronze Age*, CAH, Vol. I, P. 2., Cambridge, 1970 - 75.
- Drower, M., *Nubia A Drowning land*, London, 1970.
- Edwards, I.E.S., *The Early Dynastic Period in Egypt*, CAH, Cambridge.
- Emery, W., *Archaic Egypt*, Edinburgh, 1963.
- Fakhry, A., "A Note on the tomb of Kheruef at Thebes" ASAE, 42, 1942.
- Faulkner, R.O., *The Ancient Egyptian Pyramid Texts*, Oxford, 1969.
- Gardiner, A.H., *Egypt of the Pharaohs*, Oxford, 1961.
- *Ancient Egyptian Onomastica*, Oxford, 1947.
- Gunnis, B., *Inscriptions From the Step Pyramid Site*, ASAE, 28, 1928.
- Hall, H.R., *The Relations of Aegean with Egyptian art*, JEA, Vol. 1, 1914.
- Harl, R., *Hor emheb et la Reine Moutnedjemet*, Geneva, 1964.
- Hayes, W.C., *Internal History from the Rise of the Heracleopolitans to the Death of Ammenemes III*, CAH, Vol. I-2.
- James, T.G.H., *Egypt from the Expulsion of the Hyksos to Amenphis I*, CAH, Vol II, Part I.
- Jequier, G., *L' Architecture et la decoration dans l' ancienne Egypte*, Tome I, Paris, 1920.
- Kemp, B.J., *Ancients Egypt. A Social History*, Combridge, 1983.
- Le Grain, G., *Statues et Statuettes de rois et de parti culiers (Louvres - Le Caire)*, Tome I, Le Caire, 1906.
- Osing, J., "Libyen, Libyen", I Ä, III, Wiesbaden.
- Petrie, W.M.F., *The Royal Tombs of the Earliest Dynasties*, Vol. II, London, 1913.
- Pillet, M., *Rapports sur les travaux du karnak*, ASAE, 22, 1922.
- Quibell, J.F., *Hiera Konpolis*, I, London, 1900.
- Scheil, V., *Sept Tombeaux Thébains de la XV IIIe Dynastie*, Mem. V, 2, Paris, 1891.

Smith, W.S. : A History of Egyptian Sculpture and Painting in the old kingdom, London, 1946.

- The Old kingdom in Egypt and the Beginning of the First Intermediate Period. CAH, Vol I, P. 2.

Vercoutter, J., "Les Haru - Nebout". BIFAO, 48, 1949.

- Vercoutter, J. and Others., The Near East, The Early Civilizations; London, 1967.

Wildung, D., Neunhogen. LÄIV, Wiesbaden.

المراسلات المتبادلة
بين بابوات روما وسلاطين مصر من بنى أيوب
(١١٨٣ - ١٢٤٥ م / ٥٧٨ - ٦٤٣ هـ)

الدكتور

حسين محمد عطية

كلية الآداب - جامعة طنطا

تعتبر الحروب الصليبية من أهم مجالات الالتقاء بين الشرق الأدنى الإسلامي والغرب المسيحي خلال الحقبة الوسيطة من التاريخ . وإذا كان صليبو الحملة الأولى — بعد إقامتهم لركائز الغرب في بلاد الشام — قد وجدوا أنفسهم في مجتمع غريب عليهم وهم غرباء عنه ، فإنه وسط مشاعر العداء المتبادل ، لم يكن هناك ما هو أصعب من التقارب . وكان أن فقد الغزاة لغة المفاوضات^(١) . وكانت انتصارات الفرنج^(٢) ، وما كان يعقبها من قسوة وعنف^(٣) ، هي وسيلتهم للتعبير عن مشاعرهم وقوتهم^(٤) . ولقد فرضت انتصاراتهم الناجمة عن تشتت كلمة مسلمي الشرق الأدنى ، وانشغال بعضهم ببعض ، ما قد ساد من لغة

(١) J.F. Michaud, Histoire de Croisades, Paris, 1970, p. 581.

(٢) يكفى للدلالة على ما ارتكبه الفرنج من جرائم ، عند استيلائهم على مدينة أنطاكية ثم على مدينة بيت المقدس ، ما ذكره من اشترك من مؤرخيهم في هذه الوقائع . فقد ذكر كاتب الحجة المجهول أن الفرنج حين دخلوا مدينة أنطاكية « قتلوا من خاضعوا بها من الأتراك والمسلمين » . يقرر الكاتب نفسه أن المذبحة التي قام بها بنو بلدته حين دخلوا مدينة بيت المقدس « ما تأق لأحد قط أن سمع أو رأى مذبحه كهذه » . وحتى الذين احتلوا بالمسجد الأقصى من المسلمين لم يسجوا من سيوف الصليبيين الذين ضروهم بداحلهم . حين دخله المؤرخ زونديجيل لم يكن من السهل عليه أن يتلمس طريقه « وسط الجثث والدعاء » التي بلغت ركبته . أنظر : المؤرخ المجهول : أعمال الفرنجة وسجاح بيت المقدس ، ترجمة وتعليق حسن حني ، القاهرة ١٩٥٨ م ، ص ٧٠ ، ١٢٠ . راجع أيضا :

Raymond d'Aguilers, Historia Francorum qui cepunt Iherusalem, in R.H.C.-H.occ., vol. 4, p. 298.

(٣) عندما وصلت سفارة فاطمية إلى المعسكر الصليبي خارج أسوار أنطاكية في أوائل عام ١٠٩٨ م/ ٤٩٦ هـ ، وبقيت هناك لمدة أسبوع ، يقول فرسان الفرنج حول الخيام التي أقام فيها رسل الأفضل برؤوس القتلى من مسلمي حلب ، بعد أن دحر الفرنج قوات رضوان بن نقش ملك حلب الذي هرج لشدة أنطاكية في ٩ فبراير/ ربيع أول من نفس العام . أنظر : المؤرخ المجهول : أعمال الفرنجة ، ص ٥٩ . راجع أيضا ترجمة خطاب سيف بن كويت بلوا يشاور آل زويع أدبلا والذي حرره من المعسكر الصليبي خارج أسوار أنطاكية في ٢٩ مارس ١٠٩٨ م/ ٢١ ربيع ثان ٤٩٦ هـ . انظر : حسن عطية : إمارة أنطاكية الصليبية وعلاقتها السياسية بالقول الإسلامية المجاورة (١٠٩٨ - ١١٧١ م/ ٤٩٦ - ٥٦٧ هـ) ، رسالة ماجستير لم تسر بعد ، الاسكندرية ١٩٨١ م ، ملحق رقم (١) ص ٢٨٦ - ٢٩٣ .

للمفاوضات^(١). فلم تكن هناك حاجة بالصليبيين إلى التدخل عن التظاهر بالقوة ، طالما لم تتوحد الجبهة الإسلامية أمامهم . واستمر هذا الوضع حتى عهد عماد الدين زنكي ونور الدين محمود من بعده ، حيث لم تكن القوى الإسلامية في بلاد الشام تخضع طواعية للزنكيين^(٢) بالرغم من اعتدال ميزان القوى في الصراع بين الصليبيين والمسلمين في بلاد الشام بما حققه نور الدين محمود من انتجازات . فقد إجتنب التأثير البيزنطي |الصلبيين ، الشعور بدور الخطر الإسلامي^(٣) . وحين أصبحت أملاك الزنكيين في بلاد الشام في حوزة صلاح الدين الأيوبي ، وخضع له أمراء الجزيرة ، ووالاه سلاجقة الروم ، بعد أن أصبحت مصر بمواردها — التي لم تكن قد استنفذت في الصراع الصليبي الإسلامي — هي قاعدته ، وأصبحت أملاكه التي يحكمها رأى واحد ، تحيط بمعقل الصليبيين التي تخضع لآراء شتى^(٤) ، أصبح صلاح الدين رجل الساعة وسيد

(١) Albert d'Aix, *Liber Christianae Expeditionis*, in R.H.C.-H.occ., vol. 4, p. 382. (١)

(٢) كانت سياسة أنابكة دمشق من البيت البوري ، هي التحالف مع مملكة بيت المقدس الصليبية ، لتجديد الموقف في بلاد الشام ، وشكل حركة عماد الدين زنكي ومن بعده نور الدين محمود ، لحفظ ميزان القوى أمام ازدهار نفوذ الزنكيين في إحياء ، وإدراك أنابكة دمشق أن مدتهم ما فتت دائما موضع أطماع زكي ثم نور الدين . أنظر : سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، صفحة مشرق ل تاريخ الجهاد العرب في العصور الوسطى ، جردان ، القاهرة ١٩٧٥ م ، ج ٢ ، ص ٦٠٠ ، ٦١٦ . محمد محمد مرسى الشيخ : الجهاد المقدس ضد الصليبيين حتى سقوط الرها ، الإسكندرية ١٩٧١ م ، ص ٣٢٩-٣٣٤ ، ٣٥٩ وما بعدها .

(٣) كان نور الدين يضع في اعتباره اهتمام الامبراطور البيزنطي مانويل كومنين (١١٤٣-١١٨٠ م) بأحوال الفرنج في بلاد الشام ليظهر بمظهر الحارس للكيان الصليبي ترضيا لنشيل سياست في غرب أوروبا . وهذا ما جعل نور الدين يتجنب القيام بعمل كبير ضد الفرنج من شأنه أن يثير حفيظة الامبراطور . وهذا ما أفاده الفرنج — خاصة في أنطاكية — من التحالف القوي بما يشبه الموضوع لمانويل . أنظر : حين عتية : امارة أنطاكية الصليبية والمسكون (١١٧١-١٢٦٨ م) ، الاسكندرية ١٩٨٩ ، ص ١٧٠ وما بعدها .

(٤) يموت الملك عموري الأول (١١٦٣-١١٧٤ م) انقسم الفرنج في مملكة بيت المقدس إلى حزبين متصارعين : الأول هو حزب الملك ويضم اسك بولوين الرابع (١١٧٤-١١٨٥ م) والمملكة الأم أنيس Agnes ، وشقيقها جوسلين الثالث كوريناي والبطريرك هرقل وفرسان الدنية . والحزب الثاني : هو حزب البارونات ، ويقوده ريموند الثالث كونت طرابلس (١١٥٢-١١٨٧ م) بتأييد من ريموند الثالث أمير أنطاكية (١١٦٣-١٢٠١ م) . مباديات المملكة من أسرة [] إلى ال زمان وصفا وقبالة . أنظر :

William of Tyre, *A History of Deeds done beyond the Sea*, 2 vols, (trans. by E. Babcock and A.C. Krey, New York, 1943, vol. 2, pp. 492-93, 501ff. c. f. also, J. Riley-Smith, *Fendai Nobility and the Kingdom of Jerusalem, (1174-1277)*, London, 1973, pp. 104-105.

الموقف . أوبداً وكأنه سيطيع بما توصل اليه الصليبيون من نمط للحياة Modus Vivendi في بلاد الشام^(١) . وتكدست سجنونه بأعداد كبيرة من أسرى الصليبيين ، ذلك ، في الوقت الذي غرقت فيه أوروبا في مشاكلها التي شغلها عن ركائزها في الشرق الأدنى^(٢) الأمر الذي لم يمكن بابوية روما من أن اندعو لحملة صليبية جديدة . إراكنتى الجميع بمجمع المعونات المادية لإرسالها إلى الصليبيين في بلاد الشام ، لمواجهة خطر تأكد الجميع من وجوده ممثلاً في شخص صلاح الدين ، حتى اقترن ما كان يجمعه غرب أوروبا من معونات باسم الرجل^(٣) . ولما لم تكن الأموال هي كل ما يحتاجه الفرنج في بلاد الشام ، فقد سارع حكام الغرب^(٤) ، والبابوية كذلك ، إلى اتباع أسلوب المفاوضات — لعجزهم عن استخدام القوة المسلحة — مع بنى أيوب .

فلم تر بابوية روما أية غضاضة في الاتصال بحكام مصر والشام الأيوبيين ، لئلا ترمي نموذجاً فريداً من نماذج دبلوماسية الحروب الصليبية ، وقد اتسمت لهجة التفاوض من جانب بابوات روما بالاعتدال . فالبابوية ، منذ عهد صلاح الدين وحتى نهاية الدولة الأيوبية في مصر ، وبالرغم من ماعيا لإيفاد الحملات الصليبية المتتابعة ، كانت تفاوض — فيما يخص الكيان الصليبي في بلاد

(١) Radulf Niger, Cronica Universalis, in M.G.G. ss., vol. 27, p. 315. (١)

(٢) شملت أوروبا كلها بالصراع بين الإمبراطور فريديك بربروسا والبابوية ، كما قام الصراع بين هنري الثاني ملك إنجلترا ومليك فرنسا لويس السابع ثم قبله أوجسطس من بعده ، إلى جانب خلافات هنري مع أبنائه في فرنسا وإنجلترا وأمرائه ومليك اسكتلندا . انظر :

R.H.C. Davis, A History of Medieval Europe, from Constantine to Saint Louis, London, 1964, pp. 324-326; S. Runciman, A History of the Crusades, 3 vols, Cambridge, 1968, vol. 3, pp.6.f John L. La Monte, The World of the Middle Ages, New York 1949, pp. 267-274, 309-329.

(٣) وهي الضريبة التي فرضت في فرنسا وإنجلترا وعمرت بعشر ملاح الدين . انظر :

Denedict of Petersborough, Gesta Regis Henrici Secundi, ed. W. Stubbs, in R.S., London 1867, vol. 2, pp. 30-32.

(٤) ما تم من دبلوماسية بين حكام أوروبا من ملوك باطرك وبن حكام مصر والشام من بنى أيوب ، ودراسة ما تم من مراسلات بين الطرفين ، هو موضوع بحث مستقل بذاته لى طبعنا إلى الانتهاء منه قريباً إن شاء الله . ونفس الأمر ينطبق على ما تم بين بابوات روما وحكام مصر والشرق الأدنى الإسلامى من مراسلات لا تتعلق بالعلاقات السياسية بين المسلمين والصليبيين .

الشام — من أجل البقاء وليس من منطلق القوة . لذلك لم ير بابوات روما أيضا أية غصاة في استعطافهم لبني أيوب في بعض الأحيان .

ومهمة هذا البحث ، هي إلقاء الضوء على المراسلات المتبادلة بين بابوات روما وبين حكام مصر والشام الأيوبيين . وترجع أهمية دراسة هذه المراسلات إلى أنها تعتمد على الوثائق التي تعتبر مصدر الأصلة الأول لكل بحث تاريخي^(١) . هذا إلى جانب أنها تكشف عن جانب هام من العلاقات بين القوى الصليبية والمسلمين إبان فترة هامة تتعلق بتغير موازين القوى في الصراع بين الطرفين المتحاربين ، وتعطي صورة واضحة عن طبيعة هذه العلاقات ، وعن روح الحروب الصليبية نفسها . فضلا عن أن هذه الوثائق لم تمتنع باهتمام غالبة مؤرخي الحروب الصليبية الحديثين ، الأمر الذي يدفع إلى الاهتمام بمعالجة نصوص هذه الوثائق ودراستها والاستفادة من المعلومات التاريخية التي وردت في ثناياها .

ولما كان من المتعذر الوقوف على أصول هذه الوثائق ، أو الإطلاع عليها في أرشيفات الفاتيكان ، فيمكن إدراك مدى الصعوبة التي تحيط بتناول مثل هذا البحث . ويزيد من تلك الصعوبة أن هذه الوثائق ، لم تتضمنها صفحات كتب مؤرخي العصر الأيوبي ، التي ضمت الكثير من المكاتبات التي تم تبادلها بين سلاطين الدولة الأيوبية ، وغيرهم من حكام الشرق الأدنى الإسلامي . وبالرغم من وجود ديوان للانشاء في الدولة الأيوبية ، أخرج لنا الكثير من وثائق هذه الدولة^(٢) ، إلا أن ما تم تبادل من مراسلات بين بني أيوب وبين حكام غرب

(١) محمد ماهر حماد - وثائق السياسة والأدبية للعهد العاطية والأندلسية والأيوبية ، دراسة ومعرض (ط ٢) . بيروت ١٩٨٥ ، ص ١٠ .

(٢) نأح القاضي القاضي عبد الرحمن البياضي في ديوان الإنشاء العاطية في عهد الخليفة العاطية وأستدريه صلاح الدين كتابة الإنشاء . وألأ القاضي القاضي في بكن يشكن من ملأمة صلاح الدين بصورة دائمة ، فقد على العهد أصفهان كاسا في بعض الأيوبيات للإمام السلطان في فوجاه . وألأ أفعاد يبعد الكتابة بالعاطية إلى جانب العدية . لا تولى كتابة الإنشاء في عهد الصالح عمر بن أيوب الكاتب بهاء الدين زهير . أنظر : العهد أصفهان . الجزء الخامس ، ج ٣ ، ص ٥ . تحقيق مصطفى الحاربي . الأدب ١٩٨٧ . ج ٢ ، مقدمة الفصل ، ص ١٥ . تحقيق (تقي الدين) كتاب السلوك لعروة دول الملوك ، الجزء الأول في ٣ أقسام ، شبه محمد مصطفى بهاد ، القاهرة ١٩٣٤ - ١٩٣٦ ، ج ١ . قسم ١ ، حاشية رقم ١٦ التي تقع في ص ٢٨٤

أوروبا وبابوات روما ، لم تحفظه مصنفات مؤرخى هذه الفترة من المسلمين ، ولا حتى أعمال مؤرخى العصر المملوكى^(١) .

وإذا كان بعض المؤرخين المسلمين يشيرون أحيانا فى كتاباتهم إلى العلاقات بين حكام الشرق الأدنى الإسلامى من بنى أيوب وحكام غرب أوروبا أو أباطرة الدولة البيزنطية ، فإن الأمر لا يتعدى الإشارة إلى حضور « رسل الفرنج » ، أو « رسل صاحب القسطنطينية » إلى السلطان الأيوبي ، ضمن من وصلوا إلى بلاطه فى وقت من الأوقات ، دون ذكر لسبب حضور هؤلاء الرسل — فى أغلب الأحيان — أو المهمة المكلفين بها . وهكذا بقيت نصوص المراسلات التى تمت بين الطرفين بعيدا عن متناول الباحثين . وهنا يبرز تساؤل يفرض نفسه : لماذا لم تتضمن أعمال هؤلاء المؤرخين ، معاصرين كانوا أم لاحقين ، مثل هذه المراسلات ، كما تضمنت المراسلات المتبادلة بين السلاطين الأيوبيين وبين غيرهم من حكام الشرق الأدنى الإسلامى ، وكلها من إنشاء القاضى الفاضل أو العماد الأصفهاني أكتبة صلاح الدين ومن خلفه فى إدارة شئون الدولة الأيوبية^(٢) . وفى الحقيقة ، لم نعد على إجابة شافية لهذا التساؤل إلا بين ثنايا الخطاب الذى بعث به صلاح الدين نفسه إلى البابا لوكيوس الثالث Lucius III (١١٨١ — ١١٨٣ م)^(٣) ، حيث يذكر صلاح الدين للبابا أن « مبعوثه — أى مبعوث البابا — قد مكث أمام صلاح الدين سرا *et ante nos in secreta camera* « *venire fecimus* »^(٤) .

(١) انصرفت أعمال مؤرخى الدولة الأيوبية والمملوكية على تسجيل مراسلات بنى أيوب مع حكام الشرق الأدنى الإسلامى ، وبالرغم من أن كتاب صبح الأعشى فى صناعة الإنشا الذى وضعه أبو العباس الفقششى يؤخر بعدد وآخر من مراسلات الأيوبيين مع حكام بعض الممالك النجاشية الأيوبية مثل جنوا وبيزا والبندقية وغيرها ، فإنه لم يورد لنا ما تم من مراسلات بين ملوك أوروبا وبابوات روما وبين الحكام الأيوبيين . انظر : جوهف نيج يوسف : تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى ، الإسكندرية ١٩٨٨ ، ص ٦١ وما بعدها .

(٢) عن هذا الخطاب انظر ما تقدم ، ص ٢٦١ وما بعدها .

(٣) انظر ملحق رقم (١) بآخر البحث .

كما يذكر صلاح الدين للبابا في نهاية خطابه إليه أنه قد عهد إلى المبعوث البابوي بأمور أكثر سرية "Caetera secretiora praefato" (١). فصالح الدين يحرص على أن تكون مقابلاته لمبعوث البابا أمرا سريا لا يعلم به أحد . كما يُحتمل هذا المبعوث إلى البابا ما لا يرغب في أن يُدَوَّن في رسالته إليه ، أو يقطع عليه أحد إذا ما حدث لهذا المبعوث مكروه ، قبل أن يسلم خطاب السلطان إلى البابا بنفسه . ومن الطبيعي إذن ، أن لا يصلر مثل هذا الخطاب عن ديوان الإنشاء . ومن الطبيعي ، أيضا ، أن لا نعث على نص أو فحوى مثل هذا الخطاب بين طيات كتب المؤرخين المسلمين . فربما رأى صلاح الدين ، وهو قائد النضال الإسلامي ، وموحد الجبهة الإسلامية ، ومعين الطاقات الإسلامية والشعور الوطني الإسلامي في ربوع الشرق الأدنى ، للتصدي للكيان الصليبي والقضاء عليه ، وهو الذي عقد عليه المسلمون الآمال الكبار في تخليصهم من العدو الأول لهم ، ربما رأى كرجل دولة ، أنه من الصعب على رعاياه ، والحال هكذا ، أن يستوعبوا قيام علاقة غير الحرب بينه وبين البابوية — السبب الأول في وجود الفرخ في ديار الإسلام — وهو الذي أنكر على الزنكيين من قبل إقامة ما يشبه هذه العلاقة مع القوى الصليبية في بلاد الشام (٢) . وخشى صلاح الدين أنه لن يستطيع أن يشرح مغزى سياسته ، فوجد أنه من الأفضل أن تبقى اتصالاته بحكام غرب أوروبا بعمامة البابوية بخاصة طي الكتمان . وقد سار على نهجه من خلفه من سلاطين الدولة الأيوبية ، وأمرائها .

وبالرغم من ذلك ، فقد أمكن الحصول على صورة لأصول هذه الوثائق ، وحفظها لنا سجلات بابوات روما ، ومصنفات بعض مؤرخي أوروبا المعاصرين (١) أنظر ملحق رقم (١) بآخر البحث .

(٢) استغل عموري الأول ملك بيت المقدس فرصة وفاة نور الدين محمود ، وحاصر بانياس للاستيلاء عليها . إلا أن شمس الدين ابن المقدم أكبر أمراء نور الدين في دمشق ، خرج على رأس قوات دمشق ، ولم يجازب الفرخ ، واكتفى بأن عرض عليهم أن يتركوا بانياس مقابل مبلغ من المال ، وإطلاق سراح أسراهم في دمشق . فوافق ملك بيت المقدس على ذلك بعد أن خوفه ابن المقدم من الزنكيين في الموصل ومن صلاح الدين في مصر . وعندما علم صلاح الدين ، أمر القادة أنكرها واستعظمها ، فكثرت إلى الأمراء بدمشق يفتح عليهم ما فعلوه . أنظر : ابن واصل : مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، ٥ أجزاء ، ج ١ ، ٢ ، ٣ ، تحقيق جمال الدين الشيال ، القاهرة ١٩٩٠ م ، ج ٢ ، ص ٨٧ . أم شاذلي : أخبار النورانيين في بلاد الشام ، القاهرة ، دار الفجر ، ١٩٨٧ . أنظر : ابن واصل : مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، ٥ أجزاء ، ج ١ ، ٢ ، ٣ ، تحقيق جمال الدين الشيال ، القاهرة ١٩٩٠ م ، ج ٢ ، ص ٨٧ . أم شاذلي : أخبار النورانيين في بلاد الشام ، القاهرة ، دار الفجر ، ١٩٨٧ . أنظر : ابن واصل : مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، ٥ أجزاء ، ج ١ ، ٢ ، ٣ ، تحقيق جمال الدين الشيال ، القاهرة ١٩٩٠ م ، ج ٢ ، ص ٨٧ .

للفترة الزمنية موضوع الدراسة . هذا ، ويعتبر كل الاعتزاز بأن نكون أول من ينهض بمهمة نشر هذه الوثائق ودراستها والربط بينها ، خاصة وأنها مدونة باللغة اللاتينية ، ولم تنشر بأية لغة حديثة بعد .

أما عن الوثائق التي بين أيدينا الآن ، فهي إما خطابات بعث بها بابوات روما إلى أصحاب السلطة الأيوبيين في مصر والشام ، وإما هي خطابات الأخوين إلى رؤساء الكنيسة الغربية . ومن الملاحظ أن البابوية هي التي كانت تبادر بالاتصال بالحكام المسلمين ، والدليل على ذلك أن كل خطابات الأيوبيين إلى بابوات روما عبارة عن ردود على ما وصل إليهم من هؤلاء . كما نلاحظ أنه قلما توفر خطاب لأحد البابوات والرد عليه في نفس الوقت . واقتصر الأمر على وجود أحدهما فقط دون الآخر . وفي كل الأحوال التي لم يتوفر فيها خطاب معين أصدره أحد البابوات ، نستدل على فحواه من فحوى الرد عليه من قبل العاهل الأيوبي الذي راسله هذا البابا من قبل .

من كل ما سبق نتبين أهمية هذا البحث وصعوبته . كما نتبين ضرورة دراسة هذه الوثائق وتحليل نصوصها ، وتقنيدها وربطها بالإطار العام لما كانت عليه الظروف التي صدرت فيها هذه الوثائق، وأحوال كل من المسلمين والقوى المصلحية في الشرق الأدنى وفي غرب أوروبا في الوقت ذاته .

البابا لوكيوس الثالث :

وكان صلاح الدين وأخوه العادل هما أول من اتصل بهما بابوات روما من حكام الشرق الأدنى الإسلامي . فقد بعث البابا لوكيوس الثالث Lucius III (١١٨١-١١٨٥ م) إلى كل منهما برسالة يحملها مبعوث خاص . ول الحقيقة لم نعتز على رسالتى البابا في المجلات الخاصة به^(١) ، ولا بين طبقات أى مصدر تاريخى معاصر . ولكن من فحوى ردى كل من صلاح الدين وشقيقه على البابا - اللذين لم تتضمنهما مجلات هذا البابا أيضا - واللذين احتفظ لنا بهما

(١) من المعروف أن سجلات بابوات روما حتى نهاية بابوية انوسنت الثالث قد نشرت في مجموعة Migne ، التي تتعلق بتاريخ آباء الكنيسة اللاتينية "Patrologia Latina" . أما بقية البابوات الذين أتوا بعد ذلك ، فقد وردت الوثائق الخاصة بكل منهم في سجل خاص بهم . أنظر : حسين عطية : إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمون ، ص ٢٤ .

المؤرخ الإنجليزي المعاصر رادولف دي ديكيتو Radulf de Diceto في كتابه صور لتاريخ Ymagines Historiarum^(١) ، كنسختين وحيدتين ، نستطيع أن نقف منهما على فحوى رسالتى البابا نفسه ، وعلى تاريخ وصولهما إلى مصر ، بل وعلى طبيعة لهجة التفاوض بين الطرفين وأسبابها .

وبالإطلاع على نصى رسالتى العاهل الأيوبي وشقيقه تبيين ضرورة دراستهما معا ، حيث أن ظروف إصدارهما واحدة ، كما أن المعلومات الواردة في إحدهما أنكمّل وتوضح ما جاء في الأخرى . وفي البداية ، يتعين علينا تحديد تاريخ صدور رسالتى السلطان والعادل ، وتاريخ وصول رسالتى البابا إليهما . فبينما لم يحفل رد صلاح الدين أى تاريخ ، أو حتى يبين ما جاء فيه متى بعث البابا إليه برسالته ، فإن رد العادل قد أُرِخ ، أول أبريل ٥٧٨ هـ "Kalendas Aprilis anno Mahomet Dlx. Octavo"^(٢) . ولما كان عام ٥٧٨ هـ يبدأ في ٧ مايو ١١٨٢ م ، فإن تاريخ رسالة العادل إلى البابا هو أول أبريل ١١٨٣ م / الخامس من ذى الحجة ٥٧٨ هـ^(٣) . وإذا عرفنا أن صلاح الدين قد غادر مصر في ١٣ مايو

(١) ولد رادولف دي ديكيتو نيسابور عامي ١١٢٠ م و ١١٣٠ م . وشغرت في ملك الكنيسة حيث أصبح راهبا في كنيسة القديس بولس بلمدن . ورحل إلى باريس في الأربعينات من القرن ١٢ م / حيث درس في جامعتها القانون . وفي ١١٥٢ م عين رئيسا لشماسة كنيسة القديس بولس ، وبقي في هذه الوظيفة حتى وفاته في ١٢٠١ م . وفي ١١٦٢ م بدأ اتصاله بالملك هنري الثاني بعد اشتراكه في مناقشة بكميت رئيس كنيسة كانتربري الثاني للملك . وأصبح من رواد البلاط الملكي حتى وفاته . وأتاح له ذلك الاتصال بكنار رجال الدولة ورجال الكنيسة الأمر الذي سمر له الحصول على المعلومات الواقية عن أحوال إنجلترا ودول أوروبا مما يفضي على أعماله صفة الأهلية التاريخية . أما عن أحوال الفرنج في بلاد الشام فقد سمر له عمله بالكنيسة الاطلاع على التفاوض التي ترد من جماعات الموهبات مثل القامية الأسبانية إلى مقدمهم في إنجلترا وإلى رجال الدولة بها . أما عن أدبه ، صور التاريخ ، فقد كُتبه أصلا رغبة منه في تسجيل تاريخ كنيسة إنجلترا وتجهيدها . إلا أنه اهتم فيه بأحوال دول أوروبا إلى جانب فرنسا خاصة كرتين وألمو . وكتابه يغطي الفترة من عام ١١٤٨ م إلى عام ١٢٠٠ م . واعتمد فيه حتى أحداث عام ١١٧٢ م على كتاب ديوبرت التوري (السجولة) . وبعد ذلك يسجل ما عاصره من أحداث كما وضع رادولف كتابا آخر بعنوان " مختصر التاريخ " "Abbreviationes Chronicorum" يغطي فيه الفترة من بدء الخليفة وحتى عام ١١٤٨ م . وللمزيد عن حياة رادولف وأعماله : انظر :

Antonia Gransden, Historical Writing in England, C. 550, to C. 1307, 2 vols, London 1974, vol. 2, pp. 230-236, D.E. Greenway, The succession to Ralph de Diceto, Dean of St. Paul's, in Bahr, vol. 39, 1966, pp. 96-96.

(٢) ملحق رقم (٢) بأخر البحث .

(٣) محمد مختار ، كتاب الوصفيات الهامة في مقارنة التاريخ المعجزة بالسجل الأيونكي القبطية

(ط ١) ، القاهرة ، ١٣٧١ هـ ، ص ٢٨٩

١١٨٢ م/ ٦/ محرم ٥٧٨ هـ ، إلى بلاد الشام ليقبى فيها حتى وفاته ، فلا بد وأن يكون أوليفر فيتاليس Oliveri Vitalis^(١) مبعوث البابا إلى السلطان قد وصل إلى مصر قبل رحيل صلاح الدين إلى بلاد الشام . أما عن جانوس داندولو Janus Dandolo^(٢) ، الذى حمل رسالة البابا إلى العادل ، فقد وصل إلى مصر ، كما يذكر العادل نفسه للبابا ، حين كان صلاح الدين يقرم بأعماله العسكرية ضد الصليبيين ، في ربوع صور ، "in partibus Tyri"^(٣) . ولما كانت آخر أعمال صلاح الدين في ربوع صور قد وقعت في عام ١١٧٩ م/ ٥٧٥ هـ ، فور هدمه الحصن بين الأحرار^(٤) ، أى قبل رد العادل على رسالة البابا بنحو ثلاث سنوات ، وكان ذلك في عهد البابا ألكسندر الثالث Alexander III (١١٥٩-١١٨١ م) ، فلا بد وأن مبعوث البابا إلى العادل قد وصل إلى مصر خلال الفترة ما بين رحيل صلاح الدين إلى الشام (١٣ مايو ١١٨٢ م/ ٦/ محرم ٥٧٨ هـ) وحتى تاريخ إصدار رسالة العادل إلى البابا (١٠ أبريل ١١٨٣ م/ ٥/ ذى الحجة ٥٧٨ هـ) .

هذا عن تاريخ وصول رسالتى البابا لوكيوس الثالث إلى كل من صلاح الدين وشقيقه العادل في مصر ، وتاريخ الرد عليهما . أما عن فحوى الرسالتين ، فنفهم من ردى صلاح الدين والعادل أن البابا قد دعاهما في رسالتيه إليهما إلى الموافقة على إتمام عمليات فداء الأسرى مع الصليبيين في بلاد الشام^(٥) . ففى ذلك الوقت كان صلاح الدين قد اقترب من إتمام توحيد الجبهة الإسلامية ، تمهيدا لتوجيه الضربة القاضية إلى الكيان الصليبي كله^(٦) . وعلى الجانب الآخر لم تكن أحوال

(١) أنظر ملحق رقم (١) ، بآخر البحث .

(٢) أنظر ملحق رقم (٢) ، بآخر البحث .

(٣) أنظر ملحق رقم (٢) ، بآخر البحث .

(٤) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ٨٣ .

(٥) أنظر ملحق رقم (١) وملحق رقم (٢) ، بآخر البحث .

(٦) منذ وفاة نور الدين محمود (١١٧٤ م/ ٥٧٠ هـ) وحتى تاريخ تحرير رسالة العادل إلى البابا لوكيوس الثالث (١٠ أبريل ١١٨٣ م/ ٥/ ذى الحجة ٥٧٨ هـ) لم يبق من أملاك الزنكيين خارج سلطة صلاح الدين سوى مدينة حلب التى انضمت إلى أملاكه في ٧ يونيو ١١٨٣ م/ ١٣/ صفر ٥٧٩ هـ . بينما كان صلاح الدين قد فرض سيطرته على أمراء الجزيرة والموصل ، وامتلك دمشق وصالر مدن الشام اعطته بأمر ملك الفرنج إلى جانب قاعدته في مصر . أنظر : ابن شداد : التوادر السلطانية والحاسن اليرموقية ، تحقيق جمال الدين الشيال ، ط ١ ، الاسكندرية ١٩٦٤ ، ص ٥٩-١٦٠ . ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٢ ، ص ١٤١ وما بعدها .

الفرج في بلاد انشاء نشتر بالخيرات^(١). فكانت مملكة بيت المقدس بصفة خاصة تعاني من النقص الشديد في القوى البشرية، وخاصة الفرسان. وكانت مساعدات الامبراطور البيزنطي مانويل كومنين تعوض الإمارات الصليبية ما عاب عنها من إمدادات غرب أوروبا منذ فشل الحملة الصليبية الثانية^(٢). ولكن هزيمة الامبراطور في ميوكيفالون أمام سلاجقة الروم في عام ١١٧٦ م/ ٥٧٢ هـ، ثم موته بعد ذلك في عام ١١٨٠ م/ ٥٧٦ هـ، جعلوا الفرنج يفقدون آخر حليف لهم، ويفقدون معه آخر مصدر لمساعدتهم^(٣). وكان على مملكة بيت المقدس وكل الإمارات الصليبية أن تعتمد على إمكانياتها الخاصة^(٤)، في الوقت الذي عزلها فيه صلاح الدين عن أي مصدر خارجي للمساعدة بإتمام حصاره لها بجزء^(٥). وفي الوقت ذاته كانت الجهة الصليبية قد تصدعت بسبب مشكلة توصاية على مملكة بيت المقدس الصليبية، ومرض الملك بولدوين الرابع الذي يأبى من أن يبرأ منه^(٦). وإذا عانت الإمارات الصليبية من نقص الموارد البشرية، تكدست

(١) يبدأ الفرج اللاتيني بلم الصوري آخر قصور كتايه بإيدء حرته وبشككه في أن تشكل مملكة بيت المقدس من أن تكون تتأى عن الخطر تحت وصاية عموند الثالث كذبت طرابلس بعد خلافات الملك بولدوين الرابع مع جى نوبيلان كوتت باما. وقد قرر ولم الصوري — بعد أن أضاع الحزن بسبب الكوارث التي تلم بالمملكة باستمرار — أن يترك قلعه مهلق عن الاستمرار في سيرة تاريخ هذه المملكة. أنظر:

William of Tyre, vol. 2, p. 505

P.M. Holt: The Age of the Crusades, London, 1986, p. 56 (٢)

H.E. Mayer: The Crusades, trans. by J. Gillingham, Oxford, 1972, p. 125 (٣)

J. Richard: The Latin Kingdom of Jerusalem, trans. by J. Shenker, vol. 2, Oxford, 1979, vol. 1, p. 55 (٤)

(٥) في عام ١١٨١ م/ ٥٧٦ هـ هاجر الأسطول المصري ميناء عكا. ودمر السفن الصليبية البرية به. وأغار على ميناء بيروت. وفي لعام ثلثي أتم الأسطول حصاره لسواحل الصليبية مستولاً على السفن الآتية إليها. كما هاجم واستولى على السفينة الآتية من القسطنطينية ومن ظهرها ٤٠٠ من ثلاثين ثلثي من الناحية التي أخرجها فيها أندرويقوس كومنين. أنظر: ابن بطيعة: مفرج الكرم، ج ٢، ص ١٣٣-١٣٤، ١٣٩-١٤٠، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٠، ٦١١، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٤، ٦١٥، ٦١٦، ٦١٧، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٦، ٦٣٧، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٢، ٦٤٣، ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٤٦، ٦٤٧، ٦٤٨، ٦٤٩، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨١، ٦٨٢، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٧، ٦٨٨، ٦٨٩، ٦٩٠، ٦٩١، ٦٩٢، ٦٩٣، ٦٩٤، ٦٩٥، ٦٩٦، ٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠٠، ٧٠١، ٧٠٢، ٧٠٣، ٧٠٤، ٧٠٥، ٧٠٦، ٧٠٧، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٠، ٧١١، ٧١٢، ٧١٣، ٧١٤، ٧١٥، ٧١٦، ٧١٧، ٧١٨، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٢١، ٧٢٢، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٢٥، ٧٢٦، ٧٢٧، ٧٢٨، ٧٢٩، ٧٣٠، ٧٣١، ٧٣٢، ٧٣٣، ٧٣٤، ٧٣٥، ٧٣٦، ٧٣٧، ٧٣٨، ٧٣٩، ٧٤٠، ٧٤١، ٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٤، ٧٤٥، ٧٤٦، ٧٤٧، ٧٤٨، ٧٤٩، ٧٥٠، ٧٥١، ٧٥٢، ٧٥٣، ٧٥٤، ٧٥٥، ٧٥٦، ٧٥٧، ٧٥٨، ٧٥٩، ٧٦٠، ٧٦١، ٧٦٢، ٧٦٣، ٧٦٤، ٧٦٥، ٧٦٦، ٧٦٧، ٧٦٨، ٧٦٩، ٧٧٠، ٧٧١، ٧٧٢، ٧٧٣، ٧٧٤، ٧٧٥، ٧٧٦، ٧٧٧، ٧٧٨، ٧٧٩، ٧٨٠، ٧٨١، ٧٨٢، ٧٨٣، ٧٨٤، ٧٨٥، ٧٨٦، ٧٨٧، ٧٨٨، ٧٨٩، ٧٩٠، ٧٩١، ٧٩٢، ٧٩٣، ٧٩٤، ٧٩٥، ٧٩٦، ٧٩٧، ٧٩٨، ٧٩٩، ٨٠٠، ٨٠١، ٨٠٢، ٨٠٣، ٨٠٤، ٨٠٥، ٨٠٦، ٨٠٧، ٨٠٨، ٨٠٩، ٨١٠، ٨١١، ٨١٢، ٨١٣، ٨١٤، ٨١٥، ٨١٦، ٨١٧، ٨١٨، ٨١٩، ٨٢٠، ٨٢١، ٨٢٢، ٨٢٣، ٨٢٤، ٨٢٥، ٨٢٦، ٨٢٧، ٨٢٨، ٨٢٩، ٨٣٠، ٨٣١، ٨٣٢، ٨٣٣، ٨٣٤، ٨٣٥، ٨٣٦، ٨٣٧، ٨٣٨، ٨٣٩، ٨٤٠، ٨٤١، ٨٤٢، ٨٤٣، ٨٤٤، ٨٤٥، ٨٤٦، ٨٤٧، ٨٤٨، ٨٤٩، ٨٥٠، ٨٥١، ٨٥٢، ٨٥٣، ٨٥٤، ٨٥٥، ٨٥٦، ٨٥٧، ٨٥٨، ٨٥٩، ٨٦٠، ٨٦١، ٨٦٢، ٨٦٣، ٨٦٤، ٨٦٥، ٨٦٦، ٨٦٧، ٨٦٨، ٨٦٩، ٨٧٠، ٨٧١، ٨٧٢، ٨٧٣، ٨٧٤، ٨٧٥، ٨٧٦، ٨٧٧، ٨٧٨، ٨٧٩، ٨٨٠، ٨٨١، ٨٨٢، ٨٨٣، ٨٨٤، ٨٨٥، ٨٨٦، ٨٨٧، ٨٨٨، ٨٨٩، ٨٩٠، ٨٩١، ٨٩٢، ٨٩٣، ٨٩٤، ٨٩٥، ٨٩٦، ٨٩٧، ٨٩٨، ٨٩٩، ٩٠٠، ٩٠١، ٩٠٢، ٩٠٣، ٩٠٤، ٩٠٥، ٩٠٦، ٩٠٧، ٩٠٨، ٩٠٩، ٩١٠، ٩١١، ٩١٢، ٩١٣، ٩١٤، ٩١٥، ٩١٦، ٩١٧، ٩١٨، ٩١٩، ٩٢٠، ٩٢١، ٩٢٢، ٩٢٣، ٩٢٤، ٩٢٥، ٩٢٦، ٩٢٧، ٩٢٨، ٩٢٩، ٩٣٠، ٩٣١، ٩٣٢، ٩٣٣، ٩٣٤، ٩٣٥، ٩٣٦، ٩٣٧، ٩٣٨، ٩٣٩، ٩٤٠، ٩٤١، ٩٤٢، ٩٤٣، ٩٤٤، ٩٤٥، ٩٤٦، ٩٤٧، ٩٤٨، ٩٤٩، ٩٥٠، ٩٥١، ٩٥٢، ٩٥٣، ٩٥٤، ٩٥٥، ٩٥٦، ٩٥٧، ٩٥٨، ٩٥٩، ٩٦٠، ٩٦١، ٩٦٢، ٩٦٣، ٩٦٤، ٩٦٥، ٩٦٦، ٩٦٧، ٩٦٨، ٩٦٩، ٩٧٠، ٩٧١، ٩٧٢، ٩٧٣، ٩٧٤، ٩٧٥، ٩٧٦، ٩٧٧، ٩٧٨، ٩٧٩، ٩٨٠، ٩٨١، ٩٨٢، ٩٨٣، ٩٨٤، ٩٨٥، ٩٨٦، ٩٨٧، ٩٨٨، ٩٨٩، ٩٩٠، ٩٩١، ٩٩٢، ٩٩٣، ٩٩٤، ٩٩٥، ٩٩٦، ٩٩٧، ٩٩٨، ٩٩٩، ١٠٠٠، ١٠٠١، ١٠٠٢، ١٠٠٣، ١٠٠٤، ١٠٠٥، ١٠٠٦، ١٠٠٧، ١٠٠٨، ١٠٠٩، ١٠١٠، ١٠١١، ١٠١٢، ١٠١٣، ١٠١٤، ١٠١٥، ١٠١٦، ١٠١٧، ١٠١٨، ١٠١٩، ١٠٢٠، ١٠٢١، ١٠٢٢، ١٠٢٣، ١٠٢٤، ١٠٢٥، ١٠٢٦، ١٠٢٧، ١٠٢٨، ١٠٢٩، ١٠٣٠، ١٠٣١، ١٠٣٢، ١٠٣٣، ١٠٣٤، ١٠٣٥، ١٠٣٦، ١٠٣٧، ١٠٣٨، ١٠٣٩، ١٠٤٠، ١٠٤١، ١٠٤٢، ١٠٤٣، ١٠٤٤، ١٠٤٥، ١٠٤٦، ١٠٤٧، ١٠٤٨، ١٠٤٩، ١٠٥٠، ١٠٥١، ١٠٥٢، ١٠٥٣، ١٠٥٤، ١٠٥٥، ١٠٥٦، ١٠٥٧، ١٠٥٨، ١٠٥٩، ١٠٦٠، ١٠٦١، ١٠٦٢، ١٠٦٣، ١٠٦٤، ١٠٦٥، ١٠٦٦، ١٠٦٧، ١٠٦٨، ١٠٦٩، ١٠٧٠، ١٠٧١، ١٠٧٢، ١٠٧٣، ١٠٧٤، ١٠٧٥، ١٠٧٦، ١٠٧٧، ١٠٧٨، ١٠٧٩، ١٠٨٠، ١٠٨١، ١٠٨٢، ١٠٨٣، ١٠٨٤، ١٠٨٥، ١٠٨٦، ١٠٨٧، ١٠٨٨، ١٠٨٩، ١٠٩٠، ١٠٩١، ١٠٩٢، ١٠٩٣، ١٠٩٤، ١٠٩٥، ١٠٩٦، ١٠٩٧، ١٠٩٨، ١٠٩٩، ١١٠٠، ١١٠١، ١١٠٢، ١١٠٣، ١١٠٤، ١١٠٥، ١١٠٦، ١١٠٧، ١١٠٨، ١١٠٩، ١١١٠، ١١١١، ١١١٢، ١١١٣، ١١١٤، ١١١٥، ١١١٦، ١١١٧، ١١١٨، ١١١٩، ١١٢٠، ١١٢١، ١١٢٢، ١١٢٣، ١١٢٤، ١١٢٥، ١١٢٦، ١١٢٧، ١١٢٨، ١١٢٩، ١١٣٠، ١١٣١، ١١٣٢، ١١٣٣، ١١٣٤، ١١٣٥، ١١٣٦، ١١٣٧، ١١٣٨، ١١٣٩، ١١٤٠، ١١٤١، ١١٤٢، ١١٤٣، ١١٤٤، ١١٤٥، ١١٤٦، ١١٤٧، ١١٤٨، ١١٤٩، ١١٥٠، ١١٥١، ١١٥٢، ١١٥٣، ١١٥٤، ١١٥٥، ١١٥٦، ١١٥٧، ١١٥٨، ١١٥٩، ١١٦٠، ١١٦١، ١١٦٢، ١١٦٣، ١١٦٤، ١١٦٥، ١١٦٦، ١١٦٧، ١١٦٨، ١١٦٩، ١١٧٠، ١١٧١، ١١٧٢، ١١٧٣، ١١٧٤، ١١٧٥، ١١٧٦، ١١٧٧، ١١٧٨، ١١٧٩، ١١٨٠، ١١٨١، ١١٨٢، ١١٨٣، ١١٨٤، ١١٨٥، ١١٨٦، ١١٨٧، ١١٨٨، ١١٨٩، ١١٩٠، ١١٩١، ١١٩٢، ١١٩٣، ١١٩٤، ١١٩٥، ١١٩٦، ١١٩٧، ١١٩٨، ١١٩٩، ١٢٠٠، ١٢٠١، ١٢٠٢، ١٢٠٣، ١٢٠٤، ١٢٠٥، ١٢٠٦، ١٢٠٧، ١٢٠٨، ١٢٠٩، ١٢١٠، ١٢١١، ١٢١٢، ١٢١٣، ١٢١٤، ١٢١٥، ١٢١٦، ١٢١٧، ١٢١٨، ١٢١٩، ١٢٢٠، ١٢٢١، ١٢٢٢، ١٢٢٣، ١٢٢٤، ١٢٢٥، ١٢٢٦، ١٢٢٧، ١٢٢٨، ١٢٢٩، ١٢٣٠، ١٢٣١، ١٢٣٢، ١٢٣٣، ١٢٣٤، ١٢٣٥، ١٢٣٦، ١٢٣٧، ١٢٣٨، ١٢٣٩، ١٢٤٠، ١٢٤١، ١٢٤٢، ١٢٤٣، ١٢٤٤، ١٢٤٥، ١٢٤٦، ١٢٤٧، ١٢٤٨، ١٢٤٩، ١٢٥٠، ١٢٥١، ١٢٥٢، ١٢٥٣، ١٢٥٤، ١٢٥٥، ١٢٥٦، ١٢٥٧، ١٢٥٨، ١٢٥٩، ١٢٦٠، ١٢٦١، ١٢٦٢، ١٢٦٣، ١٢٦٤، ١٢٦٥، ١٢٦٦، ١٢٦٧، ١٢٦٨، ١٢٦٩، ١٢٧٠، ١٢٧١، ١٢٧٢، ١٢٧٣، ١٢٧٤، ١٢٧٥، ١٢٧٦، ١٢٧٧، ١٢٧٨، ١٢٧٩، ١٢٨٠، ١٢٨١، ١٢٨٢، ١٢٨٣، ١٢٨٤، ١٢٨٥، ١٢٨٦، ١٢٨٧، ١٢٨٨، ١٢٨٩، ١٢٩٠، ١٢٩١، ١٢٩٢، ١٢٩٣، ١٢٩٤، ١٢٩٥، ١٢٩٦، ١٢٩٧، ١٢٩٨، ١٢٩٩، ١٣٠٠، ١٣٠١، ١٣٠٢، ١٣٠٣، ١٣٠٤، ١٣٠٥، ١٣٠٦، ١٣٠٧، ١٣٠٨، ١٣٠٩، ١٣١٠، ١٣١١، ١٣١٢، ١٣١٣، ١٣١٤، ١٣١٥، ١٣١٦، ١٣١٧، ١٣١٨، ١٣١٩، ١٣٢٠، ١٣٢١، ١٣٢٢، ١٣٢٣، ١٣٢٤، ١٣٢٥، ١٣٢٦، ١٣٢٧، ١٣٢٨، ١٣٢٩، ١٣٣٠، ١٣٣١، ١٣٣٢، ١٣٣٣، ١٣٣٤، ١٣٣٥، ١٣٣٦، ١٣٣٧، ١٣٣٨، ١٣٣٩، ١٣٤٠، ١٣٤١، ١٣٤٢، ١٣٤٣، ١٣٤٤، ١٣٤٥، ١٣٤٦، ١٣٤٧، ١٣٤٨، ١٣٤٩، ١٣٥٠، ١٣٥١، ١٣٥٢، ١٣٥٣، ١٣٥٤، ١٣٥٥، ١٣٥٦، ١٣٥٧، ١٣٥٨، ١٣٥٩، ١٣٦٠، ١٣٦١، ١٣٦٢، ١٣٦٣، ١٣٦٤، ١٣٦٥، ١٣٦٦، ١٣٦٧، ١٣٦٨، ١٣٦٩، ١٣٧٠، ١٣٧١، ١٣٧٢، ١٣٧٣، ١٣٧٤، ١٣٧٥، ١٣٧٦، ١٣٧٧، ١٣٧٨، ١٣٧٩، ١٣٨٠، ١٣٨١، ١٣٨٢، ١٣٨٣، ١٣٨٤، ١٣٨٥، ١٣٨٦، ١٣٨٧، ١٣٨٨، ١٣٨٩، ١٣٩٠، ١٣٩١، ١٣٩٢، ١٣٩٣، ١٣٩٤، ١٣٩٥، ١٣٩٦، ١٣٩٧، ١٣٩٨، ١٣٩٩، ١٤٠٠، ١٤٠١، ١٤٠٢، ١٤٠٣، ١٤٠٤، ١٤٠٥، ١٤٠٦، ١٤٠٧، ١٤٠٨، ١٤٠٩، ١٤١٠، ١٤١١، ١٤١٢، ١٤١٣، ١٤١٤، ١٤١٥، ١٤١٦، ١٤١٧، ١٤١٨، ١٤١٩، ١٤٢٠، ١٤٢١، ١٤٢٢، ١٤٢٣، ١٤٢٤، ١٤٢٥، ١٤٢٦، ١٤٢٧، ١٤٢٨، ١٤٢٩، ١٤٣٠، ١٤٣١، ١٤٣٢، ١٤٣٣، ١٤٣٤، ١٤٣٥، ١٤٣٦، ١٤٣٧، ١٤٣٨، ١٤٣٩، ١٤٤٠، ١٤٤١، ١٤٤٢، ١٤٤٣، ١٤٤٤، ١٤٤٥، ١٤٤٦، ١٤٤٧، ١٤٤٨، ١٤٤٩، ١٤٥٠، ١٤٥١، ١٤٥٢، ١٤٥٣، ١٤٥

سجون صلاح الدين في مصر ومدن الشام بأسراه من الصليبيين^(١) . ولم يكن في استطاعة البابوية أن تدفع بحملة صليبية جديدة ، أو أن تشعر حكام غرب أوروبا بحساسية موقف الإمارات الصليبية التي تضاءلت أهميتها بالنسبة لهم أمام صراعاتهم الخاصة^(٢) . وهكذا لم يجد البابا لوكيوس الثالث بدا من مراسلة صلاح الدين ونائبه في مصر — العادل —^(٣) راجيا إياهما الموافقة على إتمام عمليات تبادل الأسرى من فرنج الشام تعويضا للأخوين عن عجز أوروبا في مساعدتهم آنذاك وفي وقت كان فيه توازن القوى في الصراع بين المسلمين والصليبيين قد بدأ يميل بشكل واضح لصالح صلاح الدين .

نما عن رد صلاح الدين على طلب البابا ، فبعد إظهار الامتنان لما يعرضه البابا من حسن العلاقات مع السلطان ، وبعد تذكير البابا بأنه كبير الأمة المسيحية في غرب أوروبا والمقاتل الصليبية في بلاد الشام ، يبدى موافقته على طلب البابا شريطة أن يلزم الأخوة رعاياه من فرنج الشام بما جرى من اتفاق بين البابا والسلطان . فإن من لدى الصليبيين من أسرى مسلمين ليسوا إلا مزارعين ومن هم من أبسط الناس ، بينما كان في أسر صلاح الدين من الفرنج من ينتمون إلى

(١) وقع في أسر صلاح الدين بعد انتصاره على الفرنج في مرج عيون (١٠ يونيو ١١٧٩ م / ٣١ محرم ٥٧٥ هـ) حوالي ٢٦٠ أسير . كما طهر الأمطار المصري في نفس اليوم سفينة الفرنج وأسر ألف أسير من النسي . وفي أغسطس / ربيع أول من نفس السنة أسرت قوات صلاح الدين بعد هجومه لحصن بيت الأحواز نحو مسملة أسير من الفرنج . وفي مايو ١١٨٢ م / محرم ٥٧٨ هـ أنقذت فرنج سفينة للفرنج أقيمت في أوروبا على نحو دمياط فأُسِر المسلمون من بها من فرنج وعندهم ١٦٩ أسير . وفي نفس الشهر أغار منصور فرجشاه إيلي على صلاح الدين على طيبة وعكنا والسود ورجع معه ألف أسير . ويحدث يكون عدد أسرى الفرنج لدى صلاح الدين حتى تدين خطبات العادل إلى البابا ما يقرب من خمسة آلاف أسير . هذا ، غير ما لم تعدده المصادر الإسلامية . انظر : العباد الأصفهاني : حرق الشام ، ج ٣ ، ص ٣٦٩ ، ابن واصل : فرج الكذب ، ج ٢ ، ص ٧٥ ، ٧٧ ، ١١٣ — ١١٥ ، أبو شامة : كتاب الروضتين ، ج ٢ ، ص ٢٧ — ٢٨ .

J. Richard, The Latin Kingdom, vol. I, p. 57.

(٢)

(٣) بقي العادل نابيا عن صلاح الدين في مصر منذ عام ١١٧٤ م / ٥٧٠ هـ وحتى استخلفه السلطان من حلب بعد أخذهما من الزنكيين في عام ١١٨٣ م / ٥٧٩ هـ . انظر : من شدائد الزنكاد ، ص ٦٢ ، العباد الأصفهاني : البرق الشامى ، ج ٥ ، ص ١٥٢ — ١٥٣ .

طبقة المحاربين والنبلاء ، وعلى الصليبيين أن يقدروا قيمة من يغرون اقتداه من بني جلدتهم بإطلاق سراح عدد مناسب من أسرى المسلمين لديهم^(١) .

أما عن رد العادل على طلب البابا نفسه، فيعد إبراز مكانة البابا بين المسيحيين قاطبة، وإعلامه باستقبال العادل لمبعوثه وكرمه وقادته له، يبين العادل تفهمه لأهمية طلب البابا لإتمام عمليات فداء الأسرى مع فرنج الشام. ويبدى العادل موافقته على ذلك، كما حدث مع البابا السابق ألكسندر الثالث "Praedecessore Alexandro"^(٢)، وبناء على رغبة البابا في أن يستحث العادل أخاه السلطان في اتمام ذلك، فقد أبدى العادل اهتمامه بذلك الأمر. ثم يعدد العادل انتصارات صلاح الدين على الصليبيين، ويبرز مكانته لدى المسلمين الذين يتفانون في خدمته. وربما قصد العادل من ذلك أن يبين للبابا أن صلاح الدين ليس في حاجة — أو غير مضطر — لعقد اتفاق مع البابا، وأنه يتعامل مع الأخير من موقف القوة، حتى يدفع البابا إلى قبول ما سيمليه عليه من شروط بعد قليل. فقد عرض صلاح الدين على العادل طلب البابا، وأوصاه بالاستجابة له، لذلك فإن العادل يكتب إلى البابا نيابة عن السلطان وبناء على تعليماته، بالموافقة على طلبه شريطة أن يستجيب الصليبيون في بلاد الشام، وكذلك ملك بيت المقدس، لنصائح البابا في ذلك الشأن، وأن يلتزموا بما يتم الاتفاق عليه بين البابا والسلطان، حتى يتم إبرام السلام بين الطرفين، ويتم عمليات فداء الأسرى. أما إذا

(١) انظر ملحق رقم (١) بآخر البحث .

وقد أخذ صلاح الدين أن ينتظر فرصة وفرع كبار قادة الصليبيين في أسره ويطلب نظير إطلاق سراحهم عدد كبير من الأسرى المسلمين لدى الفرنج . فيعد انتصاره على الصليبيين بسهل مرج عيون في ١٠ يونيو ١١٧٩ م ٢ محرم ٥٧٥ هـ موقع في أسره كل من بولجين بليس صاحب بنة أمور الجبل وهو من شعبة كوسية طرابلس وأخوه سانت أماند مقدم القديس . وتم إطلاق سراح بولجين نظير مائة وخمسين ألف دينار وإطلاق سراح ألف أسير من المسلمين لدى الفرنج . كما أعدت دسيسة طرابلس أنها بخمسة وخمسين ألفاً من الدنانير الصورية . وحتى حلة مقدس . بنة الذي مات في أسره تم تسليمها للفرنج في مقابل إطلاق سراح أسير مسلم . انظر : العبداء الأعفاني : الجزء الثاني ، ج ٣ ، ص ١٦٦ ، من وصل : معراج النكروب ، ج ٢ ، ص ١٦٦ . راجع أيضاً :

William of Tere, vol. 2, p. 443.

(٢) هذه إشارة لما دالة خدمة . وهي أن البابا ألكسندر الثالث (١١٥٩ — ١١٨٢ م) كان أن من جعل التفاوض مع صلاح الدين الأمور نفس نسب . وكان بد صلاح الدين هو نفس ذه من سألته البابا لوكيوس الثالث . إلا أنه لم يفع على نفس سألته البابا ألكسندر الثالث إلى صلاح الدين أنه عن نفس بد الأكرم عليها . كما أنه شفع على أنه يشاء فقد ذلك في أي قضاء العبداء

لم ينته فرنج الشام بذلك، فإن صلاح الدين والعادل يكونان في جبل مما وعده به البابا، ولن يكون عقد السلام مع الصليبيين محل اهتمام السلطان ونائبه أيد^(١).

وإذا كان البابا لوكيوس الثالث دوافعه التي تجعله يطلب من صلاح الدين عقد هدنة سلام مع الصليبيين ونباد^(٢) أسراه معهم، فإن إظهار صلاح الدين والعادل الموافقة على طلب البابا كان وراءه دافع واحد. فصلاح الدين، وحتى تاريخ صدور خطاب العادل إلى البابا (١ أبريل ١١٨٣ م/ ٥ ذى الحجة ٥٧٨ هـ) لم يكن قد أتم بعد حلقة الحصار حول أملاك الصليبيين، وذلك بضم حلب إلى أملاكه. لذلك كان صلاح الدين يخشى مواجهة الفرنج في معركة حاسمة دون أن يأمن جانب الزنكيين في حلب، الذين ربما يتحالفون ضده مع ملك بيت المقدس، كما فعل زنكيو الموصل من قبل^(٣). وربما يخشى صلاح الدين وصول حملة صليبية من أوروبا توقف مشروعه ضد صليبي الشام، وتضيع عليه فرصة الانفراد بهم، وهم في حال لا تسمح لهم بالتصدي له. لذلك كله جاءت موافقة كل من صلاح الدين والعادل على طلب البابا مهادنة له وليس كسبا لودعه. ولم تطالعنا المصادر التاريخية بما يفيد حدوث ما رغب فيه البابا، وبقيت المملكة الصليبية تعاني من الضعف الذي مهد لسقوطها على أيدي صلاح الدين.

البابا انرست الثالث :

ولم يكن من بين الفرغ في بلاد الشام من هو أوسع اتقا من ولیم رئیس أساقفة صور . فقد كان يتبع إنجازات صلاح الدين ، وأدرك حجم الخطر المحدق بالكيان الصليبي كنه . وتحقق ما توقعه ولیم قبل أن ينهى تاريخه . فقد أطاح صلاح الدين بعد انتصاره في وقعة حطين (السبت ٤ يوليو ١١٨٧ م/ ٢٤ ربيع ثان ٥٨٢ هـ) بجهود تسعة وتسعين عاما من وجود الفرنج في بلاد الشام^(٤) . وعادت مدينة بيت المقدس إلى السيادة الإسلامية ، وفي إيقاع باهر اقتطع صلاح الدين

(١) انظر ملحق رقم (٢) بأخر البحث .

(٢) وكان ذلك في عام ١١٨٢ م/ ٥٧٨ هـ . انظر العباد الأمشقي : البقي الشامي ، ج ٥ ، ص ١٧ .

(٣) De Expeditione Terrae Sanctae per Saladinus Libellus, ed. W. Stubbs, in R.S. 171 London, 1871, p.34.

من الكيان الصليبي غاليته . ولم يبق في حوزة الصليبيين ما يبعث فيهم الأمل في البقاء^(١) . وبينما كان صلاح الدين يسجد لربه شاكرًا فضله عليه^(٢) كان خبر الكارثة التي حلت بالكيان الصليبي في الشرق الأدنى آخذة طريقها إلى غرب أوروبا^(٣) .

وبالرغم من أن الحملة الصليبية الثالثة التي جاءت كرد فعل لانتصارات صلاح الدين واستغاثة فرنج الشام بغرب أوروبا ، وهي أكبر الحملات الصليبية وأكثرها تنظيمًا ، بالرغم من أنها ساعدت على حفظ بقايا الكيان الصليبي من خطر صلاح الدين وهو في أوج انتصاره^(٤) . إلا أنها لم تحقق إنجازًا كبيرًا . فلم يترد الصليبيون بيت المقدس ، وكل ما بقي بفضلها في أيدي فرنج الشام هو شريط ساحلي ضيق يمتد من صور إلى يافا ، وكل ما غنمه الصليبيون في الشام من أمان هو ما وفرته لهم الهدنة التي عقدها ريتشارد قلب الأسد مع صلاح الدين (سبتمبر ١١٩٢ م / شعبان ٥٨٨ هـ)^(٥) . وبقي مصر فرنج الشام مرهونًا

(١) لم يبق بحوزة الفرنج سوى مدينة صور من مملكة بيت المقدس ، ومدينة طرابلس وبقعة أنطربوس من كونية طرابلس ، ومدينة أنطاكية وحصن الرقب وبناء السويدية من إمارة أنطاكية .

J.L. La Monte, from Crusading Kingdom to Commercial Colony, in B.P.I.A.S.A., vol. 3, 1944-45, p. 287.

(٢) أدى صلاح الدين فريضة الجمعة في المسجد الأقصى يوم فتح بيت المقدس (٢ أكتوبر ١١٨٧ م / ٢٧ رجب ٥٨٢ هـ) . أنظر : ابن شداد : التوادر ، ص ٨٢ .

(٣) بعث قادة الدعاية والامنيّة برسائل يصمون فيها الكارثة التي حلت بهم على أيدي صلاح الدين إلى حكام أوروبا . كما بعث يوهنن الثالث أمير أنطاكية وبيترى بطريرك أنطاكية اللاتيني إلى هنري الثاني ملك إنجلترا برسائل مماثلة . ويتوجه جيمس ديس أساقفة صور إلى غرب أوروبا . وقابل البابا وسكس إنجلترا وفرنسا بشأن انعقاد فرنج الشام : أنظر :

Benedict of Peterborough, vol. 2, pp. 13-14; Chronica Regia Cloniensis, in M.G.H., in Usam Scularum, Hanover, 1880, pp. 137-138.

(٤) محمد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٦٠٢ .

(٥) كانت فترة الهدنة ثلاث سنوات بقاوية أشهر . أنظر : ابن شداد : التوادر ، ص ٢٢٢-٢٢٥ .
العقاد الأنصهاني : الفتح القسري في الفتح المقدسي ، تحقيق محمد محمود صبح ، القاهرة ١٩٦٥ ، ص ٩٠٥ . راجع أيضا .

Itinerarium Peregrinorum et Gesta Regis Ricardi, ed. W. Stubbs, in R.S., London, 1865, p. 240.

بإمكانية تكرار جهد البابا أوربان الثاني ولم تكن مثل هذه الإمكانية متوفرة بالمعنى المفهوم في ظل المتغيرات التي استجذبت على المسرح وقتذاك^(١).

على أى حال ، لم يكن يقوم بمثل هذا الجهد سوى البابا انوسنت الثالث (١١٩٨-١٢١٦ م) الذى كان يرى أنه لا مكان لحملة صليبية يشرف عليها ملوك أوروبا ، ويقتصر دور الكنيسة اللاتينية فيها على دعوة مسيحي الغرب للمساهمة فيها . كما رأى البابا نفسه أن أى حملة صليبية يجب أن تخضع لهيمنة البابوية . كما كان انوسنت مهتما بإعادة بناء مملكة بيت المقدس الصليبية التي دمرها صلاح الدين ، الأمر الذى لم تستطع إنجازها الحملة الصليبية الثالثة . وفي أغسطس ١١٩٨ م ، وفور اعتقاله الكرسي البابوي ، أعلن أنوسنت الثالث مشروع حملة صليبية جديدة^(٢).

ولم تكن حماسة البابا الصليبية المجردة هي سبب ذلك ، وإنما الصورة القائمة التي رسمها تقرير عموري الراهب aimery the Monk بطريرك بيت المقدس (١١٩٧-١٢٠٢ م)^(٣) إلى البابا في ١١٩٩ م/٥٩٥ هـ عن الوضع المتردى للكيان الصليبي في بلاد الشام ، ذلك التقرير الذى حفظه لنا فست دى يفيه . فالإمارات الصليبية التي استطاعت أن تعيش طوال القرن الثاني عشر الميلادي/السادس الهجري تقريبا بلدن مساعدات كبيرة من غرب أوروبا ، قد استعدت لدخول القرن التالى ويدها مملودة نحو أوروبا استجداء للعون . فسوانى الصليبيين في بلاد الشام دون عمق استراتيجي ، والطرق لم تعد مأمونة ، والمجاعة محدقة بالفرنج ، ولم يعد في مملكة بيت المقدس (في عكا) احتياطي من الطعام . كما أضرت الحملة الألمانية (١١٩٧ م/٥٩٣ هـ) بالزراعة وبالإتجار مع

(١) J.O. Prestwich, Ricard Cœur de Lion: Rex Bellicosus. (Ricardo Cour di Leone nella Storia e nella legenda). (- Accademia nazionale dei lincei no. 353), Rome, 1981, p. 15.

H. Mayer, The Crusades, p. 183

(٢)

(٣) تولى عموري رئاسة أسقفية ليمانية سنة ١١٨٠ م/٦٧٦ هـ وبقي بها حتى تولى بطريركية بيت المقدس . أنظر :

B. Hamilton, The Latin Church in the Crusader States, The Secular Church, London, 1980, p. 122.

المسلمين في مدن الشام الداخلية^(١) . وبالرغم من آراء إنوست الثالث السياسية وسياسته الصليبية ، فقد أثبتت زمام الحملة الصليبية الرابعة من يديه ، وأشرفت عن مسارها الصحيح^(٢) . واكتفى البابا باعتبار أخطاء قادة هذه الحملة وما نتج عنها من خسائر للعالم المسيحي بصفة عامة ، أمراً واقعاً "Fait accompli"^(٣) . وبالنسبة للكيان الصليبي في بلاد الشام ، فقد رأى البابا أن لهذه الحملة ثلاث فوائد . أولها أن السلطان الأيوبي الملك العادل تخوف من أن يؤدي سقوط القسطنطينية بسهولة في أيدي اللاتين إلى تقوية الصليبيين في الشام ، كما كان الحال أيام تدعيم الإمبراطور مانويل كومنين لهم ، فسارع العادل إلى عقد هدنة مع صليبي الشام لمدة ست سنوات (من سبتمبر ١٢٠٤ م / صفر ٦٠١ هـ إلى سبتمبر ١٢١٠ م / ربيع أول ٦٠٧ هـ)^(٤) . أما ثاني فائدة للحملة الرابعة ، كما رآها البابا إنوست الثالث ، هي توحيد كنيستي القسطنطينية وروما تحت سيادته^(٥) . وثالث هذه الفوائد هي ما خشيته الملك العادل ، وهو أن قيام إمارة لاتينية في القسطنطينية يشكل سدا للإمارات الصليبية في بلاد الشام . ولم يكن البابا محقاً إلا فيما يخص الفائدة الأولى .

فبالرغم من عقد الهدنة مع الملك العادل ، فقد رجب كثير من صليبي الشام بدعوة بولدوين إمبراطور القسطنطينية اللاتينية للهجرة إلى القسطنطينية . وكما حدّد إرنول ، فقد ترك فلسطين ما يقرب من مائة فارس ، وعشرة آلاف من الفرنج راحلين إلى القسطنطينية . وكان ذلك في بدايات عام ١٢٠٥ م / أواسط عام ٦٠١ هـ^(٦) ، حين كانت المملكة الصليبية في أشد الحاجة إلى الموارد البشرية للدفاع عنها . وكما رأى البابا إنوست ، أنه لذلك السبب لم يعد بمقدورنا الدفاع

(١) Vincent de Beauvais, Speculum Historiale, Graz-Austria, 1969, Lib. XXIX, Ch. Lix.

وهي فنست دي بينيه وحياته وأعماله . أنظر : حسي عنية . إمارة الطائفة الصليبية . والمسلمون ، ص ٤٨-٥٠ .

(٢) J. Gill, Franks, Venetians and Pope Innocent III, in S.V. 1970, pp. 87-88.

(٣) Chronica Regia Colonienais, in M.G.H., in Ussum Scholarum, p. 212.

(٤) ابن راسل : مفرج الكرب ، ج ٣ ، ص ١٦٦-١٦٧ ، راجع أيضاً :

Eracles, L'Estoire d'Eracles, empereur et la conquest de la Ttre d'Ousremet, in R.H.C.-H.Occ., pp. 259-263

H. Mayer, The Crusades, p. 204

Ernoul, p. 378.

عن ساحل فلسطين ، الى لا يزال في أيدي الصليبيين ، ضد هجمات المسلمين ، وبسبب التقص في عدد المقاتلين ، فانا بالكاد نستمكن من الدفاع عن مملكة قبرص ^(١) .

وهكذا أصبح من المؤكد أنه لن يكون في إمكان البابوية مساعدة الصليبيين في انشام إلا بإيقاد حملة صليبية جديدة . ولما آلى مصير من قاموا بحملة ١٢١٢ م/ ٦٠٩ هـ — حملة الأطفال — إلى الملاك والعبودية ^(٢) ، ولأنها لم تكن بالحسنة التي يمكن الإعتماد عليها في الدفاع عن الكيان الصليبي ، واسترداد ما أخذه صلاح الدين ، فلم تستغرق أوروبا وقتا طويلا في الحزن عليها ، ولم تشغل البابوية كثيرا في أنعيا للمجتمع الأوروبي ، بل بدأت تحت هذا المجتمع على القيام بحملة صليبية جديدة تخضع لسلطان البابا مباشرة . وحتى يوم ذلك ، كان على البابا إنوسنت الثالث أن يدلي بدلوه في استمرار أحد نماذج دبلوماسية الحروب الصليبية ، الذي بدأه من قبل كل من البابا ألكسندر الثالث والبابا لوكيوس الثالث . كان عليه الإتصال بالأوروبيين عنه يتمكن بالدبلوماسية من تحقيق ما فشلت فيه سياسته العسكرية .

فبحلول سبتمبر ١٢١٠ م/ ربيع أول ٦٠٧ هـ انتهى أمد الهدنة بين العادل والصليبيين . ولم يعكر صفو العلاقات بين الطرفين شيء ذو أهمية . وعلى مشارف عكا ، عرض العادل على حنا ابليين John of Iblie الوصي على مملكة بيت المقدس تعديد الهدنة ، على أن يرد إليهم عدة قرى تابعة لعكا ، إلا أن صلف جماعة الدأوية أضاع على الصليبيين فرصة تسامح العادل ^(٣) . وكان على الفرنج أن يتعرضوا للتهديد الدائم . فبعد أن أخرج العادل ابنه المعظم عيسى للإغارة على ضواحي عكا ^(٤) ، شرع المعظم في بناء قلعة على قمة جبل الطور المطل على عكا ، الأمر الذي جعل للمسلمين اليد الطولى ، وجعل طرق الاتصال بين مدن

(١) R. Grousset, Histoire des Croisades, 3 toms., Paris 1934-36, t. 3, pp. 173-177.

(٢) Chronica Regia Coloniensis, in M.G.H ss., vol. 27, pp. 18.

(٣) Eracles, pp. 315-316.

انظر أيضا سعد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٩٥١ .

(٤) أبو شامة (شهاب الدين) : فراجهم رجال القريتين السامري والسابع ، المعروف بالنيل على دمشق — نشره السيد عزت العطار — بيروت (ط ٢) ١٩٦٤ ، ص ٧٠ .

الساحل الصليبية تحت رحمة المسلمين^(١). ودفع هذا التهديد بحثا بريون John of Brienne ملك بيت المقدس الجديد (١٢١٠-١٢٢٥ م) ، إلى السماح لقوات الداوية وأتباعه بإغارة فاشنة على مصر^(٢). وكان أن اتجه العادل إلى الأسكندرية واعتقل من بها من تجار الفرنج ، وصادر بضائعهم ، تحسبا للتعاون بين هؤلاء وبين والتر مونتيليارد قائد الغارة الفاشلة^(٣). فارع حنا برين بتجديد الهدنة مع العادل لمدة ست سنوات^(٤). إلا أن عقد الهدنة مع العادل لم يمه شعور الفرنج بخطر وجود المسلمين على مشارف عكا في قلعة جبل الطور . وكما يخبرنا ابن نطيف الحموي ، فإن الفرنج سارعوا إلى الإستغاثة بغرب أوروبا ويعرفونهم بأن الطور محصونه وهو قوى به يملكون الساحل^(٥). وأول من أدرك معنى ذلك هو البابا إنوسنت الثالث . فحتى يتمكن من إيفاد حملة صليبية لاجدة فرنج الشام ، اتبع أسلوب التفاوض مع بني أيوب ، تبعا نهج أسلافه وسياستهم في التفاوض مع أولى الأمر في مصر والشام من الأيوبيين .

ففي هذه الفترة استغاث أسرى الفرنج في مصر بالبابا إنوسنت الثالث ، فبعث إليهم أنه قد أصدر أوامره إلى بطريرك بيت المقدس ألبرت أوف فيرسل

(١) ابن الأثير (عز الدين) : الكامل في التاريخ ، ج ١٢ ، القاهرة (المطبعة الحسينية) ، ١٣٨١ هـ ، ج ١٢ ، ص ١٣٨ . راجع أيضا : سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٩٥١-٩٥٢ .

(٢) وصلت هذه الغارة حتى مصب النيل عند فرع دسباط ولم تظهر بشيء ، أنظر : Eracles, p. 316 .

(٣) وكان ذلك في نهاية عام ١٢١٢ م /أوتل عام ٦٠٩ هـ حيث أسرع العادل بالقدوم من الشام إلى الألكسندرية كما يحيطها السفن لأنهم اجتمع فيها من تجار الفرنج ثلاثة آلاف رجل وملكان من منوكهم وعزموا على أن يهزوا بأهل الألكسندرية فاستصطفى العادل أنصارهم واعتقل الملكين وهاد إلى القاهرة ، وقد أورد القزويني نفس الرواية مختصرا على ذكر اجتماع التجار الإيطاليين بالألكسندرية دين الإشارة إلى عزمهم على القيام بالقتال . ولهذا يفترض أن الفرج الفرنسي جان مشار - الذي استشهد برواية القزويني فقد - يفترض أن والتر كان يأمل في أن يثور التجار الإيطاليين في الألكسندرية ويساعدونه على الإستيلاء عليها ، الأمر الذي تؤكد رواية السفن . أنظر المسفلان : (أبو البركات عز الدين) : شفاء القلوب في مناقب بني أيوب ، عذوطة مكتبة المتحف الشيعاني ، رقم ٥٤٩٩ ، ورقة ٦٢ ، القزويني : السلوك ، ج ١ ، قسم ١ ، ص ٢٠٩ . راجع أيضا .

J. Richard, p. 216.

(٤) ابن نطيف (أبو الفضائل الحموي) : التاريخ المنصري ، وهو تحقيق الكشف والبيان في حوادث الزمان ، تحقيق أبو العبد دبور ، دمشق ١٩٨١ ، ص ٦٢ . راجع أيضا Eracles, ١١٢ .

(٥) ابن نطيف : تاريخ المنصور ، ص ٣١ .

Albert of Vercelli (١٢٠٥—١٢١٤ م) والأمراء المسيحيين في الشرق ، أن يجمعوا الأموال اللازمة لانقاذهم ، وقبل كل شيء أن يوافقوا على تبادل الأسرى مع المسلمين^(١) . وفي ٦ مايو ١٢١٣ م / ١٣ دى الحجة ٦٠٩ هـ ، بعث البابا برسالة إلى السلطان العادل في مصر ، يشرح له كيف أن سقوط مدينة بيت المقدس في أيدي أخيه صلاح الدين لم يكن بسبب فضائل الأخير ، وإنما بسبب غضب الله على المسيحيين ، ثم يذكر البابا السلطان الأبوي بأن في السماء رب يبدل الأزمان ، وبإرادته يجمع ممالك هذا العالم لمن يشاء . ثم يلتمس البابا رحمة السلطان بالأسرى الفرج لديه ، ويسكان مملكة بيت المقدس للعساء . ويوشل إليه أن لا يسل مزيداً من الدماء ، وينصحه بأن يعيد مدينة بيت المقدس إلى الصليبيين ، مينا له كيف أن بقاء المدينة المقدسة في حوزة المسلمين لن يعود عليه بفائدة ، بقدر ما سوف يكلفه من تضحيات . ويتبع البابا نصيحته هذه للسلطان بطلبه أن يوافق العادل على إنعام عمليات فداء الأسرى مع الصليبيين ، وأن ينهي القتال معهم حتى يترج الطرفان من عناء الصراع . ويعتتم البابا رسالته بحث العادل على حسن استقبال مبعوثيه إليه وعلى كرم وفادتهم^(٢) .

وربما يكون طلب البابا بإعادة مدينة بيت المقدس إلى الفرج أمراً غير مألوف في مكاتبات رؤساء كنيسة روما إلى بني أيوب من قبل . واتصرت مراسلات كل من ألكسندر الثالث ولوكيوس الثالث على طلبهم موافقة المسلمين على إتمام عمليات تبادل الأسرى مع الفرج ، وربما عقد الهدن معهم ، إلا أن أيا منهم لم

Innocent III, Pope, Regesta, in P.L., vol. 214, col. 444

(١)

(٢) توجد عدة نسخ لرسالة البابا إينوسنت الثالث إلى الملك العادل . والنسخة الوحيدة الكاملة هي النسخة التي رجعا إليها هنا ، والتي أوردتها الفؤاد الإيطالي المعاصر بشارد دي سان جرمان في حويلته التي تعالج الفترة من ١١٨٩ م إلى عام ١٢٢٣ م . ونقع في كتاب عامودا إحتلت أربعين صفحة : أنظر .

Rywardus de San. Germano, Chronicon, in Muratori, R.I.S., vol. VIII, col. 985-986.

أما بقية النسخ ، فقد جاءت في شكل ملخص ، بما يوحى بأنها سبخت عن النص الذي أورد بشارد :

Innocent III, Pope, Regesta, in P.L., vol. 216, cols. 831-832; C.A.S. posthast, ed., Regeste Pontificum Romanorum, vols. 2, Berlin, 1873-75, vol. 2, no. 4719; Rohricht Regesta, no. 864, p. 232

راجع أيضاً ملحق رقم (٣) بأسر البيت .

يذهب إلى الحد الذي ذهب إليه إيبسيت الثالث . إلا أنه يتبع اتهامات هذا البابا بأحوال الصنيين في بلاد الشام ، ربما نقف على الدافع من وراء طلبه هذا .

ففي عام ١١٩٨ م/ ٥٩٤ هـ ، طلب البابا من كل من عموري بطريرك بيت المقدس وجود فرى دى دوجون مقدم الاستبارة وجليبرت دورال مقدم الداوية أن يبعثوا إليه بتقاريرهم المسببة عن أحوال المسلمين السياسية في مصر والشام ، حتى يتسنى له إعداد الحملة الصليبية التى يعتزم إيفادها إلى الشرق بشكل يتناسب وقوة المسلمين^(١) . وفي نوفمبر ١١٩٩ م/ محرم ٥٩٦ هـ ، بعث البطريرك ومقدما الداوية والاستبارة بتقارير وافية عن أحوال بنى أيوب في مصر وسائر بلدان الشرق الأدنى ، إلى جانب وصف جغرافى دقيق لمصر وبلاد الشام ، تضمنه تقرير البطريرك . ولحسن الحظ ، فقد حفظ لنا ريتشارد دى سان جيرمان نص التقرير الذى بعث به مقدما الداوية والاستبارة في خولته المذكورة^(٢) . إلا أنه بالرغم من دقة ووفرة المعلومات التى تضمنها هذا التقرير عن السلطان العادل وعلاقاته بأفراد أسرته من أحكام الشام والعراق ، وعن سائر حكام المسلمين في الشرق الأدنى ، فقد بعث مقدما الداوية والاستبارة إلى البابا ببعض المعلومات الخاطئة عن أمراء الشام من أبناء العادل^(٣) . فأنهاؤه كما يزعم التقرير ، بتسوية إعادة الأراضي

(١) Innocent III, Pope, Regesta, in P.L., vol. 214, cols. 737-738; posthast, Regesta Pontificum, vol. 1, no. 851; Rohricht, Regesta, no. 760, pp. 202-203.

(٢) Rycardus de San. Germano, Chronicon, cols. 986-988.

وقد أشير كل من بوثاست وجرشت إلى تقرير البطريرك وبعده ، إلى حين أشار جرشت إلى تقرير مقدما الداوية والاستبارة عند الإشارة إلى رسالة البابا إلى السلطان . انظر :

Posthast, Regesta pontificum, vol. 1, no. 935, Rohricht, Regesta, no. 762, p. 203

كما ورد نص تقرير مقدمي الداوية والاستبارة في قصة كتاب وليم العموري (المصنوع خطأ في روتلان) إلا أن مؤلفه المجهول ينسب التقرير إلى عموري الراهب بطريرك بيت المقدس (١١٩٧-١٢٠٢ م) . انظر :

Rehelin, Continuation de Guillaume de Tyr [ite du manuscrit de Rohelin (1229-1261), in R.H.C.-H.Occ., t. II, Paris, 1869, pp.520-522.

(٣) عند قول العادل حاكم الدولة الأيوبية . فقد استطاع في تنظيم دولته بأبيه وأبى الكامل محمد لى حكم مصر . وجعل النظم يحس في دمشق ، وأعطى الأشرف موسى حرا ، والأخند ميخائيلين ، وبنا نزل حاكم حلب المنفذ غزى إلى صلاح الدين ، وأخوه الأفضل إلى حماة ، وأقطع العادل حماة وأصافها للسلطان المنصور . إلى عهد سلطان مصر السابق . انظر : الفرجى : السيفك ، ج ١ ، قسم ١ ، ص ١٨٩-١٩٠

المقدسة إلى فخامة البابا ، وهي الأراضي التي يمنون عليها رغما عن
المسيحيين .

“Volunt isti libenter reddere in manus Domini papae Terram Sanctam,
quam tenent ad opus Christianorum”

وهكذا خدع البابا بأمل كاذب^(٢١) . فالرغم من تسامح العادل واعتدال
سياسته تجاه الصليبيين^(٢٢) ، إلا أنه لم يكن هناك ما يدعو إلى أن يفرط في
المكاسب التي حققها أخوه صلاح الدين . كما أنه لم يتوان في أي وقت عن صد
أي نشاط يقوم به فرنج الشام . كما أن علاقاته بأولاده قوية ومستقرة ساعدت على
استمرار وحدة الدولة الأيوبية في عهده ، دون أن يصيبها الاضطراب الذي أصابها
لتفريق كلمة أبنائه في عهد خلفه الملك الكامل . فكان العادل مسيطرا على زمام
الأمر في دولته لامتنال أبنائه لأوامره^(٢٣) . ولكن التقرير الذي وصل إلى البابا
إنوست كان مضللا ، ومن هنا جاء طلبه إلى العادل برد بيت المقدس إلى
القيسين ، تلك المدينة المقدسة التي كانت محور الصراع بين المسلمين واللاتين ،
والتي كفل صلاح الدين جهاده ضد الفرنج باستعادتها بعد توحيد الجبهة
الإسلامية في مصر والشام .

ومهما يكن من أمر ، فلم نقف على رد العادل على رسالة البابا في أي مصدر
تاريخي . وإذا كان ذلك قد تم ، فمن المؤكد أن هذا الرد سيتضمن عدم الموافقة

Ryccardus de San. Germano, Chronicon, col. 987.

(٢١)

بعد أن يشير بهرشت إلى رسالة البابا إنوست الثالث إلى السلطان فإنه يلقى تبعة ضليل البابا على
جماعة قديمة فقط دين جماعة الإسمانية . إلا أن بهشتاد دي سان جيرموك الذي أورد النسخة
لتوحيد هذا التقرير ، والذي جمع إليها بهرشت ، ينسب هذا التقرير إلى توكدي الداية والإسمانية
معاً . أنظر :

Ryccardus de San. Germano, Chronicon, col. 986; Rohricht, Regesta, no. 864, p. 232.

(٢٢) وكان العادل لا يرى محاجة أعدائه ، ويتعمد ل مفاصله فتكتك والخدع . فهادته الفرغ لقوة حرمه
وشدة يقظته وغزابة عقله قوة كبدته . أنظر : القريزي . السلوك . ج ١ ، ق ١ ، ص ٢٢٩ .

(٢٣) ويؤكد ذلك ما يورده كل من القريزي وابن تغري بردي فقد : رأى العادل في أولاده ما ينبغي . وكان
كثيرا ما يتردد العادل في ممالك أولاده . وأكثر أوقاته يصيب بدمشق ، ويشي بمصر . وكان للعادل
الإشراف التام على أنحاء الدولة الأيوبية . جدا . يتقل في ممالك أولاده ، والمسة في كل لممالك
عنه . أنظر : القريزي . السلوك . ج ١ ، ق ١ ، ص ٢٢٩ . ابن تغري بردي (جهان الدين أبو
الحسن) . المحرم الزاهرة في ملك مصر بالقاهرة . ج ٩ . القاهرة . مطبعة دار الكتب بدمرية ،
١٩٢٩-١٩٤٢ ، ج ٦ ، ص ٢٢٧ .

على ذلك . أما بخصوص تبادل الأمرى بين المسلمين وفرنج النشاة ، وعقد معاهدة السلام بين الطرفين ، فرمما كثر العادل في رده على إينوست الثالث ، شروطه التي أقروا بها رده على سلفه لوكيوس الثالث في عام ١١٨٣ م / ٥٧٨ هـ ، بأنه يوافق على هذا الطلب طالما التزم نصيبون عما يتم بين البابا والسلطان في هذا الشأن .

وإذا كان البابا إينوست قد راسل العادل كما راسله سلفاه ألكسندر ولوكيوس ، وإذا كان الأخيران قد تفاوضا مع بنى أيوب حفاظا على الكيان المتداعى لمملكة بيت المقدس الصليبية في الوقت الذي لم يكن في مقدور أوروبا ولا البابوية أن يبعثا بالمساعدة للإمارات الصليبية في الشرق ، فبالنسبة لإينوست الثالث ، لم يقتصر الأمر على ذلك . فكما كان رد صلاح الدين والعادل على لوكيوس في ١١٨٣ م / ٥٧٨ هـ مهادنة مهما له حتى ينتجما أي عائق رما يأتي من غرب أوروبا من شأنه أن يوقف مشروع صلاح الدين الكبير ضد الفرنج ، فإن مفاوضة إينوست الثالث مع العادل — بالمثل — كانت مجرد مهادنة من البابا للسلطان حتى يتسنى للأولى أن يوقف الحملة الصليبية المأمولة . فقد كان إينوست يرقب المسلمين من البعد ، ويحرص دائما على الوقوف على أحوالهم^(١) . وهذا ما أكدته لنا تقارير بطريرك بيت المقدس وقادة الداوية والاستبائية إليه . كما يورد لنا المؤرخ العرب ابن نطيف الحموي نصا فريدا يوضح كيف كانت أحوال بنى أيوب في مصر والشام محل اهتمام الفرنج . فيذكر ابن نطيف ، أنه في عام ١٢١٠ م / ٦٠٧ هـ قد « وصل إلى الديار المصرية كنيام التاجر الجنوى — لعنه الله — وقدم للسلطان الملك العادل الأيوبي ، صاحب الديار المصرية والبلاد الشامية والشرقية أشياء وصادقه ، فأحسن السلطان إليه ، وكان في جملة إحسانه إليه ، أنه يأخذه معه إلى أين ينتجه ، وكان الملعون في ضمن ذلك يكشف الأخوان أولا بأول ويكاتب بها الفرنج ، وقيل للسلطان فما التفت إلى كلام القائلين^(٢) . ومن هذا النص يمكن التأكد من أن هذا التاجر قد نجح في اكتساب ثقة السلطان ، حتى أنه كان يصطحبه معه في كل جولاته ، وحتى التي تتعلق بأمن دولته . وكان ابن نطيف مهتما بحال هذا التاجر مع السلطان . فيخبرنا أن العادل ذهب إلى

Receivodus de San Germano Chiriaccon, CI 986

(١)

(٢) نقل الحموي بعض قدس — هذا — نص من من يصف دور أن جاده بالإسكندرية : ابن نطيف الحموي : التاريخ الحموي ، ص ٦٥ - ٦٦ . الحموي : سادات ، ج ١ ، ص ٢٩ .

الأسكندرية في عام ١١٢١ م/٦٠٨ هـ . لكشف أحوالها وكليام صحبته . وفي نفس السنة « نزل الملك العادل الشام ، وسار إلى الجزيرة ، رتب أحوالها ... » وعاد إلى دمشق وكل هذا وكليام الفرغى صحبته . وعاد العادل إلى مصر في عام ١١٢٤ م/٦١١ هـ « وكليام لا يفارقه »^(١) . أى أن هذا الفرغى قد رافق السلطان في تجواله في بلاد الشام والجزيرة لمدة ثلاث سنوات ، إطلع فيها على أحوال المسلمين ، وإجراءات العادل في ربوع دولته ، بالرغم من أنه « كان في باطن الأمر عينا للفرنج ، يطالهم بالأحوال »^(٢) . ولما لم يجدد ابن نظيف والمقريزى — الذى نقل عنه نفس الرواية — ما إذا كان هؤلاء الفرنج هم فرنج الشام أم غيرهم ، ولما كان من الصعب على هذا الجوى الاتصال بفرنج الشام وهو ملازم للسلطان وفي معيته ، حتى أنه آخر مرة شوهد فيها في مصر في عام ١١٢٤ م/٦١١ هـ نزل مع السلطان بدار الوزارة^(٣) ، فليس من المستبعد أن يكون كليام هذا مكلفاً من قبل البابا إنوسنت الثالث نفسه بمهمة كشف أحوال دولة السلطان الأيوبي ، خاصة أن هدف البابا من طلب التقارير عن أحوال المسلمين في ذلك الوقت ، كان لإعداد الحملة الصليبية المناسبة لقتالهم^(٤) . ولما كانت سيرة هذا التاجر الجوى تتوقف عند كل من ابن نظيف والمقريزى في عام ١١٢٤ م/٦١١ هـ ، فمن المحتمل أن يكون هذا الجاسوس قد عاد إلى أوروبا ، وأعلم البابا بكل ما وقف عليه من أحوال المسلمين في دولة السلطان العادل . وليس بعيداً أن تكون الصورة قد اتضحت أمام البابا ، وعرف مدى إمكانيات المسلمين ، فقرر إعلان قيام الحملة الصليبية التي كان يأمل في إيفادها لنجدة

(١) ابن بشير الجوى . المصدر السابق ، ص ٦٧-٦٨ ، ٧٠ ، المقريزى . المصدر السابق ، ج ١ ، قسم ١ ، ص ٢٠٩ .

(٢) المقريزى : المصدر السابق ، ج ١ ، قسم ١ ، ص ٢٧ .

(٣) المقريزى : المصدر السابق ، ج ١ ، قسم ١ ، ص ٢١٤ .

(٤) « كذلك لما كان البابا نفسه يريد أن يعرف أوضاع وقوة هؤلاء المسلمين الذين كان جيش المسيحيين ، يتم تجهيزه لقتالهم حسب أوامره شخصياً » .

“Item scire volens ipse papa terras, mores, & vires Agarenorum, contra quos de ipsis mandato Christianorum exercitus Parahatur” .

انظر

Ryccardus de San. Germano, Chronicon, col. 986; Arnold of Lubek, Chronica Slavorum, in M.G.H.ss., in Ussum Scholarum, Hanover, 1868, p. 215.

صليبي الشام ، وذلك في المجلس الكنسي الرابع الذي عقده في روما في ١١ نوفمبر ١٢١٥ م/ ٦ رجب ٦١٢ هـ — العام التالي لرحيل جاسوسه من مصر — الذي كانت غالبية قراراته ضد الأيوبيين^(١) .

وبذلك يكون البابا إنوسنت الثالث قد اتبع أسلوب التفاوض مع السلطان الأيوبي مهادنة له ، وكسبا للوقت ، وحتى يحقق — بقدر الإمكان — ما يفيد الإمارات الصليبية في بلاد الشام . فبالرغم من طلب البابا الذي يتسم بالغرابة — أن يسلم العادل مدينة بيت المقدس للفرنج — فقد حاول أن يعيد للفرنج أسراهم لدى السلطان وهم في حاجة إلى كل الموارد البشرية ، أو يحصل على الأقل على موافقة السلطان بشأن عقد هدنة سلام مع الصليبيين حتى يتمكن البابا من إعداد حملة صليبية ، يمكنها أن تنجز ما فشلت فيه الحملات التي قامت من أوروبا بعد سقوط مملكة بيت المقدس عام ١١٨٧ م/ ٥٨٣ هـ ، تلك هي الحملة الصليبية الخامسة .

كان من الطبيعي أن تتوقف الإتصالات الدبلوماسية التي تمت بين عدد من بابوات روما وحكام مصر من بني أيوب بعد موت البابا إنوسنت الثالث (١٢١٦ م/ ٦١٣ هـ) . فقد رحل هذا البابا دون أن تتحقق أغل أمانيه بقيام حملة صليبية كبرى تحت إشراف البابوية . وخلفه في منصبه البابا هنريوس الثالث Honorius III (١٢١٦ — ١٢٢٧ م) . ودون أن يبذل الأخير جهدا يمكن مقارنته بجهود سلفه ، فقد قامت أثناء إقامته الحملة الصليبية الخامسة (١٢١٨ — ١٢٢١ م/ ٦١٥ — ٦١٨ هـ) على مصر^(٢) . ولما كانت هذه الحملة مشروعا بابويا ، فلم يكن من السهل أن يفسح العداء الصريح مجالا للدبلوماسية بين البابا والسلطان الأيوبي وقتها العادل . لذا لم تحفظ لنا المصادر التاريخية ولا

(١) إلى جانب قيام حملة صليبية ضد مصر ، فقد كان من أهم القرارات التي اتخذها المجلس الكنسي الرابع هو تحريم الاتجار مع الأيوبيين في مصر على كل من المدن التجارية في إيطاليا وأوروبا . كما قرر البابا في هذا المجلس توقيع عقوبة الحرمان والقطع من الكنيسة على كل من عد الأيوبيين بالذات . فقامت " ... محكمة ... " للمزيد من قرارات هذا المجلس أنظر

House and J. Riley Smith: The Crusades, Idea and Reality (1095-1274), in Documents of Medieval History, London, 1981, pp. 124-129.

J. Brundage: The Crusades: A Documentary survey, Wisconsin, 1976, p. 213.

(٢)

السجلات البابوية أى نوع من المراسلات مع أى من حكام الشرق الأدنى
إسلامى من بنى أيوب والبابا هونوريوس الثالث .
البابا جريجورى التاسع :

وكان للبابا جريجورى التاسع Gregory IX (١٢٢٧ — ١٢٤١ م) دور كبير فى
إعادة الإتصال بين رؤساء الكنيسة الغربية والأيوبيين فى مصر والشام . ويتمثل هذا
فى أحد خطابهاته إلى السلطان الكامل محمد فى مصر . ويبدو أن الفشل الذى
لارم الحملات الصليبية التى أشرفت عليها البابوية ، وآخرها الحملة الصليبية
الخامسة ، فى استعادة ما فقدته الصليبيون على يدى صلاح الدين ، إلى جانب
عدم رضا البابوية وصليبي الشام عن إنجازات حملة الإمبراطور فريديك الثانى
(الحملة السادسة) ، وحسن علاقات الإمبراطور — المحروم من الكنيسة — مع
السلطان الأيوبي الملك الكامل ، يبدو أن كل ذلك ترك بصماته على أسلوب
المفاوضات الذى انتهجه البابا جريجورى التاسع مع أولى الأمر من بنى أيوب .
فلمس فى مراسلاته إلى هؤلاء روجا جديدة وأسلوبا مغايرا لما اتبعه أسلافه من
البابوات ، وخاصة فى مراسلاته إلى حكام دمشق وحلب والخليفة العباسى فى
بغداد آنذاك^(١) . أما عن المفاوضات التى بدأها جريجورى التاسع مع السلطان
الكامل ، فإنها جاءت مختلفة تماما فى نوعها عن مراسلات البابوات السابقين .
فقد كتب البابا فى ١١ أغسطس ١٢٣١ م/ ١٠ شوال ٦٢٨ هـ إلى السلطان
مبدئيا له قلقه واستياءه الشديد من موقفه من بعض التجار الغربيين . فعلى غير
عهده بالكامل قام السلطان باعتقال تجار مدينة أنكونا Ancona^(٢) الذين بقوا فى

(١) أنظر ما سبق ، ص ٢٥٧ ، حاشية رقم (٤) .

(٢) كان لتجار مدينة أنكونا الإيطالية نصيب غير قليل من تجارة الشرق الأدنى زمن الحروب الصليبية . وتقع
تجار أنكونا باعتبارات كثيرة فى سواحل الإمارات الصليبية فى الشام مثل رحلاتهم تجارا جنوبا وشمالا
والبنديقية . فقد منحهم البابا إنوسنت الرابع حرية التجارة فى عكا ولى كل أنحاء مملكة بيت المقدس مع
إعفانهم من الرسوم المقررة على المصانع وذلك فى عام ١٢٤٥ م/ ٦٤٣ هـ . وفى ١٢٥٧ م/ ٦٥٥ هـ منح
بارونات المملكة إيجيا أنكونا حيا خاصا بهم فى عكا ، بالإضافة إلى كنيسة وقندق بالقرب من البيضاء
عظم المساهمة بخدمة بحرين فارس للدفاع عن المملكة . وكانت حامية أنكونا فى عكا قد اتخذت
جانب الخوفاة فى صراعهم مع البادية فى سواحل الشام فى أواسط القرن ١٣ م/ ٧ هـ . أنظر :

Rohricht, Regesta, no. 1259, pp. 330-332 C1- J. Richard, The Latin Kingdom, vol. 2, pp. 354, 366.

ميناء الإسكندرية بعد التوعد المحدد لمغادرتهم الميناء ، ثقة منهم في تسامح السلطات المصرية آنذاك . كما تم مصادرة أموال وبضائع هؤلاء التجار ، الأمر الذى جعله البابا منافع لأخلاق السلطان وشيخه حيال التجار الأجانب في موانئ دولته . ويرى البابا ، كما يذكر في خطابه إلى السلطان ، أن ما حدث هؤلاء التجار سيدفع إلى عدم الثقة في تعهدات السلطان . ويحث البابا رسالته إلى الكامل بحثه إياه على الإسراع بتدارك ذلك ، واتخاذ الإجراءات الكفيلة بإطلاق سراح التجار المذكورين ، ورد كل ما صادرت السلطات المصرية من بضائع وأموال إليهم ، حتى ينال السلطان رضا الرب وثقة البابا^(١) .

وبالإطلاع على نص رسالة البابا إلى السلطان الكامل — وكذلك سائر رسائله إلى أمراء الشام الأيوبيين — نلاحظ أنها لم تتضمن أى مطلب يخص الصليبيين في بلاد الشام . وهكذا ، فلأول مرة يتفاوض أحد بابوات روما — جريجورى التاسع — مع السلطان الأيوبي دون أن يتطرق في مخاطبته إياه إلى عمليات تبادل الأسرى بين المسلمين والصليبيين في بلاد الشام ، أو يحثه على عقد هدنة معهم ، مع أن البابا جريجورى التاسع كان يسير على نهج البابا الأسبق إنوسنت الثالث فيما يخص الاهتمام بأحوال الفرنج في بلاد الشام^(٢) . وإلى جانب ذلك فلم تكن أحوال هؤلاء مستقرة بالدرجة التى لا يتهجر البابا معها فرصة اتصاله بالسلطان الأيوبي ، ويطلب منه إيقاف عملياته العسكرية ضدهم^(٣) .

(١) قام رودريج بنشر النسخة الكاملة لمخطوطات البابا جريجورى إلى السلطان الكامل محمد ، بينا أشار إليها بإيجاز كل من روهريشت وأوفرزى وبوليامست . وقد رجعا إلى نسخة ريدنبرج . انظر :

C. Rodenberg, *Epistolae saeculi xlii le regibus pontificum romanorum selectae*, 3 vols; Berlin 1883-1894, in M.G.H.s, vol. 1, no. 449, p. 362; Rohricht, no. 1025, p. 268; Gregory IX, Pope, *Les Registres*, ed. L. Auvray (Bibliothèque des Ecoles Françaises d'Athènes et de Roune, ser. 2, 3 vols. Paris, 1896-1955, vol. 1, no. 699; Pothast, *Regesta pontificum*, vol. 1, no. 8784

(٢) كان البابا جريجورى التاسع أشد صراحة من سلفه غريغوريوس الثالث فيما يخص ما للبابوية من سلطة إقليمية وكان شبيهاً بابي عمه البابا إنوسنت الثالث فيما اعترض به من عقلية قانونية ، وما اتصف به من نقش دفعه إلى كره شخصية الإمبراطور فريديك الثاني ، بلطف استبداده السبائى . ولم يحصل تلكم الإمبراطور في القيام بحملته إلى الشرق ، قياداً بقطعه من الكهنة في موسم ١٢٢٧ م ، أنظر :

Runkman, *History of the Crusades*, vol. 3, 178

(٣) انقسم الفرنج في مملكة بيت المقدس على أنفسهم منذ عقد صلته باق الصليبيين الكامل وفريديك . فيما أبدى البيزانتية وفرنسا اللبؤون هذه الإلغقية . عرضها لملوك المملكة بقيادة الإسكندر كى عاصمها .

والضمير الوحيد لكل ذلك ، هو أن العلاقات بين الصليبيين والمسلمين في مصر وبلاد الشام كانت انحساراً وتشككاً — خاصة من جانب السلطان الأيوبي — إتفاقية ياقا (١٢٢٩ م / ٦٢٦ هـ) التي عقدت بين الإمبراطور فريدريك الثاني والسلطان الكامل^(١) . وكان الكامل ملتزماً إلى حد كبير ببنود هذه الإتفاقية التي رأى أنها كانت في صالحه تماماً^(٢) . ومن جهة أخرى فإن البابا الذي كان على خلاف دائم مع الإمبراطور ، كان على دراية تامة بطبيعة العلاقات بين فريدريك والكامل^(٣) ، ويدرك تماماً أن حسن هذه العلاقات هو

= الداية والإستراتيجية . كما عارض الباباوات وجود بنشاز فيلانييري مندوب الإمبراطور في المملكة واستول الأحرار على بيروت وشكل البارونات في عكا قوموا بمقاومة السلطة الإمبراطورية . واستمر النزاع بين الطرفين حتى عام ١٢٤٣ م . أنظر :

P.W. Edbury, The Ibelins Counts of Jaffa, in E.H.R., vol. 89, 1974, pp. 604-610.

(١) Historia Diplomatica Friderici Secundi, ed. Huillard Breholles, 7 vols., Paris, 1852-61. (١) vol. 3, pp. 86-87.

(٢) كما يذكر سبط ابن الجوزي فقد رد الكامل على اعتراض المسلمين على إتفاقيته مع فريدريك بأنه لم يتنازل للفرج إلا على « كنانة » أرفق خراب ، والمنجد على حاله ، وشعار الإسلام قائم ، وإلى المسلمين متحكم في الأعمال والقتل . « كما يرى ابن واصل فإن الكامل « رأى أن يرضى الفرنج بمدينة القدس خراباً ويهادنهم مدة ، ثم هو قادر على انتزاع ذلك منهم متى شاء » . أنظر : سبط بن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، قسم ٢ ، ص ٦٥٤ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٤ ، ص ٢٤٢ ، المعنى (بدر الدين) : عقد الجمال في تلويح أهل الزمان ، مخطوط بدار الكتب المصرية ، ج ٢٣ ، رقم ٨٣٣ ، ج ٢١ ، ورقة ٢١٢ وما بعدها .

(٣) استمرت الصلاقة بين الإمبراطور فريدريك وصلاحين الأيوبيين حتى موت الإمبراطور نفسه (١٢٥٠ م) . وكان سفراء السلطان الأيوبي دائم الظهور في بلاد الإمبراطور . وكان تبادل الميثاق بين سلطان والإمبراطور من مظاهر تودد بينهما . ففي عام ١٢٣٢ م / ٦٣٠ هـ بعث الكامل إلى الإمبراطور « تحت » حنونه خيمه « دابة » الفصح ، بين تجديدها الداخلية حركة النجوم في السماء . ورد الإمبراطور على هدية السلطان بأن أعدها دبا قطياً . وفي نفس العام أقام الإمبراطور مأدبة سفراء السلطان في بلاده بمناسبة عيد الأضحى . وليس أدل على قوة الارتباط القوي بين الإمبراطور والسلطان من قول فريدريك نفسه « إن صديقي السلطان المسلم تمم لدى من أي شخص آخر ما عدا ولدي اسك كونراد » الذي كان لا يفتأ أن يورده أمام أصدقائه . أنظر :

Chronica Regia Coloniensis, in M.G.H., in usum scholarum, p. 263

وقد أفرد الدكتور سعيد عاشور بحثاً وافياً عن علاقات فريدريك بنى أيوب . أنظر : سعيد عاشور الإمبراطور فريدريك الثاني والشرق العربي : بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى ، بيروت ١٩٧٧ م ، ص ١١١-١٢٩

الحاجر الذى لا يمكن تخضيه بينه وبين السلطان الأيوبي . فنراه حين تضطره الظروف إلى الإسهام فى إتمام عمليات فداء الأسرى الفرنج لدى المسلمين — وبالرغم من تعدد الرسائل التى بعث بها البابا إلى حكام مصر والشام من بيني أيوب — فإنه يكثف حكام الصليبيين فى قبرص والشام بإجراء المفاوضات مع الأيوبيين بهذا الشأن^(١) مفضلا عدم القيام بذلك بنفسه ، مما يوحى بأنه مدرك تماما لمدى تأثير العلاقات بين فريديك والكامل فى إقشاع محاولته التفاوض مع السلطان الأيوبي بشأن أمر يخص الفرنج فى بلاد الشام ، وهذا ما ستؤكداه الصفحات التالية . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن العلاقات بين البابا والإمبراطور — فى ذلك الوقت — كانت قد تحسنت بعقد صلح سان جرمان St. Germano (٢٣ يوليو ١٢٢٠ م) بين الطرفين ، الأمر الذى قوى من سلطة فريديك فى المملكة الصليبية فى بلاد الشام . وبقي البابا حريصا على أن لا يتجاهل كون فريديك ملكا « فعليا » « de Facto » لمملكة بيت المقدس^(٢) . وإذا كانت هناك فرصة للتفاوض مع المسلمين بشأن صليبي الشام ، فلا بد وأن تكون عن طريق فريديك ، الذى من المؤكد أنه يفضل السلطان الأيوبي — صديقه — التفاوض معه عن التفاوض مع البابا . لهذا كله اقتصر خطاب البابا جريجورى التاسع إلى السلطان الأيوبي الكامل عمدا على الاهتمام بأحوال التجار الإيطاليين فى الإسكندرية دون الإهتمام بأحوال فرنج الشام^(٣) .

(١) لى ٢٣ ديسمبر ١٢٢٧ م ٢ جماد أول ٦٢٥ هـ بعث البابا جريجورى التاسع بمخاضات إلى كل من هنرى الأول ملك فيس وجمولد بطريرك بيت المقدس وبوهيموند الخامس أمير أنطاكية يطلب منهم السعي لإنشاق صراع فرسان الدابة الثمن أسرى مسلمي حلب وديار بكر حتى يحلوا القضية فتح حصن ديار بكر في يونيو من نفس السنة . انظر :

Gregory IX, Pope Registres, vol. 2, no. 1991-92, 96; p. 831. Albrecht des Trois Fontaines, Chronicon, in M.G.H., vol. XXII, p. 942.

(٢) بمعنى هذا الصلح وقع اتفاقا بين الفرنج عن مدينة بيت المقدس وإقامة طوبى الذى كان قد أصدره بطريرك سبولد ثم عهد اتفاقية يافا بين الكامل وفريديك . وبذلك اعترفت الكنيسة سلطة فريديك كحاكم للمملكة الصليبية فى الشام بأنه عن ابنه كوزمان . انظر :

Historia Diplomatica Francie Secundi, p. 101; Fracles, p. 374, U. F. Also, J. Richard, The Latin Kingdom, vol. 2, p. 313; Riley-Smith, The Feudal Nobility, p. 167.

(٣) لم يبق فى المصادر الإسلامية أو اللاتينية من ما بعد تعهد السلطان الكامل لخطاب البابا .

البابا إنوسنت الرابع .

وإذا كان تأثير اتفاقية يانا (١٢٢٩ م/ ٦٢٧ هـ) على العلاقات بين الصليبيين والمسلمين في بلاد الشام^(١) قد دام لمدة عشر سنوات نعم خلالها الطرفان بالأمان الذي منح كلا منهما الفرصة للتصريح لخلافاته الداخلية^(٢) ، وإذا كان لهذه الاتفاقية ، ولما قام به فريديك والكامل من علاقات خاصة ، تأثير على تحديد طبيعة العلاقات بين البابوية والأيوبيين ، فإن هذا التأثير استمر حتى نهاية الدولة الأيوبية^(٣).

(١) اختصرت الاتفاقية على المملكة الصليبية دون أن تشمل إمارة أنطاكية وكرنتية طرابلس بما تضمناه من أملاك لجماعتي ندافية والأسبانية المتأثرتين للأمبرطور . انظر :

Historia Diplomatica Friderici Secundi, vol. 1, pp. 86-87.

(٢) بدلت الخلافات الداخلية على الجانبين الصليبي والإسلامي بعد رحيل الإمبراطور إلى غرب أوروبا . فقد قامت الحرب الأهلية بين بواب الإمبراطور في قبرص ومعاوين آل إبلين ، واستمرت المرحلة الأولى منها حتى عام ١٢٣٦ م/ ٦٣٤ هـ ، وتورط فيها كل هؤلاء الفرج في الشام إلى جانب جاليات تعدد تنحاية إيطالية . أما عن الجانب الإسلامي ، فقد بدأت النزاعات بالتصاق الكامل والأشرف على اقتسام أملاك الشام داود بن أخيها المظلم عيسى في دمشق . وانتهى الأمر بسيطرة الأشرف على دمشق والكامل على الجزيرة الأمر الذي تخوف منه بقية أقارب السلاطين في الشام وتحالف الأيوبيون في حلب ودمشق وحمص مع صلاحية الروم ضد الكامل ، الذي مات في مارس ١٢٣٨ م/ رجب ٦٣٥ هـ تركا الدولة الأيوبية مقسمة على نفسها . وتركز الصراع بين ابنه الصالح نجم الدين أيوب في مصر ، وبعده الصالح إسماعيل في دمشق . انظر : الصقلاوي (عز الدين) ، شفاء الغلوب في مناقب بني أيوب ، ورقة ٨٩ ب — ٨٨ ب ٩ بن واصل : مفرج الكرب ، ج ٥ ، صفحات متفرقة ؛ ابن التميمي : أخبار الأيوبيين ، ص ١٣٩ — ١٤٨ . أبو القدا (الملك تقي) : المختصر في أخبار البشر ، ج ٤ ، القاهرة ، المطبعة الحسينية ، ١٣٢٥ هـ ، ج ٦٣ . ابن الجديم ، كمال الدين : بيت الحلب من تاريخ حلب ، ج ٣ ، تحقيق صلي الدهان ، دمشق ، ١٩٥١ ، ج ٣ ، صفحات متفرقة .

جمع أيضا

Genes des Chiprois, in R.H.C.-Doc. Arm., vol. 2, pp. 700 ff. Amadi, Chroniques d'Cypré d'Amadi et de Srambaldi, ed. R. de Mas Latrie, 2 tomes., Paris, 1891-93, 1, pp. 123-124; Eracles, pp. 361, 386-407. C.F. Alex. G.A. Hill, A History of Cyprus, vols. 3, Cambridge, 1948, vol. 3, pp. 143-154.

(٣) استمر الوفاق بين فريديك والكامل حتى عهد مانفريد ابن فريديك (١٢٥١ — ١٢٦٦ م) وكانت التسامحات متبادلة بين الطرفين . وأحر ما يعرفه من هذه التسامحات تلك التي خرج فيها مؤرخنا ابن واصل منعها عن المستطاع لظهور يونس إلى بلاد مانفريد في عام ١٢٦٦ م/ ٦٥٩ هـ ، حيث شهد إقامه صلاة الجمعة في إحدى مدن مانفريد التي يسكنها مسلمون من حقلية منذ عهد فريديك . انظر : ابن واصل : مفرج الكرب ، ج ٤ ، ص ٢٤٨ .

وبالرغم من ذلك ، فقد واصل البابا انوسنت الرابع (١٢٤٣-١٢٥٤ م) محاولات اسلافة من رؤساء الكنيسة الغربية في التفاوض مع سلاطين الأيوبيين لصالح فرنج الشام . ولم يدرك هذا البابا ما أدركه منصفه (جريجوري التاسع) من تأثير العلاقات بين الامبراطور والسلطان . وبما أدرك انوسنت هذا التأثير ، ولكنه حاول تحطى الحاجز الذى تشكله هذه العلاقات بين البابوية والأيوبيين ، وأن للبابا في ذلك دوافعه . فبعد أن اعطى انوسنت الرابع الكرسي البابوى ، ووجد أن موقفه أمام الامبراطور غاية في الحرج^(١) كان موقف فرنج الشام أكثر حرجا . فقد انتهى أمد المعاهدة بين الأيوبيين وفريدريك في عام ١٢٣٩ م/٦٣٧ هـ ، وانتهت معه فترة انسلم بين المسلمين والصليبيين . ولتزامن انتهاء فترة الهدنة ، ووصول حملتى تيبالدكوت شامبانيا Tibald of Champagne (أول سبتمبر ١٢٣٩ م/٢٠ محرم ٦٣٧ هـ) وريتشارد كورنوال Richard Cornwall (١١ أكتوبر ١٢٤٠ م/٢٢ ربيع أول ٦٣٨ هـ) إلى بلاد الشام^(٢) ، مع نشوب الخلافات بين بنى أيوب في مصر والشام^(٣) ، تمكن الصليبيون من استرداد ما يفوق كل ما تنازل عنه الكامل

(١) بالرغم من أن مسامى فريدريك اتفق مع التي أصبحت البابا انوسنت الرابع بن منصبه البابوى إلا أن الأخير اكتشف أن عليه اتباع سياسة منصفه جريجوري التاسع ضد الإمبراطورية . وأخيرا هرب من روما إلى ليون بفرنسا في نهاية عام ١٢٤٤ م أمام تهديد اتباع الامبراطور في إيطاليا له . انظر :

R.H.C. Davis, A History of Medieval Europe p. 375, John L.A. Monie, The world of the Middle Ages, p. 426.

(٢) Bracles, pp. 413-418; Rothelin, *Commutation de Guillaume de Tyre de 1229-1261. Dit du* *Manuscrit de Rothelin*, in R.H.C.-Hocce, vol. 2, p. 528. Matthew Paris, *Chronica* *Majora*, ed. H.R. Luard, in R.S., vols. 7, London, 1872-82, vol. 4, p. 139.

(٣) تول سلطنة الأيوبية بعد موت الكامل إنه تعاضل الثاني . ونسبى إليه الثاني الصالح نجم الدين أيوب على دمشق من عمه الصالح إسماعيل في يناير ١٢٣٩ م جمادى الآخر ٦٣٦ هـ ، ليستردّها الأخير في سبتمبر ٦٣٩ م/أكتوبر ٦٣٧ هـ . فتعاقد الصالح أيوب مع القاضي داود صاحب الكرك واستول على الكرك . على معصم من أخيه تعاضل الثاني في ١٩ سوية ١٢٣٩ م/٢٤ شوال ٦٣٦ هـ ، ولم يردّ أمانته من طه ح سوى المعاهدة المشتر من عمه الصالح إسماعيل هذه الأخيرة . انظر : ابن العديم ، معراج النجوم ، ج ٥ ، ص ٦٣-٦٤ . سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ، ج ٨ ، ص ٢٠٤ . ابن عديم : المعاد ، ص ١٢٩ . روضة الملائك والمملوك في المعتمد سنة من من معصم من عيسى ، مخلوق بملكه الشيخ أبيضاى رقم ٢٢٣٢٦ . وقد

لفريديريك من عشر سنوات مضت وأثار ضده العالم الإسلامي^(١). إلا أن ما حققه الصليبيون من مكاسب لم يكن يضمن لهم الأمان ، لأنفسهم على أنفسهم ، ووصل بهم الأمر إلى حد التقاتل في شوارع عكا وصور ، الأمر الذي كان ينذر بالخطر^(٢). وسرعان ما وصلت أنباء الشقاق بين صفوف الصليبيين إلى أوروبا^(٣).

ولابد أن أجوال الفرخ في بلاد الشام قد أثارت مخاوف البابا إنوسنت الرابع . فلم يكن باستطاعته أن يبعث بحملة صليبية إلى الشرق في ذلك الوقت . وربما يحدث تضايف مفاجيء بين بنى أيوب في مصر والشام من شأنه أن يعصف بما تبقى من رمق في الجسد الصليبي المنهار في المنطقة . وحتى يتسع المجال لاستعمال القوة المسلحة ضد المسلمين ، رأى البابا أنه من الأفضل أن يتبع الأساليب الدبلوماسية مع سلطان مصر الصالح نجم الدين أيوب . وربما كان مبعث الأمل لدى البابا في نجاح مساعيه لدى السلطان ما وصله من أنباء تقييد

(١) بناء على الإنفاقية النهائية التي عقدها الصالح أيوب مع بنشارد كورنويل ، أخذ الفرخ يث المقدس ويبحث لحم ويحدث بابا وعسقلان وشقيف أريون وإقليم الجليل بما فيه من حصون مثل نين وهونين وكوكب والطور وطية . . . ولم يفكر هذه الإنفاقية من بين المؤرخين المسلمين سوى ابن أبيك ، إلا أنه جعل الفرخ منصفه المقدس . وكان من صفد وطية وهونين فقط . أنظر : ابن أبيك اللوزدري : السر لمطرب في أخبار ملوك بني أيوب ، وهو الجزء السابع من كتب السير وجامع الغرر ، تحقيق الدكتور سعيد عاشور ، القاهرة ، ١٩٧٢ ، ص ٣٤٥ ، التبريزي الكندي : نهاية الأرب في فنون الأدب ، مخطوط بدار الكتب المصرية ، ج ٥٥ ، تفسير حسن ، ج ٢٧ ، رقم ٧٩ وما بعدها .

(٢) Eracles, pp. 241-411; Rothelin, pp. 555-556; Matthew Paris, Chronica Majora, vol. 4, pp. 139-145.

(٣) تضاربت مصالح جماعتي النابوية والأسيابية . وتوترت في الخلاف كل طوائف الفرخ في الشام وبوصل النابوية اعتناهم على المسلمين . ورفضوا الاعتراف بده كورنويل مع السلطان بينا رأى الأسيابية عكس ذلك . وحاول فلا تيريز نائب الإمبراطور أن يستفيد من ذلك الخلاف ، واتخذ جانب الأسيابية . ولكنه فشل في الاستيلاء على عكا أو الاحتفاظ بده صور لتعاطف الجندية والنبافة وهامونات المملكة وقوميين عكا ضده . وحملت أليس معك قديس محل فريديك وابنه كورنود في الوصاية على المملكة الصليبية . ولم ينته القتال بين الطرفين إلا إلى ديه ١٢٤٢ م : ذي الحجة ٦٤٠ هـ . أنظر :

Ann. T.S., ed. R. Röhrich et G. Raynaud, in A.O.L., vol. 2, p. 441; Eracles, p. 422, C. F. J. J. Runciman, vol. 3, pp. 220; Riccardus de San. Germano, Chronicon, vol. 1050; Matthew Paris, Chronica Majora, vol. 4, p. 197.

بتسابق كل من نصائح أيوب من جهة وعمه الصالح سماعيل ملك دمشق وحلفائه في الكرك وحلب وحمص من جهة أخرى ، على عقد الصلح مع الفرنج ، كل لحسابه الخاص . وعند صليبو المملكة الرأى على اختيار جانب الصالح سماعيل ، وعقدوا معه الاتفاق في أواسط عام ١٢٤٣ م (أوائل عام ٦٤١ هـ) . وربما تخشى البابا أن يكون رد فعل الصالح أيوب تجاه تحالف الصليبيين مع أمراء الشام الأيوبيين ، ضاراً بالمملكة الصليبية . وربما رأى البابا أن السلطان الأيوبي سيمسارع إلى الإستجابة له إذا ما تفاوض معه بشأن فرج الشام ، حيث سينحول تحالف هؤلاء مع منافق السلطان من بنى عمومته إلى تحالف معه هو . وإذا ما استجاب السلطان لما سيدعوه إليه البابا ، فإن إيوست سيكون قد كسب الوقت ، ونجح بالدبلوماسية في مهادة السلطان ، وضمن الأمان للمملكة الصليبية التي أنهكتها صراعات الفرنج فيها ، حتى يحين الوقت الذي تحل فيه القوة المسلحة محل الدبلوماسية ، مع ملاحظة أن الحديث عن حملة عسكرية جديدة يقوم بها الغرب الأوروبي ضد الشرق الأدنى الإسلامي كانت تحكمه اعتبارات عديدة تتعلق بتوازن القوى وقتها في الصراع بين الطرفين ، وكذلك الأحوال السائدة في كل من العالمين الإسلامي والمسيحي .

على أية حال ، من هذا المطلق بعث البابا إيوست الرابع برسالة إلى السلطان الصالح نجم الدين أيوب يدعوه فيها إلى عقد هدنة مع الصليبيين في بلاد الشام ، وأن يعمل على أن يخل السلام بين الطرفين محل الصراع . وفي الحقيقة لم

١٦٦ جاء ذلك في الرسالة التي بعث بها ألمان برنارد Armand de pengord مقدم الهدية

و ١٢٣٢-١٢٤٤ م . راجع روبرت سماعيل Robert Samioud في تحقيق عام

١٩٤٣ م ٦٤١ هـ ، في أو بعد الخروج من القاهرة . انظر :

Matthew Paris, Chronica Majora, vol. 4, pp. 289-289.

عقد سلاماً بإرادته . حقيقة وراء هجاء الهدنة الذي رآه أن تتحالف مع الصالح سماعيل بعض لهم ولا أمراء الشام في حربه مع دمشق والأردن . ولم تقتل الهدنة الإسلامية إلى مساعي الصالح أيوب إلى التحالف مع الفرنج . فبعد ذلك رسالة مقدم الهدية إلى إيوست ، بنفسه اتفاق لفرج مع أمراء الشام الأيوبيين . سلاماً صليبيون بيت مقدس وطلبه وعرضه . فهدنة ، إلا أن الصالح سماعيل لم يفرج خبره من أن يرضى به . ما يقصر لهم بها أكادها من السلطان . وقد شاهد المؤرخ من أصل نفسه ما قام به الفرنج من تلك طرقات مريبة بيت المقدس حصارها في طريقه إلى مصر في ١٢٤٣ - ١٢٤٤ هـ . انظر : ابن بطيطة ، في تاريخه . انظر : ابن بطيطة ، في تاريخه . ص ٣٣٢-٣٣٣

نقف على نص هذه الرسالة في أي مصدر تاريخي ، كما لم تتضمنها السجلات الخاصة بهذا البابا . وكل ما نعرفه عنها ، وعن محتواها ينضج لنا بالإطلاع على نص الرسالة التي رد بها السلطان على البابا في منتصف عام ١٢٤٥ م/أول عام ٦٤٣ هـ^(١) .

فسرعان ما اندلعت الحرب بين السلطان الأيوبي وعمه الصالح إسماعيل ، ولكن خلافات بني أيوب التي كانت ميزة للفرج في عام ١٢٤١ م/٦٣٨ هـ ، أصبحت وبالا عليهم في عام ١٢٤٤ م/٦٤٢ هـ^(٢) فتورط صليبيو مملكة بيت المقدس في هذه الخلافات ، ضاعت منهم مدينة بيت المقدس إلى الأبد ، وضاع معها كل ما حققته الدبلوماسية من قبل ، ودُمّر الجيش الصليبي كله في موقعة غزة (الاثنين ١٧ أكتوبر ١٢٤٤ م/١٤ جمادى الأولى ٦٤٢ هـ)^(٣) . وبعد أن استببت الأمور للسلطان الصالح أيوب ، وأصبح هو سيد الموقف في مصر والشام^(٤) ، قام بالرد على رسالة البابا من منطلق القوة ، وذلك في ٤ يونيو ١٢٤٥ م/٧ محرم ٦٤٣ هـ . وفي رده على البابا ، ووفقا للعرف الدبلوماسي ، بدأ السلطان خطابه بامتصاويه

(١) أنظر ملحق رقم (٤) بأحر البحث .

(٢) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ١٠٤٢ .

(٣) تحالف الفرّج مع الصالح إسماعيل وفيه الأقراء الأيوبيون بالشام . استعان السلطان الصالح أيوب بالموارنة الذين انتفخوا من إقليم الجزيرة إلى بلاد الشام ، مدبرين كل ما سادفهم في طريفهم إلى فلسطين ، واقطنوا مدينة بيت المقدس في ٢٣ أغسطس ١٢٤٤ م/١٥ ربيع أول ٦٤٢ هـ ، وانزعروا من الفرّج بعد أن بذلوا قيم السيف . ثم نزل ذلك موقعة غزة التي تقابل فيها جيش السلطان وقوات الموارنية مع قوات الفرّج ودمشق وحمص والكرك ، وكانت كاتبة الصليب . أنظر : سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، ج ٨ ، قسم ٢ ، ص ٧٤٤-٧٤٦ ابن دامل : مفرج الكروب ، ج ٥ ، ص ٣٢٧ ابن أبيك : القبر المطلوب ، ص ٢٥٤-٢٥٣ . راجع أيضا : أسامة ركني : الهدى الموارنية ودورهم في الصنح الصليبي الإسلامي في عصر بني أيوب ، مجلة كلية الآداب بجامعة الإسكندرية ، العدد ٣ ، الإسكندرية ، ١٩٨٢ م ، ص ١٦٨ ، وما بعدها . راجع أيضا :

Eracles, pp. 429-431; Chronica Salernitane, in M.G.H.s., vol. 42, p. 177; Matthew Paris, Chronica Majora, vol. 4, pp. 307-311.

(٤) بعد موقعة غزة أصبح فصاح أيوب متاثية من أمراء الشام الأيوبيين الذين تحالفوا مع الفرّج ضده ، وبلا ذلك بالإستيلاء على أقاليمهم في الكرك ودمشق ثم قضى على الموارنية . وفي ١٢٥٧ م/٦٥٤ هـ اتحد من الفرّج عصفال وعليه في الوقت الذي كان سكان حمص يخشون الخروج من مدينتهم كما يذكر سبط الباهري . أنظر : سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، ج ٨ ، قسم ٢ ، ص ٧٥٢ ، ٧٦٢ ، ٧٦٦ ، ٧٧٠ : ابن العبد : أخبار الأيوبيين ، ص ١٥٦-١٥٧ . راجع أيضا :

Matthew Paris, Chronica Majora, vol. 4, p. 337; Ann. T.S., 440 C. L. also C. Cahen, La Syrie de Nord, Paris, 1920, p. 648.

لرغبة البابا في إحلال السلام بين المسلمين والصليبيين ، الأمر الذي لا يعارضه السلطان ، بل يرغب في تحقيقه أيضا . ولكن السلطان يشع ذلك بأن أكد للبابا أنه بمقتضى ما عقد بين والده الملك الكامل محمد وبين الإمبراطور فريدريك الثاني من اتفاق (اتفاقية يافا ١٢٢٩ م / ٦٢٧ هـ) ، فإن الصالح أيوب لا يتعين له التفاوض حول أى أمر يخص فرنج الشام إلا من خلال الإمبراطور نفسه . ثم يُعين السلطان بابا روما أن لخطابه الذي تسلحه السلطان قد بعث به إلى السفير المصرى في بلاد فريدريك ، ليطلع الأخير على مطالب البابا . وأن التعليمات قد صدرت إلى هذا السفير بأن يتوجه إلى مقر البابا في مدينة ليون بفرنسا ، ويعرض عليه ما تم التوصل إليه مع الإمبراطور بشأن ذلك ، ثم يعود السفير إلى مصر ليعلم السلطان برأى البابا (١) .

ولا تذكر المصادر التاريخية ما يفيد بأنه قد تم عقد أية هدنة أو اتفاقية سلام بين الصليبيين والمسلمين في بلاد الشام قبل سبع سنوات منذ حرر الصالح أيوب رده على رسالة البابا ، وكان ذلك بعد نهاية عهد بنى أيوب (٢) . وهكذا فشلت مساعى البابا إنوسنت الرابع في التفاوض مع السلطان الأيوبي الصالح نجم الدين بشأن فرنج الشام . وكان السبب في ذلك هو نفس السبب الذى حدا بالبابا جريجورى التاسع إلى أن يتأى عن مخاطبة السلطان الكامل من قبل في ذلك الشأن ، وهو ما قام من علاقات بين السلاطين الأيوبيين وبين الإمبراطور فريدريك الثاني منافس البابا والكنيسة آنذاك (٣) . ولما رأى البابا في علاقات الإمبراطور

(١) أورد نص هذه الرسالة منى البازيز . ونشر صورة مطابقة له كل من روبرج وبربولز . وأشار لها بإقتصار كل من هرشت ووجر . انظر :

Matthew Paris, *Chronica Majora*, vol. 4, pp. 563-568; Rodenberg, *Epistolae Saeculi*, vol. 1, no. 123, pp. 86-88; H. Breeholles, *Historia Diplomatica*, vol. 6, pp. 423-428; Rohricht, *Regesia*, no. 1142, p. 302; Berger, *Registes d'Innocent IV* (Bibliothèque des Ecoles Françaises d'Athènes et de Rome, Ser. 2), vol. 4, Paris, 1884-1921, vol. 3, no. 1994, p. 296.

(٢) وهي الإتفاقية التى عقدها لويس التاسع مع المماليك في مايو ١٢٢٢ م / ربيع أول ٦٢٠ هـ . انظر : جوييف مسم يوسف : العهود الصليبية على بلاد الشام ، طبعه دار نشر التاسع في الأدينى المقدسة ، الإسكندرية ١٩٨٤ م . ص ١٧٦ وما بعدها .

(٣) بنفس البلد الذى ذكره الصالح أيوب على طلب البابا إنوسنت الرابع . نفس السلطان مساعى جمانسى الدائمة والإستمرارية لانه لا اعتناء بملأه الذى وقعوا في أسر السلطان في موقعة غزة ، واشترط السلطان لتسليمهم أن يعطوا إليه ضمير فريدريك نفسه عليه . ١٢٢٩ م / ٦٢٧ هـ . فإن السلطان أبانى استعداده

والسلطان الأيوبي عاتقا لشاعيه من أجل تعضيد موقف الصليبيين في بلاد الشام . فقد أضيفت تلك العلاقات إلى الأسباب التي دعت البابا إلى إصدار قرار الحرمان ضد الإمبراطور — خائن المسيحية — في مؤتمر ليون الكنسي^(١١) .

هذا وعن محاولة البابا إنوسنت الرابع مساعلة الصليبيين في بلاد الشام قدر استطاعته ، متبعا في ذلك أسلوب المفاوضات مع السلطان الصالح نجم الدين أيوب في مصر ، مهادنة له وكسبا للوقت — شأنه في ذلك شأن كل من البابا لوكيوس الثالث والبابا إنوسنت الثالث — حتى يتسنى له حث ملوك الغرب الأوروبي على الخروج في حملة صليبية تحقق الاستقرار والأمن لركائز أوروبا في الشرق الأدنى الإسلامي ، إن لم تستطع استرداد ما ضاع منها في عهد صلاح الدين الأيوبي . ولما فشلت مساعي البابا ، فلم يتبق أمامه — وأمام فرنج الشام — سوى انتظار خروج الملك الفرنسي لويس التاسع في حملته وفاء لنذره المشهور^(١٢) .

لا أنه يتعلق برسالة البابا إنوسنت الرابع ، وبرد السلطان الصالح أيوب مشكلة تحديد متى بحث البابا برسالته إلى السلطان ، وحتى تم تحرير رد السلطان عليها ، الأمر الذي اختلف حوله المؤرخون الحديثون .

وبالنسبة لرسالة البابا ، فلا أنه لم يتعين الوقوف على نص هذه الرسالة في أي من المصادر التاريخية . فمما يشر أي من المؤرخين الحديثين إلى التاريخ الذي راسل فيه البابا العاهل الأيوبي . وربما يترأى للوهلة الأولى ، أنه من الأنسب أن يكون البابا قد قام بمراسلة السلطان بعد اندحار الجيش الصليبي كله في موقعة غزة وعدد من معسكرات بيده . في سيادته الإسلامية ، وخلق المملكة الصليبية من غالية قلوبها وذلك في مدفعه غزة (١٧ أكتوبر ١٢٤٤ م / ١٢ جماد أول ٦٤٢ هـ)^(١٣) .

١١ - بطرس من هولاوند فنديه . وبناطيه م . يمشي الفداه والإسبانية — شعادين لفرديك — من
شعادين م . وقد تصدح به .

Matthew Paris, Chronica Majora, vol. 4, p. 526.

Matthew Paris, Chronica Majora, vol. 4, pp. 476-478.

(١١)

J. Riches, La politique Orientale de Saint Louis, La croisade de 1248, Paris, 1978, p. 159.

(١٢) [١] مع أن هذه المعركة من الفرص الجوى عظيمة بيت المقدس وقلوب موفقيت مع ١٨ فارس من
لدايه و ١٦ فارس من ٢٠ شابة ، ٣ فارس من النجوة . وقد سطر ابن الجوزي الذي وصل إلى غزة

إلا أن أول نبأ يصفى إلى البابا عن الكارثة التي حلت بفرنج الشام كانت تلك الرسالة التي بعث بها روبرت أوف نانتييس Robert of Nantes بطريرك بيت المقدس (١٢٤٠-١٢٥٤ م) إلى البابا مستغيثا به لإتخاذ الإجراءات التي تكفل نجدة الفرنج . وقد حمل هذه الرسالة جاليران Galerand أسقف بيروت (١٢٤٤-١٢٤٥ م) . وحررت في ٢٥ نوفمبر ١٢٤٤ م/ ٢٢ جمادى الآخرة ٦٤٢ هـ . وقد أبحر رسول البطريرك ، كما يذكر متى البانيزي الذي أورد نص الرسالة ، بصحبة بطريرك أنطاكية ألبرت دي ريزاتو Albert de Rizato (١٢٢٧-١٢٤٦ م) ، بعد يومين من تحريرها ، ووصلت البعثة إلى مدينة البندقية في ٢٥ مايو ١٢٤٥ م/ ٢٧ ذى الحجة ٦٤٢ هـ^(١) . وحين قابل هؤلاء البابا في مدينة ليون — مقره المؤقت بعد طرده من روما على أيدي أتباع الإمبراطور — كان البابا على وشك عقد مؤتمر ليون الكنسي (٢٨ يونيو — ١٧ يوليو ١٢٤٥ م) . لذلك فمن المستبعد أن يكون البابا قد علم بما حل بالصليبيين من كوارث قبل شهر يونيو ١٢٤٥ م/ محرم ٦٤٣ هـ ، ومن المستبعد أيضا أن يكون قد راسل السلطان الأيوبي بعد موقعة غزة ، وإنما في مستهل عام ١٢٤٤ م/ أواسط عام ٦٤١ هـ ، بعد أن علم بأنباء الشقاق بين الأيوبيين في مصر والشام ، وتحالف الفرنج مع الصالح إسماعيل ملك دمشق ضد السلطان الصالح أيوب في مصر .

هذا عن تاريخ مراسلة البابا إنوست الرابع للسلطان الأيوبي الصالح نجم الدين . أما عن تاريخ تحرير رد السلطان على البابا ، فإن كل النصوص التي وقفنا عليها لمراسلة السلطان إلى البابا تشير إلى أن هذه الرسالة قد حررت في اليوم السابع من شهر محرم دون ذكر للسنة الهجرية التي تضمنت هذا الشهر^(٢) ولما

١ - صيغة اليوم التاريخ لسمكة عدد قتل الفرنج بأكثر من ٣٠ ألف قتيل إلى جانب ٨٠٠ أسير نقلوا إلى مصر انظر: سبط ابن خريز: مرآة الزمان، ج ٨، قسم ٢، ص ٧٤٤-٧٤٦. راجع أيضا:

Eracles, pp. 429-431; Matthew Paris, Chronica Majora, vol. 4, pp. 307-311; Chronica Salernbene, in M.G.H., vol. 12, p. 177.

مع عدد أسرى وقتل جماعة فينيون . انظر: حسن عبد الوهاب: تاريخ جماعة الفرنج التتوون في الأراضي المقدسة، الإسكندرية ١٩٨٩، ص ٢٥٢.

(١) Annales de Burton, ed. H.R. Luard, in Annales Monastici I (R.S. 36), [London, 1863], pp. 257-263; Matthew Paris, Chronica Majora, vol. 4, pp. 337-345.

(٢) انظر ما سبق، ص ٥٤٣ حاشية رقم (١). راجع أيضا ملحق رقم ٤ بآخر البحث.

أورد المؤرخ الإنجليزي متى الباريزي ، الذي كان على علم تام بما جرى في الشرق من أحداث^(١) ، نص رسالة الصالح أيوب ضس ما أورده من أحداث عام ١٢٤٦ م/ ٦٤٤ هـ ، فقد أخذ بذلك كل من رهرشت وبرخوردريبولز الذين رجعوا إلى نص متى الباريزي . وإذا كان الأمر كذلك فإن رد السلطان على رسالة البابا يكون قد دون في ٢٥ مايو ١٢٤٦ م/ ٧ محرم ٦٤٤ هـ . إلا أن هذا التاريخ يفترق إلى الدقة . وربما كان لإعتقاد هؤلاء المؤرخين الحديثين — فيما يخص العلاقات بين البابا والسلطان والإمبراطور أيضا — كلية على حولة متى الباريزي ، أثر كبير في عدم توفيقهم في تحديد التاريخ الصحيح الذي حرر فيه السلطان رسالته .

فإذا رجعنا إلى بيان البابا نفسه ، والذي أصدر فيه قرار الحرمان ضد الإمبراطور في ختام اجتماعات مؤتمر ليون الكنسي (٢٨ يونيو — ١٧ يوليو ١٢٤٥ م/ ٢١ صفر — ٢١ صفر ٦٤٣ هـ) ، نجد أن البابا يشر إلى خطاب السلطان الذي وصله عن طريق الإمبراطور . ولقد أورد متى الباريزي — ضمن أحداث عام ١٢٤٥ م/ ٦٤٣ هـ — نص بيان البابا ضد الإمبراطور . ومن المؤكد أن رجوع إليه كنص من المؤرخين الحديثين . إلا أن هذا النص الذي أورده متى الباريزي قد سقط منه الجزء الذي أشار فيه البابا إلى خطاب السلطان بقرله (ومع هذا السلطان ، كان لفريدريك ، الذي تسلمنا عن طريقه خطاب السلطان ، علاقات أسرية وحسب متبادل ووفاق تام ، منذ عهد والد هذا السلطان ...)^(٢) . ومن هنا لم يقف المؤرخون الحديثون ، الذين حددوا ٢٥ مايو ١٢٤٦ م/ ٧ محرم ٦٤٤ هـ تاريخا لتحريم رد السلطان على رسالة البابا ،

(١) اتهمد متى الباريزي ، أحب دير سان ألبان بالانجلترا ، إلى جمع ملته التاريخية خاصة فيما يخص الأحداث منذ ١١٣٦ م ٦٢٣ هـ على روايات من وفد من فرج الشام إلى كتيته ، وعلى ما كان يبحث به رجال النابية والإسبانية إلى مقصدي هاتين الجماعتين إلى بالانجلترا ، وعلى كل ما يبحث به بحكام الإمارات الصليبية بالشام إلى بلاط الإنجليز ، إلى جانب تقاير الموظفين الرسميين من الإنجليز ثم جال الذين راهبان من التومنيكان والفريسيكان أنظر

Antonia Gransden, Historical writing in England, vol. 2, pp. 156. FF Richard Vaughan, Matthew, Paris, Cambridge, 1958, pp. 59-60.

(٢) "Cum quo soldani dictus Fredericus, prout ipsius soldani literis nuper accepimus, a tempore patris eiusdem soldani familiaritatem et dilectionem mutuam et concordantiam perfectam habere dinoscitur".

Rodenberg, Epistolae Saeculi, vol. 2, p. 88.

والذين رجعوا إلى نص بيان البابا ضد الإمبراطور عن متى الباريزي ، لم يقفوا على التاريخ الصحيح لتحرير رسالة السلطان . وإذا كان البابا قد أشار إلى خطاب السلطان إليه ، بعد أن تسلمه من الإمبراطور ، وهذا ما يؤكد السلطان بنفسه في رسالته ، فإن البابا يكون قد تسلم خطاب الصالح أيوب قبيل انعقاد مؤتمر ليون في ٢٨ يونيو ١٢٤٥ م/غرة صفر ٦٤٣ هـ . فلا بد إذن أن يكون رد السلطان على رسالة البابا قد حرر في عام ١٢٤٥ م/٦٤٣ هـ . وإذا كان خطاب السلطان يرتبط بالشهور العربية أكثر منه بالشهور المسيحية ، فإن غرة شهر محرم توافق يوم السبت ١٩ مايو ١٢٤٥ م ، بينما توافق يوم ٧ محرم (يوم تحرير الخطاب) اليوم الرابع من يونيو من نفس السنة^(١) . وبذلك يمكن الأخذ بأن التاريخ الصحيح الذي حرر فيه رد السلطان الصالح نجم الدين أيوب على رسالة البابا إنوسنت الرابع هو يوم الجمعة ٤ يونيو ١٢٤٥ م/٧ محرم ٦٤٣ هـ . وكان من السهل والاتصال مستمرة بين سلطان والإمبراطور . يصل الخطاب على وجه السرعة إلى بلاد قهرديك الذي يعثه بدوره إلى البابا قبل انعقاد المؤتمر . ولما كان رد السلطان محميا لآمال البابا ، ولما وجد البابا أن ارتباط السلطان بمنافسة الإمبراطور هو سبب ذلك ، فقد كانت هذه العلاقة بين الصالح أيوب وقهرديك من ضمن الأسباب التي دفعت البابا إلى إصدار قرار الحرمان ضد الإمبراطور^(٢) .

وإذا كان البابا إنوسنت الرابع قد فشل بالدبلوماسية في مهادنة السلطان الأيوبي الصالح نجم الدين ، وفي مساعدة فرنج مملكة بيت المقدس على تجنب الخطر الإسلامي من مصر في وقت انقسموا فيه على أنفسهم ، مما أضاع مهم المدينة المقدسة إلى الأبد للأسباب التي أسلفناها فإنه لم يأس ، وعاد الاتصال بالسلطان الأيوبي ، إن لم يكن لصالح الصليبيين ، فمن أجل القيام بواجبه كرئيس

(١) كان التاريخ الذي حددته بـ ١٠ محرم خطاب سلطان إلى البابا هو أقرب التاريخ إلى الحقيقة . إلا أن بـ ١٠ محرم جعل يوم الجمعة ١ محرم ٦٤٣ الموافق ٣ مايو ١٢٤٥ . وأحد هذا التوافق جاء بشارده . نظر .

Rodenberg, Epistolae Saeculi, I, 2, p. 86, J. Richard, The Latin Kingdom, vol. 2, p. 336.
راجع أيضا محمد عطار ، التوقيعات الإلهامية ، ص ٢٧٢

Matthew Paris, Chronica Majora, vol. 4, pp. 566-568.

(٢)

للكنيسة الكاثوليكية نحو مدينة بيت المقدس التي لم يعد في مقدور فرنج الشام — بعد اندحارهم في موقعة غزة ١٢٤٤ م/ ٦٤٢ هـ — الدفاع عنها وهي في أيدي المسلمين ، وفي وقت كان فيه مركز الثقل في الصراع بين الطرفين يميل بقوة لصالح المسلمين . ففي ١٥ أغسطس ١٢٤٦ م/ ٣٠ ربيع أول ٦٤٤ هـ بعث السلطان الصالح أيوب برده على رسالة بعث بها إليه البابا إنوسنت الرابع يشكو فيها الاعتداءات التي وقعت على مدينة بيت المقدس بعد عودتها إلى حوزة المسلمين . ويؤكد السلطان في رده على البابا أنه إذا كان شيئا من هذا قد حدث فإنه لم يكن له علم به ، وعندما توجه السلطان إلى الشام فإنه قد عاقب من قاموا بذلك^(١) . وكانت شكوى البابا إلى السلطان الصالح نجم الدين أيوب هي آخر ما وقتنا عليه من اتصال بين بابوية روما والسلاطين الأيوبيين لصالح الفرنج في بلاد الشام أو الأراضي المقدسة نفسها . فلم يلبث الغرب أن أرسل حملة لويس التاسع (١٢٤٨م - ٦٤١ هـ) ، وعاد العداء مكشوفاً بين المسلمين والصليبيين . وبالأمال المعقودة على ما يأمل الملك الفرنسي أن يحققه ، لم تكن هناك حاجة بالبابوية أن تعاود الاتصال بالسلاطين الأيوبيين . وبعد أن أفاق أهل الغرب من الصدمة الروحية والمعنوية التي سببها فشل حملة قام بها ملك وصل في نظرهم إلى مرتبة القديس^(٢) ، عقدت البابوية الآمال على وهم آخر ، شكله العداء التري للإسلام . واكتساح التار لأملأك المسلمين حتى حدود مصر^(٣) . وقيام دولة

(١) ستر برجر تعرض رد السلطان على رسالة البابا ، وأشار إليه برشت . وما لم نقف على نص رسالة البابا ، وما لم يتضح من رد السلطان عليه ما يحدد التاريخ الذي يأسل فيه البابا السلطان ، فقلنا — لتحديد ذلك — أن شمع سير الأحداث . ففي ١٢٤٥ م/ ٦٤٣ هـ ، وبعد أن رفض الصالح أيوب السماح لنخوارزمية بدخول مصر . ولم يكافأهم على تعذيبهم معه ضد الفرنج وأمراء الشام الأيوبيين . فقد أغاروا على كل مدن فلسطين قبل أن يبرهمهم السلطان ويخزي على خطوهم في عام ١٢٤٦ م/ ٦٤٤ هـ . من المؤكد أن تكررت انتهاكات النخوارزمية للحدس فلسطين في بيت المقدس ، الأمر الذي أشد إليه البابا في رسالته إلى السلطان . وهناك يكون أنسب تاريخ لمراسلة البابا للسلطان هو سم ١٢٤٥ م/ ٦٤٣ هـ أنظر : ابن وأصل . مفرج لكروب ، ج ٥ ص ٣٥١-٣٥٠ : القريزي . سنوك . ج ١ . قسم ٢ . ص ٣٢٤ . راجع أيضاً :

Berger, *Régistres d'Innocent IV*, vol. I, no. 3034, p. 455; Rohricht, *Regesta*, no. 1144 p. 302

(٢) P. A. Throop, Criticism of Papal crusading policy in Old French and provençal, in *Speculum*, vol. 13, pp. 400-404.

(٣) Paul Meyvaert, An Unknown Letter of Hulayū, Il-Khan of Persia to King Louis IX of France, in *Vivator*, vol. 11, 1980 p. 243

المماليك وإزاحتهم لتخضر لتتري من بلاد الشام ، لم يكن من السهل على البابوية أن تجد الفرصة أو الظروف المهيأة للإتصال بملاطين المماليك . فلم يكن من السهل في الوقت ذاته أن يكون هؤلاء معتدلين تجاه عدوين يواجهانهم في وقت واحد ، التتار في العراق ، والفرنج في بلاد الشام (١) . ولم يكن هناك مفر من تقبل ما قُدر للوجود الصليبي في ديار الإسلام من نشاء . وبعد أن أدركت البابوية عدم جدوى الحرب ضد المسلمين ، كان عليها أن تتلمس طريقا آخر ، بروج جديدة ، وبنمط جديد . إلا أن ذلك لم يجعل من التجاوزات جودفري دي بويون ويوهيمند الثورماندى ومن خلفهما لا أضر في كتب التاريخ .

(١) أدرك البابوية أنه من الصعب عدو من مع سلاطين وحقبة الظاهر بيكس في أصفهه بخلافه إلى وصلت إلى أوروبا على أنه شقيق خمسة تجاه أعدائهم . وكان ذلك في التعريف الذي بعث به إليه البابليسي — اتحاد الزعماء للصليبيين في عكا — إلى البابا جرانجور العاشر (١٢٦٨—١٢٦٩) مع ما على مكتب لأحد أعدائهم من أسلحة . سبل لإسراء أروج المصلحة في هذا من جديد أنظر

William of Ockley, *Tractatus de Statu Saracenorum*, ed. Hans Prutz in *Kulturgeschichte der Kreuzzüge*, Berlin, 1883, p. 587

الخاتمة :

لأن البابا أوربان الثانى لم يحدد مصر الأراضى التى يفتحها صليبو الحملة الأولى ، فقد أضاف هؤلاء إلى هدف الحملة الذى حددته البابوية — الإستيلاء على الأراضى المقدسة من المسلمين — هدفاً آخرًا . فأقاموا لأنفسهم — وغرب أوروبا — ركائز فى ديار الإسلام . ولأنهم أقاموا فى بلاد الشام أكثر من مائتى عام ، تطورت خلالها أحوالهم نتيجة للدخول أطراف عديدة أخرى إلى دائرة الصراع الصليبي الإسلامى ، من ييزنطين وأرمين وتار ، فقد كانت الغروب الصليبية مجالاً لقيام علاقات عديدة بين المسلمين وبين القرى الصليبية فى بلاد الشام وغرب أوروبا . فإلى جانب العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والدينية ، فقد كانت هناك — وقبل كل شئ — العلاقات السياسية التى تضمنت الحرب ، كما تضمنت الدبلوماسية فى ذات الوقت . وفى هذا المجال تمت اتصالات كثيرة بين حكام غرب أوروبا وبابوية روما من ناحية وبين حكام الشرق الأدنى الإسلامى من ناحية أخرى .

ولما حقق صليبو الحملة الأولى إنجازاتهم — التى لم تحققها أى من الحملات الأخرى — نتيجة لإنقسام الشرق الأدنى الإسلامى على نفسه سياسياً ومذهبياً . وما لم تتحد الجبهة الإسلامية ضدهم بصورة كاملة حتى نهاية عهد نور الدين محمود ، فلم تكن هناك حاجة بفرنج الشام إلى اتباع الوسائل الدبلوماسية مع المسلمين . وتركوا انتصاراتهم وفتلاتهم لتعير عنهم . وبالتالي لم تكن هناك حاجة بحكام غرب أوروبا وبابوية روما — المشغولين عن ركائزهم فى الشرق بخلافاتهم الخاصة — إلى اتباع نفس الأساليب . فقد كانت لغة السيف هى السائدة وقتها .

إلا أن شعور القرى الصليبية بدور الخطر الإسلامى ممثلاً فى شخص صلاح الدين موحد الجبهة الإسلامية ضدها ، وفى الوقت الذى لم يكن فى مقدور أى من حكام غرب أوروبا أو رؤساء كنيسة روما أن يقدم المساعدة المباشرة لفرنج الشام — هذا الشعور — دفع بأولى الأمر فى الغرب إلى التفاوض مع بنى أيوب بشأن الصليبيين فى بلاد الشام .

ولأن الحركة الصليبية كانت — في المقام الأول — مشروعاً بابوياً ، وإذا تقاعس حكام غرب أوروبا عن مساعدة فرنج الشام في أحيان كثيرة ، فقد قام رؤساء الكنيسة الغربية — دون عفاضة — بالإنصال بحكام الشرق الأدنى الإسلامي من بنى أيوب . واختلفت مطالب البابوية حسب الحال التي كان عليها صليبيو الشام ، وحسب أحوال غرب أوروبا ، ومدى استعداده لإستخدام القوة المسلحة ضد المسلمين من عدمه . كما اختلفت أيضاً ردود السلاطين الأيوبيين على مطالب البابوية وفقاً للظروف والإعتبارات الخفية .

وأول ما نصل إليه من نتائج هذه الإنصالات أنه في كل الأحوال كانت البابوية هي البائدة بالتفاوض ، وفي كل الأحوال أيضاً كان هدفها متوافقة بنى أيوب حتى تتمكن هي من دفع الغرب الأوروبى إلى القيام بعمليات صليبية إلى الشرق .

وحرص بنى أيوب منذ عهد صلاح الدين وحتى نهاية دولتهم على بناء علاقاتهم الدبلوماسية برؤساء كنيسة روما — السبب الأول في الوجود الصليبي في ديار الإسلام — داخل نطاق اختصاصاتهم لذا كان مصير المراسلات والوثائق المتبادلة بين الطرفين هو صفحات الأرشيفات الأوروبية دون أرشيفات ديوان إنشاء الدولة الأيوبية أو صفحات أعمال مؤرخيها أو من تبعهم من مؤرخي الماليك .

وكان من الطبيعي أن يكون صلاح الدين هو أول من تفاوض معه البابوية بشأن فرنج الشام . فقد عزل الزجل الإمارات الصليبية في بلاد الشام برا وبحرا ، وضاق عليها حصاره في الوقت الذي مزقتها فيه الخلافات الداخلية ، وعانت من النقص في المواد البشرية والمالية ، بينما اكتفت بحجونه بأسره من الصليبيين . فحدد البابا لوكيوس الثالث — كما حدد خلفه ألكسندر الثالث — طلبه من صلاح الدين — ومن خلفه ونائبه في مصر الملك الناصر — بالموافقة على إتمام عمليات فداء الأسرى مع فرنج الشام . ومن نفس المنطلق الذي راسل به البابا صلاح الدين وشقيقه كان رد السلطان نائبه متوافقة للبابا ، مظهرين فيه الموافقة على مطلبه تجنباً لأي رد فعل أوروبى من شأنه أن يعرقل مشروع صلاح الدين الكبير ضد الصليبيين في بلاد الشام . وقشلت مساعي البابوية لدى صلاح الدين الذي سرعان ما أطاح بتسعين عاماً من الجهد الصليبي .

ولما لم تستطع الخمستان الصليبية الثالثة والرابعة أن تعيد لفرنج الشام ما فقدوه على أيدي صلاح الدين ، وحتى تمكن البابوية من إيفاء الحملة الصليبية التي تمكن من إتمام ذلك (الحملة الخامسة) ، فقد كرر البابا إنوسنت الثالث المطلب البابوي ، وزاد عليه دعوته إلى السلطان العادل للموافقة على عقد اتفاق سلام مع صليبي الشام ، ورد مدينة بيت المقدس إليهم . وكان البابا في أمل خادع أحاطته به تقارير فرنج الشام التي تعيد بحمل أبناء العادل إلى تسليم الأراضي المقدسة إلى البابوية . وكما فشلت مساعي البابوية لدى صلاح الدين ، فقد فشلت أيضا مع خلفه العادل .

ولما لم يكن هناك إيد من إيفاء الحملة الصليبية الخامسة ، فقد أصبح العداء مكشوفاً بين البابوية والسلطان الأيوبي ، وكان من الطبيعي أن يقطع البابا هنريوس الثالث — الذي قامت الحملة الخامسة في عهده — عن مواصلة التفاوض مع بني أيوب طامناً حلت القوة المسلحة ، مرة أخرى محل الدبلوماسية .

ولما كان لما قام بين السلطان الأيوبي الملك الكامل ، وبين الإمبراطور الألماني فريدريك الثاني من علاقات وطيدة نتجت عن التوافق الفكري السياسي بينهما ، وعن تشابه رد فعل رعايا كل منهما نحو نتيجة ما توصل إليه العاهلان من اتفاق (اتفاقية يافا ١٢٢٩ م / ٦٢٧ هـ) ، ولما كان لهذه العلاقات من أثر في قيام حاجز سياسي بين البابوية والسلطان الأيوبي ، فقد نأى البابا جريجورى التاسع عن اتباع أسلوب التفاوض مع سلطان مصر بشأن فرنج الشام ، وعهد بذلك إلى حكام الصليبيين في قبرص وبلاد الشام ، واكتفى هو بالتفاوض مع السلطان الأيوبي بشأن رعايا كنيسة روما من التجار الإيطاليين في ميناء الإسكندرية ، لإدراكه لعدم جدوى المحاولة مع السلطان الأيوبي صديق الإمبراطور وملك بيت المقدس كما يراه السلطان .

ولما استمرت علاقات فريدريك بخلفاء الكامل ، فقد بقي نفس الحاجز السياسي يعوق البابوية عن النجاح في التفاوض معهم بشأن فرنج الشام ، الأمر الذي جعل من الفشل مآلاً لمحاولة البابا إنوسنت الرابع لمهادنة السلطان الصالح نجم الدين أيوب — حتى تصل الحملة السابعة إلى مصر — بدفعه للسلطان إلى الموافقة على الترتق بالصليبيين في الشام وعقد اتفاق سلام معهم . وكان نفس

الأمل الخادع الذى دفع بابينا بنوست الثالث إلى التفاوض مع السلطان العادل هو نفسه الذى دفع بنوست الرابع إلى الاتصال بالصالح أيوب .

كما كان مصر محاولة البابا الأنجم — الفشل — هو نفس مصر محاولة سلفه . واكتفى بنوست الرابع ببحث الصالح أيوب على رعاية مدينة بيت المقدس — التى فقدتها الصليبيون إلى الأبد — وكنيسها .

وبوصول حملة الملك الفرنسى لويس التاسع إلى مصر — وبفشل هذه الحملة — انتهت آخر فرصة توفرت للبابوية للاتصال بحكام الشرق الأدنى . الإسلامى لصالح الزكائى الأوروبية فى بلاد الشام . فقد واكب فشل حملة لويس تولى السلاطين المماليك للسلطة فى مصر ، ولم يكن بوسع البابا مهادنة هؤلاء بدبلوماسيتها المعهودة ، فى الوقت الذى كان على المماليك مواجهة عدوين فى وقت واحد ، الصليبيين فى قلب الشام ، والتتار على حدوده ، لذا توقفت البابوية عن اتباع الأسلوب الدبلوماسى مع حكام المسلمين بشأن فرج الشام قبل نهاية الدولة الأيوبية . ولم يكن أمامها سوى أن تفعل ذلك

الملحق الأول

خطاب السلطان صلاح الدين الأيوبي إلى البابا لوكيوس الثالث في عام ١١٨٣ م/٥٧٨ هـ نقلا عن :

Radulf de Decito, *Ymagines Historiarum*, vol. 2, p. 25.

النص اللاتيني

"Rex Salahadinus Omnium regum Orientalium potentissimus domino papae.

Praesentata fuit nobis cartula vestra, quoniam nos scimus et credimus quod sitis in majori officio de hoc mundo, et scimus quod Deus vobis tantam gratiam dederit ut sedeatis in tanta magnitudine. Scimus autem quod omnes Christiani vobis obediunt, et vos pertimescunt. Haec cartula nobis data et praesentata fuit per manum Oliveri Vitalis vestri legati, et ante nos in secreta camera venire fecimus, et quicquid sibi placuit dicere ex vestra parte diligenter audivimus: et vestra cartula per omnia placuit nobis, et eam accepimus bono animo et laeti vultu, et cognovimus magnum amorem quem apud nos habetis. Et quicquid vestra cartula et praedictus legatus locutus fuit de pace habere cum omnibus christianis et ut omnes captivos dimitteremus, et Christiani qui sub iugo nostro sunt dimittant omnes nostros captivos, et nos omnes captivos Christianos quos habemus vestra benignitate dimitteremus. Notum sit vestrae magnitudini quod Christiani qui a nobis detenti sunt, sunt gentiles et nobiles viri; ac milites nostri, qui a Christianis detenti sunt, sunt rustici et minimi atque vilissimi homines; et si placet vobis, nos appreciabimus captivos nostros quos habemus, et Christiani apprecient suos, et quae pars minus habuerit restituetur ei ab altera. Deus scit quod quando vestras Cartulas et Legatos a vestra magnitudine transmissos vidimus, per omnia gavisi sumus. Caetera secretiora praefato Olivero Commisimus, in quem multum confidimus, et valde super his bonam fidem eum habere cognovimus. Unde pro certo habeatis quod quicquid cum vobis ipse tractaverit, de mandato nostro et bona voluntate procedit".

الترجمة العربية

من الملك صلاح الدين ، أقوى ملوك الشرق لجميع ، إلى فخامة البابا .
تسلما رسالتكم . وانا على علم وثقة بأنكم في قلق شديد بشأن هذا العالم ،
ونعلم أن الله قد حياكم بفضل كبير إذ تبوأتم هذا المركز الكبير . ونعلم أن جميع
المسيحيين يدينون لكم بالطاعة ، ويرهبون جانبكم . وقد تسلما رسالتكم من
مبعوثكم أوليفر فيتاليس ، وقد استدعيناه إلى محبة سر ، وسمعنا منه كل ما
أُبعدنا من جانبكم وقد سرتنا رسالتكم بكل ما جاء فيها . وتلقيناها بقرب
منشرح وقص راضية . وعلما عظيم تقديركم لنا . ولما جاء في رسالتكم ، ولما قاله
مبعوثكم ، وقفنا على رغبتكم في أن نعقد معاهدة سلام مع المسيحيين^(١) جميعا ،
وأن نتبادل معهم كل الأسرى فليطلق المسيحيون سراح جميع أسرانا ، ونحن بدورنا
سوف نطلق سراح أسراهم لدينا نزولا على رغبتكم . ويجوز معلوما لفخامتكم أن
المسيحيين الذين في أسراهم هم من طبقة النبلاء ، وأن جنودنا الذين في أسر
المسيحيين هم من طبقة المزارعين ومن أبط الناس حالا ، وإذا ارتضيت ، فإننا
سوف نقدر قيمة أسرانا ، ولتقدر المسيحيون قيمة أسراهم ، وعلى الفريق الذي
يكون بحوزته أسرى أقل قيمة ، أن يعيد إلى الفريق الآخر ما يساوي قيمة أسراه .
ونعلم الله كم شعرنا بالغبطة حين طالعنا رسالتكم ، واستقبلنا سفراءكم . وقد
عهدنا إلى أوليفر بأمور أكثر سرية ، مع علما بمدى إخلاصه بشأنها ، ونحن نتق
فيه ثقة كبيرة . ومن ثم ، فتكويوا على يقين من أن ما ينقله شخصيا إليكم ،
قانه صادر منا وبإرادة طيبة .

(١) المسيحيون هم صليبي القديس .

الملحق الثاني

خطاب الملك العادل سيف الدين شقيق صلاح الدين ونائبه في مصر ، إلى البابا لوكيوس الثالث في أول أبريل ١١٨٣ م/ ٥ ذى الحجة ٥٧٨ هـ ، نقلا عن :

Radulf de Diceto, *Ymagines Historiarum*, vol. 2, pp. 25-27.

النص اللاتيني

"Gratia universali Christianorum papae, excellentiori domino totius Christianitatis, cujus ditioni omnis Christianitas est subdita, a rege justitiae Sisdin, domino totius multitudinis Sarracenorum, haec carta dirigitur. In nomine Domini piissimi et misericordissimi, recepimus litteras vestras, per manus nunciu vestri Jani Danduli, quem nobis jussimus praesentari, et cum honoravimus, et diligenter litteras vestras inspeximus, et verba quae ex parte vestra nobis legatus vester retulit attentius intelleximus; ex cujus dictis accepimus vestrae voluntatis existere modis omnibus observare, quae cum beatae memoriae praedecessore vestro Alexandro Firmiter stabilivimus super negotio inter Christianos et Sarracenos ad redemptionem omnium captivorum quos in nostra servari fecimus captivitate. In litteris vestris vidimus contineri, quod omnis vobis Christianitas obediret, et nemo audeat vestris contraire praeceptis; Cognoscentes voluntatem vestram, quod praesens negotium circa dominum et fratrem meum debeam promovere, regem victoriosissimum, servatorem suae promissionis et auctorem justitiae Salahadin, dominum legis et omnium sarracenorum, suscitatore legis sarracenorum, cujus dies Deus augeat et potentiam magnificet, et ut compositionem juxta petitionem vestram studeam perficere et executioni mandare. Cum pervenit ad nos legatus vester cum litteris vestris, erat frater noster rex victoriosissimus in partibus Tyri, ubi successit ei contra hostes suos votum suum, cui Deus tantam his temporibus victoriam contulit, quod omni terram a Damasco usque Niniven subjugavit; Cui omnes vicinitate loci propinqui, et sarracenorum universae potestates obediunt; ejus expeditioni volente Dec adhaeserunt infinitae nationum multitudines ut serviant ei; qui tanta manu hostes persequitur quanta nullus praedecessorum suorum inimicos suos valuit impugnare; nobis vestram aperuit voluntatem, et preces vestras nobis optulit, quibus

incontinenti curavimus obtemperare, et quicquid pertinui vestrae expediat vestro intuitu circa fratrem nostrum studuimus obtinere, et transmissa vobis in fratre nostro responsione accepimus rege victorum. ejus potentiam Deus exaltet: quod si Christiani qui habitant in Jerosolima cum rege suo, et in omni parte Tyri vestris obedierint praeceptis cum universa Christianitate, et ordinationem inter nos factam servaverint secundum voluntatem vestram pro facienda pace, et pro dimittendis captivis qui servantur in carceribus nostris compediti, et nos observare promittimus ea omnia quae ad istam faciendam pacem a nobis postulatis. Sed si praefati Christiani de partibus Tyri et Jerusalem vestris praeceptis non obedierint, nos immunes erimus a culpa, et quod pacem non servaverimus, nobis deinceps non poterit imputari.

Scripta fuit haec carta pridie kalendas Aprilis anno Machometi D LXX Octavo. Gratias agimus Deo soli, et Machometo prophetae magno".

الترجمة العربية

إلى صاحب السعادة بابا العالم المسيحي ، الذى تخضع المسيحية جمعاء لسلطانكم : من الملك العادل سيف الدين ، سيد جميع المسلمين .

بسم الله الرحمن الرحيم . لقد تسلمنا رسالتكم من مبعوثكم جان داندولو الذى أمرنا بمحتواه أمامنا ، وأكرمنا وفادته ، وقرأنا الرسالة بكل عناية ، ووعينا ما أبلغنا به مبعوثكم على لسانكم من طلبات ، ومن أقواله قبلنا رغبتكم فى الاهتمام باتخاذ كل الإجراءات ، التى وقفنا تمام الثقة فى رغبة سلفكم طيب الذكر (البابا) ألكسندر (الثالث) ، فى اتخاذها بشأن التفاوض مع المسيحيين^(١) ، بخصوص فداء كل أسراهم الذين فى حوزتنا . ولقد لمسنا فى خطابكم تأكيدكم من طاعة كل المسيحيين لما جاء فيه من مبادرات ، وأنه ليس لأحد منهم أن يتجاسر على مخالفة نواحياتكم . وإذا علمنا رغبتكم فى أن أستمح مولاي وشقيقى ، الملك الظاهر ، الحافظ لعهد وحمى العدالة صلاح الدين ، سيد البلاد ، وسيد المسلمين جميعا ناصر الإسلام ، أطال الله عمره ، وبارك سلطانه ، بشأن إتمام ذلك التفاوض ، وأن أهم بتحقيق رغبتكم بإنجاز انتماسكم ، فحين حضر سفركم حاملا أكتابكم إلينا ، كان أخى الملك الظاهر فى (يوع صور)^(٢) ، ينجز هناك نده ضد أعدائه ، وقد حياه الله آنذاك بالنصر العظيم ، إذ أخضع البلاد كنفها من دمشق وحتى نيفين^(٣) ، وكل المناطق المحيطة بها ، ودان له ملوك الإسلام بالطاعة ، فإذا علموا بحملته أطاعوا الله ، وأمدوه^(٤) بمحمود هائلة من رعاياهم لتعمل تحت إمرته ، فصار بقواته العظيمة يطارد الأعداء ، واستطاع أن يقهر خصومه ، الأمر الذى لم يستطع إنجازه أحد من السابقين . ولقد عرض علينا (السلطان) رغبتكم التى حرصنا على تحقيقها . وحسب رغبتكم ، اهتمامنا بتحقيق ذلك لدى شقيقنا (السلطان) . ونقل إليكم على لسان شقيقنا ملك

(١) المقصود بهم صليبي الشام .

(٢) انظر ما سبق ، (ص ٢٦٣)

(٣) وهى أنفة : بلدة على ساحل البحر شرق جبل صهيون - انظر : ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، ٥ ، ٢٧١ .

(٤) المقصود به صلاح الدين الأيوبي .

الظافرين ، بآرك الله فى سلطانه : أنه لو أفتاح ملك ومسيحيو (مملكة) بيت المقدس ، ومسيحيو صور ، وجميع المسيحيين ، ترحيبتكم وحافظوا على حسن الجوار معنا ، فإننا منهم بتحقيق رغبتكم الثانية بشأن إبرام اتفاقية سلام ، وإتمام عمليات فداء الأسرى (الصليبيين) القابعين فى سجوننا ، ونسمح لأنفسنا بتدريس كل ما تقدم به من التماسات لعقد اتفاقية السلام . أما إذا لم يمثل المسيحيون المذكورون فى ربوع صور وفى (مملكة) بيت المقدس ترحيبتكم فليسوف نكون فى حل من الخطأ ، لأننا لن نعمل على حفظ السلام معهم ، ولن يكون فى مقبولنا التفكير فى ذلك .

حرر هذا الخطاب فى أول أبريل ١١٨٣ م / الخامس من دى الحجة ٥٧٨ هـ .
والحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على رسوله محمد .

الملحق الثالث

خطاب البابا إنوسنت الثالث إلى السلطان العادل سيف الدين في ٦ مايو
١٢١٣ م / ١٣ ذى الحجة ٦٠٩ هـ . نقلا عن :

Ryccardus de San. Germano, Chronicon, in Muratori, R.I.S., vol. VII,
Cols. 986-988.

النص اللاتيني

“Innocentius, nobili viro Sephadino Soldano Demaschi, Babyloniae timorem Trini nominis, amorem. Daniele Propheto testant didicimus, quod est Deus in Caelo, qui revelat mysteria, mutat tempora, transfert Regna, cui voluerit dabit illud. Hoc autem evidenter ostendit, quando Jerusalem, fines ejus tradi permisit in manus fratris tui, non tam propter ejus virtutem, quam propter offensam Populi, Christiani, Deum ipsum ad iracundiam provocantis, magnitudinem tuam humiliter obsecramus, quatenus ne propter violentam detentionem praefatae terrae plus adhuc effundatur humani sanguinis, quam hactenus est effusus: restituas cam nobis, usus consilio; de qua forte detentione plus tibi difficultatis, quam utilitatis accrescit, dimissis utringue captivis, quiescamus a mutuis impugnationum offensis, ita quod apud te non sit deterior conditio gentis nostra, quam apud nos est conditio gentis ruae. Latores praesentium ad tuam praesentiam destinatus, rogamus benigne recipias, dignum eis responsum tribuens cum effectu. Datum Laterani 6 Kalen. Maji Pontificatus nostri anno 16”.

الترجمة العربية

(البابا) إنوسنت (الثالث) ، يعث بمعاوي نود والتبجيل باسم الثالث ،
الرجل النبيل سيف الدين (١) سلطان دمشق (٢) ومصر :

لقد علمنا بشهادة النبي دانيال أن الله في السماء هو الذي يكشف الأسرار ،
ويبدل الأزمنة ، والممالك ، وسوف يهب نمك من يشاء (٣) لكنه يظهر ذلك
بشكل واضح عندما سمح باستسلام (مملكة) بيت المقدس لأخيك (٤) ليس
بسبب فضيلته بقدر ما هو بسبب خطيئة الشعب المسيحي الذي استثار الرب
ذاته ، فحل غضبه عليه . (ونحن) نتوسل إلى عظمتكم متواضعين ، ألا يسيل
مزيد من الدماء التي طافنا سالت بغزارة في الأراضي السابقة الذكر ، بسبب أعمال
العنف التي تحدث هناك :

وعين الصواب أن ترد إلينا الأراضي المقدسة ، وإذا رفضت ذلك فسوف تواجه
المزيد من الصعاب دون أن تمنى أية فائدة . لذا ، بعد تبادل الأسرى بين كل
الطرفين فليستريح سويا من غناء القتال ، ولن تكون حالة شعبنا عندك أسوأ من
حالة رعاياك عندنا . ولقد أرسلنا مبعوثينا إلى فخامتكم ، ونسألكم أن تحسنوا
استقبالهم ، وأن تردوا عليهم بما يستحقون من تكريم .

اللاتيران ، في ٦ مايو من العام السادس عشر من بابويتا (٥) .

(١) عرف الملك النعادل سيف الدين شقيق صلاح الدين ، وخلفه في حكم الدولة الأيوبية في القدس . اللاتينية
المعروفة بهذا الاسم . ورد اسمه في هذه المصادر في عدة أشكال منها Sissidin و Sephadin .

(٢) أوكل النعادل بحكم دمشق إلى ربه اعظم عيسى . انظر ما سبق ، ص ٢٧٤ . حاشية (٣) .

(٣) : أعاب دانيال وقال : يكن اسم الله مباركا من الآن وإلى الأبد لأن له فخمه وخبرته ومعونه
الزوايا والأزمنة يبرز ملوكا ويهبط ملوكا . يعطى الحكماء حكمة ويعلم العاقلين فهماء . انظر
العهد القديم . سفر دانيال . (٢ : ٢٠ - ٢٢) .

(٤) : ينقصد به السلطان صلاح الدين الأيوبي .

(٥) : ٦ مايو ١٢١٣ م ، ١٣٠ هـ . حجة ٦٠٨ هـ .

الملحق الرابع

خطاب السلطان الصالح نجم الدين أيوب إلى البابا إنوسنت الرابع في ٤ يونيو ١٢٤٥ م ٧ محرم ٦٤٣ هـ . نقلًا عن :

C. Rodenberg, *Epistolae Saeculi XIII regestis pontificum romanorum selectae*, vols. 3, Berlin, 1883-1894, in M.G.H., vol. 2, no. 132. pp. 86-88.

النص اللاتيني

"Presentie pape, universalis loquere Christianorum, manu tenentis adoratores crucis, iudictis populi Christiani, ductoris filiorum baptismatis, summi pontificis Christianorum-confirmet eum Deus et dei sibi felicitatem-a soldano, potentissimo, regnante super colla nationum, continente duas virtutes, gladii et calami, possidente duo precellentia, scilicet doctrinam et iudicium, rege duorum marium, dominatore Austri et septentrionis, rege regionis Egypti et Syrie et Mesopotamie, rege salech Belfei Ayob, Filio soldani Hamel Helmevaffar Mehamed, Filii soldani regis Hadel Bohetre, Filii Ayob, cuius regnum Deus diligit.

In nomine Dei misericordis et miseratoris.

Presentate sunt scripture pape, et respeximus dictas scripturas studiose, et intelleximus capitula, que in eis inserta erant, et cerum contentia nobis placuit, et delectatus est auditus noster in relatu eorum. Et nuntius venit ad nos, quem misit sanctus papa, et ipsum prevenimus cum honore et dilectione cum devotione et reverentia, ipsumque convocavimus ad conspectum nostrum, sibi inclinantes intendimus a urem verbis eius.

Et de hoc, quod dicitis voc desiderare tranquillitatem et quietem et habere materiam convocandi populus ad pacem, similiter nos desideramus. nec volumus contraire, et hoc semper volumus et desideravimus. Sed papa, quem Deus confirmet, scit, quod inter nos et imperatorem iamdudum fuit familiaritas et dilectio muna et Concordia perfecta a tempore soldani patris nostri, quem Deus ponat in claritate, et inter nos et imperatorem predictum, est, sicut scitis. Unde non licet nobis aliqua componere cum Christianis, nisi prius habuerimus super hiis ipsius consilium et assensum. Et nos scripsimus nuntio nostro, qui est in curia imperatoris, pro causis quas detulit nuntius pape, nuntiantes ei capitula et proposito

ment vestri. Ipse nobiscum poterit venire ad presentiam vestram, et loquetur
vobis, et renuntiabit nobiscum postquam renuntiaverit. Faciemus vultu
nostro respondere.

Nec discrepabimus ab eo, quod videbitur utile universis, ita quod
possumus habere meritum a Deo.

Et vobis annuntiamus, et bonum amplabitur in posterum, Deo dante.

Hic erat in septima die mensi Maharram.

Laus Dei soli et benedictio eius super dominum nostrum Mahumetum
et omne genus insularum. Ipse sit pax nostra!!

الترجمة العربية

إلى حضرة البابا ، عاهل المسيحيين أجمعين ، الذى يخضع له كل المؤمنين بالصليب ، قاضى الشعب المسيحى ، وفائد أبناء المعمودية ، كاهن المسيحيين الأعظم . قواه الله وأسعده : من السلطان المقتدر الذى يحكم الأمم ، ويجمع بين الشجاعتين ، شجاعة السيف وشجاعة القلم ، وبين فضيلة العلم وفضيلة الحكم . ملك البحرين ، سيد الشمال والجنوب ، ملك مصر والشام والعراق ، الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن السلطان الملك الكامل محمد ابن السلطان الملك العادل أى بكر ابن أيوب . حفظ الله مملكته .

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلتنا رسائل البابا^(١) ، واطلعنا عليها ، وفهمنا بنودها وفحواها . ولقد سعدنا ، وسرت أسماعنا بما جاء فيها . كما وصل إلينا أيضا مبعوث حضرة البابا واستقبلناه بالحفاوة والتكريم والاهتمام . وأمرنا بمثوله أمانتا ، وأرسلناه أسماعنا ونخصر قولكم ، بأنكم ترغبون فى أن نعمل السكينة والسلام والاطمئنان ، ووجود أساس للتفاهم بين الشعوب من أجل السلام فنحن بالمثل نود ذلك ، ولا نميل إلى رفض رغبتكم التى تتفق وما نرغب فيه . ولكن البابا ، أعانه الله ، يعلم أن بيننا وبين الإمبراطور (فرينريك الثالث) من أواصر الصداقة والاحترام المتبادل والثبات ، ما يرجع إلى عهد أى السلطان (الملك الكامل) ، نزل الله منزلا حسنا ، ولا يزال بيننا وبين الإمبراطور ما تعلمونه . ومن ثم ، فليس لنا أن نعقد أى اتفاق مع المسيحيين^(٢) دون أخذ رأيه وموافقته أولا . ولقد كتبنا إلى مبعوثنا لدى الإمبراطور بشأن ما حمله إلينا مبعوثكم من مقترحات ، كى يطلع الإمبراطور على بنود هذه المقترحات . وسوف يتوجه مبعوثنا ذاته إلى فحاشاتكم ، ويتحدث إليكم ، ثم يعود إلينا ليطلعنا على ردكم . وسوف يكون تصرفنا بموجب فحوى ذلك الرد . وسوف لا نعارض تنفيذ ما فيه الخير للجميع ، وما الخير إلا من عند الله .

(١) بحث البابا يومئذ الرابع بعدة خطابات إلى الصالح نجم الدين أيوب ، كان أحدها هذا الخطاب أنظر ما سبق ، ص ٢٩٢ .

(٢) المقصود بهم القوى الصليبية في بلاد الشام .

هذه رسالتنا إليكم . وبإذن الله يحسن خيرا .
حرر هذا الخطاب في سابع من احرر
والحمد لله وحده والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله .

يان المختصرات **الوارد ذكرها في حواشي البحث**

- A.L. - Les Archives de L'Orient Latin.
- Ann. T.S. - Annales de Terre Sainte.
- B. - Byzantion.
- B.I.H.R. - Bulletin of the Institute of Historical Research.
- E.H.R. - English Historical Review.
- M.G.H.ss. - Monumenta Germaniae Historica Scriptores.
- P.L. - Patrologia Latina.
- R.H.C. - H.Occ. - Recueil des Historiens des Croisades Historiens Occidentaux.
- R.H.C.-Doc.Arm. - Recueil des Historiens des Croisades Documents Armeniens.
- R.I.S. - Rerum Italicarum Scriptores.
- R.S. - Rolls Series.
- S.V. - Studi Venziani.

أولاً : المصادر الأصلية (أ) المخطوطات والمصورات العربية

- الصفدى (عاش في القرن ٦ هـ / ١٤ م) محمد بن عبد الله :
« نزهة المالك والمملوك في مختصر سيرة من وى مصر من الملوك » مكتبة
المتحف البريطاني رقم ٢٣٣٢٦ .
- العقلاى (ت ٨٧٦ هـ / ١٤٧١ م) أبو البركات عز الدين أحمد ابن براهيم
بن نعمة الله الكنائى العقلاى المصرى :
« شفاء القلوب في مناقب بنى أويب » مكتبة المتحف ليطائى ، رقم
٥٤٤٩ .
- العبنى (ت ٨٥٥ هـ / ١٤٥١ م) بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى :
« عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان » ، ج ٢٣ ، دار الكتب المصرية ، رقم
٨٢٠٣ ح .
- النويرى الكندى (ت ٧٣٢٢ هـ / ١٣٣٢ م) شهاب الدين أحمد بن عبد
الوهاب ابن محمد :
« نهاية الأرب في فنون الأدب » ، ٥٥ مجلد ، دار الكتب المصرية ، رقم ٦٤٩
معارف عامة « تصوير شمسى » .

(ب) المصادر العربية المنشورة

— ابن الأثير الجزري (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٣ م) أبو الحسن بن أبي الكرم المنقب
عز الدين : « الكامل في التاريخ » ، ج ١٢ ، القاهرة ، المطبعة الأزهرية ،
١٣٦١ هـ .

— ابن أبيك الدواداري (ت ٧٢٢ هـ / ١٣٢٣ م) أبو بكر بن عبد الله :
« الدرر المطلوب في أخبار ملوك بني أيوب » ، وهو الجزء السابع من كثر
الدرر وجامع الدرر ، تحقيق الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور ، القاهرة ،
١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م .

— ابن الجوزي (سبط) (ت ٦٥٤ هـ / ١٢٥٦ م) أبو المظفر شمس الدين :
« مرآة الزمان في تلخيص الأعيان » ، ج ٨ في ٣ أقسام ، حيدر آباد ،
١٣٧٠ هـ / ١٩٥١ م .

— ابن شداد (ت ٦٣٢ هـ / ١٢٣٥-١٢٣٦ م) بهاء الدين أبو المحاسن يوسف
رافع بن تميم :
« النوادر السنطانية والمحاسن اليوسفية » ، تحقيق جمال الدين الشيال ، القاهرة
١٩٦٤ م .

— ابن العديم (ت ٦٦٠ هـ / ١٢٦٢ م) كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله بن
أبي جرادة :
« زبدة الحلب من تاريخ حلب » ، ج ٣ ، تحقيق سامي الدهان ، دمشق
١٩٥١ م .

— ابن العميد (ت ٦٧٢ هـ / ١٢٧٤ م) جرجس أبو عبد الله بن أبي اليسر
المنقب بالملكين :

« تاجه » نشره كلود كاهن تحت عنوان « تاريخ الأيوبيين » أنظر :

Cahen (Claud), La Chronique des Ayyoubides d'Al-Makin B. Al Amid,
in Bulletin des Etudes Orientale, vol. 15, 1955-57, pp. 109-184.

— بن مظيف (عاش في القرن ٧ هـ / ١٣ م) أبو الفضائل الحموي :
التاريخ المنصوري ، وهو تلخيص الكشف والسك في حوادث الزمان ، تحقيق
أبو العيد دودو ، دمشق ١٩٨١ م .

— ابن واصل (ت ٦٩٧ هـ / ١٢٩٨ م) جمال الدين أبو عبد الله محمد بن سيدنا
« مفرج الكروب في أخبار بني أيوب » ، ج ٥ ، ج ١ ، ج ٢ ، تحقيق
الدكتور جمال الدين الشيال ، القاهرة ١٩٦٠ م ، ج ٤ ، ٥ ، تحقيق الدكتور
حسين ربيع ، القاهرة ، دار الكتب ، ١٩٧٢ ، ١٩٧٧ م .

— أبو شامة (ت ٦٦٥ هـ / ١٢٦٧ م) عبد الرحمن بن اسماعيل بن إبراهيم بن
عثمان شهاب الدين :

« كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلحية » ، ج ٢ في مجلد
واحد ، القاهرة ، مطبعة وادي النيل ، ١٢٨٧—١٢٨٨ ك .

— « تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالدليل على الروضتين »
نشر السيد عزت العطار ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٤ م .

— أبو الفدا (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م) الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل :
« المختصر في أخبار البشر » ، ج ٤ ، القاهرة ، المطبعة الحبيية ،
١٣٢٥ هـ .

— أبو المحاسن (ت ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ م) جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن
تقرى يردى :

« النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة » ، ج ٩ ، القاهرة ، مطبعة دار
الكتب المصرية ، ١٣٤٨—١٣٦١ هـ / ١٩٢٩—١٩٤٢ م .

— الأصفهاني (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠١ م) عماد الدين محمد بن محمد بن حامد :
« الفتح القسي في الفتح القدسي » : تحقيق محمد محمود صبح ، القاهرة
١٩٦٥ م .

— « البرق الشامي » ، ج ٣ ، ج ٥ ، تحقيق مصطفى الحيارى ، عمان
١٩٨٧ م .

- انقريزى (ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤٢ م) تقى الدين ابو العباس أحمد :
 نسلك لمعرفة دول الملوك « ، الجزء الأول فى ثلاثة أقسام ، نشره محمد
 مصطفى زيادة ، القاهرة ١٩٣٤ م — ١٩٤٢ م .
- السوى (ت ٦٤٧ هـ / ١٢٤٩ م) شهاب الدين محمد بن عبد الواحد المنشىء
 السوى :
 « سمر السلطان جلال الدين منكبرى » ، نشره حافظ حمدى ، القاهرة
 ١٩٥٣ م .
- ياقوت الرومى الحموى (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م) أبو عبد الله ياقوت بن عبد
 الله الملقب شهاب الدين :
 « معجم البلدان » ، ج ٤ ، وفهرست ، ليزج ١٨٦٦ — ١٨٧٠ م .

(ج) المصادر الأجنبية

- Albert d'Aix, *Historia Hierosolymitana*, in R.H.C.-H.Occ., IV, (pp. 265-713).
- Albéric de Trois Fontaines, *Chronicon*, in M.G.H.ss., Vol. XXIII.
- Amadi, *Chroniques d'Cypre d'Amadi et de Strambaldi*, ed., R. de Mas Latrie, 2 Tomes, Paris, 1891-1893.
- Annales de Burton, ed. H.R. Luard, in *Annales Monastici*, (R.S.36), London, 1864.
- Annales de Salimbene, in M.G.H.ss., Vol. XXXII.
- Annales de Terré Sainte (1095-1291), Publiées par R. Rohricht et G. Raynoud, in A.O.L., t. II, (pp. 427-267).
- Anonymi Gesta Francorum et Aliorum Hierosolimitanorum.

وقد رجعنا الى الترجمة العربية لهذا الكتاب تحت اسم « أعمال الفرنج وحجاج
بيت المقدس » ، ترجمة الدكتور حسن حشّى ، القاهرة ١٩٥٨ م .

- Arnold of Lubeck, *Chronica Slavorum*, in M.G.H.ss., in *Ussum Scholarum*, Hanover, 1868.
- Benedict of Peter brough, *Gesta Regis Henrici Secundi*, ed. W. Stubbs, 2 vols, in R.S., London, 1867.
- Chronica Regia Coloniensis, in M.G.H.ss., in *Usum Scholarum*, Hanover, 1880.
- Chronica Regia Coloniensis, in M.G.H.ss., Vol. XXVII.
- De Expognatione Terrae Sanctae Par Saladinum Libellus, ed. W. Stubbs, in R.S., London, 1871.
- Epistolae Sacenb. XII. F. Regestis Pontificum Romanorum, ed. Carolus Rodenberg, 2 Vols, in M.G.H.ss., Berlin, 1887.
- Eraclès, L'Estoire d'Eraclès, empereur et la conquête de la Terre d'Outremer, in R.H.C.-H.Occ., Vol., I, II.
- Ernoult, *Chronique de Ernoult et de Bernard le Trésorier*, ed. J. de Mas Latrie, Paris, 1871.

Gregory IX, Pope, *Les Registres*, ed. L. Auvray (Bibliothèque des Ecoles françaises d'Athènes et de Rome, (sér. 2) 3 tomes, Paris, 1896-1955.

Historia Diplomatica Friderici Secundi, (ed. J.L. A. Huillard-Breholles), 7 Vols, Paris, 1851-1862.

Innocent III, Pope, *Regesta*, in P.L. Vol. 214-216.

Innocent, IV, Pope, *Registres*, ed. Berger, (Bibliothèque des Ecoles Français d'Athènes et de Rome, (sér. 2) 4 tomes, Paris 1884-1991

Itinerarium Peregrinorum et gesta regis Ricardi, ed. W. Stubbs, in R.S., London 1865.

Les Gestes des Chiprois, in R.H.C.-Doc. Arm.

Matthew Paris, *Chronica Majora*, ed. H.R. Luard, in R.S., 7 Vols, London, 1872-1882.

Radulph de Diceto, *Ymagines Historiarum*, 2 vols, ed. W.S. Stubbs, in R.S., London, 1876.

Raimond d'Agiles, *Historia Francorum qui ceperunt Jerusalem*, in R.H.C.-H.Occ., Vol III.

Radulf Niger, *Cronica Universali*, in M.G.H.ss., Vol. XXVII.

Regesta Pontificum Romanorum, ed. C.A.S. Pothast, 2 Vols, Berlin, 1873-1875.

Regesta Regni Hierosolymitani, ed. R. Rohricht, 2 Vols, Insbruck, 1893-1904.

Ryccardus de San. Germano, *Chronicon* (ed. L.A. Moratorium), in R.I.S., Vol. VII.

Rothelin, *Continuation de Guillaum de Tyr de 1229 à 1261*, dite du manuscrit de Rothelin, in R.H.C.-H.Occ., Vol. 2.

Vincent de Beauvais, *Speculum Historiale*, Graz-Austria, 1965

William of Tripoli, *Tractatus de status Saracenorum*, ed. Hans Prutz, in *Kulturgeschichte de Kreuzzuge*, Berlin, 1883.

William of Tyré, *A History of Deeds Done Beyond the sea*, 2 Vols, trans. and annotated by Emily Babcock and A.C. Krey, New York, 1943.

ثانيا : المراجع الثانوية
(أ) المراجع العربية

أسامة زكى زيد (الدكتور) :

- « الخوارزمية ودورهم في الصرخ الصليبي الإسلامى في عصر بنى أيوب » ،
مجلة كلية الآداب بجامعة الاسكندرية ، العدد ٣ ، الأسكندرية ١٩٨٢ م .

جوزيف نسيم يوسف (الدكتور) :

- « العدوان الصليبي على بلاد الشام » الأسكندرية ١٩٨٤ م .
- « دراسات في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور
الوسطى » ، الاسكندرية ١٩٨٨ م .

حسن عبد الوهاب (الدكتور) :

- « تاريخ جماعة الفرسان التوتون في الأرضى المقدسة » ، الأسكندرية
١٩٨٩ م .

إحسين محمد عطية (الدكتور) :

- « إمارة أنطاكية الصليبية وعلاقتها السياسية بالنبول الإسلامية المجاورة » ،
١٠٩٨ — ١١٧١ م / ٤٩٢ — ٥٦٧ هـ ، رسالة ماجستير لم تشر بعد ،
الأسكندرية ١٩٨١ م .
- « إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمون » ، ١١٧١ — ١٣٦٨ م / ٥٦٧ — ٦٦٦ هـ ،
الأسكندرية ١٩٨٩ م .

سعيد عبد الفتاح عاشور (الدكتور) :

- « الحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد العربى في العصور
الوسطى » ، جزء ١ ، القاهرة ١٩٧٥ م .
- « الإمبراطور فريديك الثاني والشرق العربى » ، بحوث ودراسات في تاريخ
العصور الوسطى ، بيروت ١٩٧٧ م .

محمد ماهر حمادة :

« نوثائق لسياسية والإدائية للمعهود الفاطمية والأتابكية والأيوبيه » ، ط ٢ ، بيروت ، ١٩٨٥ م .

محمد محمد مرسى الشيخ (الدكتور) :

« جهاد المقدس ضد الصليبين حتى سقوط الرها » ، ١٠٩٧—١١٤٤ م ، الإسكندرية ١٩٧١ م .

محمد مختار :

« كتاب التوفيقات الإلهامية في مقارنة التواريخ اضمحيرة بالسنين الانريكية والقبطية » ، ط ١ ، القاهرة ، ١٣١١ م .

(ب) المراجع الأجنبية

- Antonia (G.), *Historical Writing in England C. 550 to C. 1307*, 2 Vols, London, 1974.
- Brundage (J.), *The Crusades: A Documentary Survey*, Wisconsin, 1976.
- Cahen (C.), *La Syrie du Nord a l'Epoque des Croisades et la Principaute Franque d'Antioche*, Paris, 1940.
- Davis (R.H.G.), *A History of Medieval Europe from Constantine to St. Louis*, London, 1957.
- Edbury (P.W.), *Feudal Obligation in the Latin East*, in B., Vol. 97.
- The Ibelins Counts of Jaffa, in E.H.R., Vol. 89, 1974.
- Gill (J.), *Franks, Venetians and Pope Innocent III*, in S.V., 1970.
- Green Way (D.E.), *The Succession to Ralph de Diceto Dean of St. Paul's*, in BIHR, Vol. 39, 1966.
- Grousset (R.), *Histoire des Croisades et du Royaume France de Jerusalem*, 3 tomes, Paris, 1934-36.
- Hamilton (B.), *The Latin Church in the Crusader States, The Secular Church*, London, 1980.
- Hill (G.A.), *A History of Cyprus*, 3 Vols, Cambridge, 1948.
- Holt (P.M.), *The Age of the Crusades*, London, 1986.
- La Monte (J.L.), *The World of the Middle Ages*, New York, 1949.
- From Crusading Kingdom to Commercial Colony, in B.P.I.A.S.A., Vol. 3, 1944-45.
- Louise and J. Riley Smith, *The Crusades, Idea and Reality*, in *Documents of Medieval History*, London, 1981.
- Mayer (H.), *The Crusades*, English trans. by John Gillingham, Oxford, 1972.
- Meysner (P.), *An Unknown Letter of Hulgu, Il Khan of Persia to King Louis IX of France*, in Viator, Vol. II, 1980.
- Michard (J.F.), *Histoire de Croisades*, Paris, 1970.

- Prestwich (J.O.), *Richard Coeur de Lion: Rex Bellicosus. (Ricardo Cour di leone nella storiae nella legenda).* (- Accademia nazionale dei lincei no. 253), Rome, 1981.
- Prutz (H.), *Kulturgeschichte der Kreuzzuge*, Berlin 1883.
- Richard (J.),
 - *La Polotique Orientale de Saint Louis, La Croisade de 1248*, Paris, 1976.
 - *The Latin Kingdom of Jerusalem*, trans. by J. Sheniley, 2 Vols, Oxford, 1979.
- Runciman (S.), *A History of the Crusades*, 3 Vols, Cambridge, 1968.
- Smith (J.R.), *Feudal Nobility and the Kingdom of Jerusalem, 1174-1277*, London, 1973.
- Throop (P.A.), *Criticism of Papal crusading policy in Old French and Provencal*, in *Speculum*, Vol. 13.
- Vaughan (R.), *Matthew, Paris*, Cambridge, 1958.

قسم الجغرافيا

التحليل الرمزي لبعض الظواهر الجيومورفولوجية في إنشاء الخريطة الكتورية بالحاسب الآلي

دكتور

أحمد أحمد مصطفى

مدرس الجغرافيا الطبيعية

كلية الآداب - جامعة الاسكندرية

صادفت محاولات التحليل الرمزي Symbolic analysis للبيانات الجغرافية المكانية Geographical spatial data باستخدام الحاسب الآلي نجاحاً محدوداً عندما تبين عدم إمكانية استعمال التحليل العددي Numerical analysis للقيام بكل أشكال التحليل المكاني . وإحدى المشكلات التي واجهت الباحثين مشكلة ترجمة البيانات الرمزية Symbolic data إلى نظام بيانات عددي Numeric data structure . وترجع تلك المشكلة إلى صعوبة الترجمة من ناحية ، وإلى النقص الواضح في معرفة وفهم الرموز المستعملة في لغات الحاسب الآلية من ناحية أخرى . ويهدف هذا البحث إلى توضيح أن نجاح التحليل الرمزي في إنشاء الخريطة الكنتورية يعتمد بالدرجة الأولى على التعريف بلغة البيانات الرمزية عن طريق عرض نموذج بيانات لوصف ظاهرات جيومورفولوجية بسيطة والعلاقات بينها مثل قمة ، ضلع جبلي ، وادي ... ، ومنها تتبين إمكانية تلك اللغة في وصف بيانات جيومورفولوجية أكثر تعقيداً .

الإطار العام للبيانات الرمزية

يتضمن هذا الإطار العام التعريف بمفردات لغة الرموز المستخدمة في الحاسبات الآلية . وتنحصر مفردات هذه اللغة في رموز العقدة Node ، العنصر الخطي Segment ، الخلية Cell . وتستخدم تلك الرموز في ادراك الأشياء Entities وخصائصها Attributes التي تكوّن الظاهرة ، وفي ادراك العلاقات Relationships وملاعها Features التي تربط بين صفات وخصائص الشيء ، وبين صفات وخصائص مجموعة الأشياء التي تكوّن الظاهرة . وهذا يعني أن كل رمز من هذه الرموز الثلاثة يمكن استخدامه في ادراك الأشياء وخصائصها ، كما يمكن استخدامه في ادراك العلاقات وملاعها .

والظاهرة الجغرافية ما هي إلا مجموعة كائنة من شيء يمكن ادراكه وتمييزه ولها خصائص عامة مشتركة وتربط بينها علاقات تصل بين الشيء وخصائصه وبين مجموعات هذا الشيء . فظاهرة البحيرات Lakes على سبيل المثال عبارة عن مجموعة لشيء واحد هو البحيرة Lake . ويمكن ادراك أية بحيرة وتمييزها عن طريق صفاتها وخصائصها كالشكل والمنسوب والطول والعرض والمساحة والعمق وحجم المياه وطبيعتها الفيزيائية والكيميائية وحركاتها وشكل الساحل

والكائنات الحية التي تعيش فيها والرواسب المتروكة على قاعها ... الخ .
ويمكن التعبير عن كل خاصية من تلك الخصائص بقيمة : قيمة لمسوب ، قيمة الطول — قيمة العرض — قيمة المساحة — قيمة العمق — قيمة حجم الكتلة المائية — قيمة درجة ملوحة المياه — قيمة كثافة المياه — قيمة درجة حرارة المياه ... الخ . وترتبط تلك الخصائص ببعضها بعلاقات منطقية كالعلاقة بين الأبعاد والمساحة ، والعلاقة بين المساحة والعمق وحجم كتلة المياه ، والعلاقة بين العمق وطبيعة الكائنات الحية وأنواع الرواسب على القاع وتكون المياه ، والعلاقة بين شكل الساحل وجيولوجيته والظروف المناخية المحيطة ... الخ . كما ترتبط صفات البحيرة وخصائصها بصفات البحيرات الأخرى وخصائصها بعلاقات متشابهة تكوّن في النهاية ظاهرة البحيرات موضع الدراسة ، وتكوّن في نفس الوقت عناصر نموذج بياناتها الذي سوف يقوم الحاسب الآلي بتميزه في نظام بيانات حتى يمكن تعليفه .

والقيم التي يتحدد على أساسها صفات وخصائص الشيء وعلاقاتها إما أن تكون قيم عددية متدرجة ومنصلة ومرتبطة Scalar مثل سلسلة احداثيات كارتيزية على امتداد خط ما ، أو قيم اتجاهية غير عددية Non-Scalar لا ترتبط بتصنيف معين .

أنواع الرموز المستخدمة في الحاسبات الآلية :

من المعروف أن الخريطة عبارة عن رمز Symbol للحقيقة التي تعرضها . والرموز المستخدمة في الخرائط نوع من القواعد العامة المتفق عليها يستطيع الكارتوجرافى عرض ما يريد تصويره من خلالها . وتنحصر تلك الرموز في رموز الموضع النقطية Point Symbols ورموز الخط Line Symbols ورموز المساحة Area Symbols ، وهناك أنماط شكلية عديدة داخل كل رمز من تلك الرموز . كما تنقسم تلك الرموز من حيث دلالتها إلى رموز نوعية Qualitative تبين الاختلاف في النوع ، ورموز كمية Quantitative توضح الاختلاف والتباين في الدرجة أو في الكمية .

والرموز المستخدمة في لغة حاسبات الآلية تشبه الرموز المستخدمة في الخرائط فالعقدة Node تقابل النقطة ، والعنصر الخطى Segment تقابل الخط ، والخطبة

Cell تقابل مساحة . وكل ذكرنا من قبل فإن هذه الرموز تستخدم في إدراك الأشياء وخصائصها وفي إدراك العلاقات وملاحظها . وفيما يلي عرض موجز لهذه الرموز .

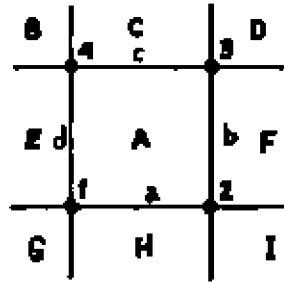
العقدة Node : وهي نمط نقطي Point type يمكن استخدامها في إدراك الأشياء وصفاتها ، وتحدد بأحداثياتها السينية والصادية (x , y) ، وبعدة صفات غيرها . ويمكن أن تكون الصفة إحدى خصائص العقدة أو لها علاقة بإحدى الخصائص . فالمنسوب وهو الأحداثى الرأسي (z) خاصية مميزة تميز صفة الارتفاع والانخفاض ، وهذه الصفة بلغة الرموز قيمة عددية غير اتجاهية .

أما في حالة استخدام رمز العقدة في إدراك العلاقات وملاحظها ، فإن هذه العلاقات يوضحها الاختلاف في موقع العقدة وفي صفاتها المميزة (المنسوب مثلاً) . ويتحدد هذا الاختلاف إما بالتغير النسبي أو المطلق للقيم غير الاتجاهية . فقد تكون العقدة نقطة تقاطع عنصرين خطيين ، أو نقطة التقاء عنصرين خطيين أى نقطة اتصال العناصر ، وقد تكون العقدة نقطة تغير في اتجاه العنصر الخطي أى نقطة تغير في صفة العنصر أو صفة الخلية ، كما قد تكون نقطة نهاية عنصر خطي .

العنصر الخطي Segment : وهو نمط خطي Lineal type يمكن استخدامه في إدراك الأشياء وصفاتها ، ويحدده عقدتان مرتبطتان ببعضهما ، ولكل عقدة أحداثياتها السينية والصادية . ويوصف العنصر الخطي بمجموعة من الصفات المميزة هي في الواقع الأحداثيات الكاريزية لكل نقطة على الخط ، ولكن بشرط أن تتسلسل قيم تلك الأحداثيات من قيمة عقدة البداية حتى تنتهي منطقياً إلى قيمة أحداثيات عقدة النهاية أو الطرف الآخر للخط . أو بمعنى آخر أن تتسلسل قيم الأحداثيات من العقدة الدنيا Low node إلى العقدة العليا High node ، وبذلك يظهر العنصر الخطي في شكل ياتي اتجاهي . وقد تكون الصفة مميزة للعنصر الخطي إحدى خصائصه كمنسوب نقطة عليه . ويجب أن نضع لعنصر الخطية دالة Function على امتداد كل بعد من أبعادها حتى لا تتداخل خطوط إحدى خصائص الظاهرة مع بعضها . ويعني هذا أن الصفات يجب أن تكون متجانسة عبر العنصر الخطي .

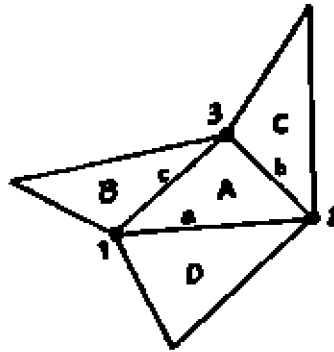
فما عند استخدام رمز العنصر الخطى في ادراك العلاقات وملاحظها ، فإن هذه العلاقات يعيها الاختلاف في موضع العنصر الخطى وبين هذا الاختلاف إما بالتغير النسبى أو بالفعل للقيم غير الاتجاهية . كما تظهر معالم العلاقة عند تقاطع خليتين أو عند حدوث انقطاع أو وجود ثغرات في العنصر الخطى يتم وصفه كأحد مميزات الخلية . ويحدث الانقطاع عندما توجد خلية واحدة على أحد جانبي العنصر الخطى بينما يخلو الجانب الآخر من الخلايا . أما الثغرة فتوجد حيث يكون الحد بين خليتين متجاورتين جزء من عنصر خطى له نفس النقط الاحداثية ولكن بقيم احداثيات سينية وصادية مختلفة . ويعنى هذا وجود جزء من عنصر خطى له قيمتين احداثيتين . وهذا مخالف للموضع العادى . وفي هذه الحالة نقى على القيم الاحداثية لهذا الجزء من العنصر الخطى بحيث تتفق مع تسلسل القيم الاحداثية للنقط المحدد لإحدى الخليتين ، وبالتالي ينقطع التسلسل الأحداثى لخط الخلية الأخرى . ويسمى مكان الانقطاع بالثغرة .

الخلية Cell : وهي عبارة عن نمط مساحى Area type يمكن استخدامها في ادراك الأشياء وصفاتها ، ويحددها مجموعة من العناصر الخطية التى تصف شكلها الخارجى وتحدد علاقاتها بالخلايا المجاورة . ويمكن أن تكون العلاقة الارتباطية بين الخلية وما يجاورها من خلايا واضحة وصريحة يتم تسجيلها في نظام البيانات كاليانات نفسها ، أو تكون ضمنية يشار إليها بالموضع النسبى لمفردات البيانات (أشكال ١ ، ٢ ، ٣) . ويحدد الخلية صفة مميزة تستخدم كدليل لها وقد تكون في نفس الوقت خاصة من خصائصها . وكما أشرنا من قبل في رموز العقدة والعنصر الخطى يمكن اختيار منسوب أى نقطة داخل الخلية كدليل لها أى صفة تميزها ودالة توضحها . ويجب أن تتبع العناصر الخطية المحددة للخلية دالة واحدة حتى لا تتقاطع في عند . كما أن كل صفة اتجاهية يعنى أن تكون متجانسة في قيمها غير الخلية .



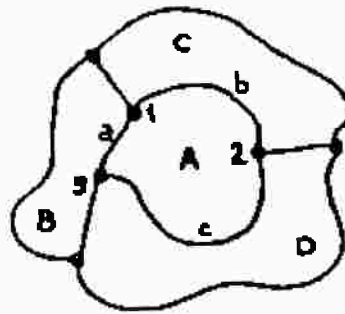
شكل (١)

خلية من شبكة مربعات احداثية ، تتكون من العقد 1 ، 2 ، 3 ، 4 ،
 ويحددها العناصر الخطية a ، b ، c ، d ، وتصل الخلية A بالخلايا المجاورة
 1 ، 2 ، 3 ، 4 ، B ، C ، D ، E ، F ، G ، H ، I .



شكل (٢)

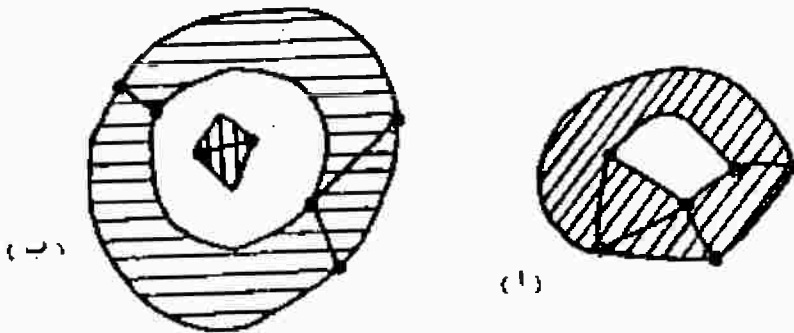
خلية مثلثة الشكل ، وهي جزء من شبكة موزيكية غير منتظمة ، وتتكون
 من العقد 1 ، 2 ، 3 ، ويحددها العناصر الخطية a ، b ، c ، وتصل
 الخلية A بالخلايا المجاورة D ، E ، B ، C .



شكل (3)

خلية من شبكة متداخلة Nested ، تتكون من العقد 1 ، 2 ، 3 ، ويحددها العنصر الخطية a ، b ، c ، وتصل الخلية A بالخلايا المجاورة B ، C ، D .

أما في حالة استخدام رمز الخلية في إدراك العلاقات وملاحظتها لمساحية Area Features ، فإن هذه العلاقات أعمقها لاختلاف في موقع الخلية . وبين هذا الاختلاف إما بالتغيرات النسبية أو الفعلية من خلية إلى أخرى في القيمة غير الاتجاهية أو مجموعة رموز اتجاهية . ويتكون من ثابت خلايا المتجاورة والمتشابهة رقعة مساحية Patch يمكن وصفها كمجموعة من الخلايا المترابطة بعلاقات الموقع أو أية صفات مميزة أخرى تعتبر ملامح داخلية أو نظام علاقات هرمي . وقد يكون بداخل الرقعة مساحة أو مساحت غير معروفة of no definition تسمى فجوات holes (شكل 4) .



شكل (4)

أ - رقعة مساحية بداخلها فجوة .

ب - رقتان مساحتان تفصل بينهما فجوة ، ويحدد كل منهما عنصر خطية مقطوعة

التحليل الرمزي لبعض الظواهر الجيومورفولوجية

اختار الباحث منطقة تجمع Catchment area أعد لها قاعدة بيانات data base كمثال لتوضيح عملية التحليل الرمزي في انشاء الخريطة الكنتورية باستخدام الحاسب الآلي . وقد تم بناء شبكة مثلثات غير منتظمة Irregular triangulated network كنظام بيانات لانشاء الخريطة الكنتورية للمنطقة (شكل ٥) . كما تم اختيار ست ظاهرات جيومورفولوجية بسيطة توجد داخل المنطقة ووضع لها تعريف بسيط يناسب الحاسب الآلي . وقد سار العمل على النحو التالي :

- ١ - ترجمت البيانات طبقاً لمفهوم الإطار العام الذي أشرنا إليه من قبل .
- ٢ - وضع تعريف بسيط لكل ظاهرة من الظاهرات الست وترجمت إلى لغة رمزية حتى يمكن استخدامها في التحليل الرمزي .
- ٣ - خزنت البيانات في نظام بسيط مرن . وقد أدخلت البيانات الخاصة بصفات الظاهرة وبيانات العلاقات باستخدام رموز : العقدة ، العنصر الخطي ، الخلية على النحو التالي :

العقدة : الأحداثيات الينية والصادية والمنسوب .
قائمة الخلايا المشتركة في العقدة .
رقم العقدة .

node : x, y, z location

list of triangle cells using this node

node number.

العنصر الخطي : قائمة عقد بداية ونهاية العنصر الخطي .
قائمة الخلايا المثلثية المشتركة في العنصر الخطي .
رقم العنصر الخطي .

Segment : list of end nodes

list of triangle cells using segment

segment number.

الخلية : قائمة العقد

قائمة الخلايا المجاورة .

قائمة العناصر الخطية المحددة للخلية .

قائمة البيانات التي تنساب إلى الخلايا المجاورة (شكل ٦) .
رقم الخلية المثبتة :

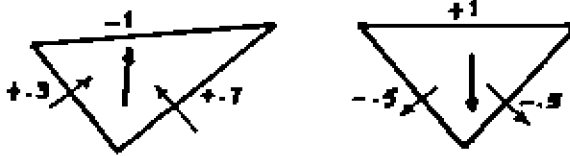
Cell : list of nodes

list of adjacent triangle cells

list of bounding segments

list of flow to adjacent cells

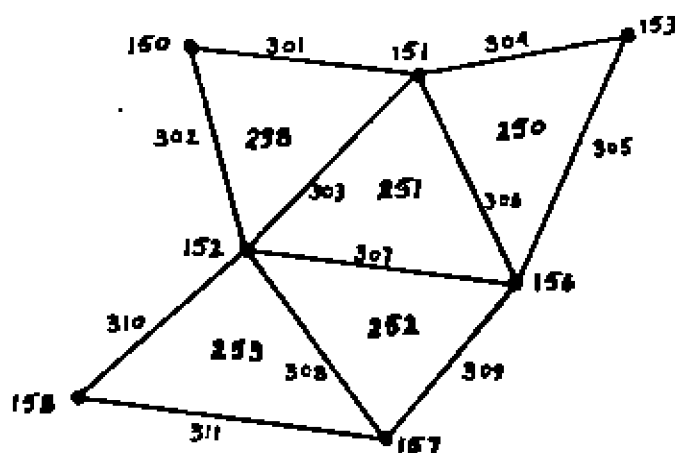
triangle cell number.



شكل (٦)

يشير السهم إلى إتجاه أسافل التحلو ، وتبين الأرقام نسبة الانحدار التي تمر كل ضلع من أضلاع الخلية المثبتة . فإذا كانت الإشارة موجبة فإن لم الانحدار سوف تدخل الخلية من هذا الضلع . أما إذا كانت الإشارة سالبة فإن لم الانحدار سوف تخرج من هذا الضلع . وتسمى لم الانحدار الداخلة أو الخارجة أو أى بيانات تدخل الخلية أو تخرج منها بالانسياب . Поп

وبين الجدول التالي جزء من البيانات التي استخدمت في تمثيل نظام البيانات المين في (شكل ٧) .



شكل (٧)

جزء من نظام البيانات المين في الجدول

جدول يمثل البيانات الموضحة في شكل (٧) .

```

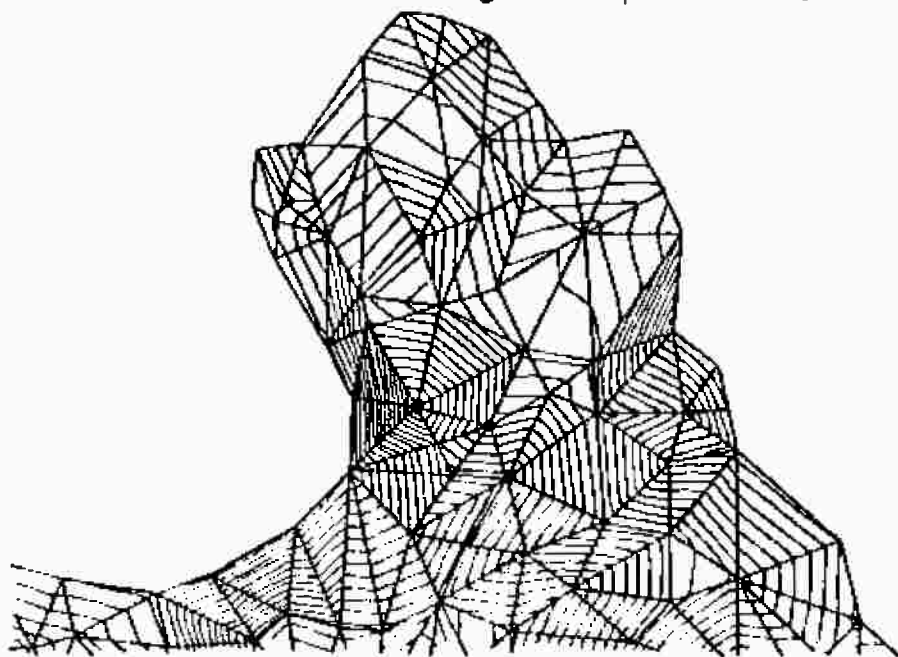
node ( 150, 6987, 2152, 1010, [238] ).
node ( 151, 8482, 1861, 1240, [238, 251, 250] ).
node ( 152, 7344, 1345, 910, [238, 251, 252, 253] ).
node ( 153, 9562, 1928, 1200, [250] ).
node ( 156, 9675, 510, 1387, [250, 251, 252] ).
node ( 158, 6980, 24, 1255, [253] ).
segment ( 301, [150, 151], [238, 0] ).
segment ( 302, [150, 152], [0, 238] ).
segment ( 303, [152, 151], [238, 251] ).
segment ( 304, [151, 153], [250, 0] ).
segment ( 305, [153, 156], [250, 0] ).
segment ( 306, [151, 156], [250, 251] ).
segment ( 307, [152, 156], [251, 252] ).
segment ( 308, [152, 157], [253, 252] ).
segment ( 309, [156, 157], [252, 0] ).
segment ( 310, [152, 158], [253, 0] ).
segment ( 311, [158, 157], [253, 0] ).
cell (238, [150, 151, 152], [ 0, 251, 0], [301, 303, 302], [ 1, 3, 2] ).
cell (250, [151, 153, 156], [ 0, 0, 251], [304, 305, 306], [ 2, 0, 0] ).
cell (251, [151, 156, 152], [250, 252, 238], [306, 307, 303], [ 1, 3, 0] ).
cell (252, [152, 156, 157], [251, 0, 253], [307, 309, 308], [ 8, 2, 0] ).
cell (253, [152, 157, 158], [252, 0, 0], [308, 311, 310], [ 6, 0, 0] ).

```

ويجب بعد ترجمة البيانات إلى بيانات رمزية طبقاً للإطار العام ، نترجم التعاريف البسيطة إلى رموز . ويجب أن يكون مفهوماً قبل تكويد تلك التعاريف أن أساس التحليل يقوم على تحديد أي التقاطعين المحددين للعنصر الخطي أعلى متسوية من الأخرى ، لذا يجب مراجعة كل عنصر خطي لتحديد منسوب عقديته وتعيين أيهما أكثر ارتفاعاً . ويتم ذلك بإصدار أمر إلى الحاسب الآن لمرص بيانات عقد العناصر الخطية في ترتيب تنازلي بالنسبة لكل عنصر خطي على حده . فإذا كانت إحدى النقط في وضع غير صحيح سوف تظهر على شاشة الحاسب ومضه تشير إلى الخطأ . ويتم المراجعة على النحو التالي :

```
node_switch ( N ) = segment ( N, [ V1, V2 ], T ),
node ( V1, _ , _ , Z1, _ ),
node ( V2, _ , _ , Z2, _ ),
Z2 < Z1,
retract ( segment ( N, _ , _ ) ),
asserta ( segment ( N, [ V2, V1 ], T ) ),
check_all_node : node_switch ( X ), fail.
```

وبهذه الطريقة يتم مراجعة كل العقد .



شكل (٥)

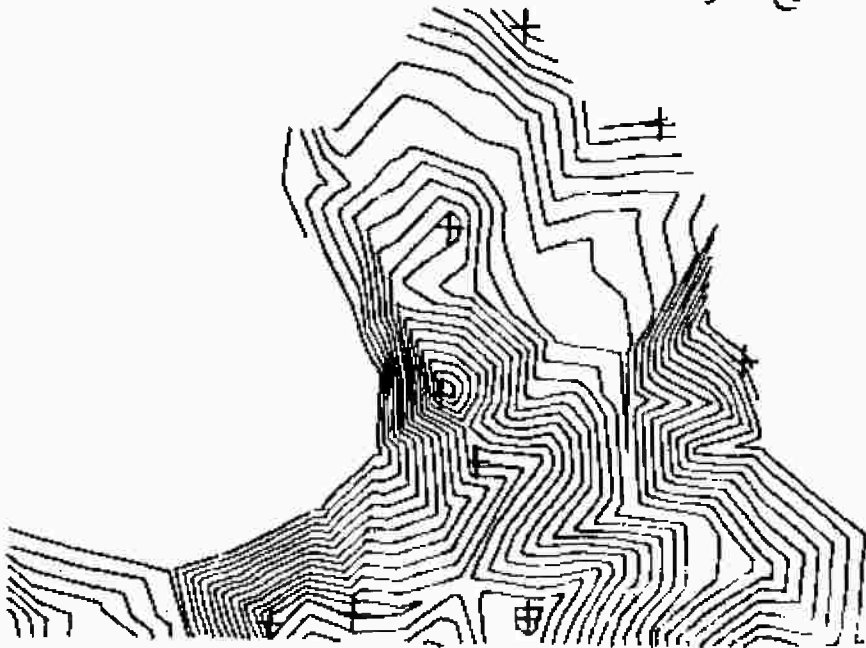
شبكة المثلثات غير المنتظمة وخطوط الكنتور لمنطقة التجميع المختارة

القمة Peak :

بعد ترتيب عقد العناصر الخطية تنازلياً حسب منسوبها من الأعلى إلى الأدنى ، نلاحظ أن تنفيذ قاعدة تعريف القمة أصبح أمراً سهلاً . فالعقدة التي تحتل ذيل قائمة العنصر الخطي لا يمكن أن تكون قمة . ولكن العقدة التي تحتل قمة الترتيب لهذا العنصر الخطي ، ان لم تكن هي القمة فسوف تحتل مؤخرة العنصر الخطي التالي . وهكذا ينتقل الحاسب الآلي على عقد العناصر الخطية المتتابعة حتى يصل إلى عقده منسوبها هو أعلى منسوب ولا تتصل بنقطة أعلى منها غير عنصر خطي فتكون هي القمة . وذلك على النحو التالي :

```
peak ( N ) :: node ( N, _ , _ , _ , _ , _ )
              node ( segment ( _ , [ _ , N ] , _ ) )
```

ويلاحظ إذا كان رقم العقدة التي هي قمة غير معلوم فإن قيمة منسوبها سوف يعاود الظهور مرة أخرى . ويوضح (شكل ٨) مواقع القمم في منطقة التجميع المختارة .



شكل (٨)

مواقع القمم في منطقة التجميع المختارة

القاع Pii :

تعتبر قاعدة تمثيل القاع على العكس من قاعدة القمة . فالعقدة التي تحتل رأس الترتيب التازلل لمناسيب عقد العناصر الخطية لا يمكن أن تكون قاعاً ، ولكن العقدة التي تحتل مؤخرة الترتيب هي التي تحتل القاع بشرط ألا تتصل بأى عقدة أدنى منها في المنسوب عبر عنصر خطي . وذلك على النحو التالي :

Pat = N > node(N, ... , ...)
node(segment, ... , { N, ... , ... })

انسياب البيانات Flow :

لتحديد إتجاه انسياب بيانات نحو العنصر الخطي أو بعيداً عنه ، فمن الضروري اخراج معلومات من الخلية المعنية وفحصها بالنسبة للعناصر الخطية التي تحدها . وتتبع القواعد التالية لتحديد أى تلك العناصر له علاقة بالانسياب :

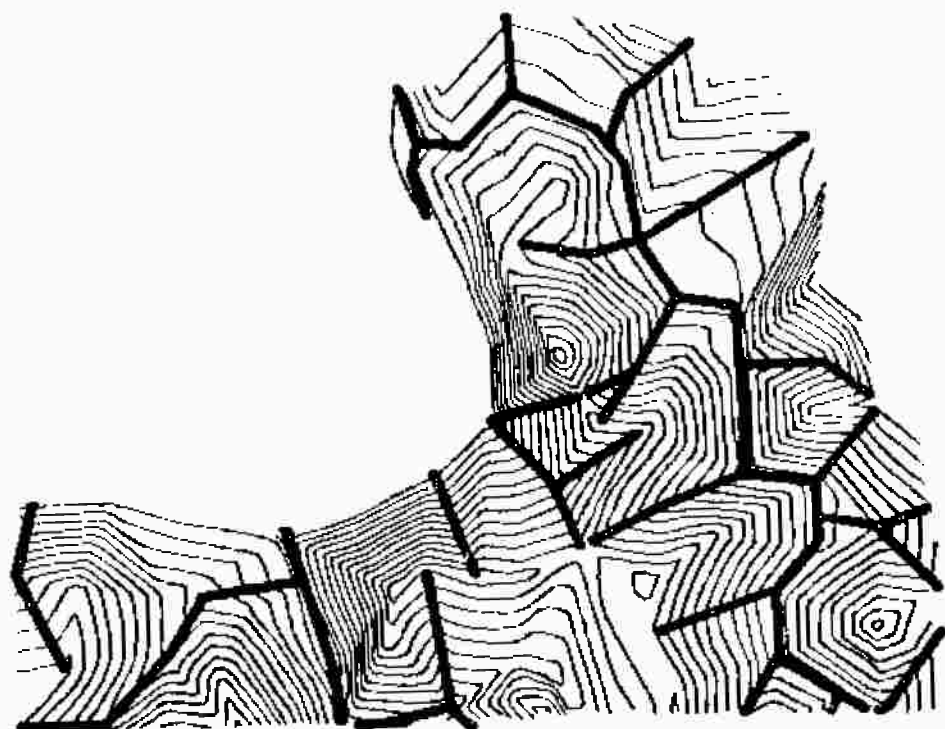
cell_flow(C, S, F1) : cell(C, ... , { S, ... , ... } , { F, ... , ... })
cell_flow(C, S, F1) : cell(C, ... , { S, ... , ... } , { F, ... , ... })
cell_flow(C, S, F1) : cell(C, ... , { ... , S, ... , ... } , { ... , F, ... , ... })

الوادي Valley :

يعتبر الوادي عنصراً خطياً تنساب نحوه البيانات من الجانبين . ويحدد هذا الانسياب ما نحتاج إليه من بيانات عند مراجعة العنصر الخطي ، فإذا كان التدفق من كلا الجانبين إشارته سالبة فإن هذا العنصر الخطي يعتبر وادياً . وتضع القاعدة التالية في تحديد الأودية :

valley(S) : segment(S, ... , { C1, C2 })
cell_flow(C1, S, F1) , F1 > 0
cell_flow(C2, S, F2) , F2 > 0

وتمثل الخطوط السميكة في (شكل ٩) الأودية في منطقة التجميع المختاره .



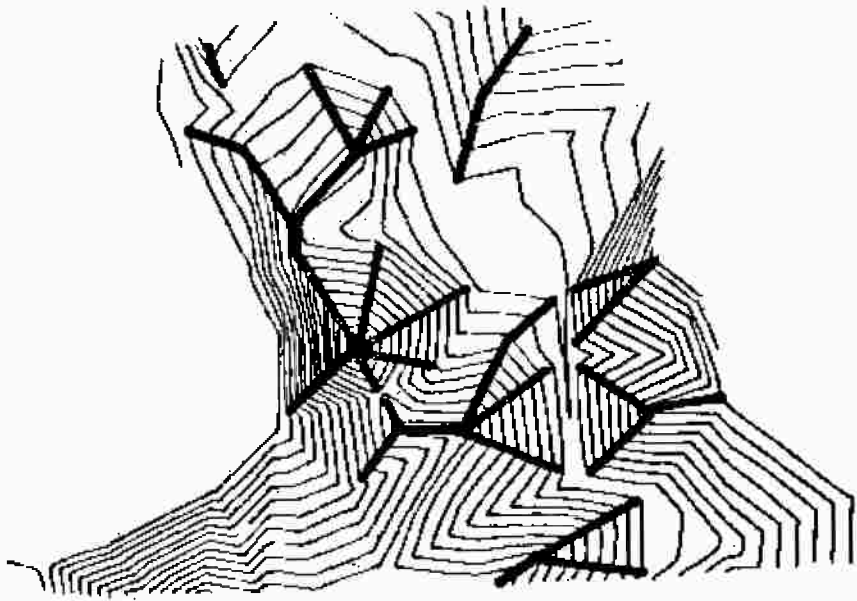
شكل (٩)
الأودية في منطقة التجميع

الضلع الجبل Ridge :

يعتبر الضلع الجبل عنصراً خطياً تنساب منه البيانات إلى الخارج ، وهو بذلك عكس الوادي . فإذا كان تدفق البيانات من جانبي العنصر الخطي اشارته موجبه ، فإن هذا العنصر يعتبر ضلعاً جبلياً . وتتبع القاعدة التالية في تحديد الضلع الجبلية :

```
ridge ( S ) :- segment ( S, _ , [C1, C2] ),
    sell_flow ( C1, S, F1 ), F1 <= 0 !,
    sell_flow ( C2, S, F2 ), F2 <= 0.
```

وتمثل الخطوط السميكة في (شكل ١٠) خطوط الضلع الجبلية في منطقة التجميع .



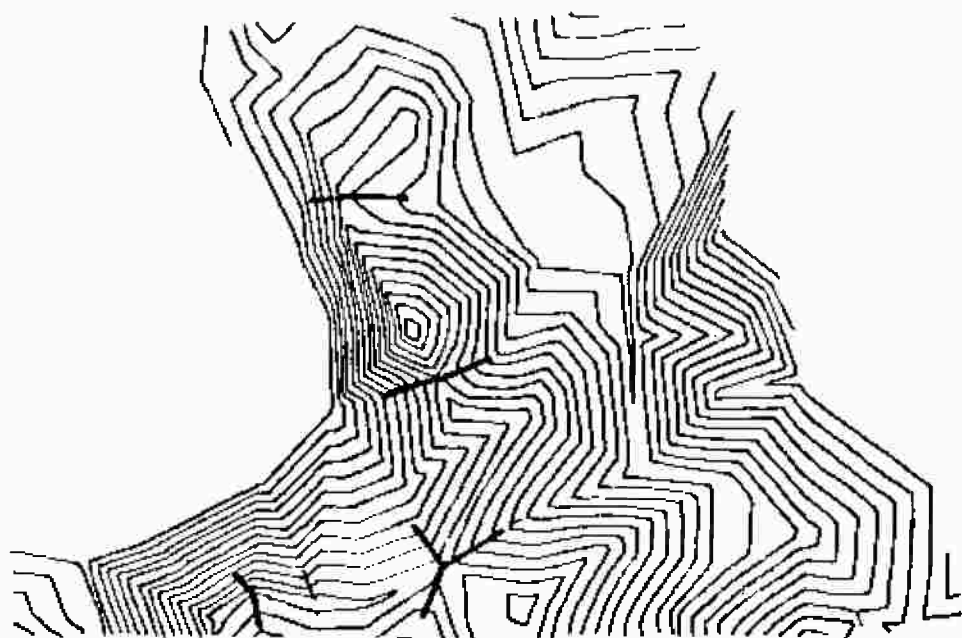
شكل (١٠)
الطور الجبلية في منطقة التجميع

الأحباس العليا Top reaches :

يستخدم هذا المصطلح أحياناً للتعبير عن المنابع العليا للوادي فتسمى بالأحباس العليا للوادي ، وأحياناً أخرى في التعبير عن مصاعد النهر upstream فيسمى بالأحباس العليا للمجرى . لذا يجب التمييز بداية بين الوادي والمجرى حتى يمكن تحديد المقصود بمصطلح الأحباس العليا . ويشيع في البيئات الجافة استخدام كلمة وادي مرادفة للمجرى الجاف وبذلك يقصد بالأحباس العليا مصاعد المجرى الجاف . وفي هذا البحث من أجل تبسيط قواعد التحليل الرمزي باستخدام الحاسب الآلي يقترح الباحث اعتبار الأحباس العليا للوادي هي نفسها الأحباس العليا للمجرى إذا كانت نقطة بداية المجرى الذي يجري في قاع الوادي عبارة عن عقدة node يبدأ منها مجرى آخر ينحدر في قاع وادي في الاتجاه العكسي . وبذلك يمكن استخدام القاعدة التالية في تحديد الأحباس العليا في منطقة التجميع المختارة :

top_reach (S) valley (S) ,
 segment (S , [U , _] , L) ,
 segment (O , [U , _] , L) , S >= 0 ,
 valley (C)

وتبين الخطوط السميكة في (شكل ١١) مواقع الأحباس العليا في منطقة التجميع .



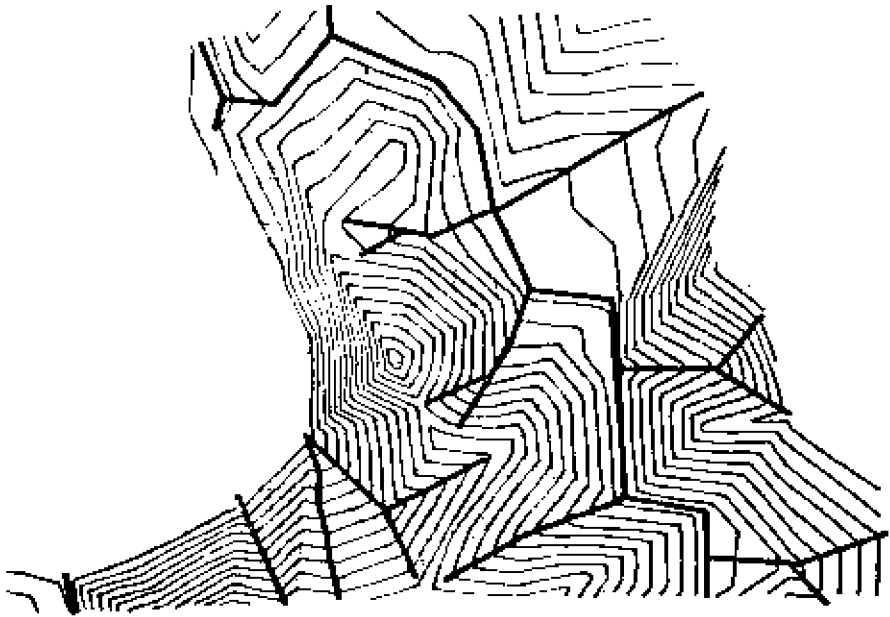
شكل (١١)
 الأحباس العليا في منطقة التجميع

المجرى Stream :

يمكن استخدام القاعدة التالية في تحديد المجرى :

stream (S) :- valley (S) ,
 not (top_reach (S)) .

وتوضح الخطوط السميكة (شكل ١٢) المجارى النهرية في منطقة التجميع .



شكل (١٢)
خطوط انجاري النهرية لى منطقة التجميع

خاتمة :

استخدم نظام تكويد لغة الفورتران في تقديم هذا النموذج المبسط لتحليل الرمزى لبعض الظواهر الجيومورفولوجية البسيطة باستخدام الحاسب الآلى . ويشير هذا النموذج إلى امكانيات التحليل الرمزى للبيانات الجغرافية المكانية في انشاء الخرائط الكنتورية وخطوط ظواهرها الجيومورفولوجية بشرط تصميم إطار تعريف رمزى مناسب يقوم على فهم واضح ومحدد للظواهر الجيومورفولوجية ومصطلحاتها ، وعلى ادراك أن الخريطة الكنتورية خريطة وصفية بالدرجة الأولى وليست خريطة أصولية . لذا يجب استعمال عبارات وصفية والابتعاد عن العبارات الأصولية عند صياغة التعريفات الرمزية .

كما يشير هذا النموذج إلى مرونة التحليل الرمزى في معالجة ظواهر أكثر تعقيداً تضم عناصر متعددة وعلاقات متشابكة وتمثيلها على الخريطة الكنتورية وفى انشاء الخرائط الجيومورفولوجية . إذ يمكن اعتبار الخريطة الكنتورية مجموعة من الرقع المساحية المتداخلة تضم قيم متعددة ومركبة من إحداثيات سينية وصادية ورأسية فى نظام هرمى . والخريطة الجيومورفولوجية تضم أيضاً ظواهر خطية ومساحية متداخلة ومتراصة ، فخط تقسيم المياه المحدد للحوض النهري هو فى نفس الوقت محور الكتلة الجبلية ، وخط المجرى النهري — خط تجمع المياه — المحدد للكتلة الجبلية هو محور الحوض النهري . وكذلك جانب الوادى هو سفح المرتفع المجاور ، وواجهة المصبطة العليا هي مؤخرة المصبطة الأحدث منها . كما يحوى المجرى النهري على جزر نهرية مختلفة الشكل والمساحة ، ويضم السهل الكارستى أشكال مساحية مختلفة من الدولينات Doline والأوفالات Uvala وأقماع الإذابة Sink Hole ومجارى مائية وقيعان جافة لمجارى نهرية غائرة Sinking Creek . وهذه أمثلة لتداخل الظواهر الجيومورفولوجية فى بعضها البعض . ويمكن معالجتها — إذا وضع تعريف مناسب لها — فى قيم مركبة من إحداثيات كارتيزية وتمثيلها فى خرائط باستخدام الحاسبات الآلية .

References

- 1 - Board, C., "How Can Theories of Cartographic Communication Be Used to Make Maps More Effective ?" *International Yearbook of Cartography*, 18, PP. 41-49, 1978.
- 2 - Clark, S., "Dynamic Cartography - The Moving Map". Computer generated dynamic maps on video tape, Geographic Information Systems Laboratory, State Univ. of New York at Buffalo, 1982.
- 3 - Freeman, H., "Map Data Processing and the Annotation Problem", *Proc. 3rd. Skandinavian conf. on Image Analysis*, Copenhagen, Denmark, 1983.
- 4 - McKellar, H.N. & Homer, M. & Pearlstine, L. & Kitchens, W., "Preliminary Analysis of Energy Flow Impacts of River Diversion". W.R. Mitsch, Bosserman & J. Klopatek (eds.) *Energy and Ecological Modelling*, PP. 315-326, New York, 1981.
- 5 - Moellering, H., "Winds : A Computer Program for the Analysis of Geographical Interactions". Cartography Laboratory, Univ. of Michigan, 1975.
- 6 - Olson, J.M., "Spectrally Encoded Two-Variable Maps". *Annals Association of American Geographers*, Vol. 71, No. 2, PP. 259-276, 1981.
- 7 - Yoeli, P., "The Logic of Automated Map Lettering". *The Cartographic Journal*, 9, PP. 99-108, 1972.

نظم البيانات الجغرافية المكانية باستخدام الحاسب الآلى

دكتور

أحمد أحمد مصطفى

مدرس بقسم الجغرافيا

جامعة الاسكندرية

وقد استشعرت أقسام جغرافيا في أوروبا وأمريكا الشمالية واليابان ضرورة تدريب طلابها على استخدام الحاسب الآلى في تخزين ومعالجة البيانات الجغرافية وتحليلها . ومن هنا نشأت الحاجة إلى إدخال مقررات خاصة بالحاسبات الآلية في برامج التدريس^(*) . بل إن جامعة ولاية نيويورك في مدينة بفالو State University of New York at Buffalo بالولايات المتحدة الأمريكية عدلت مسمى قسم الجغرافيا بها إلى قسم الجغرافيا وعلوم الكمبيوتر Dept. of Geography and Computer Sciences . كما شجع انخفاض أسعار تلك الأجهزة كثير من أقسام الجغرافيا في دول العالم التامى بل والباحثون أنفسهم على اقتنائها وانهاكت على شراء البرامج الخاصة بالتحليل الجغرافى واستخدامها في البحث العلمى .

وقد ظهر في أقسام الجغرافيا في أوائل الثمانينات أسلوب جديد في البحث الجغرافى يعرف بتقلم المعلومات الجغرافية GIS وهو اختصار لـ Geographical Information Systems . ويقوم هذا الأسلوب على ثلاثة عناصر :

العنصر الأول : نظام معلومات جغرافية خرائطية :

: Geographical Information Mapping (GIM)

ينظر الى الخريطة الطبوغرافية باعتبارها مخزن أو بنك للمعلومات تحتوى على بيانات جغرافية في العمران - الطرق - الزراعة - شبكة النرى - شبكة الصرف - الحدود الإدارية - شبكة المجارى المائية - أشكال سطح الأرض والمنحدرات كما تبيها خطوط الكنتور ورموز الهاشور وغيرها . ويمكن تخزين بيانات كل عنصر في ملف خاص في شكل بيانات وصفية أو بيانات رقمية أو بيانات تصويرية .

(*) على سبيل المثال أقسام الجغرافيا في جامعات أوكينا - جامعة يوريج سيوس - جامعة لويد بالسييد ، جامعة موسسو بئانيا ، جامعة دام بالخم - أقسام الجغرافيا من جامعات أمريكية مثل جامعة ولاية نيويورك في مدينة ألبانى ، جامعة جنوب كاليفورنيا ، جامعة كونيكتيكت ، جامعة جنوب غرب تكساس ، جامعة واشنطن ، سياتل - قسم الجغرافيا بالاشتغال من بعد جامعة ولاية أوكلاهوما ، قسم الجغرافيا والاندوبيولوج بجامعة ولاية لويزيانا . أقسام الجغرافيا بجامعات كندا مثل جامعة غرب أونتاريو ، جامعة هينج

العنصر الثاني : نظام تحليل معلومات جغرافية :

: Geographical Information Analysis (GIA)

وفي هذا النظام تصنف البيانات الجغرافية في مجموعات تعطى لها أولويات تبعاً لظاهرة الرئيسية موضع الدراسة ، وبيان العلاقات بين عناصر بيانات الظاهرة ومعالجتها في نماذج الامتداد والانتشار والاتصال والتكامل .

العنصر الثالث : نظام نمذجة المعلومات الجغرافية :

: Geographical Information Modelling (GIM)

ويتم هذا النظام ببناء نماذج ونظم البيانات وطرق تناولها لحاسب الآلى . وقد كان تناول هذا العنصر حتى وقت قريب قاصراً على المشتغلين بعلوم الكمبيوتر من مصممي البرامج ، إلا أن بعض الجغرافيين القلائل في الجامعات العربية قاموا بمحاولات كان الهدف منها اثبات قدرة الجغرافي على مواكبة هذا الأسلوب الحديث في البحث الجغرافي(*) .

وقد شهد النصف الثاني من عقد الثمانينات تقدم ملحوظ في سرعة وسهولة ومرونة تناول البيانات الجغرافية للكمبيوتر ، أدى إلى بروز تساؤلات عن طبيعة البيانات التي يحتاج إليها الباحث الجغرافي حتى يستطيع استخلاصها من هذا الحشد الهائل من البيانات الخام المجمعة والمختلفة في درجة أهميتها ودقتها وكيفية ترقيتها . ما الذي يحتاج إلى وصفه وشرحه وتقديره ؟ ما الذي يغير ويعتمد من تلك البيانات المطلوبة ؟ هل نظم البيانات المتاحة حالياً على مستوى هذا الحجم النضخم من البيانات وكيفية التعامل معها ؟ ويهدف هذا البحث عرض ومناقشة سريعة لنظم البيانات الجغرافية المكانية وعلاقتها بنماذج البيانات لإزالة الرهبة من نفوس الباحثين الجغرافيين الشباب ، وتحفيز البحث الجغرافي العربي للأخذ بهذا الأسلوب الحديث ، ولندخول في عصر صاعدة وتكنولوجيا المعلومات .

(*) انظر عيسى محمد : برنامج الجغرافيا ، الجزء الأول ، دراسة لقطاعات الامتداد باستخدام حاسب الآلي ، مجلة الجمعية الجغرافية السورية ، العدد ٣ ، ص ١٢ ، ١٩٨٢ .

نموذج البيانات :

نموذج البيانات data model عبارة عن مجموعة اشياء things أو عناصر خاصة بظاهرة ما ترتبط ببعضها بعلاقات ، كما تربط بين خصائصها علاقات منطقية ، وتكون تلك العناصر والعلاقات ملخصة في نظام يصلح للمعالجة بالكمبيوتر ، وتعتبر وحدة تخزين رئيسية في نظامه . والظاهرة عبارة عن مجموعة كائنة من شئ يمكن إدراكه وتمييزه ولها خصائص عامة مشتركة وتربط بينها علاقات relationships (Ullman, 1983) . فظاهرة الأردية النهرية عبارة عن مجموعة لشيء واحد هو الوادى النهرى ، وظاهرة البحيرات مجموعة لشيء واحد هو البحيرة ، وكذلك ظاهرة الجبال مجموعة للجبل . ويمكن أن يكون لكل من الظاهرة والعلاقات صفات مميزة أو عناصر تعتبر وحدات أساسية فيها . فالوادى النهرى — أى وادى نهري — له صفات تميزه وعناصر تحدد خصائصه الشكلية ، وخصائصه التضاريسية ، وخصائص مورفومترية شبكته المائية . وترتبط تلك الخصائص ببعضها بعلاقات متشابهة منطقية . وتعريف النموذج بهذا الشكل هو مفهوم بشرى human concept يمكن تكيفه عند التطبيق ، ويختلف هذا التكيف باختلاف مستخدم النموذج . وتعتبر الخريطة الطبوغرافية مخزن للظواهر الجغرافية ، وكل ظاهرة بها يمكن وصفها في نموذج بيانات . وتستخلص مجموعة بيانات أى ظاهرة وعلاقتها في ملف خاص File كالعمران — الطرق — الحدود الادارية — شبكة الري والصرف — المناطق الزراعية — المزارى المائية — التضاريس كما تبينها خطوط الكنتور والماشور . ومعنى آخر فإن الخريطة الطبوغرافية عبارة عن بنك معلومات يمكن أن نستخلص منها نماذج بيانات عديدة (شكل ١) . ويوضح كل نموذج حقيقة واقعة يعتمد تحليلها على مستوى التحليل أو على المقياس المستخدم في التحليل .

ويرى كثير من مصممي النماذج أن البيانات يجب دراستها في عدة مستويات levels ، وتقدمها في ملخص حقيقى ، ولـى نظام بنائى محدد يمكن تمثيله آليا (Klinger, Fu & Kuni, 1977; Martin, 1975) . وبداية يمكن القول أنه مازال هناك عنام اتفاق بين الجغرافيين على عدد المستويات التى يجب على الباحث أن يدرس من خلالها الظاهرة الجغرافية . وقد اقترحت دونا دونا (Donna J. ١٩٨٤ عام

(Peuquet, 1984) أربعة مستويات يمكن دراسة أية ظاهرة جغرافية عن طريقها (شكل ٢) هي :

١- معرفة الصورة الحقيقية أو الواقعية للظاهرة reality متضمنة كل سماتها الظاهرية التي يمكن ادراكها عن طريق ملاحظة مفردات عناصرها .

٢- نموذج البيانات data model وهو ملخص يوضح الخصائص التي يظن انها وثيقة الصلة بالظاهرة .

٣- نظام البيانات data structure وهو عملية بناء نموذج البيانات أى تمثيل لنموذج البيانات في هيئة يانية هي في الغالب جداول ومصقوفات ، بمعنى تنظيم لبيانات في كود آتى computer code في نمط من الخانات الأساسية التي يصمم الكمبيوتر تمييزها كمعطيات .

٤- نظام ملف البيانات file structure وهو عبارة عن أى شكل من الأشكال المختلفة لتنظيم البيانات في هيئة يمكن تخزينها في أجهزة ووحدات الحاسب الآلى hardware .

وعند فحص المستويات الثلاثة الأخيرة نلاحظ أنها خطوات تتبع عند تصميم قاعدة بيانات data base ووسائل تنفيذها(*) . ولكن يجب الإشارة إلى أن تصميم نظم البيانات نوجب مراعاة ان تتم من خلال مستويات متتابعة توضح الأسس الضرورية في تحديد كل مستوى . وفي الواقع ، أن تحديد إجمال العملية عبارة عن صياغة العبارات العامة في عبارات اكبر تحديداً .

وقد استخدم مصطلح نموذج البيانات في حدود ضيقة عندما دعا الجغرافيون إلى استخدام النماذج في معالجة الموضوعات التي تتناول تنظيم المكان . ويجدر بنا أن نذكر في هذا العدد جهود نشورلى R. Chorley وهاجيب P. Hagget في

(*) قاعدة البيانات : أحد مصطلحات علم المعلومات Informatic ، ويقصد به كمية ضخمة من بيانات منظمة ومتظمة تحت في ذاكرة الكمبيوتر بضمم منقضى معين ، وبشكل يرمز له مفاتيحه الخاصة التي تسمح بالبحث عن البيانات . نظرية «مترجماها لاستخدامها أو تطويرها ثم إعدادها فكانها المحد في ، المد منه » الجور .

دراساتها القيمة هذا الموضوع تحت اسم نموذج في الجغرافيا Models in Geography (*) . وربما يرجع التقصير من جانب الجغرافيين في استخدام النماذج إلى التقدم السريع غير المنتظم في فن تناول الكمبيوتر وعمليات الترميز image processing ، وكذلك التطور المتأرجح في استخدام الحاسب الآلي في الدراسات الجغرافية . أما مصطلح نظام البيانات data structure فقد تطور استخدامه مع تطور نظم وتقنيات تصميم البرامج واللغات والشاهج software حتى تتحكم في عمليات الحاسب الآلي . وكذلك نتيجة تقدم تكنولوجيا صناعة عتاد الحاسب ووحداته المختلفة hardware ولدى يمثل في أجياله المتتالية . ومنذ السبعينيات الأولى من عقد الثمانينات فإن مطلع نموذج بيانات قد أقر كمصطلح أحوى ليدل على أن ادراك عناصر الظاهرة وتنظيمها في شكل ما ، أي صياغتها بطريقة ما هي عملية نمذجة modelling process

ويقوم نظام البيانات أي بناء النموذج على نموذج البيانات نفسه وطريقة ترتيب جزئيات وعناصر البيانات به ، والعلاقات القائمة بينها . ويتم ترتيب الجزئيات والعناصر في قوائم lists ومصفوفات arrays ، أما العلاقات التي تربط تلك الجزئيات والعناصر بعضها فتكون في صورة نماذج رياضية تؤدي إلى استبعاد العلاقات اللفظية أو الوصفية والتعبير عنها بصورة صريحة أو صورة ضمنية . ويمادل هذا المفهوم التعريف الرياضي للرسم البياني بمعناه الواسع (Mark, 1979) . وتسجل العلاقات الصريحة في نظام البيانات بنفس طريقة تسجيل جزئيات وعناصر البيانات نفسها . أما العلاقات الضمنية فيشار إليها بالوضع النسبي لمفردات عناصر البيانات ، وقد يتطلب ذلك تحليل بعض أو كل البيانات . مثال تحديد نقطة وسط مجموعة من النقاط موزعة بحدب نظام في الفراغ .

أما نظام ملف المعطيات File structure فإنه يعني ببساطة نموذج تخزين أي تحديد وسائل العملية الميكانيكية لتدوين البرامج وطريقة تغذيتها أو تعديلها ، وطرق تشغيل أجهزة الحاسب الآلي لاستخدام تلك البرامج واسترجاعها .

* Hagget, P., 'Geography: A modern synthesis' pp. 16-24 London, 1972.
 Chorley, R.J.L. & Hagget, P., 'Socio-Economic Models in Geography' pp. 21-26, London, 1973

العلاقة بين تصميم نموذج البيانات وتصميم نظام البيانات :

تعتبر عملية تصميم نموذج البيانات عملية تلخيص ، فالنموذج هو تمثيل للواقع يحاول تفسير ظاهرة ما من ظواهر هذا الواقع ، أو هو نظير أو شبه أو تمثيل دقيق لجميع خصائص الظاهرة وعلاقاتها . ولا يوجد نموذج للحقيقة ما يجمع كل جزئياتها وعناصرها وعلاقاتها ، وبالتالي لا يمكن تصميم نموذج بيانات عام الغرض لاستعماله في كل الحالات . ويتضح ذلك عند معالجة الظواهر الطبيعية المركبة (تشمل دراسة منحدر ما على ٤٢ متغيراً على سبيل المثال) . وكذلك الحال بالنسبة للبيانات المكانية spatial data إذ لا يمكن بناء نظام بيانات يعنى بكل أغراض تناول تلك البيانات . وهناك نظم بيانات مكانية spatial data structure صالحة للتوقيع plotting ولكنها لا تصلح في نفس الوقت لأغراض التحليل . كما أن نظم البيانات المصممة لأغراض التحليل الجغرافي لا تصلح إلا للجوانب معينة وليس كل الجوانب المطلوبه ، مما يستلزم انشاء نظم بيانات عديدة تفي بكل جوانب التحليل الجغرافي المطلوب . وكذلك نظم البيانات الخاصة بالتحليل لا تكفى لإنتاج رسوم وأشكال بيانية ، مما يجعلنا نقول أن أى نظام بيانات لا يخدم إلا غرضاً واحداً محدداً .

ويتبع مصممو نماذج البيانات طرقاً مختلفة في تصميم نماذج البيانات المكانية . ويمكن تلخيص تلك الطرق في طريقتين تقفان على طرفي نقيض :

الطريقة الأولى وتعرف بطريقة باولي Bouille وفيها حاول صاحبها بناء نموذج بيانات يشتمل على كل المتغيرات والعلاقات التي تربط بينها في محاولة تمثيل كامل ومطابق للحقيقة أطلق عليه اسم « النموذج المطابق للظاهرة phenomenon-based design » . ثم عاد وأطلق عليه اسم « نظام بيانات الظاهره phenomenon structure » (Bouille, 1978) . ولما كانت الحقيقة مركبة وغاية في التعقيد فقد جاء نموذج البيانات معقداً لا يمكن معه بناء نظام بيانات مناسب للكمبيوتر ، ويحتوى على جزئيات وعناصر وعلاقات ليست ضرورية لأغراض التحليل وغير مناسبة للتطبيق . وفي الواقع فإن الحقيقة الكاملة للظاهرة غير معروفة . إذ تحتوي من عناصر وعلاقات لا يدركها الباحث تبعاً للموقف العلمى والامكانيات التكنولوجية المتاحة حالياً ، ولا تغالي إذا قلنا حتى في المستقبل ومن

هنا جاءت فكرة الخطأ والخطأ المسموح به وغير المسموح به . وعندما يتعامل الباحث مع ظاهرة طبيعية فإن العلم يوفر له أدوات معرفة ليقدم فرضية بشأنها لأنه لا يمكن الادعاء بالمعرفة النهائية لها . وعلى ذلك فإن « النموذج ينبغي ألا يعنى تمثيل جميع عناصر وخصائص الظاهرة وعلاقتها ، إنما مجرداها من بعض مظاهرها التي تساعد على تبسيطها »(*) .

أما الطريقة الثانية وقد أشار إليها مارك عام ١٩٧٩ (Mark, 1979) فتقوم على قاعدة أن تصميم نموذج البيانات وبالتالي بناء نظام للبيانات يجب أن يؤدي إلى تحقيق الفائدة عن طريق استبعاد أية عناصر أو علاقات غير مناسبة . وعلى الرغم من أن هذه الطريقة تهدف إلى إنتاج نماذج غير معقدة وسهلة التناول إلا أنها بعيدة إلى حد ما عن التمثيل الكامل للحقيقة ، لأنها تختزل فقط على العناصر الرئيسية والعلاقات الضرورية لدراسة الظاهرة . والنماذج المصممة تبعا لذلك النظرة تنصف بالقوة والمرونة وإمكانية استخدامها في التخزين الإحصائي . وبناء على ذلك فإنه لا يمكن الجزم بأن كل النماذج ناجحة من الناحية التطبيقية ، إذ يتوقف نجاحها على مقدار مطابقتها للواقع لذا فإن مرحلة التجريد تعتبر من أهم المراحل وأدقها في إنشاء النموذج . فالتجريد يفقد النموذج — أحيانا — قيمته العملية إذا أبعدته كثيراً عن الواقع والحقيقة الملموسة وخانه التعبير عن أفكارنا وآرائنا عن هذا الواقع .

وبالنسبة لمصممي أنظمة البيانات الجغرافية geographic data systems فإن طبيعة الظاهرة الجغرافية تحتم الأخذ في الاعتبار عمليات معالجة ميكانيكية تكون قادرة على التعامل مع بيانات ذات طبيعة مختلفة . إذ تعالج موضوعات الجغرافية الطبيعية والعوامل الطبيعية في الظاهرة الجغرافية البشرية على أساس مبدأ السببية (السبب والنتيجة) ، وتصاغ العلاقات في صورة معادلات رياضية تؤدي إلى استبعاد العلاقات اللغضية أو الوصفية والاستعاضة عنها بالنماذج الرياضية التي تستخدم للمعالجة الإحصائية أو غيرها من المشاكل التي تتعلق بقياس المتغيرات وتعليلها . أما موضوعات الجغرافية البشرية بصفة عامة والعوامل البشرية في الظاهرة الجغرافية الطبيعية فإنه من الصعب إخضاع الإنسان وسلوكه إلى قانون

(*) المجلة الرسمية للجمعية الجغرافية — عدد يوليو - سبتمبر ١٩٦٨ .

واحد وظروف واحدة ، فالإنسان تختلف استجاباته لظروف والمؤثرات بحسب الزمان والمكان ، لذا فإن نشاطه يخضع للاحتيال . وعليه فإنه يجب على مصممي نماذج وقواعد البيانات الجغرافية geographic databases مراعاة توازن دقيق بين منهج الختمية ومنهج الاحتمالية في سبيل الوصول الى نموذج بيانات جغرافي وبالتالي انشاء نظام بيانات جغرافي له صفة خاصة . ومن أسف فإن هذا الضابط المنهجي في الجغرافيا لم يقن formalize حتى الوقت الحاضر حتى في الإطار النظري ناهيك عن الإطار الآلي .

طبيعة البيانات الجغرافية المكانية :

الجغرافيا باختصار هي علم المكان place والفرغ space ومادتها الظاهرات الطبيعية والبشرية التي تُشكل يقات العالم ، وهدفها وصف وشرح وتفسير وتعليل الظواهر الطبيعية والحضارية في يقاتها على سطح الأرض ، ووسيلتها الكلمة والرقم والصورة والخريطة . ويستخدم مصطلح مكاني spatial في وصف أية بيانات خاصة بظاهرة تتوزع في بعدين أو ثلاثة أبعاد أو أى عدد من الأبعاد (١ من الأبعاد) . وتعتبر البيانات الجغرافية بيانات مكانية لأنها تتصل ببيانات خاصة بالأرض . وهذه البيانات يمكن ان تكون ذات بعدين عند نمذجة modelling سطح الأرض كسطح مستو plane ، أو تكون ذات ثلاثة أبعاد عند معالجة ووصف ظواهر تحت سطحية أو ظواهر جيومورفولوجية أو ظواهر جوية . ويمكن إضافة البعد الرابع في هيئة سلاسل زمنية .

وهناك عدة انماط للبيانات المكانية يمكن التعرف عليها بعرضها كارتوجرافيا (شكل ٣) :

النمط الأول : بيانات نقطية point data حيث يمثل كل عنصر ياتي data element بموقع position (نقطة) واحد في فراغ ذي بعدين أو ذي ثلاثة أبعاد مثل مواقع خواصم المراكز الإدارية في الدلتا (شكل ٣ أ) .

والنمط الثاني : بيانات خطية line data ويوصف الخط في هذا النمط باعتباره محل هندسي لنقطة متحركة . وترسم تلك النقطة عند تحركها خطا له اتجاه معين . اتجاهات كثيرة . وعند تحرك تلك النقطة يكون لها قيم احداثية سينية وصادية في كل محل location تحتله . أو بمعنى آخر يوصف موقع الخط بسلسلة أو خيط

string من احداثيات مكانية spatial coordinates . ويتخذ الخط أوضاعاً وهيئة مختلفة :

(أ) خطوط منعزلة لا تشترك في هيئة منتظمة كخطوط الانكسارات أو خطوط محاور الالتواء (شكل ٣ ب) .

(ب) خطوط تدخل كعناصر في نظام معين مثل خطوط المجارى المائية أو خطوط محاور الأودية الجافة في نظام تصريف نهري (شكل ٣ ج) .

(ج) خطوط تدخل كعناصر في نظام شبكة network مثل خطوط شبكات الطرق (شكل ٣ د) .

والنقط الثالث : بيانات الأشكال المساحية ويعرف ببيانات المضلعات polygon data وتمثل مواقع عناصر البيانات بنقط احداثيات مكانية مقفل (ترانزيرس مقفل) . وتختص بيانات المضلعات بالمساحات في فراغ معين ، وتمثل في :

(أ) مضلعات مفردة isolated polygons حيث لا يشترك أى ضلع من أضلاع المضلع أو أى جزء منه مع ضلع أو أضلاع مضلعات أخرى (شكل ٣ هـ) .

(ب) مضلعات متجاورة adjacent polygons حيث يشترك من ضلع من أضلاع المضلع أو أى جزء منه مع مضلع آخر على الأقل (شكل ٣ و) .

(ج) مضلعات متشابكة nested polygons حيث يقع مضلع أو أكثر داخل مضلع آخر . وتعتبر خطوط الكنتور من أبرز الأمثلة لهذا النوع من المضلعات (شكل ٣ ز) .

والنقط الرابع : خليط من الأنماط الثلاثة السابقة . فقد يشتمل على أنواع خطية مختلفة يختلط بعضها ببعض ، وخطوط تختلط بمضلعات مع عناصر نقطية . ويمكن اعتبار خريطة افريقيا السياسية مثال لهذا النمط ، فالوحدات السياسية اشكال مساحية مشتركة الحدود ، وقد يفصل بين وحدة سياسية وأخرى مجرى نهري يعتبر عنصراً لنقط خطي لشبكة تصريف مائى شجرى ، وقد تقع وحدة سياسية بحدودها الكاملة داخل وحدة سياسية أخرى بالإضافة الى مواقع العواصم والمدن والموانئ الرئيسية .

وتعرف الأنماط الأربعة للبيانات المكانية بالبيانات الاحداثية coordinate data أو البيانات الرمزية image data (I.G.U., 1975 & 1976). وتشخيص شديد يمكن القول بأن هذه البيانات المكانية تصف التوزيع المكاني والوضع النسبي للعناصر الداخلة في الظاهرة الجغرافية باستخدام رموز على شكل نقطة أو خط أو مضلع مساحي أو خفيط من هذا كله. ولكل رمز من تلك الرموز خصائصه التي تميزه ووظيفته المحددة. فالاحداثي الفلكي لمدينة الاسكندرية يعتبر جزء من بيانات مكانية وصفية بينما خطوط كثافة سكانها جزء من بيانات مكانية تصور إحدى خصائصها السكانية، وإحداثيات حدود محافظتها بيانات وصفية تين الشكل والامتداد والمساحة.

وتتميز نماذج البيانات المكانية عن نماذج القوائم الاحصائية أو النماذج ذات البعد الواحد بالخصائص التالية:

١- للعناصر المكانية حدودها الداخلية التي تميزها وتبين موقعها في الفراغ. وبالنسبة للبيانات الجغرافية فإن هذه الحدود عادة ما تكون معقدة تين نزع الظواهر الجغرافية إلى تواجدتها في النمط غير منتظمة. وتسجل تلك الحدود في نظام احداثيات coordinate system قد يكون على شكل احداثي فلكي (درجة عرض ودرجة طول) أو نظام احداثي كارتيزي (شماليات وشرقيات) أو نظام الاحداثيات العالمي المعروف باسم UTM أو نظام احداثي رقمي ليس له قيمة عددية كأرقام الشوارع في المدن التي تخطط تبعاً لنظام احداثيات خاص بها.

٢- تتميز العناصر المكانية بكثرة علاقاتها التي تين طبيعة الظاهرة الجغرافية أو تين درجة إدراكنا وفهمنا. وكما ذكرنا من قبل انه من الصعب عند بناء النموذج جمع كل الجزئيات والعناصر في نموذج واحد. فالبيانات الجغرافية تميل إلى أن تكون مستقلة وتابعة في نفس الوقت بالنسبة لبعضها البعض. فقد يضم النموذج متغيرين أحدهما تابع والآخر مستقل يرتبطان في علاقة خطية. وقد يحتوي النموذج على متغيرين مستقلين أو أكثر، وفي هذه الحالة يطلق على العلاقة اسم الانحدار المستقيم المتعدد. وكلمة أكثر هنا لا تعني الإطلاق بل تعني أن النموذج يمكن أن يضم متغيرات مستقلة ولكنها محدودة

بحكمها قدرة نماذج الرياضياتية المستنبطة على التعبير عن الحقيقة الجغرافية وتفسيرها . وقد تكون العلاقات بين العناصر المكانية لفظية مثل بالقرب من أو بعيد عن ، إلى اليمين أو إلى اليسار ، ومثل هذه العلاقات يصعب جمعها مع علاقة عددية في نموذج حتمي deterministic أو في نموذج احتمالي stochastic . والخلاصة أن عملية ضم هذه العناصر وعلاقاتها في نموذج واحد عند بناء نموذج بيانات جغرافية عملية صعبة ومعقدة ولكنها ليست مستحيلة ، بل إن ملف البيانات يميل إلى أن يكون معقد بدوره .

٣- تتميز البيانات المكانية بأنها ذات بعدين أو ثلاثة أبعاد ، ولذلك تنشأ مشكلة عند تحويل نموذج البيانات إلى نظام بيانات ونظام ملفات صالحة لأجهزة الحاسب الآلي وأجهزة الترميز digitizers التي تحول النقط والخطوط والمساحات إلى رموز رقمية يمكن قراءتها بالحاسب عن طريق تسجيل الأحداثيات المكانية . فمن المعروف أن ذاكرة الحاسب ذات طبيعة خطية أي ذات بعد واحد يمكنها تخزين البيانات على شكل قوائم في مجرى خط متصل ، وإذا كان من السهل في الوقت الحاضر بالنسبة لأجهزة الجيل الأحمر للكمبيوتر تخزين بيانات ذات بعدين أو ثلاثة أبعاد في نمط خطي على شكل قوائم ، فإن أحداثيات العناصر لا تحتوي على الطوبولوجيا الأساسية في شبكات الخطوط أو الأشكال المساحية المتجاورة ، ولا على العلاقات الضمنية (فرق ، إلى اليسار ، قريب من) ، تلك العلاقات التي يمكن النظر إليها على أنها بيانات لها أهمية بالنسبة للجغرافيا عند وصف وتحليل البيانات المكانية (Dacey & Marble, 1965) .

الشرط (الضوابط) التي يجب مراعاتها عند إنشاء نظام بيانات مكانية :

وتعرف تلك الضوابط بـ " دالة VSAM " وتنطق (VEE SAM) وهي اختصار لـ " Virtual Storage Access Method " . وقد جاء في معجم مصطلحات الكمبيوتر أنها تعني (أسلوب نيل تكون فيها السجلات ذات الأطوال الثابتة والمتغيرة مخزنة على جهاز تخزين للنيل المباشر في تسلسل معلّم أو تسلسل إدخال أو تسلسل حسب أرقام السجلات . ويتم نيل السجلات المخزنة من التسلسل المعلن وفقا لمعلم فريد مثل رقم موظف ، ويتم نيلها في التسلسل

الأدخال وفقاً لترتيب الذى تم تخزينها به ، وهم فيها حسب أرقام السجلات بواسطة رقم سجل منسوب إليها^(*) . ومن وجهة نظر الباحث فإنها تعنى الطريقة العملية لحزن البيانات واسترجاعها بسهولة . ومن نافذة القول أن الطرق المتاحة حالياً لحزن البيانات واسترجاعها يجب مراعاتها عند إعداد نظام البيانات data structure ونظام ملف البيانات File structure ، كما أن أسلوب التخزين يؤثر في خصائص الحزن storage والمعالجة manipulative والاسترجاع retrieval . ولقد اتفق المشتغلون بعلم الكمبيوتر على أن أسلوب حزن واسترجاع البيانات يجب أن يحقق شروط الاكتمال completeness ، القوة robustness ، الكفاءة efficiency ، سهولة التوليد ease to generation ، تعدد الاستعمال versatility .

ويقصد بالاكتمال كفاءة طريقة التخزين في تحويل المصطلحات النسيية الوصفية إلى قيم وإشارات رقمية . كما أن القوة robustness تعنى مدى القدرة على حزن البيانات غير العادية كيانات المضلعات بكل ما فيها من عناصر وعلاقات . وتعنى الكفاءة كفاءة التخزين وكفاءة الوقت عند الاسترجاع ، وسهولة التوليد هو مقدار الجهد المطلوب لاستنتاج ما تقضى به البيانات في أشكال أخرى كالرسوم البيانية أو الخرائط أو الجسومات التى يمكن عرضها من زوايا مختلفة .

والأهمية النسبية لكل شرط (معيار) من الشروط الخمسة السابقة هو دالة function لأهمية بيانات سوف ينشأ لها نموذج data model ، وللعمليات المطلوبة لإنشاء نظام data structure مناسب لها . على سبيل المثال إذا كانت المادة الخام للموضوع جغرافى عزيرة يلزم لها إنشاء قاعدة بيانات كبيرة ، ويجب أن تعمل في انسجام بين كفاءة المعالجة وسهولة الاسترجاع ، فإن ذلك يحتم الأخذ في الاعتبار تحقيق الشروط الثلاثة الأولى .

ومن السهل وضع هذه الشروط (المعايير) في صورة كمية مثل طاقة التخزين وسرعة الاسترجاع ، ولكن من الصعب — حتى الوقت الحاضر — تقديم مقاييس كمية لشرط (معيار) كفاءة طريقة التخزين وتعدد الاستعمال versatility .

(*) مؤسسه الأبحاث المعرفية معجم مصطلحات الكمبيوتر — نيجريا — فيوس ، ١٩٨٥ ، مترجمه من :

Webster's New World, "Dictionary of Computer Terms" Simon & Schuster, Inc New York, 1981.

وتتبع هذه الصعوبة من حقيقة معرفتنا المحدودة كجغرافيين بخصائص نظام العدد (الحساب) العشري وكيفية تفاعله مع النظم العشرية الأخرى . كما أن عملية نمذجة البيانات المكانية مازال ينظر إليها كعملية فنية أكثر منها علمية . وتستظل خبرة الباحث هي العامل الأساسي في تفسير نظام جغرافي يلزم نمحيده أولاً كى ينشأ له نموذج يلائم مناسب لنظام معيومات جغرافية متكامل

نماذج البيانات الجغرافية

يستخدم الجغرافيون الذين يعتمدون على الكمبيوتر في تخزين وتحليل البيانات الجغرافية أنماطا مختلفة من نظم البيانات بعضها تقيدى نشأ مع البدايات الأولى لاستخدام الكمبيوتر في تحليل وعرض البيانات والآخر حديث . ومازالت هناك محاولات لإنشاء نماذج تناسب مع بيانات الموضوعات الحديثة التى تعالجها الجغرافيا في الوقت الحاضر ، ومع مناهج وأساليب البحث المستحدثة . على سبيل مثال جغرافية السلوك البشرى المكانى والجغرافيا الصحية والجغرافيا الحضرية والتي تتطلب توفير بيانات خام من نوع جديد تتصل بعلوم إنسانية عديدة كالاقتصاد وعلم النفس والانتروبولوجيا الحضرية والثروة والاقتصاد والجريمة والصحة العامة والسلوك الحضارى . ويتم لتعبير عن كثير من هذه البيانات بمسطوانات والفاظ وصفية نحتاج الى الاتفاق على وسيلة تعبير اقصى أو زيرى حتى يمكن إدخالها في نموذج بيانات ومن ثم إنشاء نظام بيانات يستطيع إدخالها في الحاسب الآلى لمعالجتها .

وتقدم البيانات الجغرافية التقليدية للتحليل عن طريق نماذج ذات بعدين كإحداثيات (Boudr, 1967) ويمكن النظر الى الخريطة على أنها أسلوب تخزين بيانات مكانية سهل استرجعها وتحديثها يدويا كى نستخدم في عمليات قياس وتحليل أخرى . وعملية تحديث الخريطة للحصول على بيانات خام منها ثم لعرض نتائج تحليل بيانات عليها عملية معقدة ومسببة لوقت فضلا عن متطلبات المهارة والدقة في رسم الخريطة نفسها .

وهناك نمطان آخران لنماذج البيانات المكانية يتم تطويرهما تحت التسميات في صورة رقمية هما : نمط النواصى Vector ونمط المساحة Tessellation (شكل ٤) . والنمط الاتجاهى عبارة عن ترتيب عنصر الظاهرة الجغرافية لى بعد

وحدته تجاه في الفرع مثل خط الكنتور أو خط مجرى المائي أو خط الطريق أو خط حدود . وتسجل هذه الخطوط على شكل سلسلة من نقاط احداثية ، أو بمعنى آخر تقسم الخط إلى أجزاء طول كل جزء يساوى صفر (نقطة) يمكن تسجيلها باحداثيات . أما النمط الموزاكي فهو عبارة عن نظام يتكون من شبكة من عيون mesh أو شبكة من الخلايا ، وكل خلية عبارة عن وحدة مساحة في الفرع مثل حوض مجرى مائي من الرتبة الأولى أو بلوك من المباني تحده الشوارع المحيطة به .

ويمكن تسجيل خطوط الاتجاه أو حدود الخلية بواسطة خطوط المسح الأفقية على شاشة انبوب الكاثود scanner في جهاز الكمبيوتر ، أى يمكن إدخال البيانات بحيث يضيء شعاع الانبوب النقاط الصحيحة على الخطوط لتشكيل الرموز والمتحنيات لإنتاج الخطوط المطلوبة (سواء خطوط اتجاهية أو خطوط حدود الخلية في شبكة الموزيك) ، كما يمكن استخدام الـ light pen الحديث . ونماذج البيانات التي تستخدم النمط الاتجاهي أكثر شيوعاً من نماذج البيانات القائمة على تخطيط شبكة الموزيك ، سواء كانت شبكة من أشكال منتظمة كالتريع أو المستطيل أو الشكل السداسي ، أو كانت شبكة من أشكال غير منتظمة . كما أن تخطيط شبكة موزيك من مصلعات ذات خطوط منتظمة أكثر استخداماً من تخطيط مصلعات من الخطوط الأخرى (Coxeter, 1973) .

وهناك نمط ثالث لنموذج البيانات المكانية يعكس تطور حدث في المعالجة بالحاسب الآلي يجمع بين النمط الاتجاهي والنمط الموزاكي .

وفيما يلي عرض الخصائص كل من نموذج البيانات الاتجاهي ونموذج البيانات الموزاكي وكيفية العمل بهما في تمثيل البيانات الجغرافية المكانية .

أولاً : نموذج البيانات الاتجاهي Vector data model :

توجد عدة نماذج بيانات من هذا النمط يبرز منها النماذج الأربعة التالية والتي تعتبر أكثر استخداماً ولزولاً لدى الجغرافيين :

- | | |
|-----------------|-------------------------|
| Spaghetti | ... النموذج غير المنتظم |
| Topologic model | ٢... النموذج الطبولوجي |

٣- النموذج العاكس لوضع المضلعات Polyvert model

٤- نموذج السلاسل المتكررة Chainodes model

١- النموذج غير المنتظم Spaghetti model :

وهو نموذج كارتوجرافي حقيقي وفيه ينظر إلى الخط على أنه أبسط نموذج بيانات اتجاهي للمعلومات الجغرافية أى ترجمة خطية للخريطة . وبين (شكل ٥) أن أى عنصر خطي بالخريطة عبارة عن سجل في الملف الرقمي ، وبين كسلسلة من نقط احداثيات سينية وصادية . وهذا النظام بسيط لأن الخريطة في جوهرها عبارة عن نموذج يائي . ويعتبر ملف الاحداثيات السينية والصادية نظام بيانات data structure . وترجم نموذج الخريطة وهي مستوى بلايمتري أى ذات بعدين في قائمة list أى في نموذج ذي بعد واحد . وهذا يعنى أن أى عنصر مكاني على الخريطة : محلات عمرانية ، طرق ، ترع ومصارف ، حدود ، خطوط كتور ، نقط مناسب ... الخ سوف يترجم في قائمة . ويعتبر ملف البيانات الكارتوجرافية الرقمي الذي ينشأ بهذا الأسلوب ملف غير منتظم spaghetti file لأنه يهبط عبارة عن تجميع لسلاسل إحداثيات مكونة بعضها فوق بعض بدون نظام . أما المضلعات المسجلة بهذا الأسلوب فهي عبارة عن سلسلة احداثيات سينية وصادية مقفلة تحدد حدودها . وبالنسبة للمضلعات مشتركة الحدود فتسجل احداثيات نقط الضلع المشترك مرتان أى مرة لكل مضلع .

والنموذج غير المنتظم غير مناسب للتحليل المكاني حيث أن كثير من العلاقات المكانية علاقات حسابية أو مشتقة من معادلات رياضية لا يمكن تسجيلها في النموذج باحداثيات سينية وصادية (على سبيل المثال : كثافة المحلات

العمرانية = $\frac{\text{عدد المحلات العمرانية في الوحدة الادارية}}{\text{مساحة الوحدة الادارية}}$ أو معدل التسبيح لحوض

تصريف ما = $\frac{\text{مجموع التناثرات البارزة في أى خط كتور بالحوض}}{\text{طول محيط الحوض}}$ ويمكن

القول أن أوجه النقص في تخزين العلاقات المكانية ونتائجها ليس لها قيمة جوهرية في عملية إعادة إنتاج الخريطة مما يجعل هذا النموذج البسيط مناسباً في التطبيقات

التي تصل بانتاج الاشكال لتكاد تكون حرفة بسيطة بمساعدة الحاسب الآلى . ولكن يجب الإشارة إلى وجوب المراجعة البصرية للمخرجات البانية خاصة في عملية تحديث بيانات الخريطة .

٢- النموذج الطبولوجي Topologic model :

يعتبر تسجيل المعلومات ذات العلاقة بالظاهرة في نموذج بيانات طبولوجي Topologic data model من أبسط الأساليب لحفظ العلاقات المكانية بين عناصر الظاهرة موضع الدراسة ، وبين (شكل ٦) مثال مبسط لهذا النموذج . والعنصر الأساسي في ذلك النموذج عبارة عن خط مستقيم يبدأ أو ينتهى عند نقطة تقاطعه أو التقائه بخط آخر أو عند بداية منحنى فيه . ويسجل كل عنصر خطى مستقل باحداثيات نقطتى البداية والنهاية ، بالإضافة الى تسجيل أسماء أو أرقام المصنعات التي تجاور الخط من جانيه . ويحفظ هذا الأسلوب كثير من العلاقات المكانية بطريقة واضحة حتى يمكن استخدامها في اغراض التحليل . كما يتيح هذا النموذج تخزين التحديد المكاني للنقط والخطوط والمضلعات بطريقة مختصرة تناسب المضلعات المتجاورة كما هو واضح في (شكل ٦) ، والذي يلاحظ فيه أن كل عنصر خطى خاص بتحديد المضلعات والمعلومات المتألفة لها من الجانبين قد تم تسجيله مرة واحدة فقط بعكس الحال في النموذج غير المنتظم .

وقد ابتكر مكتب احصاءات السكان بالولايات المتحدة الأمريكية U.S. Census Bureau نموذج طبولوجي لتفريم وحفظ خرائط الشوارع للمساعدة في جمع وجنولة بيانات التعداد السكانى عن طريق تجهيز مرجع جغرافى للعناوين باستخدام الحاسب الآلى (U.S. Census, 1969) اطلق عليه اسم نموذج ال GBF/DIME . ويقصد بالمختصر GDF ملف قاعدة بيانات جغرافية Geographic Base File ، وبالمختصر DIME الترميز الخرائطى المزدوج المستقل Dual Independent Plan Encoding . وقد ظهرت ملفات ال GBF/DIME في أوائل السبعينات بعد التحسينات التي أدخلت على كود دليل العناوين .

وقد تم تسجيل كل شارع في ملف GBF/DIME على شكل سلسلة عناصر مستقيمة ، وينهى كل عنصر عند نقطة تقاطع خطين أو عند نقطة تغير

في اتجاه الخط . وقد تكونت عند تلك النقط ونقط نهايات خطوط عقد nodes (شكل ٧) .

ويتضمن تسجيل كل عنصر خطي احصاءات المواقع والبلوكات السكنية المحددة للمضلع (شكل ٨) . ويعتبر هذا النموذج في تلك الحالة تطوير لنموذج البيانات الطوبولوجي البسيط العام . والاختلاف الوحيد هو أن كل عنصر خطي يتم تعيين اتجاهه عن طريق تسجيله من عقدة سفلى Low node الى عقدة عليا high node ، والنتيجة خط ياتي اتجاهي يمكن مراجعته وملاحظة أى عنصر مفقود أو أية أخطاء في الملف تتبع الخط الذي يعين حدود كل بلوك (مضلع) احصاء في الملف . ويتم ذلك بالسير حول الخطوط المحددة للمضلع ومطابقة العقدة العليا المحددة لاتجاه الخط بالعقدة الدنيا المحددة للخط المجاور عن طريق الملف . وعند عدم التمكن من العثور على تسجيلات خط ما لإكمال السلسلة حول المضلع فإن الخط إما أنه مفقود أو أن العقدة غير صحيحة .

ويتميز هذا النموذج بأن كل خط يمكن تعيينه مكانيا باستعمال أى من اسماء الشوارع أو نظام الاحداثيات المحلي (الكارتيزي) أو العالمي (UTM) . ففى بعض الدراسات الجغرافية التطبيقية على المستوى الميكروسكوبي لا يمكن استخدام نظم الاحداثيات المعروفة في التحديد المكاني للظاهرة .

والمشكلة الرئيسية التي تقابلنا في نموذج GBF/DIME هي أن العناصر الخطية لا يمكن تسجيلها في ترتيب مسلسل sequence order ، لذا يجب عند استرجاع نقط احداثيات أى خط القيام ببحث شامل وبصورة متتابعة من خط الى خط داخل الملف . وكذلك لاسترجاع خطوط مضلع ما يجب إجراء بحث شامل بعدد الأضلاع المحددة للمضلع وهذه عملية شاقة .

ويعتبر ملف ال GBF/DIME ملفاً كارتوجرافيا لانتاج خرائط ال ADICA (Automated Display of Information Coded by Adress) . وقد أمكن انتاج حوالي ٥٥٠ خريطة تفصيلية بقياس ١ : ١٢٠٠٠ باستخدام البرنامج الخاص بهذا الملف استعملت كقاعدة بيانات لقياس دقة التسجيل في ملف الاحداثيات ومراجعة نقط نهايات end-points لعناصر الخطية المنقسمه .

٣- النموذج العاكس لوضع المضلعات Polyvert (**):

ينين من استخدام نموذج البيانات الطبولوجي العام ، ونموذج الـ GBF/DIME المنطور عنه صعوبة استرجاع البيانات لمراجعتها وتصحيحها أو إضافة بيانات حديثة مكتملة ، وقد اتجه الجغرافيون من مصممي نماذج البيانات المكانية ونظمها إلى تطوير نموذج جديد للتغلب على تلك المشكلة . ويعرف هذا النموذج باسم الـ Polyvert الذي يتميز ببساطته ووضوحه وإمكانية تخزين البيانات الاحداثية لكل عنصر خطي يبدأ وينتهي عند عقده node التي هي نقطة تقاطع أو التقاء سلسلتين احداثيتين . وفي هذا النموذج لا تخزن البيانات الاحداثية للعقدة كجزء من سجل سلسلة الاحداثيات ولكن يعطى لها مؤشر (***) (رمز) خاص وسجل في ملف منفصل خاص بتلك العقد . وبذلك يمكن استرجاع بيانات أى عنصر خطي عن طريق احداثيات عقدة بدايته المسجلة في ملف العقد . أما بالنسبة لسلسلة بيانات العناصر الخطية الفردية التي لا تشترك في مضلع واحد فإنها تخزن في ملف المضلعات التي يتضمنها . ويلاحظ أن سجلات السلاسل الفردية تحتوي على نفس الاتجاه البسيط ونفس المعلومات الطبولوجية المستخدمة في نموذج الـ GBF/DIME ، أى تبدأ من عقدة وتنتهى عند عقدة ، وكذلك المعلومات المجاورة لها من الناحيتين اليمنى واليسرى . وكذلك يشار إلى المساحة الخارجية التي تجاور هذا العنصر الخطي الفردى بالضلوع صفر مثل سلسلة بيانات العنصر الخطي ١٣ في (شكل ٩) .

ويحقق هذا النظام عدد من المزايا في الاسترجاع والمعالجة اليدوية تلخص فيما

يلي :

(أ) يتيح التركيب الهرمي للبيانات استرجاع أى مستوى بيانات بسرعة .

(*) ينسب هذا النموذج لـ Peucker وكرمان Christman عام ١٩٧٥ ، واستخدم في معمل جامعة هارفارد في اواخر السبعينات . ويتركب مصطلح Polyvert من مقطعين Poly وتعني Polygon أى مضلع ، و Vert وتعني converter تعني العاكس لوضع ما .

(**) مؤشر عبارة عن عدد لا يشير إلى موقع الحرف الذي يمكن تخزين البيانات فيه أو استرجاعها منه ، يمكن اعتبار أى عنوان بمثابة مؤشر لأنه يشبه إلى موقع حرف معين . وفي أغلب الأحيان فإن كلمة مؤلف تعني عنواناً مخزناً في سجل أو فهرس . هذا هو معنى آخر لـ الملف (معجم مصطلحات الحاسب)

(ب) أن الملفات الخاصة بالبيانات المتاحة لحدود مضلع ما لا يلزمها إلا تسجيل جزء يسير من بيانات سلاسل الخطوط المحددة للمضلع وبذلك يسهل استرجاعها .

(ج) لا تسترجع الاحداثيات الفعلية للخطوط عند حساب المسافات أو تحديد الانتماءات .

(د) يعتمد عند تسجيل بيانات الخط على عدد المضلعات وليس على تفاصيل حدودها .

(هـ) يسمح الفصل بين بيانات العناصر الخطية وبيانات النقاط العقدية بفعالية اكبر للذاكرة المركزية في الحاسب الآلي . ويعتبر هذا الفصل ميزة رئيسية عند التعامل مع مضلعات ذات حدود معقدة مثل حدود أحواض بحارى الرتب المختلفة أو حدود حوض التصريف الرئيسى .

(و) يمكن استخدام هذا النموذج في مجالات جغرافية متعددة . إذ يمكن إضافة مستوى بيانات مختلف النوع الى النظام الهرمى لنظام البيانات دون الاختلال بأساس النموذج مثل إضافة عدد آخر من المضلعات . ومن أوضح الأمثلة على ذلك استخدام هذا النموذج في تمثيل خريطة جمهورية مصر العربية والتي تمثل المستوى الأعلى وحدود المحافظات ثم حدود المراكز وأخيراً حدود النواحي الإدارية في مستويات تالية ، بل ويمكن تعديل أى مستوى وإضافة مستوى جديد عند إنشاء مراكز جديدة أو محافظة جديدة . كما يمكن إضافة حدود الأقاليم الزراعية وحدود الأقاليم الصناعية وحدود الأقاليم السكانية وكذلك الأقاليم التخطيطية .

(ز) يقدم هذا النموذج إمكانية تمثيل المضلعات من نفس المستوى داخل الترتيب الهرمى عن طريق إضافة بادئة perfix ، وكذلك ترميز بيانات إضافية للمضلعات ، بل وإضافة عناصر خطية وتحدد مستحدثة داخل المضلع .

(ح) يمكن استخدام هذا النموذج في الدراسات الجيومورفولوجية عن طريق ترميز خطوط الحافات . وخطوط تقسيم المياه ، وخطوط البحارى المائية ،...

الأودية الجافة وخطوط السواحل وحدود البحيرات كسلاسل خطية . كما يمكن ترميز النعم والممرات والروج والمنخفضات والبالوعات كنقط عقدية . وكذلك في أعمال المساحة كخطوط شبكات المثلثات والارتفاعات ونقط المثلثات وخطوط الميزانيات الشبكية ونقط مناسب أركانها . كما يقدم هذا النموذج مساعدات قيمة في معالجة بيانات ذات بعدين (مساحة) مع بيانات ذات ثلاثة أبعاد (حجمية) .

وإذا كان هذا النموذج يحقق هذه المزايا العديدة فإن له عيوبه ولكنها — في رأى الباحث — لا تقلل بأي حال من إمكاناته في البحث الجغرافي . ويمكن إيضاح تلك العيوب في :

(أ) يؤدي الفصل الطبيعي بين بيانات العناصر الخطية (بيانات الخطوط وبيانات النقط العقدية) إلى الحاجة إلى نظام ربط أو نظام مؤشر محكم ، وعادة ما يكون هذا المؤشر عنصر غير يائي non-data ، وتضيف عناصر المؤشر حجم زائد إلى النموذج . ول الواقع لا تستطيع قواعد البيانات databases تحمل هذه الكمية من العناصر غير اليبانية لأنها في الأصل تحتوي على عدد كبير من بيانات العناصر الخاصة بالظاهرة موضع الدراسة .

(ب) صعوبة اكتشاف أو تصحيح المؤشرات غير الصحيحة .

٤- نموذج السلاسل المكدّدة Chain codes^(١) :

تعتبر أساليب السلاسل المكدّدة طريقة احداثيات أكثر منها نموذج بيانات ، وهي ترمي إلى تحسب وتطوير إمكانات التحليل ومعالجة البيانات المكانية داخل نماذج البيانات ، ولكن عادة ما ينظر إليها على أنها نموذج بيانات قائم بذاته .

ويعرف أسلوب السلاسل المكدّدة بسلاسل فريمان — هوفمان Freeman-Hoffman chain codes (Freeman, 1974) . ويتكون هذا الأسلوب من اختيار كود من صفر إلى سبعة لكل ثمانية اتجاهات طولية (شكل ١٠) ، وهذه

(١) السلسلة chain : مجموعة من البيانات متصلة منطقياً والتي تربط بعضها ببعض الآخر مؤشر مكدّدة في كل جزء من البيانات . (معجم مصطلحات الكمبيوتر) .

الاتجاهات هي الاتجاهات الأفقية والفرعية المعروفة . وعند استخدام هذا الشكل لتكوين بيانات عنصر خطى على شبكة وحدة معطية فإنها تخرج في شكل رقمي مندرج . وكما يظهر في (شكل ١٠) فإن بيانات الأحداث لسي انصاى (X.Y) لنقطة بداية العنصر الخطى هي التي تسجل فقط . وتقدم هذه الطريقة تبسيط يميز لرسم البيانات الاتجاهية لمجرى مائى أو شبكة طرق .

ويمكن تحديد المواضع الطبولوجية المختلفة مثل نقط تقاطع الخطوط أو نقط التقاء أو تفرع المجرى المائية من خلال استخدام تتابع كودى معين يصنع في نفس الوقت في تحديد طريقة ترميز النظام ، وبذلك تنفى الحاجة الى كود آخر خاص بالخطوط المستقيمة والظواهر المجاورة لها . وهناك شكلان لهذا النظام الكودى :

الشكل الأول :

يستخدم ٤ أو ٨ أو ١٦ أو ٣٢ اتجاه ترميزى لشبكة المربعات (Freeman, 1979) . يسمح نظام ترميز الاتجاهات الأربعة بتسجيل كل كود في حقلين ، ويكفى هذا في تمثيل بيانات الخطوط المتعامدة على بعضها مثل خطوط التصريف في نظام التصريف المتشابك أو عند تمثيل مدينة ذات خطة شعيرية أو بعض العمليات الساحية كشبكة مربعات الميزانية الشبكية . أما نظم ترميز الاتجاهات الستة عشر والأثنتان والثلاثون فإنها تلائم المنحنيات والخطوط ذات الاتجاه العشوائى مثل خطوط التصريف في نظام شجرى أو نظام حلقى ، إذ تسمح هذه الطريقة بتقسيم خط المجرى إلى خطوط قصيرة يمكن تحديد اتجاهها التقريبى بدقة مقبولة من خلال تلك الاتجاهات (شكل ١١) .

والشكل الثانى :

هو سلاسل خطوط المسح المكوّدة Restor cham codes أو كما تسمى "RC-codes" . وقد توصل إلى هذا الأسلوب ستانج عام ١٩٧٩ (Cederberg, 1979) . وهى نمط من خطوط المسح الأفقية عن شاشة الحاسب الآلى من خلال التوبة أشعة الكاثود ، حيث تجعل معطيات الدخول شعاع الأنبوب يضيء فقط الصفحة على خطوط المسح الشبكية . خطوط الاتجاهات المعبودة

ويستخدم هذا النظام نصف عدد الاتجاهات الاتجاهية القياسية ، فالإتجاه الغربى هو في نفس الوقت مقنوب لإتجاه الشرق ، والاتجاه الشمالى الغربى مقنوب الإتجاه الجبرى الشرق وهكذا (شكل ١٢) . وقد صمم هذا النظام لمعالجة خط المسح في نظام الـ raster لإنتاج مسق بيانات الإتجاهية على شكل سلاسل متكودة بحيث يه ترتيب الخطوط من أعلى الى أسفل ومن اليسار إلى اليمين ، بحيث لا تقابل اتجاهات عائلة back wards vectors . وبذلك فإننا لا نحتاج إلا الى نصف عدد الإتجاهات الثانية القياسية أى أربعة اتجاهات فقط . وهذه الطريقة في الواقع ما هي إلا عملية قلب flipping أو عكس reversing لسلاسل فريمان — هوفمان لأجزاء مختارة من العناصر الخطية . أما بالنسبة للمضلعات المقفولة فإن اختيار لأجزاء التي سوف تعكس تعتمد على الخط العمودى الذى يصف المضلع بحيث تكون مجموعة قيم النقط الموجبة على يمين الخط مساوية لمجموع قيم النقط السالبة على يساره (Chakravarty, 1974) . وتستخدم تلك الطريقة في شبكة الاشكال الهندسية أكثر من استخدامها في شبكات المربعات (Scholton & Wilson, 1983) .

وتتميز اسلوب السلاسل المتكودة بما يلي :

- (أ) إمكانية دمج نماذج السلاسل المتكودة في نماذج أخرى للحصول على مزايا كل منهما .
- (ب) يعتبر الكود الإتجاهى أكثر كفاءة من الاحداثيات الكارتيزية خاصة عند استخدامه في النموذج غير المنتظم ، لأن طريقة توقيع أى اتجاه هي الرسم عن طريق عناصر خطية قصيرة متتابعة باستخدام ثمانية اتجاهات أو نصفها .
- (جـ) يعتبر الكود الإتجاهى أكثر ملائمة لعمليات القياس وتحليل الاشكال .
- (د) لا نحتاج المخرجات البينائية الناتجة عن هذا الاسلوب الى ترجمة احداثية للنقط (X,Y) .

أما عيب الرئيسى لنماذج السلاسل المتكودة فهو عدم كفاءتها في عمليات حساب انعكاس الخطوط reflection ودورانها حول نقطة rotation ، كما أنها

تحتفظ بالعلاقات المكانية ولا يمكن استرجاعها بسهولة . بالإضافة إلى أنها تحتاج ملف سلسالى chained file يتم فيه ربط كل السجلات في معلم ما بمؤشر موجود في كل سجل ، وتؤمن تلك السجلات استرجاعاً أسرع من الملفات المتعاقبة لكنها تتطلب حيز تخزين كبير للمؤشرات وللفهرس .

ثانياً : نموذج البيانات الموزيكي Tessellation model :

تمثل نماذج الموزيك أو نماذج شبكة المضطعات أسلوب التجهيز مزدوج ، إذ يعتبر المضلع خلية يسجل بها البيانات المكانية في نماذج اتجاهية ، ومن هنا جاءت صفة الأزواجية . وينظر إلى المضلع باعتباره وحدة بيانات أساسية Basic data unit . وهناك عدة نماذج موزيكية تصلح لمعالجة البيانات الجغرافية المكانية .

١- نماذج موزيك شبكة الاحداثيات والمضطعات المنظمة الأخرى :

Grid & other regular tessellations:

تستخدم هذه النماذج اشكال المربعات والمثلثات والسداسيات كأساس لنماذج البيانات الموزيكية (شكل ١٣) . ويتميز كل شكل من تلك الأشكال بخصائص وظيفية تختلف عن الآخر تبعاً للاختلافات الهندسية بينها (Ahuja, 1983) .

وتأتى شبكة المربعات الاحداثية في المركز الأول من حيث الاستخدام لتوافقها مع بناء نظم البيانات في برامج لغة الفورتران Fortran programming language ، بالإضافة إلى ملائمتها لكثير من أجهزة الحاسب الآلى التى تقوم بخزن البيانات المكانية وإخراجها . وكذلك قابليتها لمزج عدة لغات حاسوبية في برنامج واحد مما يسهل عملية البرمجة بصفة عامة .

وفي المحاولات الأولى لإنشاء الخرائط بالحاسب الآلى أدت لطباعة السطرية line printer هي الأداة المتاحة لتمثيل المخرجات البيانية graphic output . (Tobler, 1959) وكان ينظر الى كل نقطة احداثية (رمزية) على العنصر الخطى على أنها خلية cell في شبكة مربعات . وعلى الرغم من الإضافات التكميلية التى جاءت بعد ذلك إلا أنها لم تغير من هذا النظام ، إذ كان المهدف من تلك

لأصوات زيادة سعة التخزين وزيادة سرعة الاسترجاع حتى يمكن التعامل مع بيانات كبيرة الحجم . بالإضافة إلى تحسين المخرجات البيانية باستخدام الحاسبات الخطية raster scanners والمقرقات digitizing devices ، وإحلال ثيوب أشعة الكاثود CRT* محل الطباعة السطرية . كما أن أجهزة الاستشعار من بعد مثل Landsat Mss تعالج البيانات في نظام شبكة إحداثيات (Pauquet & Boyle, 1984) . وقد تولد من كمية البيانات الضخمة المجمعة بأسلوب شبكة الإحداثيات الموجهة وأجهزة إدخال البيانات قصوراً ذاتياً محدوداً تجاه تناول تلك البيانات - هذا الأسلوب .

وتتميز الأشكال السداسية المنتظمة بتساوي المسافة بين مركز الخلية والخللايا المجاورة لها ، وكذلك تساوي المسافات بين المركز والنقط المحددة المحيط الخلية . بالإضافة إلى التناقص الإشعاعي من مركز الخلية مما يجعل البحث عن البيانات الأحداثية واسترجاعها أكثر سهولة . بعكس الحال بالنسبة للمربع فإن المسافات بين نقطة المركز ونقط المحيط غير متساوية .

أما الأشكال المثلثية سواء كانت منتظمة أو غير منتظمة فتتميز بأنها حرة التوجيه مما يجعل عملية ربط الخلية المثلثية بخللايا مجاورة من نفس الشكل أو من أشكال أخرى رباعية أو سداسية عملية سهلة . ويعتبر الشكل المثلثي مناسباً لتمثيل البيانات الجيومورفولوجية الخاصة بدراسة خصائص شكل سطح الأرض . إذ تستخدم رؤوس المثلث في تعيين المنسوب (شكل ١٥) أي قيمة الأحدث 2 ، كما أن الأضلاع تستخدم في تسجيل بيانات اتجاه المنحدر وقيمه . ويعتبر موزيك المثلثات غير المنتظمة (غير متساوية الأضلاع وغير متساوية الزوايا) أكثر شيوعاً في نماذج بيانات الدراسات الجيومورفولوجية من المثلثات المنتظمة ، لأن بيانات الأشكال الجيومورفولوجية عادة لا تجمع في شبكة عينات منتظمة . وبفضل استخدام موزيك المثلثات المنتظمة في تسجيل البيانات الخاصة بإنشاء الخريطة الكترونية لأنه أكثر سهولة وملاءمة لطبيعة بيانات نقط التماسيح خاصة في الميزانيات الشبكية (Bengtsson & Nordbeck, 1964) . وعند تطبيق معيار الكفاءة

* أشعة الكاثود عبارة عن شاشة تشبه شاشة التليفزيون لمشاهدة البيانات عليها ، وهي تعرض عادة من ٢٤-٢٥ سطرًا من البيانات . ويحتوي كل سطر على ما يتراوح بين ٦٠ ، ٨٠ بيترًا

على نظم البيانات المصممة لاستخدام شبكة المربعات الاحداثية والمعدة لحساب الخصائص المكانية للظاهرة مثل المساحة ، المركزية ، الشكل ، نلاحظ امكانية تعديلها لاستخدامها في نظم شبكات المثلثات والسداسيات (Ahuja, 1983) .

٢- نماذج الموزيك المتداخل Nested tessellation models

عندما يكون لدى الباحث الجغرافي كمية من البيانات فإنه يسجلها من ملف بيانات أو عدة ملفات ويخزنها على اسطوانة ويخصص لكل ملف مسار track من مساراتها . ولكن عندما يكون لديه كم هائل من البيانات مسجله في عدد كبير من الملفات لا يمكن تخزينها على اسطوانة واحدة حتى لو كانت من نوع الاسطوانات ذات سعة التخزين العالية جدا مثل الاسطوانة الثابتة fixed disk ، لأن ذلك يحتاج إلى تخصيص عدد من المسارات مساو لعدد تلك الملفات . ويرتب على هذا هبوط في كفاءة البحث عن ملف ما ضمن هذا الكم الكبير من الملفات ، ومن هنا جاءت فكرة نماذج الموزيك المتداخل .

ويمكن تقسيم موزيك شبكة المربعات الاحداثية وموزيك شبكة الاشكال المثلثية الى المستوى البلايمتري الى خلايا أصغر لها نفس الشكل (شكل ١٤) . ولكن هناك فروقا أساسية عند تقسيم كل من المربع والمثلث والسداسي . إذ يمكن تقسيم المربع الواحد الى مربعات أصغر لها نفس الشكل ونفس التوجيه . وكذلك يمكن تقسيم المثلثات الى مثلثات أصغر لها نفس الشكل ولكن ليس لها نفس التوجيه . بينما لا يمكن تقسيم الشكل السداسي إلى أشكال سداسية أصغر ، ولكن يمكن تقسيمه إلى شكل ورده سداسية مستنة الأحرف وهي شكل تقريبي للشكل السداسي الأساسي (شكل ١٣) .

وتتميز هذا الموزيك المقسم كنموذج ونظام للبيانات المكانية بعدة مميزات تجعله مقبولا لدى الباحثين الجغرافيين ولدى المستخدمين بالحاسب الآلي . ويتلخص هذا النظام — بداية — في تقسيم مساحة الاسطوانة الثابتة إلى مجموعات متشعبة ومتصلة ببعضها البعض بواسطة أذرع حتى يسهل التحرك والانتقال من خلالها . ولكل مجموعة من تلك المجموعات فهرس يصف ما تحويه من ملفات وبيانات ، ومن خلال هذا الفهرس يتم التعامل مع تلك المجموعة . ويطلق على الأذرع التي تربط المجموعة اسم المسارات path ، ويسمى هذا الهيكل العام لتنظيم البيانات

بالنظام الشجرى Tree System أو نظام شجرة الملفات . ويعتبر نموذج الشجرة الرباعية Quadtree الذى يقوم على تقسيم شبكة المربعات الاحداثية الى شبكة مربعات أصغر أكثر اعتماداً على استخدام (شكل ١٦) . ذلك لأنه يتناسب مع كمية البيانات الضخمة عند دراسة الظواهر الجغرافية ، بالإضافة الى المزايا القياسية الأخرى لنماذج الموزيك . ويتضح ذلك فى :

(أ) ينتج عن التقسيم الفرعى للمربع بنية شجرية رباعية متوازنة ومنظمة . ويعتبر هذا التقسيم فى حد ذاته نموذج بيانات هرمى ، حيث كل عقدة فى مركز المربع لها أربعة أفرع مما يسهل عملية تخزين البيانات وعملية البحث عن أى بيان لاسترجاعه ، إذ يعطى لكل عقدة عنوان مميز ، وتحفظ تلك العناوين فى ملف خاص بالعقد .

(ب) من وجهة النظر الكارثوجرافية فإن هذه الأشكال الناجمة عن تقسيم الشكل الأصل ذات مقاييس أو رتب مختلفة تقوم على أساس متوالية هندسية تتقدم بقوة ٤ (١-٤-١٦-٦٤-١٠٠) وتتسق مع نظام الاحداثيات الكارثيزية . ويترتب على تغيرات المستوى فى هذا النظام ضرورة اتباع أسلوب تخزين مناسب وسهل حتى يمكن استرجاع بيانات مخزنة من مستوى قاعدة الشجرة حتى مستوى قممها . ويسر نظام ملفات العقد عملية الاسترجاع هذه ، ومن هنا جاءت الميزة المذكورة من قبل . كما يمكن استخدام بيانات مخزنة فى مستويات ومن رتب مختلفة عند تقسيم المربع الصغير الى أربعة مربعات أصغر ، وهذا الأصغر يمكن تقسيمه الى أربعة أقسام وهكذا ، ولكن ذلك يحتاج الى نظام ملفات ضخمة ودقيق تبعاً لحجم التخزين .

(جـ) يقدم هذا النظام الشجرى تسهيلات ملموسة فى عملية الحزن وعمليات العرض خاصة إذا كانت الظاهرة الجغرافية موضع الدراسة يتطابق شكلها أو طبيعتها الى حد ما مع فكرة هذا النموذج . كما يتلاءم هذا النموذج الشجرى مع استخدام قواعد بيانات ضخمة .

والميزتان الأولى والثانية تتعلقان أيضاً بنمطى الموزيك المتداخل الآخرين :

الشكل المثلثي والشكل السداسي مع الأخذ في الاعتبار أن المضلع السداسي يقسم إلى سبعة أجزاء بدلاً من أربعة .

وقد اكتسب مصطلح الشجرة الرباعية Quadtree معنى أصوليا خاص بتحديد المستويات أو الرتب الداخلية لنظام البيانات الهرمي الذي يقوم على فكرة التقسيم المتتابع . وأول من وصف نظام الشجرة الرباعية Klinger عام ١٩٧١ في بحثه « نماذج البيانات المكعبة » (Klinger, 1971) . (Klinger & Dyer 1976) وأطلق عليه اسم Q-tree . كما استخدم هذا النظام كل من فينكل Finkel وستلي Bentley عام ١٩٧٤ عند تقسيمهما للمستطيل تقسيماً رباعياً يقوم على اختيار نقطة معينة يبدأ منها التقسيم وليس على أساس تقسيم رباعي منتظم للمستطيل (شكل ١٧) . وعلى الرغم من أن هذا النموذج أطلق عليه صاحبه اسم Q-tree أيضاً إلا أنه عرف فيما بعد باسم نموذج نقطة التقسيم الرباعي Point Quadtree تفادى الخلط بينه وبين نموذج الشجرة الرباعية الأصلي (Finkel & Bentley, 1974) . ويعتبر هذا النموذج من وجهة نظر الباحثين بعداً خاصاً لشجرة بحث ثنائية الأبعاد (Knuth, 1975) . أما هنتر Hunter فكان أول من استخدم للمصطلح صورته الحالية Quadtree (Hunter, 1978) .

ونموذج بيانات الشجرة الرباعية يرتبط بالشكل الهرمي ، والمهم ببساطة عبارة عن تراكب أسى متناقص لمصفوفات منفصلة ، وطول كل مصفوفة $\frac{1}{2}$ طول المصفوفة السابقة لها ، ولا يوجد ربط بين مستوى مصفوفة ما ومستوى المصفوفة التي تعلوها . ويتيح هذا النظام اكتشاف وتحديد أى مصفوفة لا تقوم على التقسيم بقوى ٤ عند المراجعة .

وفيما يلي مناقشة موجزة للأشكال المختلفة لنظام بيانات الشجرة الرباعية .

(أ) شكل الـ Area Quadtree : يمكن ملاحظة مفهوم الشجرة الرباعية ونظام العدد العشري المرتبط به إلى البيانات ذات الطبيعة المكانية . ففصل مثال هذا النوع من نظم البيانات نظام الشجرة الثنائية Oct tree (ذات الثمانية أفرع) ، كما يسمى أحياناً بالشجرة الرباعية ذات الأبعاد الثلاثة . والشجرة الرباعية الموحدة تعتمد على رتب (مستويات) مختلفة من البيانات في المستوى الثلاثي ، وهذا

تحملها بيانات خاصة بالبعد الثالث مثل المنسوب أو العمق أو حمليها بيانات خاصة بالأحجام أو خصائص الشكل في الفراغ ينتج عنها غابة forest من الأشجار الرباعية . ونوقع أن هذا النظام نراه في قاعدة البيانات الاحداثية gridded database التي تحمل احداثيات سينية وصادية واحداثيات البعد الثالث (Reddy & Rubin, 1978) ، (Jacking & Tanimoto, 1980) ، (Jackins & Tanimoto, 1983) .

ويمكن تقسيم المضلع السداسي الى شجرة سباعية Septree (ذات سبعة أفرع) ، وكما ذكرنا من قبل أن الشكل السداسي لا يمكن تقسيمه الى أشكال سداسية أصغر ، ولكن يمكن تقسيمه الى شكل ورده سداسية مسته . وهذا يستدعي أن يكون الشكل السداسي الأصغر الداخل الذي يقوم على أساسه التقسيم مسبق التحديد . ويعنى ذلك أن المستوى الأعلى من البيانات والذي ينتج من تجميع أشكال سداسية أصغر سيكون على شكل سداسي تقريبي (شكل ١٤) . وقد قام جيبسون Gibson ولوكاس Lucas عام ١٩٨٢ بتطوير نظام حساب خاص بالشجرة السباعية يقوم على خاصية التناقص الاشعاعي للمضلع السداسي . وتقوم عمليات تنفيذ هذا النظام على اختيار سبعة عناوين ، ولكل مجموعة فرغ عنوان address أو اسم خاص بها بشرط أن يكون هذا العنوان مناسب لما يحتويه الفرع من ملفات^(*) . ويسمى هذا النظام GBT اختصار لـ Generalized Balanced Ternary (شكل ١٨) . ويمكن تسجيل ملفات بيانات الاتجاه والمسافات والبيانات الأخرى على عناوين الـ GBT مباشرة .

ويعتبر تقسيم المضلعات مثلثية الشكل نوع آخر من أنواع الشجرة الرباعية ، ويسمى بالشجرة المثلثية triangular quadtree حيث يقسم المثلث الى ثلاثة مثلثات أصغر بحيث ينتج في النهاية شجرة ذات ثلاثة أفرع . ويحتفظ هذا النظام بكل مربا ومساوي، الموزيك المثلثي المنتظم بالإضافة إلى المربا المرتبطة بالية الهرمية . وعلى الرغم من أن نظام العنوان المؤشر مناظر لنفس نظم العناوين الشجرة

(*) على سبيل المثال يمكن اعطاء عنوان (CAD) لملفات مائات تصميم الرصع الجانية والخراط ، وعنوان (db 3 PLUS) لملفات قاعدة البيانات رقم ٣ . وعنوان (WP) لملفات مائات معالجة النصوص وهكذا .

في مصنوعات المربع والسدس ، إلا أنه يسمح بالترجاع بينات ملفات مخزنة بصورة أسرع .

وهكذا نرى بصفة عامة أن معظم نماذج وعظم البيانات المتطورة عن نمط الشجرة الرباعية المرتبط بنظام تعد العشري قد قامت على نظام التخزين الشجري وعنوان فهرس الملفات الذي يعتبر كمؤشر لسهول عمليه الاسترجاع . ولكن يشترط بصفة أساسية أن تنظم البيانات في ملفات في شكل قائمة list .

(ب) نموذج نقطة التقسيم الرباعي Point Quadtree : يقوم هذا النموذج على اختيار نقط بيانات أساسية تقسم منها المنطقة إلى أربعة أقسام حول كل نقطة (شكل ١٧) ، وينتج عن هذا نظام شجرة من الدرجة الرابعة . وليس من الضروري أن تحتل هذه النقط مراكز المربعات أو الملفات . ولذا كان تنظيم البيانات في الشجرة يتم على أساس الموقع النسبي للنقط اختارة ، فإن هذا يعكس على عملية الاسترجاع فتصبح أسرع ، كما أن العمليات لحسابية الخاصة بالعلاقات بين العناصر المتجاورة تتم بسهولة .

ويجب هذا النموذج أن نظام شجرة البيانات يعتمد الى حد كبير على كفاءة التوزيع النسبي للنقط المختارة ، وبالتالي يمكن إضافة نقط جديدة أو إزالة نقط كانت موجودة عند تنفيذ نظام البيانات . كما يؤدي سوء توزيع النقط الى امتداد بعض فروع الشجرة لمسافات بعيدة دون بقية الفروع مما يجعل الشجرة غير متوازنة .

وقد طور Bentley عام ١٩٧٥ هذا النموذج لتفادي ضخامة الفروع عن طريق تقسيم المنطقة حول نقط البيانات المختارة الى قسمين بدلاً من أربعة ، ونتج عن هذا الأسلوب شجرة من الدرجة الثانية (شكل ١٩) (Bentley, 1975) . ولتطور محور التقسيم حول احدائيات النقط المختارة في المستويات المختلفة في الشجرة ، بحيث يقسم المحور السيني الى أقسام متساوية ، والمحور الصادي الى أقسام غير متساوية حسب طبيعة البيانات المراد إدخالها في النظام . وهكذا نرى أن الأسلوب الثاني لبتل يمكن التحكم فيه على الأقل في اتجاه المحور السيني لمسافات يحددها الباحث نفسه ، وبالتالي استطاعة الفرع ينحصر في اتجاهات المحور الصادي .

وهذا على العكس من النموذج الرباعي الأصل الذى يمكن أن تذهب فيه الفروع الأربعة كلها لمسافات بعيدة داخل نظام البيانات .

٢- الموزيك غير المنتظم Irregular tessellation :

هناك اشكال عديدة لشبكة الموزيك غير المنتظم يبرز منها اشكال المربع والمثلث وخطاها الاشكال الرباعية . والميزة الاساسية لهذا النمط من الموزيك تمثل ل إمكانية استبعاد البيانات الزائدة عن الحاجة أو التخلص من بعض البيانات المتوفرة لتيسر عملية التحليل . كما يقدم إمكانية تشكيل شبكة تتوافق مع شكل التوزيع المساحى للبيانات . ومعنى آخر أن هذا النموذج يعتبر بمثابة مشروع يمكن تعديله من حين لآخر اثناء القيام بالتحليل تبعاً لإدراك الباحث لحجم الظاهرة وتوزيعها وكثافتها ، ومن ثم يخطط المضلعات المناسبة لها . اذ يمكن تخطيط خطاها المضلعات بحيث تعكس كثافة البيانات داخل كل خلية باعتبار أن الخلية ما هى إلا حاوية تحمل عدد مرات ظهور البيانات . وعلى ذلك يمكن أن تكون الخلية ذات مساحة اكبر لتعكس مدى تكرر الظاهرة أو ذات مساحة صغيرة عندما تكون البيانات كثيفة . أى أن حجم وشكل وتوجيه الخلايا انعكاساً لحجم وشكل وتوجيه عناصر البيانات نفسها . كما أن هذا النموذج يتيح عرض نتائج التحليل بصورة مرئية ، ومن هنا جاءت الفرص امام الباحث ليغير ويعدل من شكل الشبكة دون التقييد بشكل هندسى منتظم .

وتعتبر شبكة المثلثات غير المنتظمة والتي تعرف باسم TIN (Triangulated Irregular Network) وتسمى احياناً باسم Delunay Triangles اكثر استخداماً من غيرها كنموذج بيانات جغرافية مكانية ، خاصة ل تمثيل بيانات سطح الأرض وتحليل الاشكال الجيومورفولوجية وتظليل التضاريس والخرائط الهيدرولوجية ، اذ يمكن اعتبار رؤوس المثلثات كنقط مناسب تحدد قيمتها (شكل ٢٠) . وذلك لما لى :

(أ) تجنب مشكلة نقطة السرج saddle point problem المعروفة والتي تظهر عند انشاء خطوط الكنتور عن طريق ميزانية شبكة رباعية الأضلاع ، أو عند انشاء أى خطوط تساوى .

(ب) تيسر حساب قيم المنحدر والمنحدرات والقياسات الأخرى الخاصة بشكل سطح الأرض ، وكذلك معدل التغير في الظاهرة على امتداد أضلاع المثلث .

(جـ) يتيح توزيع النقط توزيعها يرتبط بموضوع البحث وتسجيل البيانات الخاصة بكل نقطة ، مثل نقط محطات قياس التصريف النهري على مجارى شبكة تصريف ، أو نقط محطات رصد العناصر الجوية خاصة سقوط الأمطار داخل حوض التصريف ، أو عدد مرات حدوث العاصفة الرعدية عند محطات معينة لأمكان التنبؤ بوقوع سيون مدمرة في المناطق المجاورة وشبه المجاورة .

وتواجه شبكة الـ TIN مشكلة رئيسية تتمثل في إمكانية انشاء شبكة مثلثات يختلف شكلها من باحث لآخر لنفس مجموع النقط . بالإضافة الى ان هناك طرقاً مختلفة لحسابات التثليث التي قد تتطلب وقتاً أطول بكثير من الوقت اللازم للتعامل مع مجموعة نقط موزعة توزيعاً منتظماً .

هناك شكل آخر من اشكال الموزيك غير المنتظم يعرف بمضلعات Thiessen وقد ابتكرها الأستاذ Thiessen, A.H عام ١٩١١ عند دراسته لكمية الأمطار الساقطة على أحواض التصريف الواسعة ولذلك سميت باسمه . ويتم تخطيط تلك المضلعات على أساس المثلثات غير المنتظمة (شكل ٢١) . وقد استخدمت شبكة هذا النوع من المضلعات لبناء نظم بيانات خاصة بالجغرافيا الاقتصادية . إذ يتم تخطيط الشبكة على أساس تحديد وزد كل نقطة ، أى قوة كل نقطة كى تؤثر في المنطقة المحيطة بها . وقد استخدم Boots عام ١٩٧٩ هذا الأسلوب بنجاح في دراسته للجغرافية التصريف ومشكلة اختيار مواقع الاسواق .

وعلى أى حال ، يرى الباحث أن شبكة الموزيك غير المنتظم لا تتناسب مع معالجة البيانات الجغرافية المكانية بصفة عامة ، ولذلك تعتمد أشكالها والشكل الذى يتناسب مع بيانات معينة لا يتناسب مع أخرى . كما أن تشكيل الشبكة عملية معقدة وتستغرق وقتاً طويلاً ، إلا أنها مناسبة تماماً للدراسات الجيومورفولوجية والهيدرولوجية وتطبيقاتها .

٤- نموذج خط المسح : Scan-line model :

يعتبر هذا النموذج حالة خاصة في نظم شبكات خلايا المربعات . ويحتل الاختلاف الرئيسى بينه وبين تلك النظم ل أن خلاياه تنظم في صفوف متلاصقة — غير مسطح البيانات — في اتجاه المحور السيني ، ولا ترتبط ببعضها برابط منطقي في اتجاه المحور الصادي . وهذا يعنى أن الخلية بمفهومها الدقيق غير موجودة في هذا النظام الذى يسمى أحيانا بنموذج خطوط المسح raster . ويرجع ذلك الى طبيعة طريقة تكوين خطوط المسح التى تأخذ اتجاهها واحداً من اليسار الى اليمين . ويستخدم هذا الأسلوب عدد من أجهزة الترميز مثل جهاز scitex drum scanner .

وعلى الرغم من أن هذا النموذج أكثر إحكاما من شبكة الاحداثيات ، كما لا يترتب عليه اعباء اجراء عمليات حاسية ، إلا أن به عدة قيود تواجه عملية بناء نظامه . يأتي في مقدمتها عدم توافر الشرط الخامس من الشروط الواجب توافرها عند إعداد نظام بيانات وهو شرط ال versatility أى سهولة تحويل نموذج البيانات من نظام الى آخر . اذ نحتاج معالجة البيانات الخاصة بالعلاقات بين العناصر المتجاورة الى تحويلها لشبكة مربعات احداثية أولاً . وعلى ذلك فإن هذا النموذج غير شائع الاستخدام .

٥- نموذج خطوط بينو : Peano scans :

ينسب اسم هذا النموذج الى عالم الرياضيات Giuseppe Peano الذى اكتشف عام ١٨٩٠ المفهوم الهندسى للمنحنى . فالمنحنى عبارة عن مسار خلال فراغ له أى عدد من الأبعاد (ن بعد) في اتجاه ما . ومن وجهة نظر الحاسب الآلى فإن هذا المفهوم يحقق الترابط المكاني لخط المسح الذى يتشكل في بعد واحد (خط المسح يكون في اتجاه واحد على شاشة انبوب الكاثود من اليسار الى اليمين) . كما أن هذا المفهوم يسمح بالانتقال من خط مسح الى آخر في نفس المستوى أو في أى مستوى من مستويات الفراغ . ولذلك تسمى منحنيات بينو Peano Curves منحنيات حشو الفراغ space-filling curves . وبين (شكل ٢٢ أ) مثال لمنحنى بنو بسيط ل بعدين . وكل تغير في الاتجاه يأخذ مسار الزاوية القائمة .

كما بين (شكل ٢٢ ب) منحنى ينو في ثلاثة أبعاد يتم فيه الانتقال من مسار في المستوى الأفقى الى مسار في المستوى الرأسى في زاوية قائمة .

وتتميز خطوط ينو بعدة خصائص تفيد في معالجة البيانات الجغرافية المكانية هي :

(أ) يمر المنحنى بكل نقطة بيانات في فراغ القاعدة dataspac - مرة واحدة .
نقط أها كان موقع هذه النقطة ولى أى مستوى .

(ب) أن نقط البيانات القريبة من بعضها البعض في الفراغ قريبة لبعضهما البعض في المنحنى والعكس صحيح .

(ج) يقوم المنحنى بتعديل نفسه كى يتوافق مع البيانات الخاصة به ومع أية عدد من الأبعاد في الفراغ .

ويعتبر الفهرس المساحى في نظام المعلومات الجغرافية الكندى CGIS (Canada Geographic Information System) أول تطبيق عملى لخطوط ينو المسحية كنموذج بيانات جغرافى (Tomlinson, 1973) . إذ قسمت البيانات المساحية الاحداثية في قاعدة بيانات هذا الفهرس الى وحدات هيكلية unit frames يتلامس حجمها مع عمليات المعالجة والاسترجاع . ولكل إطار هيكل في النظام رقم شفرى معين يبدأ من نقطة أصل النظام الاحداثى الخاص به . وقد تنامت تلك الوحدات في نظام ينتشر على شكل العلامة  (شكل ٢٣) اطلق عليه اسم نظام مصفوفة مورتون Morton matrix على اسم مصممها (Morton, 1966) . ولى نموذج خطوط مسح ينو تغير ترتيب الوحدات الى شكل حرف Z  (شكل ٢٤) . وقد استخدم مخطط الفهرس المكانية طريقة العنوان (مؤشر) كفاصل بين الوحدات المتجاورة في ملف الأرقام ، يعمل على زيادة سرعة الاسترجاع خاصة في المناطق المحدودة . ويمكن ترطيف تلك العناوين في فصل التمثيل الثنائى للاحداثيات الجغرافية السنية والصادية (شكل ٢٥) .

وللاحظ عند فحص خطوط ينو انها تتشابه مع نظام الشجرة الرباعية فيما عدا انها تأخذ ترتيب شكل حرف Z . ولكن يجب ملاحظة أن مخطط عناوين الشجرة الرباعية يختلف عن مخطط عناوين مصفوفة مورتون على أساس أن

المصفوفة يمكن التعرف على مستوياتها من ملف العناوين مباشرة ، بينما لا يمكن تحديد مستوى نظام الشجرة الرباعية من كود العناوين إلا باستخدام كود إضافي . وقد استطاع كل من Smith ، Adel ابتكار مخطط يتطابق فيه ارقام العناوين مع مستويات نموذج الشجرة الرباعية (شكل ٢٦) .

ومن مميزات منحنيات بيتوف المجال التكنولوجي لأجهزة الحاسب الآلى انها تساعد لعمليات الترميز وحفظ البيانات فى النطاق الفراغى والطيفى وعرض الصورة فى المجال متعدد الأطياف . ذلك لأن التقنيات الحديثة فى معالجة وتحليل البيانات المصورة تم داخل انبوب واحد فقط (انبوبة أشعة الكاثود) أى ذى طبيعة خطية ، ومنحنيات بيتو تسمح باختزال البيانات متعددة الأبعاد داخل بعد واحد ، كما تسمح بالحفاظ على كثير من العلاقات المكانية داخل خطوط المسح ذات البعد الواحد .

تقديم عام ...

من العرض السابق لنماذج ونظم البيانات الجغرافية المكانية الثلاثة السابقة الخريطة والنموذج الاتهامى والنموذج المونيكى يمكن أن نتلمس بعض من المزايا والصوب تتصل بالنموذج ذاته . ونموذج الخريطة يمكن التغلب على عيوبه باستحداثها بصورة دورية والبحث عن تقنيات تيسر عملية سلخ كل ظاهرة منها على لوحة مستقلة ليسهل التعامل معها دون الاعتداد على عملية الرسم البنوى .

ونماذج البيانات الاتهامية ما هى إلا ترجمة رقمية مباشرة للخطوط والعلامات على الخريطة ، وهذا يعنى أن العمليات الحاسوبية الخاصة بهذه النماذج هى ايضا ترجمة مباشرة للعمليات الحاسوبية الهندية التقليدية ، وبالتالى يعتمد نجاح الباحث فى تناول تلك النماذج على خبرته الشخصية فى إجراء عمليات حاسوبية . والعيب الرئيسى فى نماذج البيانات الاتهامية يتمثل فى ضرورة تسجيل وحساب العلاقات المكانية بوضوح . ولما كان هناك عدد لا نهائى من العلاقات المكانية المحتملة فإنه يجب وضع إطار للأولويات الخاصة باختيار العلاقات الضرورية اللازمة فقط التحليل .

وعلى العكس من ذلك فإن العلاقات المكانية هي الأساس التي انشئت عليها نماذج البيانات الموزيكية . وتجاهد التقنيات الحديثة في تطوير زيادة سرعة وحدات الإدخال ووحدات الإخراج في معالجة البيانات الجغرافية بصفة عامة (عناصر وعلاقات) ، ويتفق هذا مع نماذج الأحداث وخطوط المسح . وهيب تلك النماذج أنها غير مندمجة ، بمعنى أنها تستطيع تخزين ومعالجة كمية ضخمة من البيانات ، ولكن يتأق ذلك عن طريق عدد كبير من الاسطوانات . ويمكن تقادى هذا الهيب باستخدام واستحداث نوعيات من تقنيات التخزين . وهناك عيب شخصى — من وجهة نظر الباحث — يتمثل في قلة خبرة الجغرافيين في تناول ومعالجة العمليات الحسابية المتعلقة بهذه النماذج ، لكن يبدو أن هذا العائق سوف يتقلص بل ويتلاشى في النهاية بالتدريب والتعود على استخدام الحاسبات الآلية في البحث الجغرافى .

وتتميز نماذج البيانات الاتجاهية والموزيكية بعلاقات مضنية مزدوجة فيما بينها . فالعصر المنطقى الرئيسى في النموذج الاتجاهى هو الكيان المكائى spatial entity الذى يمكن تمثيله على سطح الأرض أو من داخل مضمون دراسة معينة ، والتنظيم المكائى لهذا الكيان هو ببساطة عملية تخزين منظم لصفات وخصائص هذا الكيان في النموذج . والعنصر المنطقى الرئيسى في النموذج الموزيكي هو الموقع في الفراغ location in space ، ووجود شئ معطى — بلغة الحاسب الآلى — أى بيانات عن هذا الموقع وهو ببساطة عملية تخزين منتظم لصفات وخصائص وعلاقات هذا الموقع في النموذج .

والخلاصة : يمكن للباحث القول انه ليس هناك نموذج ونظام بيانات له خصائص جوهرية تجعله أفضل في تمثيل الواقع المدروس من غيره ، فأساليب التمثيل والحساب تنبع من طبيعة البيانات نفسها والتطبيقات المستهدفة من توظيفها ، حتى لو كان هذان الجانبان يتميزان نظريا بالقدرة على التكيف مع نمط ما من البيانات أو العمليات .

المراجع الرئيسية

- 1 - Abdel, D.J. & Smith, J.H., 'A Data Structure and Algorithm Based on a Linear Key for a Rectangle Retrieval Problem'. Computer Vision, Graphics and Image Processing, Vol. 24, pp. 4-14.
- 2 - Ahuja, N., 'On Approaches to Polygonal Decomposition for Hierarchical Image Decomposition'. Computer vision, Graphics and Image Processing, Vol. 24, pp. 200-214, 1983.
- 3 - Bengtson, B. & Nordbeck, S., 'Construction of Isarithms and Isarithmic Maps by Computers'. Nordisk Tidschrift for Informations Behandling, Vol. 4, pp. 87-105, 1964.
- 4 - Bentley, J.L., 'Multidimensional Search Trees Used for Associative Searching'. Communications of the ACM, Vol. 18, pp. 509-517.
- 5 - Board, C. 'Maps as Models', in Models in Geography, ed. P. Hagget, pp. 671-725, Methuen & Co., Ltd., London, 1967.
- 6 - Boots, B.N., 'Weighting Thiessen Polygons'. Economic Geography, pp. 248-259, 1979.
- 7 - Bouille, F., 'Structuring Cartographic Data and Spatial Processing with the Hypergraph-Based Data Structure'. Proceeding of the first International Symposium on Topological Data Structures for Geographic Information Systems, Harvard Univ., Cambridge, 1978.
- 8 - Cederberg, R., 'Chain-link Coding and Segmentation for Raster Scan Devices'. Computer Graphics & Image Processing, Vol. pp. 224-234, 1979.
- 9 - Chakravarty, I., 'A Single-Pass, Chain Generating Algorithm for Region Boundaries'. Computer Graphics & Image Processing, Vol. 15, pp. 182-193, 1981.
- 10- Chorley, R.J. & Hagget, P., 'Socio-Economic Models in Geography'. pp. 21-26, London, 1973.
- 11- Coxeter, H.S.M., 'Regular Polytopes'. Dover Publications Inc., New York, 1973.

- 12- Darcy, M. & Marble, D., 'Some Comments on Certain Technical Aspects of Geographic Information Systems'. Technical Report No. 2 of ONR Task No. 389, Office of Naval Research, Geography Branch, 1965.
- 13- Finkel, R.A. & Bentley, J.L., 'Quad-Tress: A Data Structure for Retrieval on Composite Keys'. *Acta Informatica*, Vol. 4, pp. 1-9, 1974.
- 14- Freeman, H., 'Computer Processing of Line-Drawing Images'. *Computing Surveys*, Vol. 6, pp. 57-97, 1974.
- 15- Freeman, H., 'Analysis and Manipulation of Line-Drawing Data'. *Proceedings of the Nato Advanced Study Institute on Map Data Processing*, Maratea, Italy, 1979.
- 16- Gibson, L. & Lucas, D., 'Vectorization of Raster Images Using Hierarchical Methods'. *Computer Graphics & Image Processing*, Vol. 20, pp. 82-89, 1982.
- 17- Hagget, P., 'Geography: A modern synthesis'. pp. 16-24, London, 1972.
- 18- Hunter, G.M., 'Efficient Computation and Data Structures for Graphics'. Princeton Univ. N.J., 1978.
- 19- I.G.U. Commission on Geographical Data Sensing and Processing, *Information Systems for Land Use Planning*, report prepared for Argonne National Laboratory, 1975.
- 20- I.G.U. Commission on Geographical Data Sensing and Processing, *Technical Supporting Report D.*, U.S. Dept. of the Interior, office of Land Use and Water Planning, 1976.
- 21- Jackins, C.L. & Tanimoto, S.L., 'Oct-tress and their Use in Representing Three-dimensional Objects'. *Computer Graphics & Image Processing*, Vol. 14, pp. 249-270, 1980.
- 22- Klinger, A., 'Patterns and Search Statistics'. in *Optimizing Methods in statistics*, ed. J.S., Rustagi, pp. 303-337, New York, 1971.
- 23- Klinger, A. & Dyer, C., 'Experiments on Picture Representation Using Regular Decomposition'. *Computer Graphics & Image Processing*, Vol. 5, pp. 68-105, 1976.
- 24- Klinger, A. & Fu, K.S. & Kunit, I.L., 'Data Structures'. *Computer Graphics & Pattern Recognition*, New York, 1977.

- 25- Knuth, D., 'The Art of Computer Programming, Vol. III: Sorting and Searching, Addison-Wesley, Reading, Mass., 1973.
- 26- Mark, D.M., 'Phenomenon -Based Data- Structuring and Digital Terrain Modelling'. Geo-Processing, Vol. 1, pp. 27-36, 1979.
- 27- Martin, J., 'Computer Data-Base Organization', Prentice Hall, 1973.
- 28- Morton, G.M., 'A Computer Oriented Geodetic Data Base, and New Technique in File Sequencing'. 1966.
- 29- Peucker, T. & Chrisman, N., 'Cartographic Data Structures'. The American Cartographer, Vol. 2, pp. 55-69, 1975.
- 30- Reddy, D.R. & Rubin, S., 'Representation of Three-dimensional Objects'. 1978.
- 31- Scholten, D.K. & Wilson, S.O., 'Chain Coding with a Hexagonal Lattice', IEEE Transactions on Pattern Analysis and Machine Intelligence, Vol. 5, pp. 526-533, 1983.
- 32- Tobler, W., 'Automation and Cartography'. Geographical Review, Vol. 49, pp. 626-234, 1959.
- 33- Tomlinson, R.F., 'A Technical Description of the Canada Geographic Information System'. report, 1973.
- 34- U.S. Dept. of Commerce, Bureau of Census., 'The DIME Geocoding System'. In Report No. 4, Census Use Study, 1969.
- 35- Ullman, J., 'Principles of Databases Systems'. Rockville, Md., 1983.



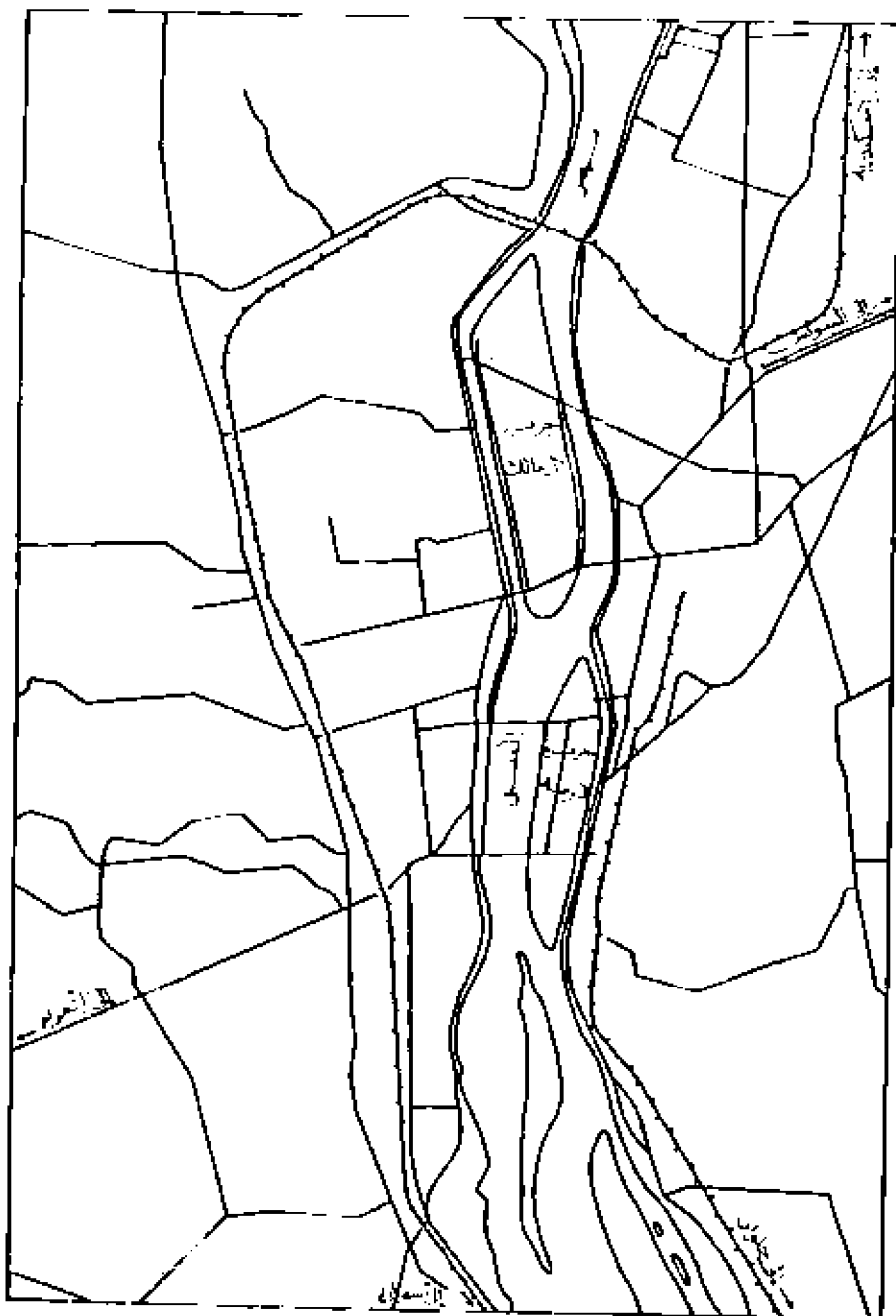
شكل (١)

جزء من لوحة حرب القاهرة الطبرهراية مقياس ١ : ١٠٠,٠٠٠ (نصير بنك معلومات)



البيانات الجغرافية والبيانات السكانية والبيانات الاقتصادية والبيانات الاجتماعية والبيانات الثقافية والبيانات البيئية

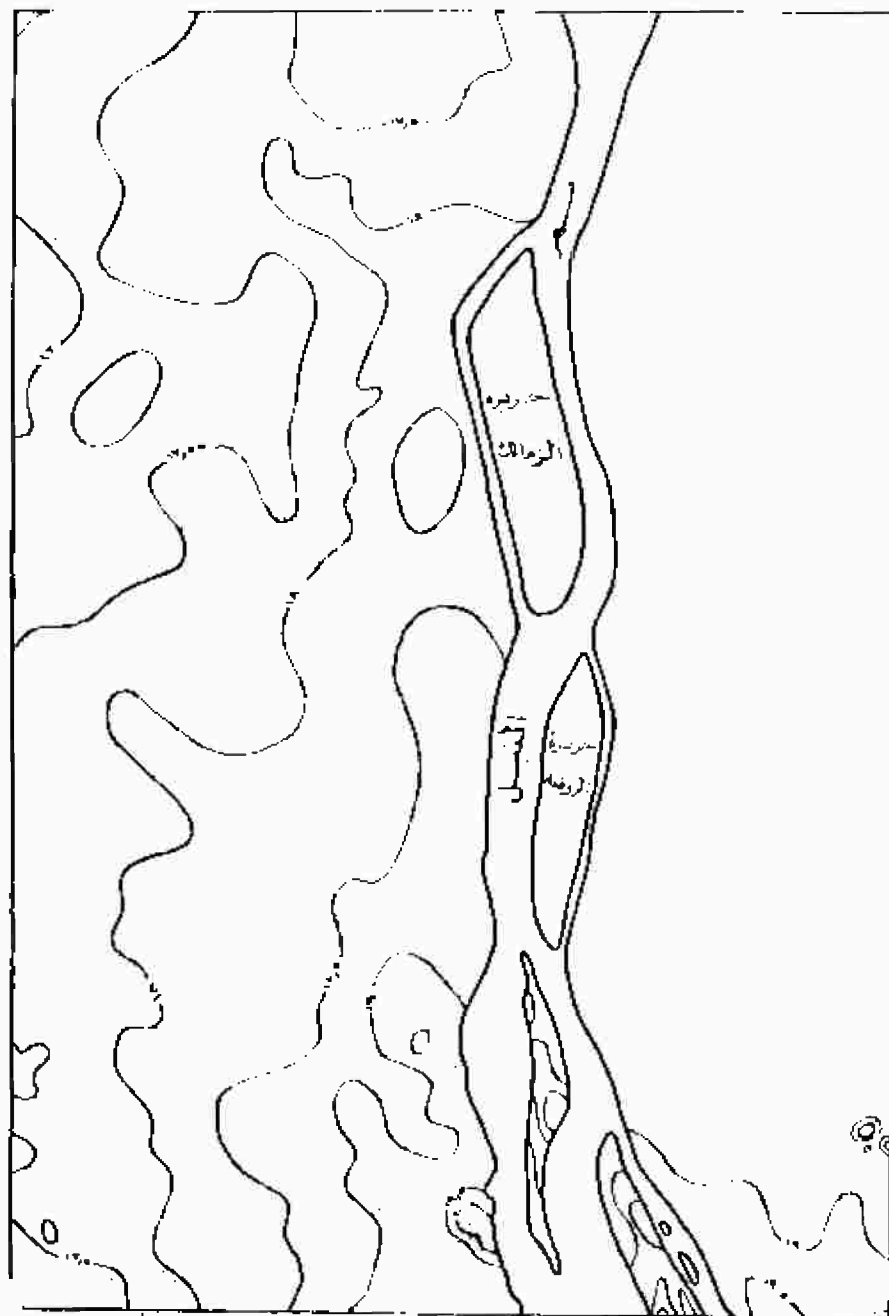
فصل النطاق السكنى لجزء من لوحة غرب القاهرة الطبوغرافية مقياس ١ : ١٠٠,٠٠٠
 تاهم شكل (١)



تابع شكل (١)

فصل خطوط السكك الحديدية والطرق الرئيسية لجزء من لوحة غرب القاهرة الطبوغرافية

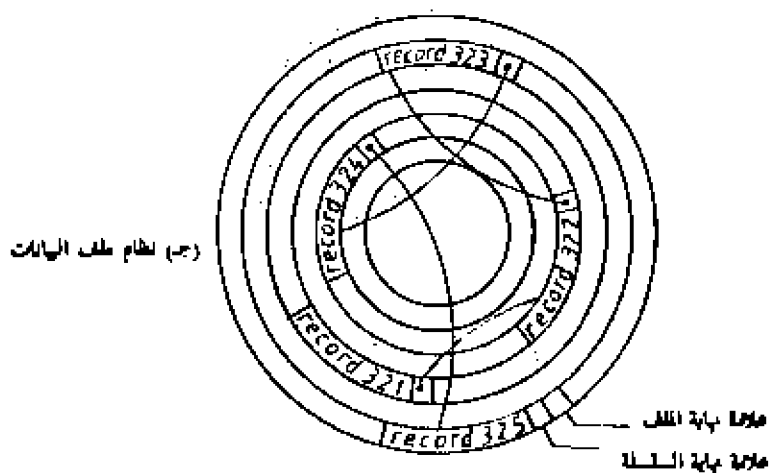
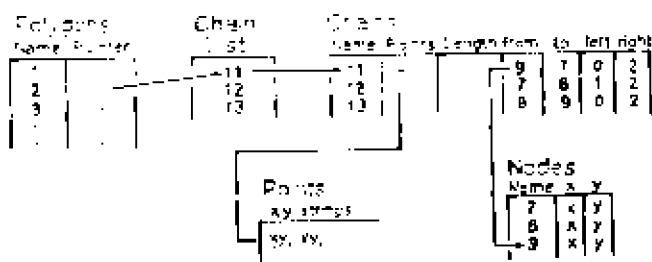
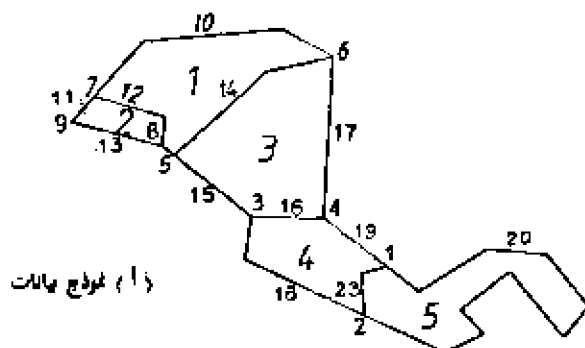
مقياس ١ : ١٠٠,٠٠٠



تابع شكل (١)

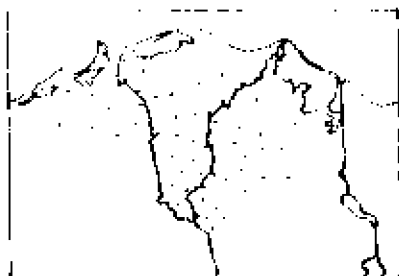
فصل مبرى نهر النيل وخطوط الكنتور لجزء من لوحة غرب القاهرة الطبوغرافية ملباس

١ : ١٠٠.٠٠٠



شكل (٢) : مخرجات قارن البيانات

بيانات نقطية

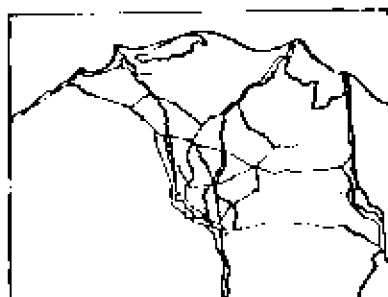


عواصم المراكز الادارية في الدلتا



خطوط تصريف بعض الأودية الجافة الرئيسية
في الصحراء الشرقية وشبه جزيرة سيناء
(بيانات خطية — عناصر في نظام معين)

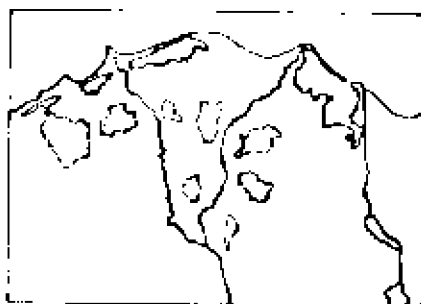
خطوط المواصلات الرئيسية في الصحراء
الشرقية وشبه جزيرة سيناء
(بيانات خطية — خطوط منعزلة)



شبكة خطوط السكك الحديدية في الدلتا
(بيانات خطية ، نظام شبكة)

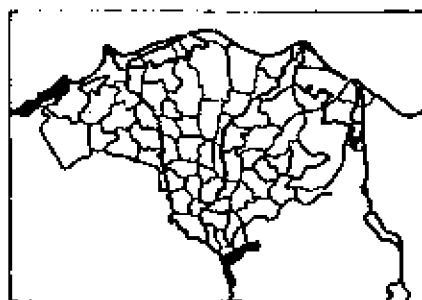
شكل (٣) الخاطة البيانات المكانية

هـ
بيانات المضلعات . مضلعات منفردة



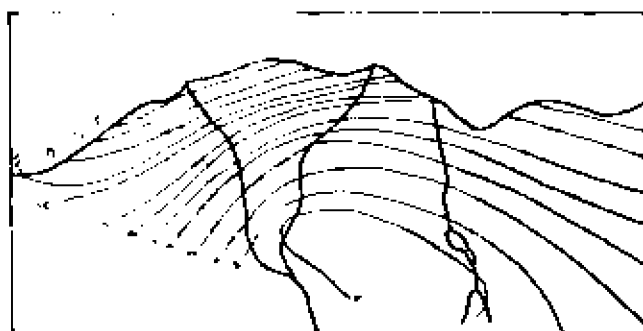
بعض المراكز الادارية في الدكا

و
بيانات المضلعات . مضلعات متجاورة



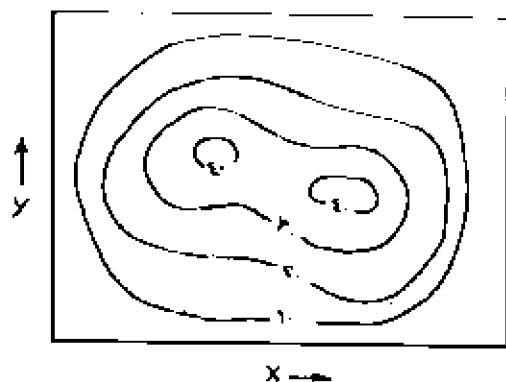
حدود المراكز الادارية في الدكا

ز
بيانات المضلعات ،
مضلعات متشابهة

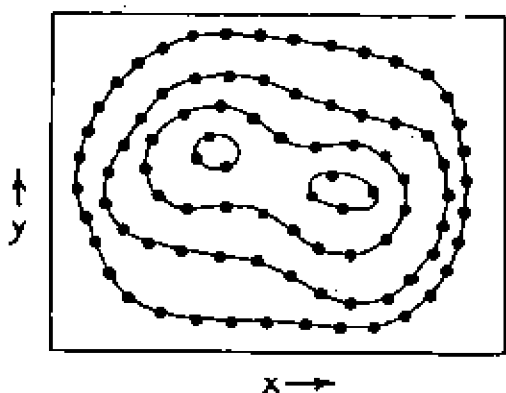


مخطوط تبارى كمية المطر السنوى بالمليمتير في الدكا وشمال سيناء

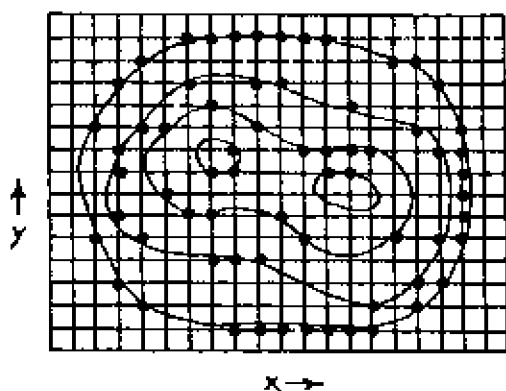
تابع شكل (٣) . الخاط البيانات المكانية



الخريطة الكنتورية الأصلية



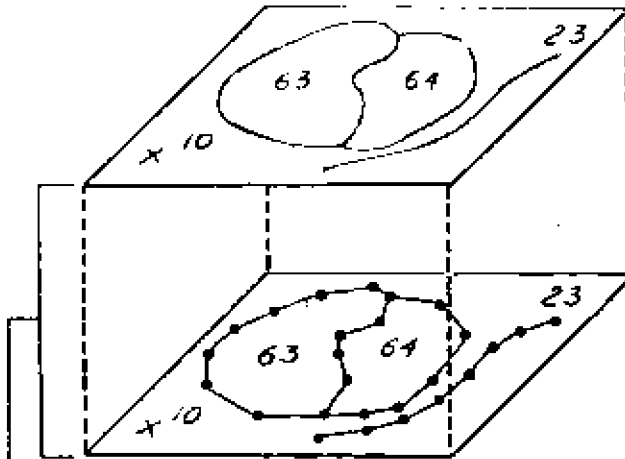
الخريطة الاتجاهية Vector



الخريطة الموزاكي Tessellation

شكل (٤) . الانمط الرئيسية نماذج الهياكل المكانية

الخريطة الأصلية



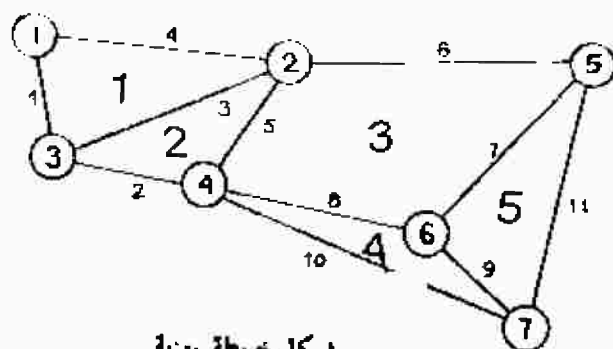
تمثيل الخريطة
بالاحداثيات الكارتيزية

(نموذج بيانات)

نظام بيانات

Feature	Number	Location
Point	10	X, Y (نقطة فردية)
Line	23	$X_1Y_1, X_2Y_2, \dots, X_nY_n$ (سلسلة احداثيات)
Polygon	63	$X_1Y_1, X_2Y_2, \dots, X_1Y_1$ (حلقة مغلقة)
	64	$X_1Y_1, X_2Y_2, \dots, X_1Y_1$ (نظام بيانات)

شكل (٥) : نموذج البيانات غير المنظم



شبكة خريطة رمزية

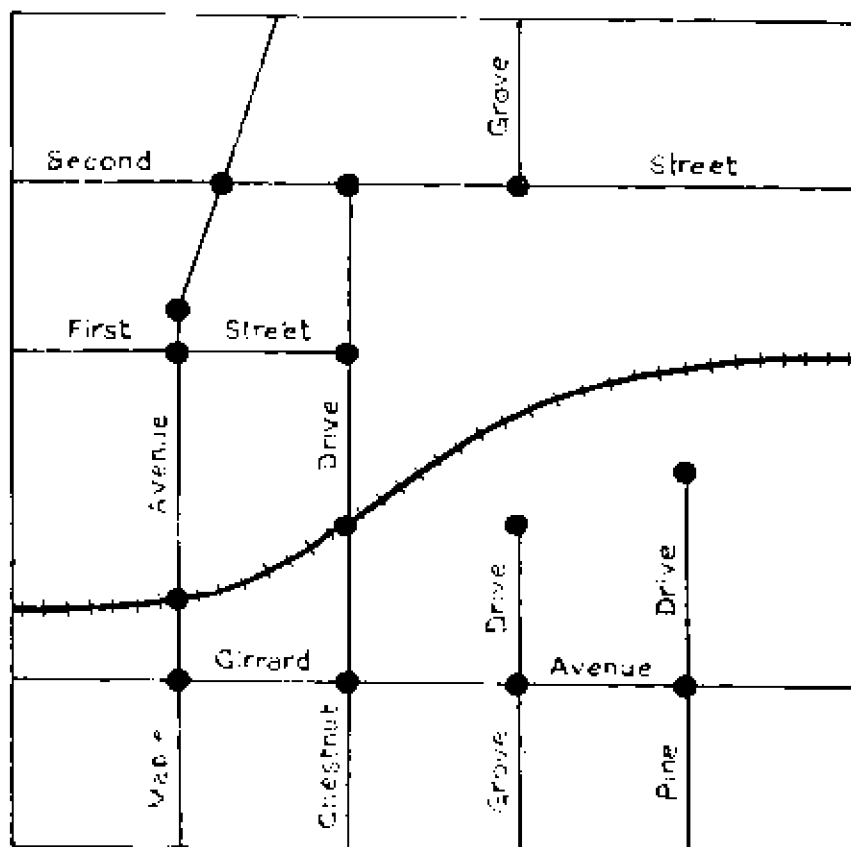
Link	Right Polygon	Left Polygon	Node 1	Node 2
1	1	0	3	1
2	2	0	4	3
3	2	1	3	2
4	1	0	1	2
5	3	2	4	2
6	3	0	2	5
7	5	3	5	6
8	4	3	6	4
9	5	4	7	6
10	4	0	7	4
11	0	5	5	7

شبكة رمزية طبولوجية + ملف العلاقات

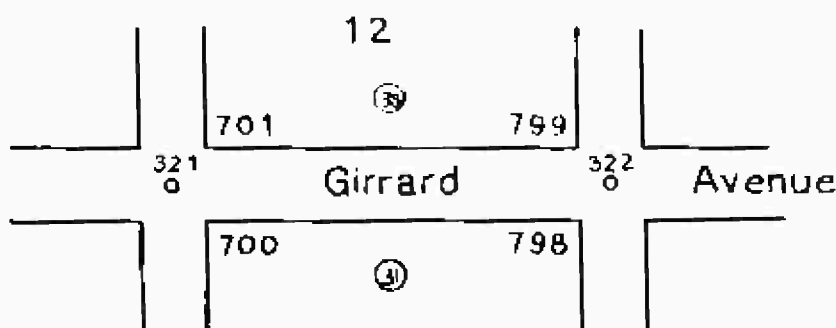
Node	X Coordinate	Y Coordinate
1	23	8
2	17	17
3	29	15
4	28	21
5	8	26
6	22	30
7	24	38

ملف الإحداثيات السوية والصادية للنقط العنقدة

شكل (٦) : نموذج البيانات الطبولوجي

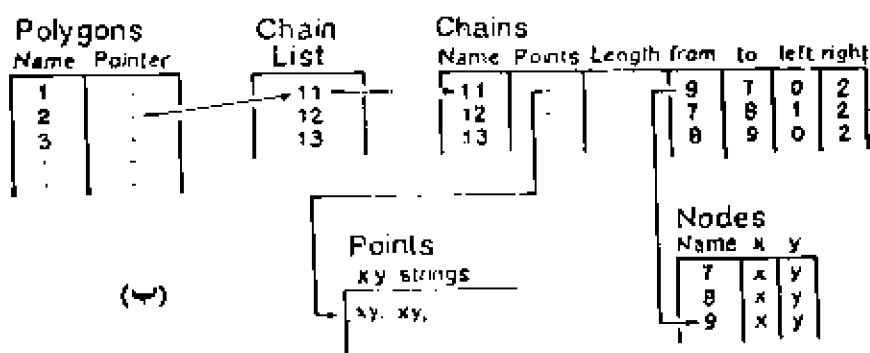
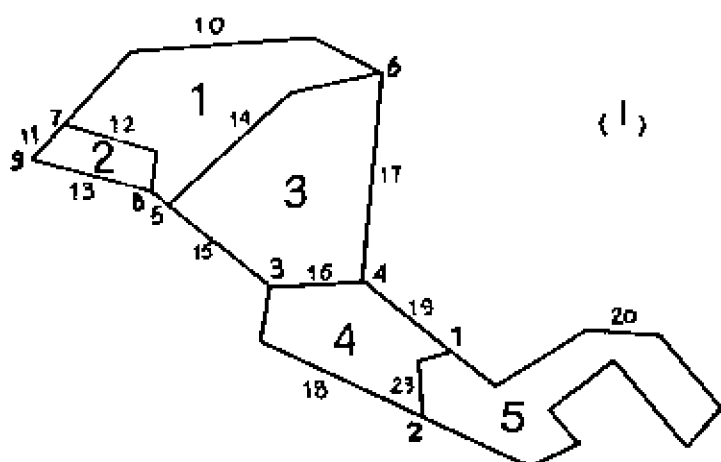


شكل (٧) : العناصر الهيكلية ملف الـ DIME

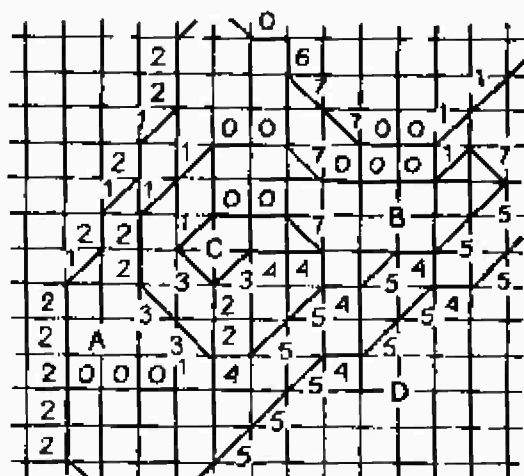
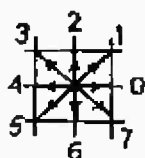
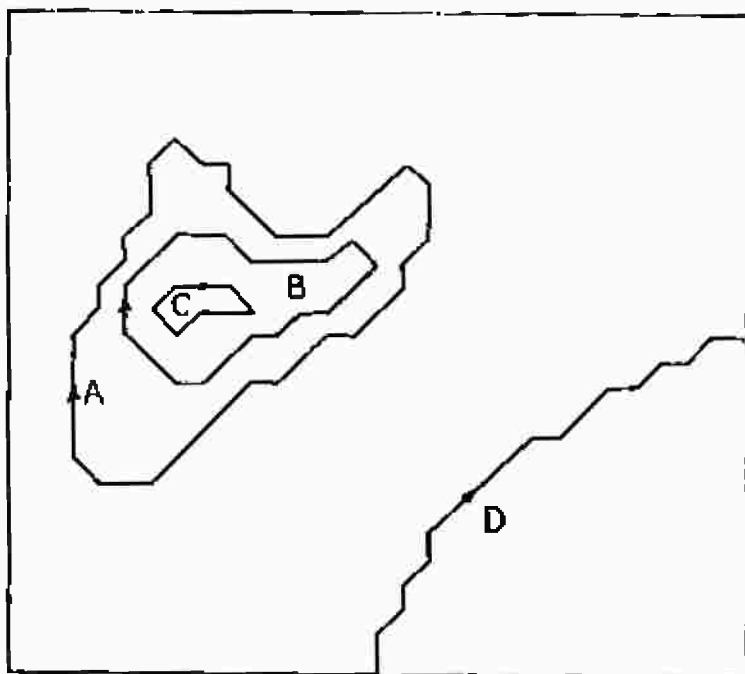


Street Name	GIRRARD
Street Type	Avenue
Left Addresses	701-799
Right Addresses	700-798
Left Block	38
Left Tract	12
Right Block	31
Right Tract	12
Low Node	321
X-Y Coordinate	155 000 - 232 000
High Node	322
X-Y Coordinate	156 000 - 234 000

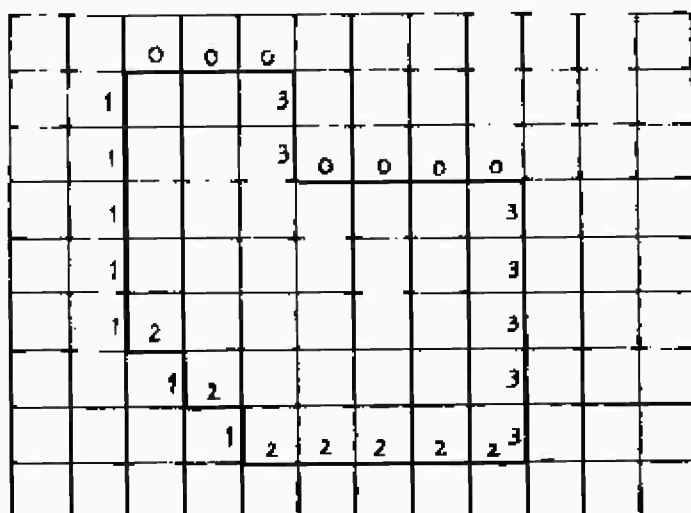
شكل (٨) : مثال بين سجل ملف الـ DIME



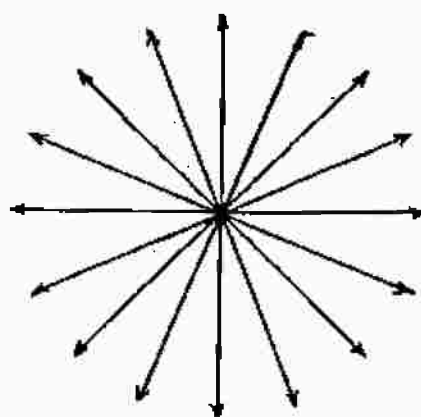
شكل (أ) : نموذج بيانات العاكس لوضع المضلعات
(ب) نظام بيانات النموذج العاكس للمضلعات



شكل (١٠) : مثال لخريطة كمعربة باستخدام نموذج الالامل المكزدة

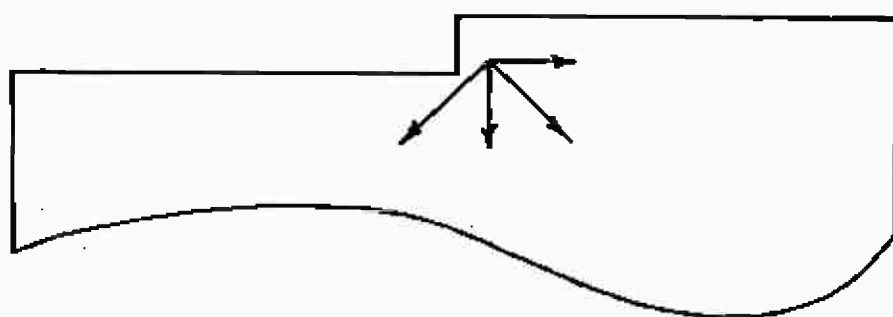
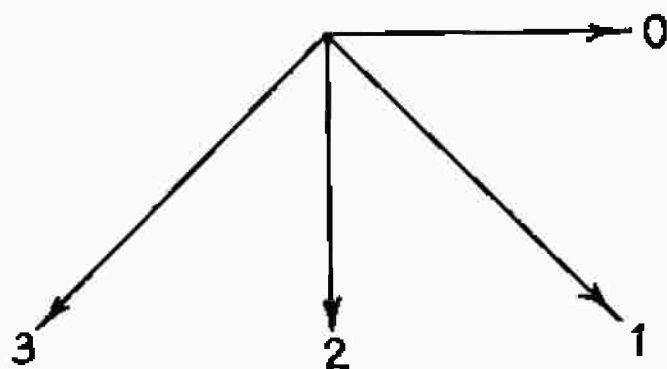


أرבע الجهات كودية (رمزية)

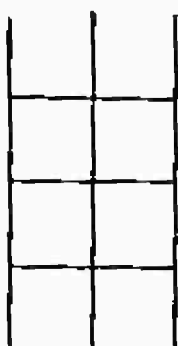
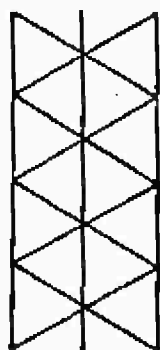
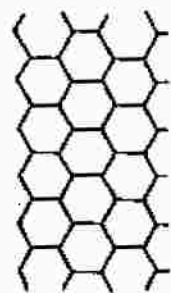


سطع عشر الجهات كوديا (رمزيا)

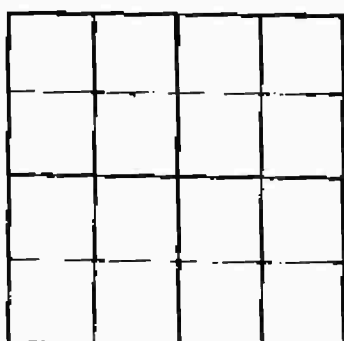
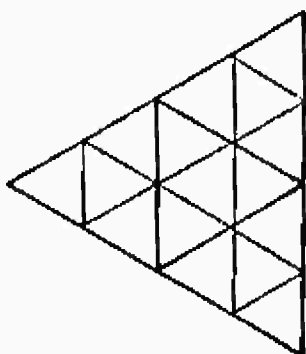
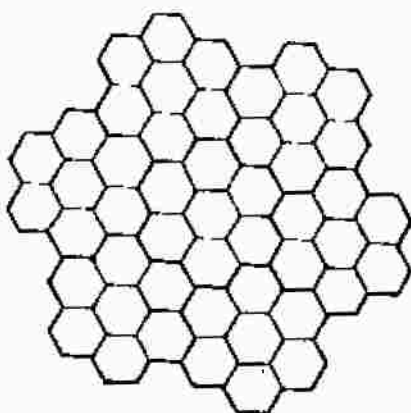
شكل (١١) : مخطط بين السلاسل المكودة لـ ٤ ، ١٦ الجهات



شكل (١٢) : مخطط سلاسل خط المسح raster المكونة



شكل (١٣) : أشكال نماذج الهياكل المربكة المعقدة

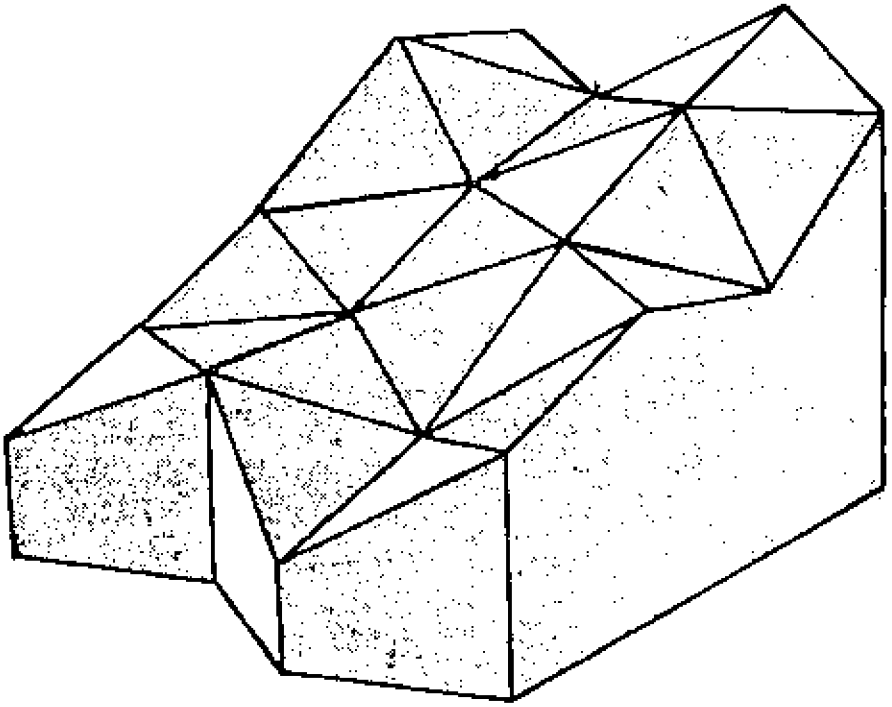


الوردة (الزهرة)

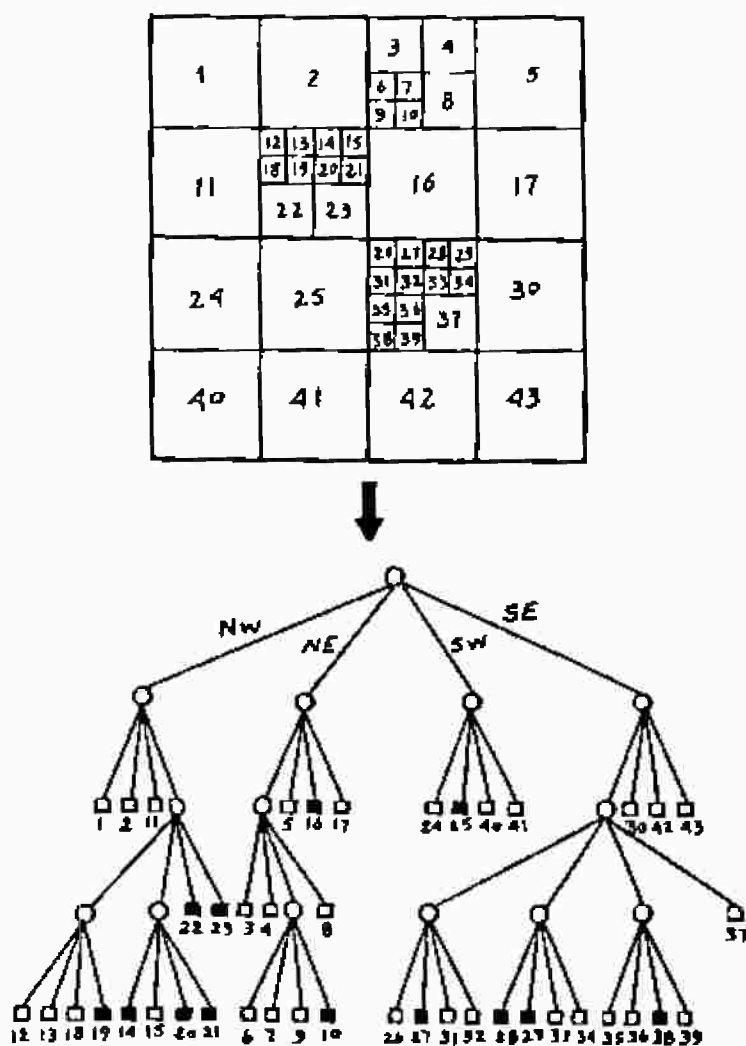
الطك

المربع

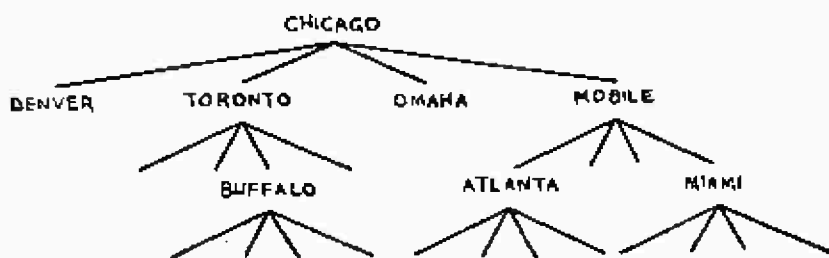
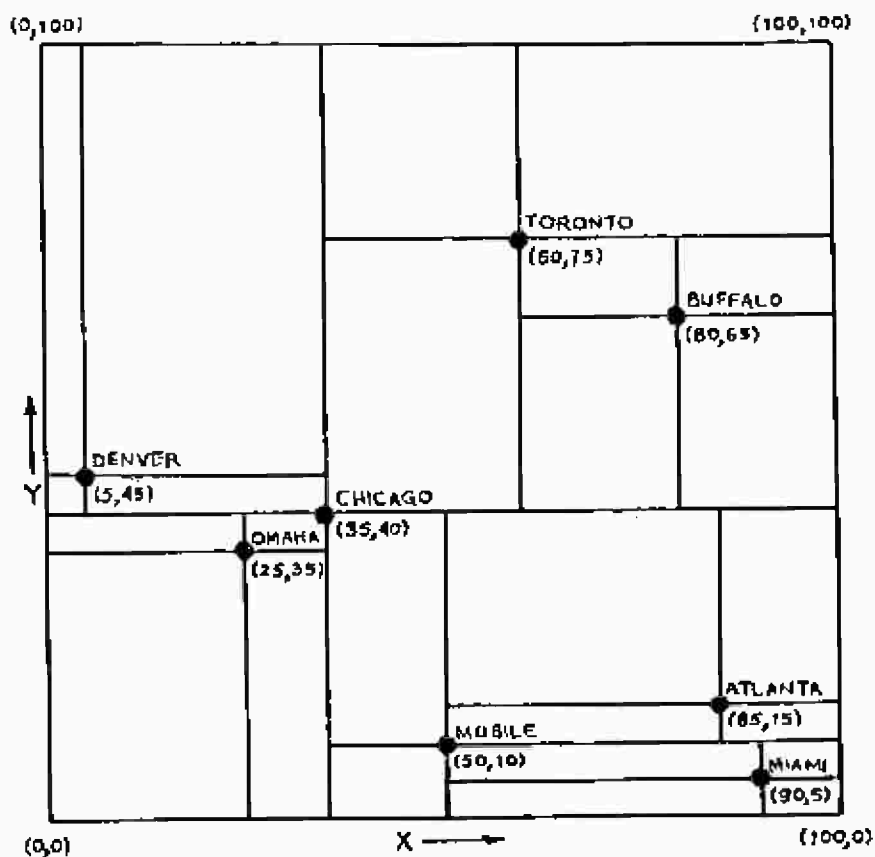
شكل (١٤) : تقسيم شبكة المربك المعظم الى خلايا أصغر ل المستوى البلازمي



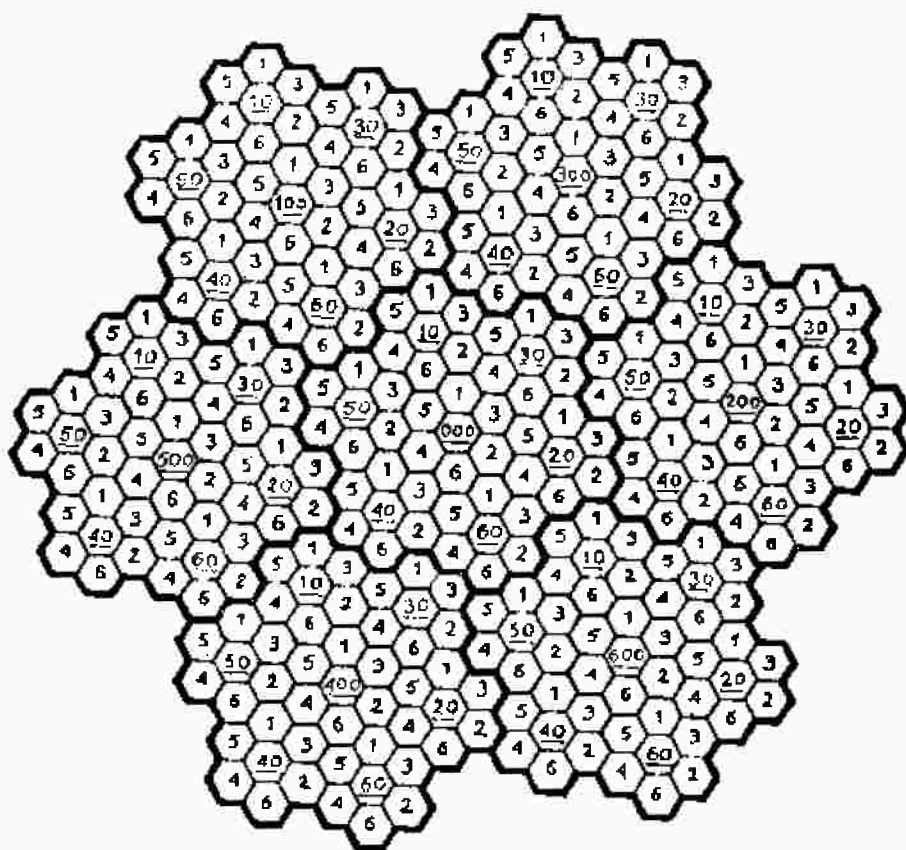
شكل (١٥) : تمثيل سطح الأرض بنموذج شبكة مكعبات مستطيلة



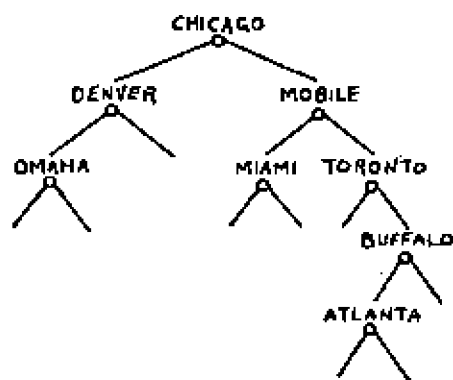
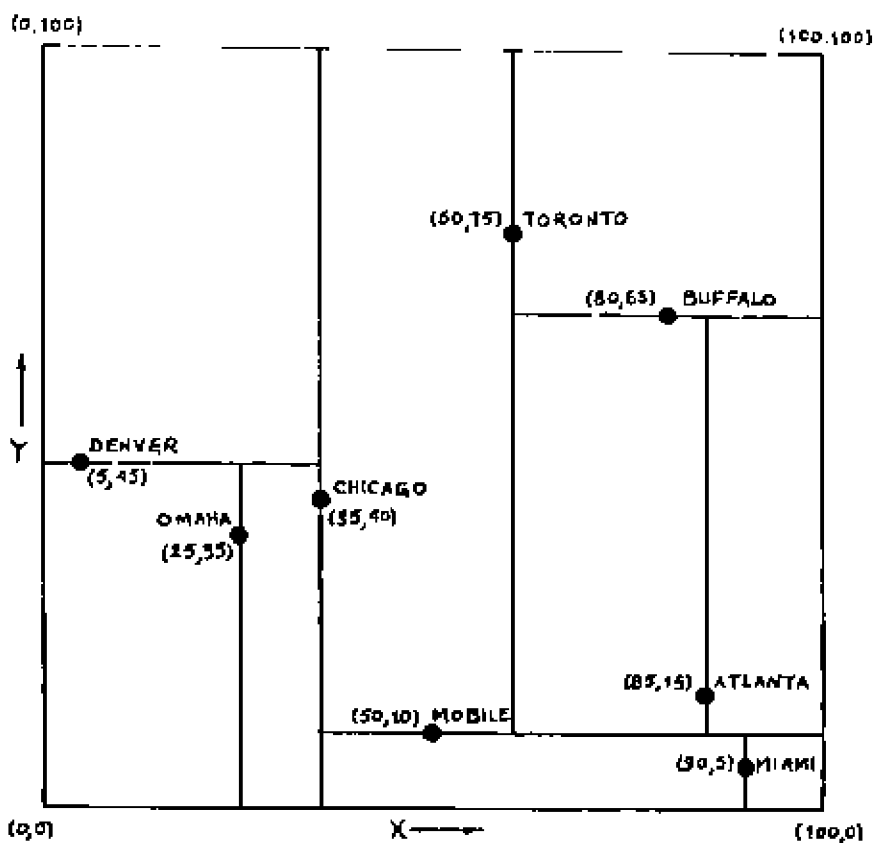
شكل (١٦) : نموذج بيانات الشجرة الرباعية Quadtree



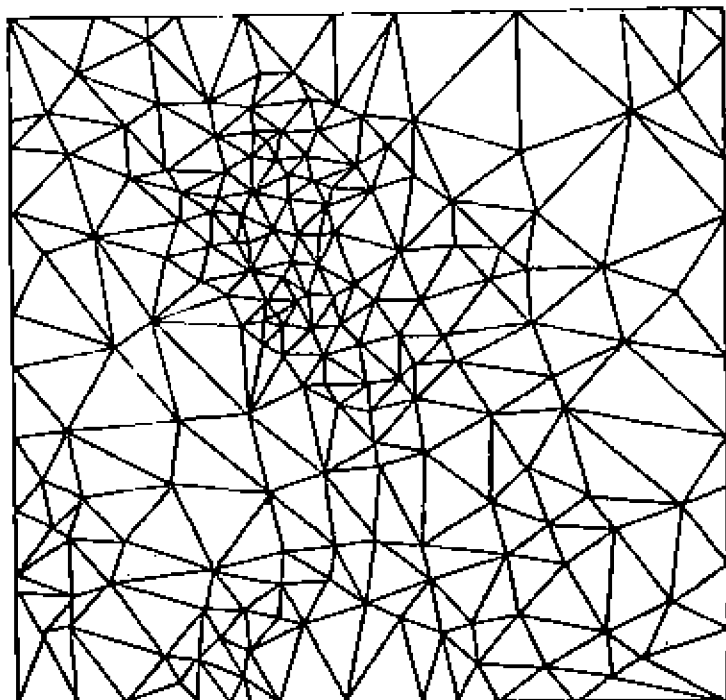
شكل (١٧) : مخرج بيانات نقطة التقسيم الرباعي Point quadtree



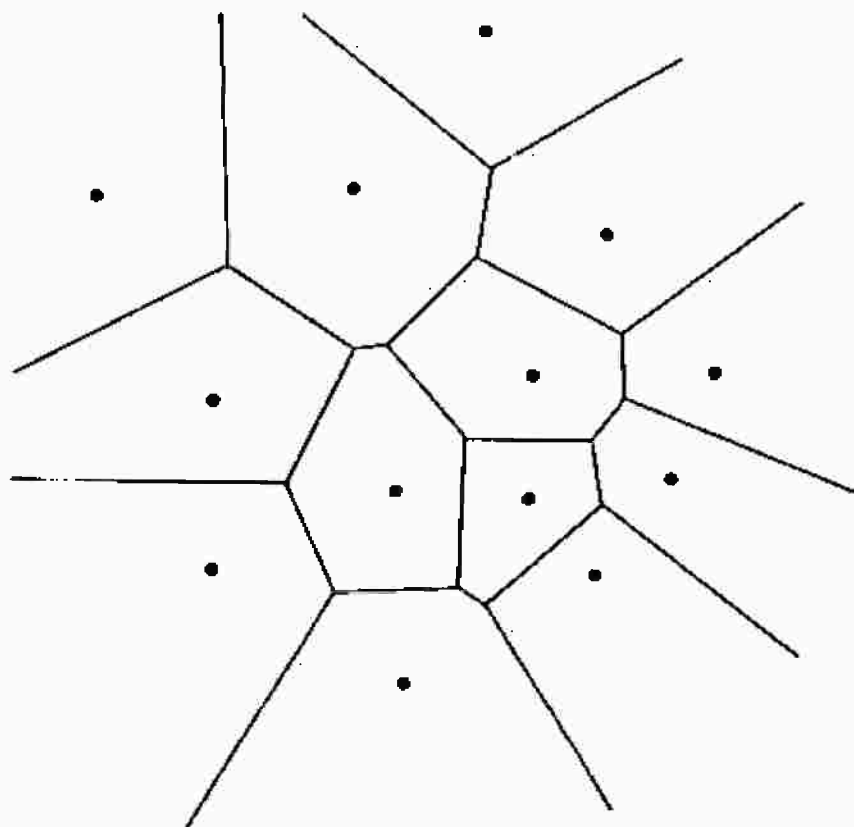
شكل (١٨) : شبكة معلومات سداسية ال تقسيم هرمي يقوم على سبعة عناصر



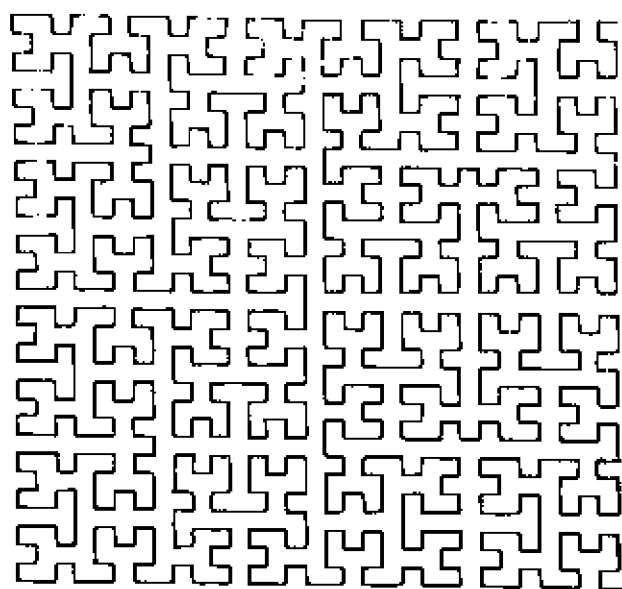
شكل (١٩) : نموذج بيانات من شجرة ثنائية



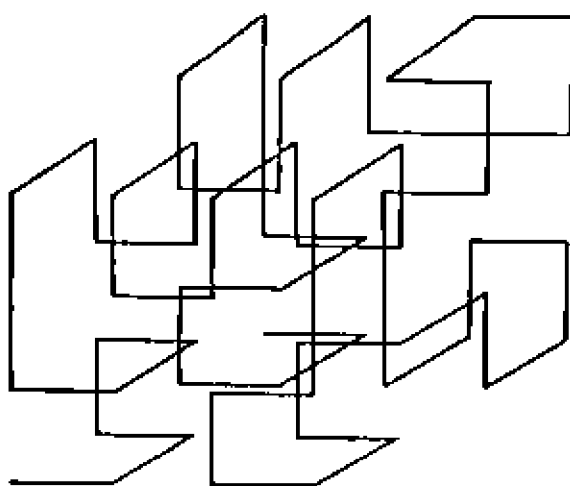
شكل (٢٠) : شبكة مكافئ غير منتظمة TIN



شكل (٢١) : مثال لمضلعات Thiessen



(أ)

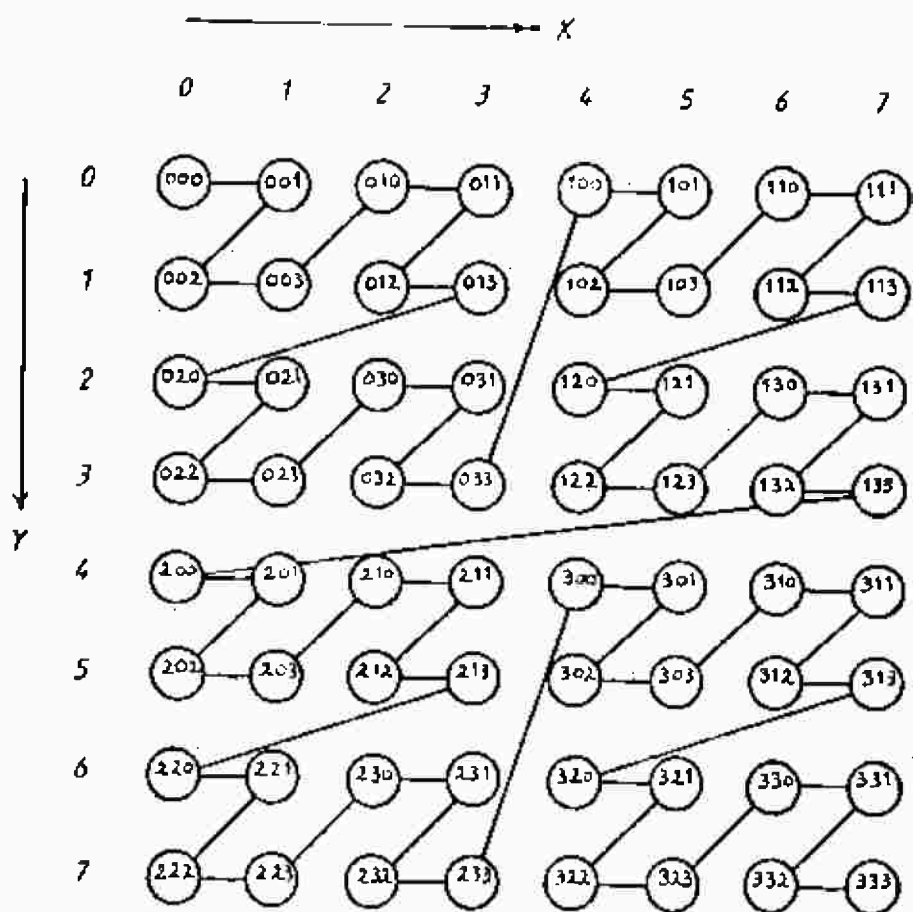


(ب)

شكل (٢٢) : منحنيات بينو (أ) ذات بعدين
(ب) ذات ثلاثة أبعاد

	0	1	2	3	X →			
0	0 0000	2 0010	8 1000	10 1010	32	34	40	42
1	1 0001	3 0011	9 1001	11 1011	33	35	41	43
2	4 0100	6 0110	12 1100	14 1110	36	38	44	46
3	5 0101	7 0111	13 1101	15 1111	37	39	45	47
Y ↓	16	18	24	26	48	50	56	58
	17	19	25	27	49	51	57	59
	20	22	28	30	52	54	60	62
	21	23	29	31	53	55	61	63

شكل (٢٣) : مخطط نظام معادلة مورتن Morton matrix

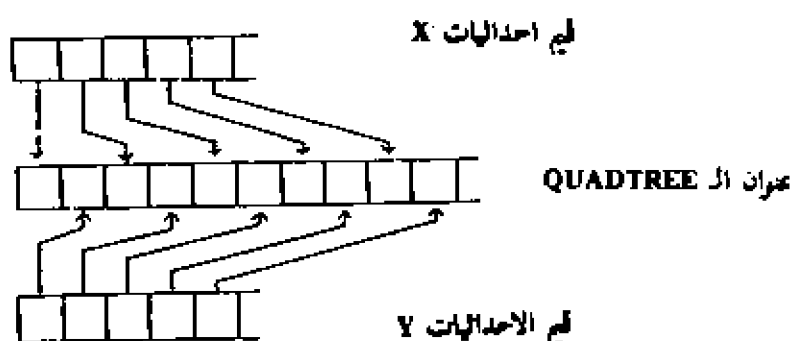


شكل (٢٤) : العلاقة بين النقاط متصلة مرزبون ومنحنيات بينو على شكل حرف Z

→ X

	000	001	010	011	100	101	110	111
000	000	001	010	011	100	101	110	111
001	002	003	012	013	102	103	112	113
010	020	021	030	031	120	121	130	131
011	022	023	032	033	122	123	132	133
100	200	201	210	211	300	301	310	311
101	202	203	212	213	302	303	312	313
110	220	221	230	231	320	321	330	331
111	222	223	232	233	322	323	332	333

↓ Y



شكل (٢٥) : مخطط الفهرسة المكانية بطريقة العنوان المؤشر وتطبيقها في فصل الاحداثيات السببية والعادية

		→ X							
		0	1	2	3	4	5	6	7
↓ Y	0	000	001	010	011	100	101	110	111
		00		01		10		11	
	1	002	003	012	013	102	103	112	113
		00		01		10		11	
	2	020	021	030	031	120	121	130	131
		02		03		12		13	
	3	022	023	032	033	122	123	132	133
		02		03		12		13	
	4	200	201	210	211	300	301	310	311
		20		21		30		31	
	5	202	203	212	213	302	303	312	313
		20		21		30		31	
	6	220	221	230	231	320	321	330	331
		22		23		32		33	
	7	222	223	232	233	322	323	332	333
		22		23		32		33	

شكل (٢٦) : مخطط هارون لشجرة رباعية هرمية